

**مجلة الأندلس** للعلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد الثاني - المجلد السابع - مارس ٢٠١٤م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية  
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

# مجلة الأندلس

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

علمية محكمة دورية

العدد الثاني - المجلد السابع - مارس ٢٠١٤م

## عناوين المجلة

جامعة الأندلس للعلوم والتقنية

الجمهورية اليمنية - صنعاء

ص.ب: ٢٧٤٤٤ هاتف: ٠٩٦٧١٦٧٥٥٦٧ فاكس: ٠٩٦٧١٦٧٥٨٨٥

بريد الكتروني:

[magazine@andalusuniv.net](mailto:magazine@andalusuniv.net)

على الانترنت:

[www.andalusuniv.net](http://www.andalusuniv.net)

## هيئة تحرير المجلة :

### رئيس التحرير:

الدكتور أحمد محمد بقرعان

### مدير التحرير

أ.ك. عبدالقادر أحمد الحوثري

### سكرتير المجلة والمدقق اللغوي :

د. أحمد هادي باحارثة

### التصميم والإخراج :

م. بكار يحيى بكار

### الهيئة الاستشارية :

أ.د. صالح علي باصرة

أ.د. حسن مقبول الأهدل

أ.د. حمود صالح العودي

أ.د. شرف أحمد الشهاري

أ.د. عبدالله صالح بابعير

أ.د. عمر عثمان العمودي

### أعضاء هيئة التحرير :

د. عبدالله عبدالرحمن بكير

د. فكري محمد الحميدي

د. علي مقبول الأهدل

## القواعد العامة وإجراءات النشر

### أولاً: القواعد العامة:

- تنشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، في مختلف فروع المعرفة الإنسانية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:
- (١) أن يكون البحث أصيلاً وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على المنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
- (٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة مراعيًا دقة الحروف والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على نظام (IBM) ببرنامج WORD بينط (١٦) ويخط (Traditional Arabic) وألا يزيد عدد صفحات البحث عن ٣٠ صفحة متضمنة الهوامش والمراجع .
- (٣) أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق وحسن استعمال المصادر والمراجع وتبويبها كالاتي: تكتب كنية المؤلف (اسم العائلة) ثم الأسماء الأخرى للمؤلف ويمكن الاكتفاء بالحروف التي تشير إلى أسمائه، ثم يكتب أسماء المؤلفين المشتركين معه - إن وجدوا - يلي ذلك سنة النشر (ثم عنوان البحث واسم المجلة ومكان النشر، المجلد وعدد الصفحات).
- (٤) ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
- (٥) يرفق بالبحث سيرة ذاتية موجزة مع تحديد التخصص الدقيق الذي ينتمي إليه موضوع البحث المراد تحكيمه ونشره .
- (٦) رسوم النشر تقدر بـ (١٥) خمسة عشر ألف ريال يماني لليمنيين ، وبـ(١٠٠) مائة دولار أمريكي لغير اليمنيين ترسل الى حساب الجامعة عبر حواله بنكية عبر بنك التضامن الإسلامي الدولي فرع حده بحساب رقم (203) سويقت (TIBKYESA101).

## ثانياً: إجراءات النشر:

- ترسل نسختان من البحث على ورق A4 على أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى وجه واحد، ومحفوظة على CD متوافق مع أجهزة (IBM) وذلك إلى عنوان المجلة وترسل نسخة أخرى بالبريد الإلكتروني الخاص بالمجلة ، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي ومكان عمله.
- يرفق بالبحث ملخص للبحث في حدود (100 - 150 كلمة) باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية.
- يخطر الباحث بقرار صلاحية البحث من عدمه خلال شهرين على الأكثر من تاريخ استلام البحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكمين ترسل الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة، على أن تعاد خلال مدة أقصاها شهر.
- للمجلة الحق في إعادة البحث إلى صاحبه إن وجدت حاجة لبعض التعديلات عليه.
- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
- يعلم صاحب البحث بقبول عمله للنشر.
- تلتزم المجلة بإرسال نسخة من العدد إلى صاحب البحث المنشور بعد طبع العدد.
- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

## الفهرس

٨ ..... الافتتاحية

### البحوث باللغة العربية :

- ١) تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمنية  
..... د. أحمد محمد برقان ، د. سالم مبارك العوبثاني ١٠
- ٢) أثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين ..... لطفي عمر بن الشيخ أبوبكر ٤٧
- ٣) الاكتئاب وأعراضه لدى عينات من نساء ساحل حضرموت في ضوء بعض  
المتغيرات ..... د. عبد الحكيم محمد بن بريك ، د. هادون علي العطاس ٨٢
- ٤) الدروس المستفادة من الهجرة النبوية ..... د. داوود المندي ١٤٠
- ٥) العلاقات اليمنية البريطانية بعد أحداث ١٩٢٨م وحتى معاهدة صنعاء ١٩٣٤م  
..... د. ثابت صالح اليزيدي ، د. علي محمد باسعد ١٨٦
- ٦) المسائل الملقبات في الفرائض ..... د. هدى علي يحيى العماد ٢١٦
- ٧) جهود محمد بن عبد الرحمن الديسي في تعليم النحو العربي من خلال  
"المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي" ..... د. لعبيدي بو عبد الله ٢٥٩
- ٨) صورة المرأة في الشعر الجاهلي "وهم الأسطورة" أو "أسطورة الحقيقة"  
..... د. محمد أحمد العامري ٢٨٣
- ٩) فاعلية برنامج إرشادي نمائي في نمو طفل ما قبل المدرسة  
(دراسة تجريبية على أطفال الروضة في مدينة المكلا)  
..... د. عبد الرحمن سعيد بلخير ، د. أفريدا بحر الدين خليل العامري ٣٣٧
- ١٠) نسخ القرآن بالسنة  
(نظرية الوقوع ومنع الجواز رؤية أصولية في ضوء وجهة الإمام الشافعي)  
..... د. محمد سنان الجلال ٣٧١

### البحوث باللغة الإنجليزية :

#### 1) *Pride and Megalomania*

*Thematic Study in Marlowe's TAMBURLAINE THE GREAT*

4 ..... *Dr. Abdulla A. Bukeir*

#### 2) *Scarcity of Illustrative Examples in Bilingual*

58 *Dictionaries (English-Arabic)* ..... د. عارف علي صلاح الذبياني

## الافتتاحية

بِقَلَمِ الدُّكْرَانِ مُحَمَّدِ مُحَمَّدٍ بَرَقَانِ

رئيس التحرير - رئيس جامعة الأندلس

يأتي إصدارنا لهذا العدد ووطننا قد خطا شوطاً باتجاه كثير من القضايا المطروحة بل والملمحة في كل الساحة الوطنية طويلاً وعرضاً، ولاسيما بعد التفاؤل الذي عام جميع الأوساط الداخلية والخارجية بعد نجاح مؤتمر الحوار الوطني الشامل الذي أخرج اليمن من عنق الزجاجة، وتتجه الجهود اليوم لترجمة مخرجاته التي يأتي في طليعتها إقرار النظام الاتحادي الفيدرالي للدولة اليمنية الجديدة، وعليه تم تشكيل لجنة الأقاليم التي أعلنت بصورة رسمية عن إنشاء الأقاليم الإدارية مراعية لدى تكوينها الجوانب التاريخية والثقافية والسهولة الإدارية لمواطنيها، وهي ستحقق دورها الحقيقي والمرجو منها إذا جرى من خلالها توزيع عادل للسلطة والثروة، كما جرى تشكيل لجنة صياغة الدستور المناط بها تحويل مقررات مؤتمر الحوار إلى صياغات قانونية ملزمة تمثل عقداً لمواطني الجمهورية الاتحادية الوليدة وهم الذين سيتم استفتاؤهم في الفترة القليلة القادمة ليصبح الدستور المرتقب محل تنفيذ لكل القوى السياسية وسائر شرائح المجتمع .

وكالعادة نؤكد ونشدد باستمرار على أن المؤسسات التعليمية والمراكز البحثية وعلى رأسها الجامعات الوطنية حكومية منها أو أهلية، ومن بينها جامعة الأندلس ستظل هي العقل المفكر والأداة العلمية والملاذ الآمن لإعادة دراسة وتحليل كل المشكلات التي نواجهها في مختلف الأصعدة، ثم الخروج برؤية علمية وعملية لحلها بما يحقق أهداف التنمية ويحقق الرفاهية للإنسان باعتباره أداة التنمية وغايتها .

إن جامعتنا جامعة الأندلس للعلوم والتقنية واحدة من الجامعات التي تحمل على كاهلها مثل هذه القيم والمعاني النبيلة، وهي من خلال منبرها العلمي والبحثي (مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية) تسعى إلى توسيع فرصة قراءتها وتداول محتوياتها عبر اعتمادها نظام النشر الإلكتروني الموسع للإصدارات المتتالية على الموقع الإلكتروني للجامعة، لكي يسهل على الأكاديميين وجميع المهتمين بالمجال

البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، كما تم اعتماد آلية للتواصل والتراسل وتحكيم الأبحاث إلكترونياً بما يبسط الإجراءات ويختصر الزمن من أجل إتاحة الفرصة لنشر أكبر قدر من الأبحاث والدراسات العلمية .

إن الجامعة قد خطت منذ العدد الماضي شوطاً أبعد وأعمق دلالة، تمثل في إصدار المجلة بصورة تخصصية مستقلة بحيث يغطي عدد من المجلة أبحاث ودراسات في المجال التطبيقي ويحمل اسم ( مجلة الأندلس للعلوم التطبيقية )، وعدد آخر دراسات وأبحاث العلوم في المجال الاجتماعي والإنساني يحمل اسم ( مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية )، ولا شك أن هذه الخطوة ستحقق، كما نعتقد، توسعاً أفقياً ورأسياً في مجال نشر الأبحاث والدراسات، لهذا فقد أعدنا ترقيم الأعداد ليحمل هذا العدد رقم (٢) تبعاً للعدد الأول السابق له، مع الاحتفاظ التسلسلي لترتيب المجلدات، والنص على سنة الإصدار وهي الآن السنة العاشرة، وإننا لنأمل أن نحظى من جميع الباحثين والدارسين في الجامعات الحكومية والأهلية والكليات المتخصصة والمراكز البحثية بالتفاعل والتواصل والمشاركة بأبحاثهم في كلا المجالين التخصصين بما يشكل إغناء للمادة العلمية لهذه المجلة المحكمة .

ويشمل هذا العدد باقة من القضايا الحيوية والبحوث العلمية والدراسات المتخصصة في المجال الاجتماعي والإنساني، والجامعة من خلال مجلتها هذه لتحرص دوماً على استقطاب الدارسين الجادين والباحثين المتميزين وتوفير منبر علمي لهم يشجعهم على المزيد من الإنتاج العلمي والبحثي باعتباره إحدى المؤشرات الاستراتيجية لنهضة الأمة وتقدمها .

ولا يسعنا في ختام كلمتنا إلا أن نشكر كل تلك الأقسام والأفراد التي لم تأل جهداً حتى ظهر هذا العدد إلى النور ..

متمنين لوطننا ولكل مؤسساتنا التعليمية ومراكزنا البحثية مزيداً من العطاء والتقدم والازدهار .

## تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمينية

**الدكتور/ أحمد محمد برقعان**

---

أستاذ الإدارة التعليمية المشارك  
بكلية التربية - المكلا - جامعة حضرموت

**الدكتور/ سالم مبارك العوبثاني**

---

استاذ المناهج وطرق التدريس المشارك  
بكلية التربية - المكلا - جامعة حضرموت



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمنية

### مقدمة :

يعد التقويم المؤسسي من الامور المهمة لمعرفة مدى كفاءة المؤسسات وفعاليتها، وتزداد أهمية التقويم عندما يتعلق بمؤسسات مهمتها بالدرجة الاولى إعداد وتربية النشء وتخرج الكوادر المتنوعه القادرة على النهوض بمجتمعاتها.

ومن هذا المنطلق أصبح الوقوف على مدى فاعلية المدارس أمراً في غاية الاهمية، تنبرى من أجله الاقلام وتنهض من أجله البحوث والدراسات، خاصة في مجتمعاتنا العربية التي ماتزال مدارسها في طور التوجه نحو تحقيق المتطلبات المتوقعه منها.

ومن المعروف أن فاعلية المدارس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنظومه المدرسية في مجملها، والتي تتألف هي الاخرى من منظومات فرعية ترتبط ببعضها البعض وتتكامل فيما بينها، وهذا يتطلب من الباحثين النظر في تلك المنظومات حتى تتحقق الفاعلية المطلوبة (الخطيب، ٢٠٠٦، ص٦٠٧) ولا يشك أحد في أن الاقتراب من المتطلبات والمعايير المختلفة بجودة وفاعلية متميزة والمرتبطة بمخرجات بعيدة المدى أمر عندما نتقارب منه يتباعد عنا بحكم أن جودة المنظومه المدرسية هدف متحرك، ورغم هذا فان هذا الامر لا بد أن نتقبله ونعمل جاهدين على الاقتراب منه بصورة أو بأخرى (العبد، ٢٠٠٢، ص ٣٢).

ولقد حددت إحدى حلقات النقاش العلمية بعض المعايير الأساسية التي يمكن الاعتماد عليها في مراجعة وتقييم المدرسة الفاعلة تتمثل في: (مدرسة الزهراء، ٢٠٠٧، ص ١- ١٤).

- ١- رؤية المدرسة ورسالتها.
- ٢- المتعلم وما يمتلكه من معارف ومهارات وقيم.
- ٣- مجتمع التعلم وبيئته بما تتضمنه من خصائص تعتمد على التعلم النشط.
- ٤- القيادة المدرسية الفعالة التي تمتلك الخصائص التي تمكنها من الإبداع والتميز.

- ٥- مشاركة المجتمع في المدرسة بصورة منظمة وفاعلة.
  - ٦- استبدال التكنولوجيا في المدرسة وتوظيفها توظيفاً جيداً.
  - ٧- التنمية المهنية المستدامة.
  - ٨- المساءلة والمحاسبية.
  - ٩- الاستغلال الأمثل للمبني المدرسي.
- وقد ذكر (المفتى، ٢٠٠٥) سبعة معايير تساهم في تحقيق الفاعلية المدرسية:
- ١) أن تكون للمدرسة الفعالة رسالة واضحة تعمل في ضوءها جميع العناصر المشاركة في العملية التعليمية.
  - ٢) أن يسود المدرسة الفعالة مناخ عام من اعتقاد وإيمان المدرسين قولاً وفعلاً بأن جميع الطلاب يمكنهم الوصول الى مستوى الإتقان لمحتوى المناهج الدراسية، وأن هؤلاء المدرسين لديهم القدرة على مساعدة الطلاب للوصول الى هذا المستوى .
  - ٣) أن تكون قيادات المدرسة الفعالة قيادات تربوية تعليمية فعالة.
  - ٤) أن تكون في المدرسة الفعالة متابعة مستمرة لتقدم الطلاب في الدراسة.
  - ٥) أن تكون فرص التعلم والزمن مناسبة ومتاحة لجميع الطلاب.
  - ٦) أن تتيح المدرسة الفعالة بيئة تربوية وتعليمية يسودها النظام والسعى نحو تحقيق الأهداف مع الشعور بالعدالة والأمان دون شعور بالخوف من العقاب.
  - ٧) أن يتعاون أولياء الأمور ومؤسسات المجتمع مع المدرسة في ضوء فهم رسالة المدرسة الفعالة لتحقيق الأهداف التربوية والتعليمية لها.
  - ٨) بينما يرى (*Orloski, 1984, p111-112*) خمسة عناصر رئيسة تساهم في تحقيق الفاعلية المدرسية؛ وهي:
    ١. أن يتوقع المعلمون أن جميع الطلاب يحققون مستوى جيد من التعليم بغض النظر عن الأسر والبيوت التي يأتون منها.
    ٢. أن تؤكد المدرسة على تعليم المهارات الأساسية.
    ٣. أن تتيح المدرسة مناخاً بيئياً مناسباً للتعليم (*Griffith, 1999, P. 267*).
    ٤. أن توفر المدرسة نظاماً تقويمياً - مراقبياً، مرتبطاً بالأهداف التعليمية.

٥. أن يتوفر لدى المدرسة قيادة واعية قوية تسهم في تنمية الإحساس بالولاء والانتماء للمدرسة تعزز مبادئ المساواة والعدل وتكافؤ الفرص لرفع الروح المعنوية للمتعلمين والمعلمين (joyce, 1993, p15).

والفاعلية عند (الخميسي، ١٤٢٨هـ، ص ٧) بأنها المدرسة التي يتحقق من خلالها بيئة مدرسية آمنة، ومناخ اجتماعي مدرسي جيد توفره قيادة مدرسية فاعلة في ضوء رؤيتها ورسالتها الواضحة، ومشاركة مجتمعية، وتنمية مهنية مستدامة لجميع العاملين بها، وتوكيد الجودة والمساءلة، والإسهام في إيجاد مجتمع متعلم، يأخذ بثقافة الحوار والشورى واستخدام المستحدثات والتقنيات.

بينما فرق (Creemers, 2002) بين فاعلية المدرسة *School effectiveness* وتحسين المدرسة *School Improvement*. فقصده بفاعلية المدرسة بأنها تستهدف الوقوف على ماهو مطلوب تغييره *What is to be changed* في المدارس، لتصبح أكثر فاعلية. بينما يسعى التحسين المدرسي إلى الوقوف على كيف يمكن للمدارس أن تتغير *how school can change* كي تتحسن.

ويهتم علم الإدارة بموضوع الفعالية اهتماما بالغاً لارتباطه بمدى القدرة على تحقيق الأهداف المرسومة، حيث تقاس فعالية أي منظمة إدارية بمدى قدرتها على إنجاز الأهداف بأقل تكلفة وجهد، وتدل الفعالية الإدارية على مدى التفاعل والنشاط داخل المنظمة ومدى التعاون المثمر والفعال بين الأجزاء الإدارية.

وفاعلية المنظمة يعد معياراً لمدى نجاحها في تحقيق الأهداف وانجازها وهنا تظهر أهمية فعالية الإداريين وقدرتهم في العمل على تحقيق الأهداف المرسومة، وتزداد فعالية المنظمات إذا شعر الأفراد أن تحقق أهدافهم الشخصية مرتبط بأهداف المنظمات الإدارية (نشوان، ٢٠٠٤، ص ٢١٣).

وإذا كان مفهوم الفعالية بوجه عام يشير إلى مدى تحقق الأهداف المنجزة من خلال منظومة من المعايير تُستخدم لقياس مستوى أداء المؤسسات الإدارية، وعليه فإن الأهداف التعليمية تعتبر معايير ومستويات مقارنة وليست مطلقة. ومن ثم فإن مفهوم الفعالية المدرسية يشير إلى أداء وحدة تنظيمية قائمة على أهداف تعليمية تسمى

المدرسة، يمكن قياس مستوى أدائها من خلال متوسط الإنجاز لمخرجاتها التي تقدمها خلال فترتها الإلزامية ضمن منظومة التعليم العام.

وينطلق الباحثان في إجراء هذه الدراسة من نتائج مجموعة من الدراسات التي أسفرت نتائجها عن وجود عددٍ من نقاط الضعف، وجوانب الخلل في الأداء المدرسي، ومن هذه الدراسات دراسة (الكردي، ٢٠٠٧) التي ذكرت أن مستوى تقديرات التربويين حول الخصائص والأسس التي يجب أن تتصف بها المدرسة الثانوية الفعالة متوسطة أو غير موجودة في الواقع، وأن حوالي (٦١ %) من الخصائص والأسس والمجالات التي يجب أن تتصف بها المدرسة الثانوية الفعالة السعودية موجودة أو موجودة إلى حد ما، وأن حوالي (٣٩ %) غير موجودة في الواقع، ولا بد من العمل على تحقيقها لزيادة فاعلية المدارس الثانوية الحكومية.

وقد ذكر أيضا (Abu Nasser, 2009) في دراسة له عن وجود اختلافات كبيرة بين المديرين في فاعلية الأداء المؤسسي للمدارس الثانوية في مدينة الأحساء بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، وهذا يؤثر تأثيراً كبيراً على مستوى الأداء المدرسي.

وفي ضوء ما سبق يمكن القول بأنه إذا كانت فاعلية المدرسة ترتبط وتتكامل منظوماتها وتناسقها، فإن ذلك يشير إلى أن الفاعلية ترتبط بالجودة التي ينادي بها العالم سواء الغربي منه أم الشرقي، وهذا يفرض علينا أن نراجع منظوماتنا المدرسية لمعرفة مدى الفاعلية وتحقيق معايير الجودة ومؤشراتنا.

والدراسة الحالية تتواكب مع الدراسات المهمة بهذا المجال، حيث تهتم برصد فاعلية بعض العوامل الأساسية للمدرسة في المجتمع اليمني.

### مشكلة الدراسة:

بناء على ما تقدم يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

- ١- ما تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمينية؟  
وتتفرع عنه التساؤلات الآتية:

- ماتقديرات المعلمين مدى فاعلية (الرؤية، الرسالة، الثقافة) بالمدرسة اليمنية؟
  - ماتقديرات المعلمين مدى فاعلية (المناهج والتعلم اللاصفي) بالمدرسة اليمنية؟
  - ماتقديرات المعلمين مدى فاعلية (القيادة) بالمدرسة اليمنية؟
  - ماتقديرات المعلمين مدى فاعلية (الشراكة مع الأسرة والمجتمع المحلي) بالمدرسة اليمنية؟
- ٢- هل يوجد اختلاف دال إحصائياً حول مدى تقديرات المعلمين وفاعلية العوامل السابقة باختلاف الخصائص الواردة بالدراسة (النوع، التعليم، المدرسة، المؤهل، الخبرة)

### أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الى التعرف على تقديرات المعلمين لمدى فاعلية بعض عوامل المدرسة بالجمهورية اليمنية، وكذلك مدى اختلاف هذه التقديرات باختلاف الخصائص الواردة بالدراسة.

### أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة الحالية ممايلي:

- ١- ضرورة المراجعة المستمرة لأداء المؤسسات المدرسية للوقوف على واقعها الفعلي.
- ٢- أن دراسة فاعلية المدرسة يترتب عليها معرفة مدى استعداد المدارس لتحقيق الجودة المتطلبة منها.
- ٣- ندرة الدراسات التي أجريت بصورة مباشرة لرصد فاعلية المدرسة بالجمهورية اليمنية.
- ٤- الشكاوى الملاحظة من أكثر فئمة من المجتمع من أوضاع المدارس العربية بصفه عامة.

## حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة على الآتي:

- ١- المدارس في مديرية السبعين بأمانة العاصمة صنعاء .
- ٢- تنوع المدارس بين المدارس العامة والأهلية .
- ٣- اجريت الدراسة الميدانية على المدارس عينة الدراسة في العام الدراسي ٢٠١١-٢٠١٢ .
- ٤- اقتصرت الدراسة على قياس اربعة عوامل لفاعلية المدرسة (الرؤية، الرسالة، الثقافة، المناهج والتعلم اللاصفي- القيادة - الشراكة مع المجتمع المحلي) وذلك على اعتبار أنها عوامل أساسية ترتبط بها العوامل الأخرى وتندرج ضمنها .

## مصطلحات الدراسة :

- ١- فاعلية المدرسة School effectiveness: يعرفها (البرعمي ، ٢٠٠٥ ) بأنها: المدرسة التي تحقق أهدافها المتوخاة وفقاً للمجالات التي حددتها إدارتها وهي سلوك الطلبة، والمناخ المدرسي، وعلاقة المدرسة بالمجتمع المحلي. ويعرفها الباحثان اجرائياً بالدرجة التي يحصل عليها المستجيب وفقاً للمقياس الخماسي بأداة الدراسة ذات التدرج الخماسي .

## منهج الدراسة وأداتها :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي أمكن من خلاله جمع المعلومات والبيانات للإجابة عن تساؤلات الدراسة وتفسيرها والوصول لتحقيق الأهداف الخاصة بها، وقد تمثلت أداة الدراسة في استبانة مؤلفة من جزئين:

الجزء الأول: ويتعلق ببعض البيانات الأولية عن المستجيبين مثل : النوع، المرحلة التعليمية، نوع المدرسة، المؤهل الدراسي، الخبرة) وأقتضت الإجابة على هذا الجزء وضع علامة (صح) في احدى الخانات المناسبة.

الجزء الثاني: ويتألف من (٤٦) عبارة موزعة على أربعة عوامل لقياس مدى فاعلية المدرسة وهي:

- ١- الرؤية، الرسالة، الثقافة: (١٤) عبارة، من أمثلتها (معظم أفراد المدرسة يسعون للإهتمام بحاجات التلاميذ، المدرسة مكان جاذب ومريح للتعليم، تسود مشاعر الاحترام والتقدير المتبادل بين أعضاء المجتمع المدرسي...).
  - ٢- المناهج والتعلم اللاصفي: (١٤) عبارة، من أمثلتها (تقدم المدرسة برامج لمساعدة الطلاب دراسياً، يقوم المعلمون التلاميذ وفقاً للأهداف التعليمية، الأنشطة اللاصافية تدعم وتثري أهداف المقررات الدراسية، طرق التدريس السائدة بالمدرسة ملائمة للجوانب التعليمية).
  - ٣- القيادة المدرسية (١٣) عبارة، من أمثلتها (المديرون يهيئون الفرص للمعلمين للنمو المهني، يشرك المديرون المدرسين في وضع الخطط الدراسية، يتخذ المديرون قراراتهم بأنفسهم (دون ضغوط خارجية).
  - ٤- العلاقات مع الأسرة والمجتمع المحلي: (٨) عبارات، من أمثلتها (يشترك المعلمون والآباء في تحسين الأداء الدراسي لأبنائهم، يشارك أعضاء المجتمع المحلي بأعمال تطوعية تخدم المدرسة، تعقد المدرسة شراكات مستمرة مع رجال الأعمال بالمجتمع المحلي).
- وقد تم الاعتماد على مقياس خماسي بتدرج من (دائماً، غالباً، أحياناً، ونادراً، ومطلقاً) (١، ٢، ٣، ٤، ٥) وبأوزان نسبة للعبارات الموجبه والعكس للعبارات السالبة ويطلب من المستجيب وضع علامة (صح) أمام كل عبارة إحدى الفئات.
- وللتأكد من هدف الأداة تم عرض العبارات الخاصة بالاستبيان على عشرة من المحكمين من أساتذة التربية في كليات مختلفة بالجمهورية اليمينية لإبداء آرائهم فيما يتعلق بمناسبة العوامل ومدى وضوح عبارات كل منها ومدى إنتماء كل منها لمحورها فتم الإتفاق على (٤٩) عبارة، ثم قام الباحثان بحسابات معاملات الارتباط البسيطة بين درجة كل عبارة ودرجة المحور الذي تنتمي اليه، وبين درجة كل عبارة والدرجة الكلية، وقد تراوحت قيم معاملات الارتباط بين (٠.٨٩) وهو مايدل على الاتساق الداخلي بين عبارات الاستبيان ويضي بهدفه.

وتم حساب ثبات الأداة بطريقة كرونباخ الفا على عينة قوامها (٥٠) عضواً من معلمي المدارس المختلفة، وقد كانت قيمة الف على المقياس الكلي (٠.٨٣) وهي تشير الى أن الأداة تتمتع بدرجة عالية من الثبات.

### المجتمع الأصلي وعينة الدراسة:

تألف المجتمع الأصلي من معلمي التعليم الأساسي والثانوي في مدارس منطقة السبعين بامانة العاصمة صنعاء.

وقد قام الباحثان أولاً باختيار عدد من المدارس الخاصة بالطريقة العشوائية البسيطة بلغت (٥) وعدد (٢) من المدارس العامة بالمنطقة.

وبعد أن تم إختيار المدارس تم اختيار عدد من المعلمين من هذه المدارس المختارة بطريقة عشوائية بسيطة بلغت (٢٥٠) مدرساً، وقد حصل الباحثان بعد التطبيق على (١٩٨) استمارة تم استبعاد (١١) استمارة لنقص بعض البيانات بها وبذلك تكون الاستمارات الصالحة للتحليل الإحصائي (١٨٧) والجدول رقم (١) يوضح خصائص عينة الدراسة.

جدول رقم (١) موضع خصائص عينة الدراسة

الخبرة				المرحلة التعليمية		المؤهل			المدرسة		النوع		
سنة	فاكثر	١١-١٥	٦-١٠	١-٥	ثانوي	أساسي	دراسات عليا	عالي	متوسط	خاصة	عامة	إتني	نظري
٣٣	١٠	٤٩	٩٥	٧٨	١٠٩	٩	١٠١	٧٧	٩٨	١٩	١٢	١٥٠	
١٨٧				١٨٧		١٨٧			١٨٧		١٨٧		المجموع

## المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة :

لمعالجة بيانات الدراسة إحصائياً قام الباحثان بالاجراءات التالية:

- استخدام برنامج (spss) لإجراء العمليات الإحصائية، وقد تم الإعتماد على الأساليب التالية:
- الاختبار التائي t-test
- تحليل التباين Anova
- طرق وصفية.
- الاعتماد على مستوى دلالة إحصائية  $\alpha = (0.05)$

## الدراسات السابقة :

بمراجعة الدراسات التي أجريت في مجال المدرسة الفعالة تبين أنه يمكن تقسيم الدراسات السابقة إلي نوعين:

أولاً: دراسات اهتمت برصد واقع فاعلية وكفاءة بعض العوامل المدرسية، ومن أمثلتها:

- دراسة (البثيني، ٢٠٠٢م) بعنوان ((واقع الاختبارات المدرسية ومدى ملاءمتها لقياس الأهداف التعليمية)) والتي استهدفت التعرف على كفاءة الاختبارات المدرسية ومدى ملائمتها لقياس الأهداف التعليمية واعتمدت الدراسة على تحليل نماذج الأسئلة المطروحة لقياس الاختبارات التخصصية في عدد خمسة عشر مدرسة بعد المرحلة الابتدائية والمتوسطة.
- وقد توصلت الدراسة الى مجموعة من النتائج كان من أهمها :
  - أن الاسئلة تركز على المستويات الدنيا في قياس المعرفة مما يشير الى أن التعليم يركز على نقل المعارف دون الاهتمام بتنمية التفكير وحل المشكلات.
  - ضعف وجود معياريه بين المدارس، وهذا دليل الإختلاف بين المدارس من حيث قياس الجوانب المعرفية.
- دراسة (الخيال، ٢٠٠٢) بعنوان (كفاءة مخرجات التعليم العام في دولة الامارات العربية المتحدة)، والتي استهدفت التعرف على كفاءة خريجي المدارس في دولة

الامارات واعتمدت الدراسة على الطريقة التتبعية للطلاب خريجي المناطق التعليمية المختلفة منذ التحاقهم بالمستوى الاول بالدراسة وحتى المرحلة الثانوية. وقد كان من أهم نتائج الدراسة أن هناك هدر تربوي تمثلت مظاهره في التسرب والرسوب مما أثر على كفاءة الخريجين.

دراسة (Price, 2004)

هدفت الدراسة إلى تطوير فاعلية المدارس في اسكتلندا من خلال تطبيق اختبار على مدار سنتين للتعرف على فاعلية المدارس، واستعان الباحث بالمنهج الوصفي الاحصائي من خلال استبانة طبقت على عينة تكونت من ٨٠ مدرسة منها ٤٤ مدرسة ابتدائية و٧٠٠٠ طالب و٢٥٠٠ معلم و٥٤٠٠ ولي أمر، كما استعان بأسلوب المقابلات والمراقبة كتقنيات تزود الباحث بتفاصيل ومعلومات أكثر عن العينة.

دراسة (المساعيد، ٢٠١٠)

هدفت الدراسة إلى تقدير درجة فاعلية الأداء المؤسسي في المدارس الثانوية الحكومية في إقليم الشمال بالأردن من وجهة نظر مديري المدارس ومعلميها، واستخدم الباحث المنهج، من خلال استبانة طبقت على عينة تكونت من (٦٠٦) معلماً ومديراً، وأسفرت نتائج الدراسة عن أن الممارسة الفعالة للأداء المؤسسي- الفعال في المدارس الثانوية الحكومية في إقليم الشمال هي بدرجة منخفضة، ويمكن تفسير ذلك بغياب العمل المؤسسي المتمثل بالتخطيط الاستراتيجي، والقيادة المدرسية، والعلاقة بين المدرسة والمجتمع، والتعليم المدرسي.

ثانياً: دراسات اهتمت بتحديد معايير ومؤشرات المدرسة الفعالة:

دراسة (الماجدي، ٢٠٠٣)

هدفت الدراسة إلى تحديد خصائص المدرسة الابتدائية الفعالة من وجهة نظر مديري ومعلمي محافظة حضر الباطن بالمملكة العربية السعودية، حيث تكونت عينة الدراسة من جميع أفراد مجتمع المديرين البالغ عددهم ٨٢ مديراً، أما عينة المعلمين فكانت ٣٨٠ معلماً تم اختيارهم عشوائياً من مجتمع المعلمين البالغ عددهم ١٠٥٤ معلماً، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن خصائص المدرسة

الابتدائية الفعالة من وجهة نظر المديرين كانت عالية في مجال فعاليات القيادة التعليمية والإشراف على التعليم وفي مجال سلوكيات المعلمين، بينما كانت المجالات الأخرى بدرجة متوسطة. أما خصائص المدرسة الابتدائية الفعالة من وجهة نظر المعلمين كانت عالية في مجال سلوكيات المعلمين، بينما كانت جميع المجالات الأخرى بدرجة متوسطة.

دراسة (الغامدي، ٢٠٠٦)

هدفت الدراسة إلى التعرف على آراء المعلمين حول أهمية استخدام مقياس هالينجر في الإدارة التعليمية لقياس فاعلية أداء مدير المدرسة من أجل تحقيق أهداف التعليم في المملكة العربية السعودية، واستعان الباحث بالمنهج الوصفي الإحصائي، من خلال تطبيق مقياس تكون من (١١) بعداً: صياغة أهداف المدرسة، والإعلام عن أهداف المدرسة، والإشراف على التدريس، وتقييم المنهج، والمحافظة على انتظام التدريس، والمتابعة المستمرة للتدريس، وتوفير الحوافز للمعلمين، وتشجيع النمو المهني، وتطوير المعايير الأكاديمية للمعلمين، وتوفير حوافز للتعلم، وقد طبقت الدراسة على عينة تكونت من ٤٥ معلماً في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، بالمدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية.

دراسة (الشرعي، ٢٠٠٧)

والتي استهدفت ابراز أهمية المشاركة بمختلف مؤسساتها ومنظماتها وافرادها الاصلاح المدرسي، ولوقوف على التحديات التي تواجهها المدرسة وآليات التعاون لتعديل الشراكة بين المدرسة والمجتمع. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي بغرض تحليل محتوى الوثائق والدراسات والأبحاث المنشورة المتعلقة بموضوع الدراسات وقد توصلت الدراسة إلى إن هناك تحديات عديدة تواجه المجتمع المدرسي منها ضعف دور الأسرة وقلة المشاركة التطوعية والتعلم الذاتي وغيرها كما حددت آليات المشاركة في (مجلس الإباء وضرورة تفعيله، منظمات المجتمع المدني).

دراسة (الصافي، ٢٠٠٧)

هدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على مرتكزات المدرسة الفعالة، وأهمية دور مدير المدرسة فيها، ونماذج نظريات القيادة التربوية السائدة في المؤسسات التعليمية الفلسطينية، ومن ثم إلقاء الضوء على القيادة التحويلية، مفهومها وفلسفة واستراتيجية ومتطلبات تطبيقها، واستعان الباحث بالمنهج الوصفي التحليلي، الذي يعتمد الباحث فيه على مجموعة من الدراسات السابقة والأدب التربوي ذات العلاقة بموضوع الدراسة، لإعداد تصور مقترح لنمط الإدارة التربوية اللازم لقيادة المدرسة الفعالة في فلسطين.

دراسة (حماد، ٢٠٠٧)

هدفت الدراسة إلى وضع تصور مستقبلي لخصائص المدرسة الفعالة، واستعان الباحث بالمنهج الوصفي التحليلي من خلال مجموعة من الدراسات السابقة والأدبيات التربوية التي تناولت مجال دراسته، وقد خلصت الدراسة في تصورها إلى أن المدرسة الفاعلة هي التي تتميز بإدارة ديمقراطية وتهتم بالتخطيط الجيد لأعمالها الفنية والإدارية ولأنماط النشاط الفني إضافة إلى تحسين كفايات المعلمين الفنية من خلال الاهتمام بالمنهج وطرق التدريس وتفعيل البرامج والمشاريع الريادية وتنظيم العلاقة مع المجتمع المحلي ورسم الخطط المتنوعة لمعالجة ضعف الطلاب وإثراء المناهج وحضور الدورات التدريسية الهادفة وتفعيل الأنشطة المدرسية، من إذاعة مصحف متنوعة ووسائل تعليمية هادفة والاستفادة من المختبرات والمكتبات والكفاءات سواء أكانت هذه الكفاءات من داخل المدرسة أم من خارجها.

دراسة (الكردي، ٢٠٠٧)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الخصائص والأسس التي يجب أن تتصف بها المدرسة الثانوية الفعالة بمدينة الرياض من وجهة نظر التربويين. واستعانت الباحثة بالمنهج الوصفي التحليلي لمعرفة العلاقة بين العناصر المختلفة داخل المدرسة الثانوية، والعلاقة بين التنظيم المدرسي وعمليات التعلم، وبعض المداخل التي تبين العلاقة بين مكونات المدرسة الفعالة والعلاقات التفاعلية فيما بينها. كما استخدمت الباحثة

استبانة هدفت إلى التعرف على آراء أفراد عينة مختارة من التربويين عن أهم الخصائص والأسس والمجالات التي يجب أن تتصف بها المدرسة الثانوية الفعالة بمدينة الرياض ، طبقت الاستبانة على عينة تكونت من ٤٠ عضواً من أعضاء هيئة التدريس بجامعة المك سعود ، ١٦٠ من التربويين من فئة المديرين والمعلمين والمشرفين .

وقد خلصت نتائج الدراسة إلى أن حوالي ( ٦١ ٪ ) واحد وستين في المائة من الخصائص والأسس والمجالات التي يجب أن تتصف بها المدرسة الثانوية الفعالة بمدينة الرياض من وجهة نظر التربويين موجودة أو موجودة إلى حد ما في الواقع ، وأن حوالي ( ٣٩ ٪ ) تسعة وثلاثين في المائة غير موجودة في الواقع ولا بد من العمل على تحقيقها لزيادة فاعلية .

دراسة (Abu Nasser, 2009)

هدفت الدراسة إلى تحديد مدى فعالية الأداء المؤسسي في المدارس الثانوية للبنين بمحافظة الإحساء بالمنطقة الشرقية من وجهة نظر مديري المدارس ، واستخدام الباحث المنهج الوصفي من خلال استبانة طبقت على عينة تكونت من (٩٠) مديراً ، وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود اختلافات كبيرة بين المديرين في فاعلية الأداء المؤسسي للمدارس الثانوية، كان مصدرها متغير الخبرة، وقد أوصى الباحث بعمل دورات تدريبية مكثفة للمديرين من أجل تحسين مستوى أداء المدارس .

دراسة (Egmir, Eray ; yoruk, Sinan, 2013):

تهدف الدراسة إلى تحديد مستوى فعالية مهارات التدريب عند مديري المدارس الثانوية وأثرها على منظومة التعليم بالمدارس الثانوية واستعان الباحثان بالمنهج الوصفي من خلال استبانة طبقت في ٢٠١١ - ٢٠١٢ على عينة من المعلمين في أثناء فترة راحتهم من خلال تواجدهم في المدارس الثانوية التابعة لوزارة التربية الوطنية في محافظة كوتاهيا Kutahya بتركيا .

وقد خلصت نتائج الدراسة إلى أن نمط الإدارة التربوية لقيادة المدرسة الفعالة يتمثل في خمسة مرتكزات رئيسية هي: فلسفة تغيير واقعية **Realistic** ، مناخ تنظيمي مساند **Supporting** ، **Transformation Philosophy** ،

*Future Planning* ، تخطيط مستقبلي ، *Organizational Environment* ، إشراف ومتابعة إبداعية : *Creative Supervision and Follow Up* ، تقييم موضوعي *Objective Internal and External Evaluation* .

### الإطار النظري للدراسة :

تعددت الدراسات التي حددت أبعاد ومعايير المدرسة الفعالة، والباحثان بعد الاطلاع على هذه الدراسات قاما بتبني أبعاد وعوامل أربعة يتم سوقها والحديث عنها بالتفصيل التالي:

#### أولاً : الرؤية، الرسالة، الثقافة:

يؤكد مدبولي (٢٠٠١، ص٣٥) أن المدرسة تحتاج إلى نوعين من التخطيط أحدهما بعيد المدى والآخر قريب المدى، ويرتبط التخطيط بعيد المدى ارتباطاً وثيقاً بالرؤية والرسالة والأهداف والفعاليات.

وتعبر الرؤية عن نظرة المدرسة للمستقبل، والرسالة هي المعين على تحقيقها، ويشترط في الرؤية والرسالة أن تكون واضحة ومعلنة ويشارك في صياغتها ممثلون عن الأطراف المعنية ويلتزم المعينون بتحقيق تلك الرؤية. (مدرسة الزهراء، ٢٠٠٧ ص٣).

وبذلك فإن نشر ثقافة التخطيط الاستراتيجي مهمة بالمدارس ومن الضروري أن تستند إلى رؤية ورسالة واضحة المعالم يلتف حول تحقيقها جميع أعضاء المجتمع المدرسي ويسعون لتنفيذها في ضوء حيثيات الواقع والتحديات والفرص المتاحة كما يعمدون جميعاً إلى وضع الأهداف الإستراتيجية الملائمة مع الواقع المدرسي وآفاق المستقبل ثم بناء الخطط المستقبلية لوضع الأهداف ومتابعة تنفيذها لضمان جودة الأداء. (الصالح، ٢٠٠٧، ص ١٤).

وأما عن الثقافة المدرسية والتعليمية، فللمدرسة ثقافتها التنظيمية التي تتضمن منظومة القيم التي تحدد توقعاتها من المتعلمين وتنظم كل ما يتعلق بالسلوك المدرسي سواء ما يرتبط بالمعلمين أو الطلاب أو الإدارة. (الصغير، ٢٠٠٦).

## ثانياً: المناهج وبيئة التعلم الصفي واللاصفي:

تعتبر عملية تطوير المناهج أساسية في ظل مجموعة المتغيرات الجديدة والمستحدثات العصرية، حيث إن هذه المتغيرات والمستحدثات تفرض أنماطاً جديدة من التفكير والسلوك والتعامل العصري.

ويشترط البعض أن المناهج لا تحقق غايتها إلا إذا تكاملت فيما بينها في تنمية المعارف والمهارات المختلفة (الصالح، مرجع سابق، ص ١٥).

ويمكن أن نورد في هذا الصدد بعض المعايير الأساسية لتوفير مناهج تعليمية وبيئة صفية ولا صفية جيدة:

١- دعم عملية التعليم النشط: بمعنى دعم الممارسات البحثية والتوجيه المستمر والتنمية المهنية للقائمين على العملية التعليمية وهذا يتطلب استثمار الفرص المتاحة للنمو المهني من خلال الوحدات التعليمية والتدريبية بالمدرسة وخارجها، وبذلك تصبح التنمية المهنية أمراً ضرورياً لاستمرار المجتمع المدرسي عبر برامج التنمية المتنوعة التي تطلع العاملين على الجديد والحديث في التخصص وتطبيقاته بما تتضمنه من استخدام التكنولوجيا في التدريس وإتاحة الفرص لتجريب أفكارهم الجديدة من خلال البحث والتنقيب (مدرسة الزهراء، مرجع سابق، ص ٧، ٨).

ويؤكد البعض أن التنمية المهنية تعد بعداً أساسياً لتطوير وتحسين المدرسة لما تلعبه من دور في تجاوز الضجوة بين الممارسات الواقعية والمأمولة بما يحقق فاعلية وكفاءة المدرسة والتحسين المستمر لها والبلوغ بها للمعايير المطلوبة. (الخيال، مرجع سابق، ص ١٥).

وتتعدد وسائل التنمية المهنية بالمدرسة لتشمل (البلالوي، وآخرون، ٢٠٠٦م، ص ١٢٠).

- اعتماد المعلمين على التنمية الذاتية المستمرة المستمدة من أفكارهم وممارساتهم اليومية.  
- التعليم من نظرائهم حين ملاحظة أدائهم.

- التعليم من المواقف والمشكلات اليومية.
  - التعليم من الحوارات والمناقشات المختلفة.
  - التعلم من مصادر المعرفة المهنية المختلفة (المجلات، شبكة المعلومات..)
- ولا يقتصر الأمر في التعلم النشط على المعلمين والإداريين بل يمتد في الأساس للتركيز على المتعلم باعتباره محور العملية التعليمية ويكون ذلك من خلال تركيز الأنشطة حول المتعلم بمشاركة جميع التلاميذ وتشجيعهم على البحث والتجريب. (مدبولي، ٢٠٠٢، ص٣٩).
- ولاشك أن نشاط المتعلم يعتمد على المعلم ولعل هذا ما تؤكده إحدى الدراسات والتي تشير إلى (مدرسة الزهراء، مرجع سابق، ص٥).
- إسهام المعلمين في بناء مجتمعات التعلم في الحجرة الدراسية وخارجها.
  - قيام المعلمين ببحوث إجرائية لحل مشكلات تلاميذهم.
  - إعداد ملف لانجاز تلاميذه ومتابعتهم.
  - استخدام أساليب متنوعة لتفعيل وتدعيم التعليم النشط.
  - مساعدة التلاميذ على تقديم أفكارهم وتقويمها من خلال إتاحة الفرص التدريبية على ذلك.
  - توفير مصادر تعليمية متنوعة.
- ٢- توفير فرص التعليم بروح الفريق وانجاز المهام بشكل جماعي وإتاحة الحوار الفكري المتبادل وكذلك توفير فرص التعلم للجميع سواء إداريين أو معلمين، بالإضافة إلى بيئة تتسم بالانفتاح والاحترام والثقة بين الأفراد. (الخيال، مرجع سابق، ص١٩).
- ٣- استخدام التكنولوجيا في دعم المناهج والبيئة التعليمية بالمدرسة.
- تعد التكنولوجيا أحد المعايير الأساسية لجودة المدرسة وفعاليتها، وهذا يتطلب إعادة النظر في البيئة التعليمية بالمدارس لتتنسق مع متطلبات التقنيات الحديثة، وهذا يتطلب عدة أمور (المرجع السابق، ص١٦).

- بناء بنك المعلومات عن تقنيات التعليم وأساليب توظيفها تربوياً على الشبكة المعلوماتية ليسهل الوصول إليها.
- العناية بتنمية الاتجاهات الايجابية المؤيدة للتطور التقني لدى العاملين بالمدرسة على مختلف المستويات.
- تحفيز المعلمين لحضور الندوات والورش حول تقنيات التعليم وتشجيعهم على اقتناء واستخدام التقنيات المتقدمة وإدارتها.
- تجهيز مدرسة المستقبل بتقنيات التعلم الحديثة وخاصة الحاسب الآلى واجهزة الاتصالات لاستخدامها في عمليتي التعليم والتعلم وضرورة ربط مدرسة المستقبل بشبكة الكترونية خارجيه وداخلية.
- توفير المقررات المتخصصة لتدريس المعلوماتيه وتقنيات المعلومات.
- ربط المدرسة بالمؤسسات التربوية عبر شبكة المعلومات والاتصال.
- التوسع في انتاج البرمجيات الحاسوبية التربوية.
- تجهيز المكتبات التعليمية بخدمات تقنيات الاتصال والمعلومات وربطها بالمكتبات العامة.

وتوضح الدراسة أن التكنولوجيا تفيد المناهج والعملية التعليمية في إتاحة الفرص للتعلم الذاتي بدافع ورغبة من المتعلمين حيث يختارون الموضوعات في الوقت المناسب لظروفهم واحتياجاتهم وميولهم كما أنها تتيح فرص التعلم التعاوني والتعلم في مجموعات بما تتيحه من التواصل بينهم هذا بالإضافة إلى أن التكنولوجيا تتيح القدرة على الإتقان الذاتي للمعلومة وبقاء ديمومتها والاستفادة من مواقف أخرى مع إتاحة مصادر تعلم متنوعة وثرية(صيام، مرجع سابق، ص14)

ويؤكد أحد الباحثين أن البيئة التعليمية المعتمدة والمعززة بالتكنولوجيا أكثر فاعلية من غيرها حيث تتحقق فيها تحسین في مستوى التحصيل الدراسي وتنمية اتجاهات ايجابية نحو الدراسة والمدرسة وزيادة حصيلة التعليم المصاحب مع بقاء أثر التعلم للتلاميذ بعد التخرج (المرجع السابق، ص11).

#### ٤- تقييم الأداء المدرسي والتدريسي:

يشترط البعض في تقييم الأداء المدرسي بصفة عامة عدة شروط (الفار، ٢٠٠٠، ص٢٢٧).

- أن يكون شاملاً لكل عناصر المنظومة المدرسية.
  - أن يكون في ضوء معايير متطورة متفق عليها حتى يمكن معرفة ما نريد البلوغ إليه والتوجه نحوه.
  - تعدد جوانب التقييم حتى نغطي جوانب المنظومة المختلفة.
  - أن يتخطى حصر العيوب والنقائص إلى وضع خطط للتحسين وبرامج مناسبة.
  - شمولية التقييم لعناصر من داخل المدرسة وخارجها.
  - وأما بالنسبة لتقييم الأداء للطلبة والتحصيل الدراسي بصفة خاصة فيحدد البعض في المعايير التالية: (العبد الله، ٢٠٠٢، ص٣٢).
  - وضع معايير لقياس مستويات الطلاب في جميع المواد.
  - وضع اختبارات دورية لقياس المستوى الذي تم تحقيقه وتقديم الحلول المناسبة.
  - ضرورة وجود آلية واضحة تجمع بين الأسرة والمدرسة لمتابعة تقدم الطلاب.
- تبنى التقييم القائم على الأداء بحيث يصل المتعلم لمستوى أداء معين من خلال القيام بمهام وتكليفات تطبيقية.

والآن في ظل الجودة أصبحت المسألة أي وجود نظم لقياس الفاعلية والتقييم المستمر أساس لتحسين المؤسسة من خلال التقييم الذاتي ووضع خطط التحسين واستكمال المتطلبات اللازمة لكفاءة المدرسة داخليا وخارجيا.

#### ثالثاً: القيادة المدرسية:

ينظر علما الإدارة للقيادة على أنها قلب العملية الإدارية والتعليمية على اعتبار أنها تؤثر في المنظومة الإدارية والتعليمية في مجملها. ولقد أصبحت جودة المدرسة وفعاليتها تطلب قيادة مدرسية تسعى لتحقيق الجودة منطلقاً من المرونة والعقل المنفتح والتخطيط للتجديد والتطوير والتحسين المدرسي بشكل مستمر ومشجعة للعمل بروح الفريق وتتسم بالتفكير الإبداعي وحريصة على توفير فرص النمو المهني

للأعضاء بالمجتمع المدرسي ومهيئة لمناخ المدرسة المناسب والداعم لمتطلبات المشاركة الواعية وموفرة لبيئة داعمة للثقة والعلاقات الإنسانية الجيدة مع قدرتها على استثمار طاقات العنصر البشري والمادي. (قاسم، وحيدر، مرجع سابق، ص ٣٥).

وقد حددت بعض الشروط والمواصفات للقيادات المدرسية الناضجة تتمثل في:  
(الصغير، مرجع سابق، ص ١٢).

- تبني الرؤية والرسالة الواضحة
- القدرة علي قيادة التغيير.
- التعزيز الإيجابي للموارد البشرية.
- حشد الأعضاء.
- القيام ببعض شراكات مع مؤسسات المجتمع والأفراد.
- استخدام معايير توصيف الأداء المطلوب.

كما يضيف البعض خصائص ومقومات أخرى للقيادة الناجحة والفاعلة تتمثل في توفير المناخ المناسب لدعم الإبداع وترسيخ المعتقدات والقيم الإيجابية ودعم عمليات التعلم المتطورة. (المرجع السابق، ص ١٨).

وتؤكد بعض الدراسات حاجتنا لقيادة ميسرة للتغيير من خلال تفويض صلاحيات الإدارات المدرسية بمعني الإدارة الذاتية المسئولة وكذلك حاجتنا لقيادة تحفز العاملين وتبني الثقافة التعاونية والشراكات المختلفة. (مدرسة الزهراء، مرجع سابق، ص ٨).

#### رابعاً: العلاقة مع الأسرة والمجتمع المحلي:

يعد الاصلاح المدرسي والتوجه نحو الفاعلية مسئولية مشتركة بين المدرسة وأفراد ومؤسسات المجتمع، وقد اعتبر مجال الحوكمة والمشاركة المجتمعية أحد المجالات الأساسية لتحقيق الجودة بالمدرسة.

وقد تم تحديد معايير محددة تيسر المشاركة المجتمعية تتمثل في: (الصالح، مرجع سابق، ص ١٤)

- توفير تشريعات ميسرة للتواصل.
  - الشراكة المتبادلة بين المدرسة والمجتمع من خلال خطة محددة.
  - وجود نظام إعلامي يربط المدرسة بالمجتمع.
  - استخدام المباني والمدارس للخدمات المجتمعية.
- وقد أوصت إحدى الدراسات بتوصيات هامة بهذا الصدد تمثل آليات مهمة لتنفيذ وتطبيق هذه الشراكة: (مدرسة الزهراء، مرجع سابق، ص ٩).
- قيام النظام التربوي بغرس مفهوم (التعليم مسؤولية الجميع) وأن الأمر يتطلب عدم انفراد طرف دون الآخر كون العمل تكاملي.
  - تشجيع المبادرات الفردية والعمل التطوعي الهادف الذي يضمن المشاركة الفاعلة والمنظمة.
  - التنوع في أساليب الاتصال بين المدرسة والمجتمع وتوظيف التقنيات الحديثة في المشاركة.
  - تجديد الأنظمة واللوائح التي تحد من إعطاء الصلاحية الكافية لمجالس الآباء للقيام بدورها.
  - تشجيع القطاع غير الحكومي (منظمات المجتمع المدني) لتقديم الدعم المادي والمعنوي.
  - الربط بين النظام التعليمي وحاجات سوق العمل المختلفة.
  - توسيع قاعدة المشاركة من قبل قطاعات المجتمع المختلفة في إعداد الخطوط الرئيسية للمناهج والإفادة من خبراتهم المتنوعة.

### نتائج الدراسة ومناقشتها:

#### أولاً: نتائج الدراسة

فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الأول والذي يشير إلى ( ما تقديرات المعلمين لدى فاعليه ( الرؤية، الرسالة، الثقافة) و (المناهج والتعلم اللاصفي) و (القيادة المدرسية) و (المشاركة مع الأسرة والمجتمع) بالمدرسة اليمينية؟

فقد جاءت آراء المعلمين وتقديراتهم على النحو الذي يوضحه الجدول

رقم (٢)

جدول رقم (٢) يوضح قيمة المتوسطات والانحرافات المعيارية واختبار(ت) ودلالاتها

لتقديرات المعلمين حول مدى فاعلية بعض العوامل بالمدرسة اليمينية

عوامل الفاعلية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار(ت)	الدلالة
رؤية المدرسة، الرسالة، الثقافة	٤٢.٨١	٤.٤٩	١٣٠.٣٢	داله عن مستوي ٠.٠٥
المناهج وبيئة التعلم اللاصفي	٣٨.٣١	٤.٧٧	١٠٩.٩٢	داله عن مستوي ٠.٠٥
القيادة المدرسية	٤١.٠٧	٣.٨٥	١٥٤.٩٤	داله عن مستوي ٠.٠٥
الشراكة مع الاسرة والمجتمع المحلي	١٩.٠٠	٢.٤٩	١٠٤.٤٩	داله عن مستوي ٠.٠٥
الاجمالي	١٣٨.٤٠	٩.٤٦٦	١٩٩.٩٤	داله عن مستوي ٠.٠٥

يتضح من الجدول رقم (٢) مايلي:

١- أن المعلمين يرون أن درجة فاعلية المدرسة في مكونات وعوامل الدراسة اجمالاً كانت محدودة وضعيفة حيث بلغ متوسط تقديراتهم (١٣٨.٤٠) ومقارنة بالمتوسط الاعتباري الذي بلغ (١٤٧) وقيمة(ت) التي بلغت (١٩٩.٩٤) وهي دالة عن مستوى (٠.٠٥).

٢- أن المعلمين يرون أن درجة فاعلية المدرسة في العامل الاول (رؤية المدرسة ورسالتها وثقافتها) كانت مناسبة، حيث بلغ متوسط تقديراتهم (٤٢.٨١) ومقارنة بالمتوسط الاعتباري الذي بلغ (٤٢) وقيمته (ت) التي بلغت (١٣٠.٣٢) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥)

٣- أن المعلمين يرون أن درجة فاعلية المدرسة في العامل الثاني ( المناهج بنية التعلم اللاصفي) جاءت ضعيفة ومحدودة، حيث بلغ متوسط تقديراتهم (٣٨.٣١) ومقارنة بالمتوسط الاعتباري الذي بلغ (٤٢) وقيمته (ت) التي بلغت (١٠٩.٩٢) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥)

٤- أن المعلمين يرون أن درجة فاعلية المدرسة في العامل الثالث (القيادة المدرسية) كانت مناسبة حيث بلغ متوسط تقديراتهم (٤١.٠٧) ومقارنة بالمتوسط الاعتباري والذي بلغ (٣٨) وقيمة (ت) التي بلغت (١٥٤.٩٤) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥)

٥- أن المعلمين يرون أن درجة فاعلية المدرسة في العامل الرابع (الشراكة مع الاسر (المجتمع المحلي) جاءت محدده وضيقة، حيث بلغ متوسط تقديراتهم (١٩.٠٠) ومقارنة بالمتوسط الاعتباري والذي بلغ (٢٤) وقيمة (ت) التي بلغت (١٠٤.٤٩) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥).

ثانياً: فيما يتعلق بالاجابة عن السؤال الثاني والذي يشير الى (هل يوجد اختلافات دالة احصائية في مدى فاعلية العوامل السابقة بالمدرسة اليمينية باختلاف الخصائص الواردة بالدراسة (النوع، التعليم، المدرسة، المؤهل، الخبرة)؟

فقد جاءت استجابات عينة الدراسة على النحو الذي توضحه الجداول رقم (٣ الى ٧) جدول رقم (٣) يوضح قيمة المتوسطات والانحرافات المعيارية واختبار (ت) ودلائها لتقديرات المعلمين حول مدى فاعلية بعض العوامل بالمدرسة اليمينية وفقاً لمتغير النوع (ذكور- إناث)

عوامل الفاعليه	المجموعات	ن	م	ع	ت	الدلالة
رؤية المدرسة، الرسالة، الثقافة	ذ	١٠٥	٤٠.٣١	٤.٢٧	١.٠٣٨	غير دالة عند مستوى ٠.٠٥
	ث	٨٢	٣٩.٦١	٤.٨٥		
المناهج وبيئة التعلم اللاصفي	ذ	١٠٥	٣٧.٩٨	٤.٥٨	١.٠٤١ -	غير دالة عند مستوى ٠.٠٥
	ث	٨٢	٣٨.٧١	٤.٩٩		

غير دالة عند مستوى ٠.٠٥	١.٣٠٢ -	٣.٨٥	٤٠.٧٧	١٠٥	ذ	القيادة المدرسية
		٣.٨٤	٤١.٥١	٨٢	ث	
غير دالة عند مستوى ٠.٠٥	١.٢٤٥	٢.٥١	١٩.٢٠	١٠٥	ذ	الشراكة مع الاسرة والمجتمع المحلي
		٢.٤٥	١٨.٧٥	٨٢	ث	
غير دالة عند مستوى ٠.٠٥	٠.٢٢٨ -	٨.٦٨	١٣٨.٢٦	١٠٥	ذ	الاجمالي
		١٠.٤١	١٣٨.٥٨	٨٢	ث	

يتضح من الجدول رقم (٣)

- ان الفروق غير دالة احصائياً لتقديرات المعلمين لفاعلية بعض العوامل المدرس اليمينية وفقاً لمعايير النوع (ذكور، اناث) وذلك على مستوى اجمالي العوامل، حيث كانت (ت) المحسوبة (- ٠.٢٢٨) وهي غير دالة احصائياً عند مستوى ٠.٠٥
- وكذلك كانت الفروق غير دالة احصائياً على مستوى فرادي العوامل حتى كانت (ت)
- المحسوبة بترتيب العوامل وفقاً للجدول السابق (١.٠٣٨، ١.٠٤١ - ١.٢٤٥، ١.٣٠٢) وكلها غير دالة احصائياً عن مستوى ٠.٠٥.

جدول رقم (٤) يوضح قيم المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية واختبار (ت) ودلالاتها التقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعليه المدرسة اليمينية وفقاً لمتغير (المدرسة) عامه، خاصة)

العوامل	المجموعات	ن	م	ع	ت	الدلالة
الرؤية، الرسالة، الثقافة	خاصة	٩٨	٤١.١٥	٤.٣٤	٣.٣٨	داله عند مستوى ٠.٠٥
		٨٩	٣٨.٩٦	٤.٤٩		
المناهج والتعلم اللاصفي	عامة	٩٨	٠.٠٥	٤.٥٦	-٢.٢٧٢	داله عند مستوى ٠.٠٥
		٨٩	٣٧.٠٥	٤.٨٨		
القيادة المدرسية	خاصة	٩٨	٤٢.٠٨	٣.٥٥	-٣.٨٠٢	داله عند مستوى ٠.٠٥
		٨٩	٤٠.٠١	٣.٨٩		

الشراكة مع الاسرة والمجتمع المحلي	عامة	٩٨ ٨٩	١٩.٣٤ ١٨.٦٣	٢.٣١ ٢.٦٣	-١.٩٥٨	داله عند مستوي ٠.٠٥
الاجمالي	خاصة	٩٨ ٨٩	42.08	٩.٥٩ ٩.٢٥	٢.٩٦٤ -	داله عند مستوي ٠.٠٥

يتضح من الجدول رقم (٤) ما يلي:

- أن الفروق كانت دالة إحصائياً لتقديرات المعلمين لفاعلية بعض عوامل المدرسة اليمنية وفقاً لمتغيرات المدرسة (خاصة، عامه) وذلك على مستوى اجمالي العوامل ، حيث كانت المحسوبة (- ٢.٩٦٤) وهي داله عند مستوى (٠.٠٥)

- أن الفروق كانت دالة احصائياً لتقديرات علمية فاعلية بعض عوامل المدرسة اليمنية وفقاً لمتغيرات المدرسة (خاصة، عامه)، وذلك على مستوى فرادي العوامل الأربعة حيث أن (ت) المحسوبة وفقاً لترتيب العوامل بالجدول (٣.٣٨ - ، ٢.٢٧٢ - ، ٣.٨٠٢ - ، ١.٩٥٨) وذلك دالة عند مستوى ٠.٠٥

جدول رقم (٥) يوضح قيمة (ف) ودلالاتها الاحصائية لتقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمنية وفقاً لمتغير الخبره (أقل من خمس سنوات - (٦ - ١٠) - (١١ - ١٥) - (١٦ فأكثر)

العوامل	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيم (ف)	الدلالة
الرؤية، الرسالة، الثقافة	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	٢ ١٨٤ ١٨٦	٣٥٨.٦٠٩ ٣٤٧٥.٣٩ ٣٧٣٤.٠٠٠	١١٩.٥٣٦ -١٨.٩٩١	٦.٢٩٤	داله عند مستوي ٠.٠٥

داله عند مستوي ٠.٠٥	١.٧٢٩	٣٨.٨١٥ ٢٢.٤٤٤ -	١١٦.٤٤٦ ٤١٠٧.١٧٩ ٤٢٢٣.٦٢٦	٢ ١٨٤ ١٨٦	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	المناهج والتعلم اللاصفي
غير داله عند مستوي ٠.٠٥	١.٤٣٣	٢١.١٠٧ ١٤.٧٢٦ -	٦٣.٣٢١ ٢٦٩٤.٩٤٦ ٢٧٥٨.٢٦٧	٢ ١٨٤ ١٨٦	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	القيادة المدرسية
غير داله عند مستوي ٠.٠٥	١.٩٠٧	١٠.٤٤٧ ٦.١١٣ -	٣١.٣٤٢ ١١١٨.٦٥٨ ١١٥٠.٠٠٠	٢ ١٨٤ ١٨٦	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	الشراكة مع الاسرة والمجتمع المحلي
داله عند مستوي ٠.٠٥	٣.٦٣٩	٣١٢.٧٢٩ ٨٥.٩٤٩ -	٩٣٨.١٨٦ ١٥٧٢٨.٧٣٤ ١٦٦٦٦.٩٢٠	٢ ١٨٤ ١٨٦	بين المجموعات داخل المجموعات المجموع	الاجمالي

يتضح من الجدول رقم (٥) ما يلي:

- أنه توجد فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة وفقاً لمتغير الخبرة، وذلك على مستوى اجالي العوامل، حيث كانت قيمة (ف) المحسوبة (٣.٦٣٩) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥)
- أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة وفقاً لمتغيرات الخبرة على مستوى فرادى فيما عدا عامل (الرؤية) حيث كانت قيمة (ف) المحسوبة (٦.٢٩٤) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥)

- باستخدام اسلوب (شيفيه) يتضح أن الفروق في تقديرات المعلمين لمجمل العوامل كانت لصالح الاكثر خبرة

جدول رقم ( ٦ ) يوضح قيمة (ف) ودلالاتها الاحصائية لتقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلة المدرسة اليمينية وفقاً لمتغير المرحلة التعليمية (ابتدائي - اعدادي - ثانوي)

العوامل	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	متوسط المربعات	قيم (ف)	الدلالة
الرؤية	بين المجموعات	٢	٣٥.٦٩٤	١٧.٨٤٧	٠.٨٦٥	داله عند مستوي ٠.٠٥
	داخل المجموعات	١٨٤	٣٧٩٨.٣٠٦	٢٠.٦٤٣		
	المجموع	١٨٦	٣٨٣٤.٠٠٠			
المناهج	بين المجموعات	٢	١.١٤٠	٠.٥٧٠	٠.٠٢٥	غير دال عند مستوي ٠.٠٥
	داخل المجموعات	١٨٤	٤٢٢٢.٤٨٦	٢٢.٩٤٨		
	المجموع	١٨٦	٤٢٢٣.٦٢٦			
الادارة	بين المجموعات	٢	١٩٥.٥٢٣	٩٧.٧٦٢	٧.٠١٩	داله عند مستوي ٠.٠٥
	داخل المجموعات	١٨٤	٢٥٦٢.٧٤٤	١٣.٩٢٨		
	المجموع	١٨٦	٢٧٥٨.٢٦٧			
المجتمع	بين المجموعات	٢	١٦.٢٤٢	٨.١٢١	١.٨٣	غير دال عند مستوي ٠.٠٥
	داخل المجموعات	١٨٤	١١٣٣.٧٨٥	٦.١٦٢		
	المجموع	١٨٦	١١٥٠.٠٠٠			
الاجمالي	بين المجموعات	٢	٢٩٩.٨٩١	١٤٩.٩٤٦	١.٦٨٦	غير دال عند مستوي ٠.٠٥
	داخل المجموعات	١٨٤	١٦٣٦٧.٠٢٨	٨٨.٩٥١		
	المجموع	١٨٦	١٦٦٦٦.٩٢٠			

يتضح من الجدول رقم (٦) ما يلي:

- أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمينية على مستوى إجمالي العوامل، حيث كانت قيمة (ف) المحسوبة (١.٦٨٦) وهي غير دالة عند مستوى (٠.٠٥)
- أنه لا توجد أيضاً فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل فاعلية المدرسة اليمينية، فيما عدا عامل (القيادة) حيث كانت قيمة (ف) المحسوبة (٧.٠١٩) وهي دالة عند مستوى (٠.٠٥)

### مناقشة النتائج:

فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الأول والذي أشارت نتائجه إلي:

- محدودية وضعف درجة فاعلية المدرسة في إجمالي العوامل المدرسية أمتناوله في الدراسة.
- أن فاعلية المدرسة في عاملي (الرؤية - القيادة المدرسية) كانت مناسبة. فيمكن تفسير النتيجة بما يلي:

- ١- أن قيمة ودلالة ضعف درجة الفاعلية المدرسية في إجمالي العوامل يمكن أن يعود إلي:
  - أن المدارس مازالت تخضع للامركزية بما لا يتح لها في كثير من الأحيان التعبير أو التطوير (اللوائح، المناهج).
  - افتقاد المدارس لمعايير الفاعلية التي تعتبر موجودة ومؤشر لقياس الأداء وتقويمه بصورة مستمرة.
  - ضعف الرقابة والمحاسبية في العملية التعليمية بما يلزم المدارس التطوير الفاعل لمنظوماتها المختلفة.
  - افتقاد المدارس لكثير من الإمكانيات التي تحقق الفاعلية (مباني مدرسية في الأصل مباني منزلية - عدم توفير التكنولوجيا المناسبة - معلمون غير مدربين بل وغير مؤهلين في بعض الأحيان - تمويل غير كاف).

٢- وفيما يتعلق بمناسبة عاملي (الرؤية، والقيادة المدرسية) فهذه نتيجة مباشرة بالخير ومطمئنة حيث إننا نمتلك في مدارسنا قيادات لديها القدرة على صياغة رؤية وثقافة مدرسية جيدة، وهذا يؤكد أن لدينا مديرون أكفاء مؤهلين لكنهم مكتوف الأيدي في ظل عوامل أخرى تتعلق بالسياسات التعليمية والإمكانات المتاحة.

وفيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الثاني والذي جاءت نتائجه على النحو التالي:

- لا توجد فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل الفاعلية وفقاً لمتغيرات النوع (ذكور- إناث).
- توجد فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل الفاعلية وفقاً لمتغير أنواع المدارس (خاصة ، عامة) لصالح المدارس الخاصة.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل الفاعلية وفقاً لمتغيرات (المؤهل) (متوسط - عالي - دراسات عليا) لصالح الدراسات العليا.
- توجد فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل الفاعلية وفقاً لمتغيرات الخبرة (أقل من خمس سنوات ( - ٦ - ١٠ - ١١ - ١٥ - ١٦) لصالح الأكثر خبرة.
- لا توجد فروق ذات دلالات احصائية في تقديرات المعلمين لبعض عوامل الفاعلية المدرسية وفقاً للمرحلة التعليمية (ابتدائي - اعدادي - ثانوي).

ويمكن تفسير هذه النتائج كما يلي:

- ١- فيما يتعلق بعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في تقديرات المعلمين وفقاً لمتغير النوع (ذكور - إناث)، فهذه نتيجة منطقية حيث إن النوع ليس عاملاً فارقاً ومؤثراً في الفاعلية المدرسية.
- ٢- وفيما يتعلق بوجود فروق ذات دلالات احصائية في تقديرات المعلمين وفقاً لمتغيرات المدرسة (خاصة، عامه) والتي جاءت لصالح المدارس الخاصة فيمكن أرجاع هذه النتيجة الى أن المدارس الخاصة بالتاكيد لها اهتمام مختلف عن المدارس العامة

حيث أن لديها الحرية في اختيار المدرسين بما يناسبهم كما أن المدارس الخاصة تحاول أن تحسن من خدماتها لجذب اولياء الامور وتحسين سمعتها الاكاديمية.

٣- وفيما يتعلق بوجود فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين وفقاً لمتغير المؤهل (متوسط - عالي - دراسات عليا) والتي كانت لصالح الاعلى تعليماً فهذه نتيجة منطقيّة حيث أن الحكم على الاشياء يكون اكثر دقة في ضوء معرفة اكبر وأوسع ولاشك أن تقدير الاعلى تعليماً يكون كذلك لذلك كانت الفروق لصالحهم.

٤- وفيما يتعلق بعدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في تقديرات المعلمين للفاعلية وفقاً للمرحلة التعليمية (ابتدائي - اعدادي - ثانوي) فهذا يشير الى أن الفاعلية لا تختلف باختلاف المراحل، وهذا يعود الى أن النظام التعليمي نظام متكامل وأن أي اصلاح في قاعدته يتبعه اصلاح في المراحل التالية والعكس صحيح، وهذا يؤكد أننا بحاجة الى اصلاح شامل لكل المراحل التعليمية وفي كل المستويات.

### التوصيات والمقترحات:

بناءً على ماتقدم من نتائج نوصي بمايلي:

- ١) ضرورة البدء بتبنى معايير للفاعلية المدرسية يتم الاتفاق عليها في الاوساط التعليمية المختلفة وتحديد مؤشرات الاداء.
- ٢) نشر ثقافة المعايير والتاكيد عليها بين المعلمين في المدرسة والادارات التعليمية (ندوات- برشورات).
- ٣) البحث في واقع المنظومة المدرسية ومشكلاتها حتى يمكن التمكن من البلوغ للمعايير المنشودة ولو تدريجياً.
- ٤) وضع آليات للرقابة على الفاعلية المدرسية حتى يتم التاكيد من مراعاة المعايير المطلوبة.
- ٥) اتاحة قدر كبير من المرونه في تنفيذ السياسات والمعايير التعليمية مع مراعاة القواعد العامة المنظمة للعمل.
- ٦) دعم شراكة مؤسسات المجتمع المدني في وضع معايير التعليم وتطوير مؤسساته.

(٧) تشجيع فكرة المدارس المستقلة لتتواءم العملية التعليمية مع احتياجات المناطق المختلفة.

(٨) البدء في مشروع الاعتماد للمدارس وفقاً للمعايير المحددة والمطلوبة.

## المراجع:

### أولاً: المراجع العربية:

- أحمد، حافظ فرج وحافظ، محمد صبري(٢٠٠٣): إدارة المؤسسات التربوية، القاهرة، علاء للكتب.
- الأغا، عبدالمعطي(٢٠٠٧): معايير المدرسة الفاعلة، بحث منشور في مؤتمر المدرسة الفعالة - أسس وتطبيقات الذي عقد في كلية التربية بغزة، الجامعة الإسلامية فرع خان يونس.
- البراعمي، سمية بنت سعيد أحمد(٢٠٠٥): فعالية المدرسة الأساسية الحكومية في سلطنة عُمان من وجهة نظر المشرفين والمديرين والمعلمين، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- البهواشي، السيد عبدالعزيز(٢٠٠٦): المدرسة الفاعلة: مفهومها - إدارتها- آليات تحسينها، القاهرة، عالم الكتب.
- البوهي، فاروق شوقي(٢٠٠١): الإدارة التعليمية والمدرسية، القاهرة، دار لقاء للطباعة والنشر والتوزيع.
- البيلوي، حسن وآخرون(٢٠٠٦): الجودة الشاملة في التعليم بين مؤشرات التميز ومعايير الاعتماد، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- الثيني، على حامد(٢٠٠٢): واقع الاختبارات المدرسية ومدى ملاءمتها لقياس الأهداف التعليمية، محلة جامعة الملك سعود (الرياض) المجلد ١٤.
- حسين، سلامة عبدالعظيم(٢٠٠٤): اتجاهات حديثة في الإدارة المدرسية الفعالة، عمان، الأردن، دار الفكر.
- حماد، خليل عبدالفتاح(٢٠٠٧): خصائص المدرسة الفعالة، بحث منشور في مؤتمر المدرسة الفعالة - أسس وتطبيقات الذي عقد في كلية التربية بغزة، الجامعة الإسلامية فرع خان يونس.
- الخطيب، أحمد (٢٠٠٦) : تجديديات تربوية وإدارية، عالم الكتاب الحديث.
- الخطيب، أحمد(٢٠٠٦): تجديديات تربوية وإدارية، عمان، الأردن، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع.

- الخطيب، أحمد، والخطيب، رداح (٢٠٠٦): **استراتيجيات التطوير التربوي في الوطن العربي**، أريد، الأردن، الكتب الحديثة للنشر والتوزيع.
- الخميس، السيد سلامة (١٤٢٨): **معايير جودة المدرسة الفعالة في ضوء منحنى النظم (رؤية منهجية)**، ورقة عمل، منشورة في اللقاء السنوي الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستين)، القصيم، السعودية، من ٢٨ - ٢٩ ربيع الآخر.
- الخيال، موزه محمد (٢٠٠٢): **كفاءة مخرجات النظام التعليمي العام في دولة الإمارات العربية المتحدة**، ط٢، وزارة التربية والتعليم .
- الدويك، تيسير عبدالمطلب (٢٠٠٥): **إدارة المدرسة الفعالة مقوماتها وأفاقها**، عمان، الأردن، جهينة للنشر والتوزيع.
- دياب، سهيل رزق (٢٠٠٧): **المدرسة الفاعلة - مفهومها معاييرها ومؤشراتها**، بحث منشور في مؤتمر المدرسة الفعالة - أسس وتطبيقات الذي عقد في كلية التربية بغزة، الجامعة الإسلامية فرع خان يونس.
- الشبول، منذر (٢٠٠٢): **التجربة اليابانية في التطوير الإداري**، مجلة رسالة المعلم، مجلد ٤١، العدد ١، ٢، وزارة التربية والتعليم، الأردن.
- الشرعي، بلقيس غالب (٢٠٠٧): **دور المشاركة المجتمعية في الإصلاح المدرسي (دراسة تحليلية)**، مؤتمر الإصلاح المدرسي تحديات وطموحات ١٧ - ١٩ ابريل، كلية التربية جامعة الإمارات.
- الصايغ، يوسف حسن (٢٠٠٧): **القيادة التحويلية كمدخل للمدرسة الفعالة في عالم سريع التغير "تصور مقترح"**، بحث منشور في مؤتمر المدرسة الفعالة - أسس وتطبيقات الذي عقد في كلية التربية بغزة، الجامعة الإسلامية فرع خان يونس.
- الصالح، بدر بن عبدالله (٢٠٠٧): **المنظور الشامل للإصلاح المدرسي إطار مقترح للإصلاح المدرسي في القرن الحادي والعشرين**، مؤتمر الإصلاح المدرسي.
- صائغ، عبدالرحمن أحمد (١٩٩٥): **مقياس فعالية أداء مدير المدرسة لأدواره المتوقعة**، مجلة كلية التربية، جامعة قطر، مجلد ١٢، العدد ١٢.

- الصغير، أحمد حسين(٢٠٠٦): **الإصلاح المدرسي بين مقتضيات الواقع وتحديات المستقبل**،
- صيام ،محمد وحيد(٢٠٠٧): **دور التقنيات في دعم الإصلاح المدرسي (نموذج مدرسة المستقبل) مؤتمر الإصلاح المدرسي**.
- عبدالله، إبراهيم يوسف (٢٠٠٢): **رفع الكفاءة الإنتاجية للمؤسسة المدرسية** ، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- العزة، سيد حسني(٢٠٠٤): **تربية الموهوبين والمتفوقين**، عمان، الدار العلمية الدولية ودار الثقافة.
- علام، صلاح الدين محمود(٢٠٠٣): **التقويم التربوي المؤسسي**، القاهرة، دار الفكر العربي.
- عماد الدين، منى(٢٠٠٤): **الإدارة على مستوى المدرسة، محلة التربية**، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، قطر، مجلد ٣٣، العدد ١٤٩.
- الغامدي، على محمد زهيد(٢٠٠٦): **قياس فاعلية أداء مديري مدارس التعليم العام في المملكة العربية السعودية على ضوء مقياس هالينجر في الإدارة التعليمية من وجهة نظر المعلمين**، بحث منشور في **مجلة جامعة طيبة للعلوم التربوية**، العدد الرابع.
- الفار، إبراهيم عبدالوكيل (٢٠٠٠): **تربويات الحاسوب**، دار الكتاب الجامعي العين .
- قاسم ،محمد جابر، وحيدر، عبداللطيف حسين(٢٠٠٧): **المشاركة المجتمعية: مدخل للإصلاح المدرسي في دولة الإمارات العربية المتحدة**، مؤتمر الإصلاح المدرسي.
- الكردي، مصباح(٢٠٠٧): **أهم الخصائص والأسس والمجالات التي يجب أن تتصف بها المدرسة الثانوية الفعالة في مدينة الرياض من وجهة نظر التربويين**، **مجلة بحوث ودراسات العالم الإسلامي**، العدد الثالث، جامعة أم درمان السودان.
- كعكي، سهام(١٤٢٣): **إدارة مدرسة المستقبل المأمول وفعاليتها**، جامعة الملك سعود، ندوة مدرسة المستقبل، في الفترة من ١٦ - ١٧/١/١٤٢٣.

- الماجدي، مزيد ضفيدع(٢٠٠٣): خصائص المدرسة الابتدائية الفعالة من وجهة نظر مديري ومعلمى محافظة حفر الباطن بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الهاشمية.
- مدبولي، محمد عبدالخالق(٢٠٠١): التخطيط المدرسي الاستراتيجي، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب.
- مدبولي، محمد عبدالخالق(٢٠٠٢): التنمية المهنية للمعلمين(الاتجاهات المعاصرة المدخل والاستراتيجيات) العين، دار الكتاب الجامعي.
- مدرسة الزهراء الابتدائية بشربين(٢٠٠٧): المدرسة الفعالة (المجالات والمعايير والمؤشرات)، الإسكندرية ٢٤ سبتمبر.
- المساعيد، مفضي عايد(٢٠١٠): تقدير مستوى أداء فاعلية المدارس الثانوية، الطبعة الأولى بحث منشور، عمان، الأردن، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع.
- منسي، محمود(٢٠٠٠): التقويم التربوي ومبادئ الإحصاء، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب.
- منصور، مصطفى(٢٠٠٧): مقومات المدرسة الفاعلة من منظور تربوي إسلامي، بحث منشور في مؤتمر المدرسة الفعالة- أسس وتطبيقات الذي عقد في كلية التربية بغزة، الجامعة الإسلامية فرع خان يونس، الأحد ٧- يناير.
- نشوان، يعقوب حسين، ونشوان، جميل عمر(٢٠٠٤): السلوك التنظيمي في الإدارة والإشراف التربوي، عمان، الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

### ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Abu Nasser, Fathi Mohammed(2009): " Effectiveness of Institutional Performance of Public Schools in the Eastern Region of Saudi Arabia from the Perspective of School Administrators, College Student Journal, Vol.43(4), pp. 1228-1237 Dec.
- Creemers, B.(2002): " From School Effectiveness and school Improvement to Effective School Improvement, Background, Theoretical Analysis and Outline of the Empirical Study " Educational Research and Evaluation. Vol-8, No-4.
- Egmir,Eray ; Yoruk, Sinan(2013): " The Effectiveness Level Of School Administrator's Coaching Characteristic on School's Being Learning Organiztion, online Submission, Mevlana International Journal of Education (MIJ) Vol.3(1), pp. 120-133 Apr.
- Griffith , James (1999) : " The school leadership – school climate Relation , Identification of school configuration Associated with change In principals " , Educational Administration Quarterly , VOL .35 , Issue 2 , April , 1999 .
- Joyce, B., Wolf, J. & Calhoun, E. (1993): The Self-renewing school. (p. 27) ASCD.
- Orlosky, Donald E, et al(1984): Education Administration today. Ohio Beland Howell company.
- Price, Anne(2004): Improving School Effectiveness, British Education Research Journal, Vol. 30 Issue 6, p858-8 59, 2p.

# أثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين

لطفي عمر بن الشيخ أبوبكر

---

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية  
كلية الآداب جامعة حضرموت



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## أثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين

### ملخص البحث :

التقديم والتأخير في الكلام لا يرد اعتباراً في النظم والتأليف، فالمتكلم إنما يقدم ويؤخر ليظهر معنى في نفسه لا يمكن أن يظهر إذا جاء بالكلام على أصله دون تقديم أو تأخير، لذا جاءت هذه الدراسة لتبين أثر التقديم والتأخير في المعنى عند النحويين القدامى والمحدثين .

وعلى ما للتقديم والتأخير من أثر في المعنى نجد أن القدماء قد حصروا عنايتهم بها، وكان عمدتهم في بيان سبب التقديم قولهم (قُدِّمٌ للعناية به، ولأنَّ ذكره أهم)، إلى أن جاء عبد القاهر الجرجاني الذي يعود له الفضل الأكبر في اكتشاف أسرار التقديم والتأخير .

وقد تتبعت الدراسة ظاهرة التقديم والتأخير عند القدماء في ثنايا كتبهم وبينت تفاوت فهمهم لها .

وبينت أن دراسة التقديم والتأخير مما يعين على فهم بعض أسرار القرآن الكريم وبيان معانيه، خلافاً لآراء بعض المحدثين الذين ينكرون أثر التقديم والتأخير في المعنى .

كما أوضحت موقع التقديم والتأخير في النظرية التحويلية التوليدية الحديثة لأن له أثراً في المعنى الدلالي للجملة .

### متن البحث :

من المسلم به أن الكلام يتألف من كلمات لا يستطيع المتكلم أن ينطق بها دفعة واحدة، ولذا لا بدّ عند التكلم أن يقدم بعضه ويؤخر بعضه الآخر، ويكتمل المعنى حين تأخذ الكلمة مكانها في الجملة، وقد تأخذ الكلمة موضعها الأصلي في التركيب، كأن يتلو الفاعل فعله، أو يقع المفعول به بعد الفعل والفاعل، أو يسبق المبتدأ خبره ... إلخ، وقد يُعدّل عن هذا التركيب الأصلي، فيُقدّم ما حقه التأخير وفقاً لما اقتضته قواعد اللغة لغرض معنوي يريده المتكلم؛ لأن الناظم أول ما يرتب المعاني في نفسه، ويعمل فكره فيها لتنسيق دلالتها، يقول عبد القاهر الجرجاني: « وأما نظم الكلم فليس الأمر

فيه كذلك؛ لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس<sup>١</sup>، ويقول في موضع آخر: « فإذا وجب لعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق »<sup>٢</sup>.

فالمعنى إذا كان مقدماً في النفس تقدّم في الجملة، وقد انبرى البلاغيون والمفسرون لبيان معاني التقديم والتأخير وأغراضه، كما عالج النحويون أيضاً هذه القضية وأولوها عنايتهم .

### أثر التقديم والتأخير عند القدماء :

من أوائل من ذكر التقديم والتأخير الخليل بن أحمد الفراهيدي ( ١٧٥هـ )، يقول سيوييه في باب (الابتداء): « زعم الخليل أنه يستقبح أن يقول " قائم زيد" وذاك إذا لم تجعل قائماً مقدماً مبنياً على المبتدأ .. وهذا التقديم عربي جيد وذلك قولك : تميمي أنا، ومسنوء من يشنؤك»<sup>٣</sup>، فالتقديم عند الخليل هو على نية التأخير، إذ يبقى المقدم على حكمه الذي كان عليه قبل التقديم، ويرى الخليل أن تقديم الخبر في قولنا " قائم زيد" يبقى خيراً، كما في تقديم المفعول على الفاعل . هذا هو مراد الخليل ومن غير مراعاة ذلك يصبح الكلام قبيحاً « لأنه إما أن يؤدي إلى لبس، كما في تقديم المفعول حين يصبح فاعلاً أو يؤدي إلى المحال، كما في تقديم الخبر حيث يخبر عن النكرة بالمعرفة »<sup>٤</sup>.

فالتقديم والتأخير عند الخليل لم يكن إلا في صورته اليسيرة، وذكره له ما هو إلا ملاحظة أسلوبية رآها عند دراسته للتراكيب النحوية في أساليب اللغة العربية.

<sup>١</sup> دلائل الإعجاز : ٤٠ .

<sup>٢</sup> المرجع السابق : ٤٣ .

<sup>٣</sup> الكتاب : ١٢٧/٢ .

<sup>٤</sup> أثر النحاة في البحث البلاغي : ٥٨ .

ومن الذين تعرضوا للتقديم والتأخير يونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ) ولكن من غير أن يقف على سرّ البلاغي، وقد ذكره في معرض حديثه عن جواب الشرط بعد الاستفهام، فهو يقول: « إن تأتني آتيك، بالرفع، هو في نية التقديم ويقدره: آتيك إن تأتني »<sup>٥</sup>.

أما سيبويه (١٨٠هـ) فهو من أوائل من لفت الأنظار إلى معنى التقديم والتأخير وسرّ البلاغي، يقول في (باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول) : « فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك : ضرب زيداً عبدُ الله ؛ لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثم كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدماً، وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كان جميعاً يهمانهم ويعنيانهم »<sup>٦</sup>.

فالتقديم عند سيبويه إنما يكون للعناية والاهتمام بالمقدم، سواء تقدم المفعول به على الفاعل أم على الفعل والفاعل معاً .

كما يكون التقديم عنده للعناية بالمقدم في (باب كسا)، وما ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبراً، يقول سيبويه : « وإن شئت قدمت وأخرت، فقلت : كُسي الثوبَ زيداً، وأُعطى المالَ عبدُ الله، كما قلت : ضرب زيداً عبدُ الله فالأمرُ في هذا كله في الفاعل »<sup>٧</sup>.

وإذا قدم الظرف فهو مُخرَج على هذا المعنى أيضاً: « والتقديم ههنا والتأخير في ما يكون ظرفاً أو يكون اسماً في العناية والاهتمام، مثله ما ذكرت لك في باب الفاعل والمفعول، وجميع ما ذكرت لك من التقديم والتأخير »<sup>٨</sup>.

وينتقل سيبويه إلى سر بلاغي آخر يسببه التقديم والتأخير غير الذي ذكر من العناية والاهتمام، وهو إفادة المخاطب التنبيه، فهو يقول في هذا الصدد : « فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت : زيد ضربته، فلزمته الهاء، وإنما تريد بقولك مبني عليه الفعل

<sup>٥</sup> إعراب القرآن المنسوب للزجاج : ٣ / ٧٨٢ .

<sup>٦</sup> الكتاب : ٣٤ / ١ .

<sup>٧</sup> المرجع السابق : ٤٢ / ١ .

<sup>٨</sup> المرجع السابق : ٥٦ / ١ .

أنه في موضع ( منطلق ) إذا قلت : عبد الله منطلقاً، فهو في موضع هذا الذي بُني على الأول، وارتفع به، فإنما قلت عبد الله فنسبته ( فنبهته ) له، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء<sup>٩</sup> .

وإن كان التقديم كما ذكر سيبويه يأتي لسر بلاغي ولحسن النظم فإنه قد يكون عنده سبباً في قبح الكلام، وإن كان موافقاً لقواعد النحو فهو يقول : « ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه، لأنه مستقيم ليس فيه نقض، فمن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة :

صَدَدَتْ فَأَطُولَتِ الصُّدُودَ وَقَلَّمَا      وصالاً على طولِ الصُّدُودِ يَدُومُ<sup>١٠</sup>

وإنما الكلام : وقل ما يدوم وصال<sup>١١</sup> .

وفي الحديث عن همزة الاستفهام يشير إلى علاقة التقديم والتأخير بالهمزة، فهو يستحسن أن يلي المسؤؤل عنه الهمزة ويقدم على الفعل، ففي باب ( أم إذا الكلام بها بمنزلة أيهما وأيهم )، يقول : « وذلك قولك : أزيد عندك أم عمرو، وأزيداً لقيت أم بشراً ؟ فأنت الآن مُدْعٍ أَنْ عنده أحدهما...واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنك لا تسأله عن اللقي، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو، فبدأت بالاسم لأنك تقصد قصد أن يبين لك أي الاسمين عنده، وجعلت الاسم الأخير عديلاً للأول، وصار الذي لا تسأل عنه بينهما، ولو قلت : ألقيت زيدا أم عمراً كان جائزاً حسناً .. وإنما كان تقديم الاسم هنا أحسن ولم يجز الآخر، إلا أن يكون مؤخراً، لأنه قصد أحد الاسمين فبدأ بأحدهما<sup>١٢</sup> .

ولم يكتف سيبويه بذلك بل يستطرد ليوضح لنا سر تقديم الفعل بعد همزة الاستفهام وما يتولد عنه من معان عند التقديم وتأخير الفعل جائز حسن عند سيبويه إذا كان هو المسؤؤل عنه، غير أن تقديم الفعل أولى وأفضل وإن كان تأخير الفعل

<sup>٩</sup> المرجع السابق : ٨١/١ .

<sup>١٠</sup> الديوان : ٣٧٦، من الطويل، ومنسوب للمرار الأسدي في شرح سقط الزند ٤ / ١٦٦٠، والدرر اللوامع : ٢ / ١٠٧، والخزانة : ١ /

٢٤٥ .

<sup>١١</sup> الكتاب : ٣١/١ .

<sup>١٢</sup> المرجع السابق : ١٦٩/٣ - ١٧٠ .

المسؤول عنه حسناً: « فتقول أضربت زيداً أم قتلته فالبداء بالفعل ههنا أحسن، لأنك إنما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان ولا تسأل عن موضع أحدهما، فالبداء بالفعل ههنا أحسن كما كان البدء بالاسم ثم فيما ذكرنا أحسن»<sup>١٣</sup>.

ثم يقول سيبويه في باب (أو) : « تقول ألقيت زيداً أو عمراً أو خالداً ... واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتأخير الاسم أحسن؛ لأنك إنما تسأل عن الفعل بمن وقع ولو قلت: أزيداً لقيت أو عمراً أو خالداً، وأزيدٌ عندك وعمرو أو خالدٌ كان هذا في الجواز والحسن بمنزلة تأخير الاسم إذا أردت معنى أيهما»<sup>١٤</sup>.

فواضح إذن كيف يفرق سيبويه في التقديم والتأخير بعد الهمزة، إذ يكون المسؤول عنه هو الذي يأتي بعدها .

هذه هي أهم الملاحظات التي ذكرها سيبويه بخصوص التقديم والتأخير، ويبدو لنا أن سيبويه ما كان يقصد في ذلك أن يلفت الأنظار إلى بلاغة التقديم والتأخير أو بقية الفنون البلاغية الأخرى، إنما هي ملاحظات ذكرها في كتابه دون أن يقصد إلى ذلك قصداً. فقد كان همه الوقوف على نظم الكلام وتأليفه وتعرُّف مواطن الحسن والقبح فيه.

وذهب قسم من المحدثين إلى : « أسبقية سيبويه بوضع كثير من الإشارات التي تشكل معظم أبواب علم المعاني، وكثير من أبواب علم البيان، وصورتين من محسنات البديع ونظن أننا نكون بمنأى عن الاتهام إذا قلنا إن سيبويه قد أسهم إسهاماً فاعلاً في وضع علم المعاني»<sup>١٥</sup>. على أي لم أجد في هذا الرأي ما يدعو إلى الاطمئنان إليه، لأن سيبويه ما كان ليقتصد في ذلك سوى علم النحو والتعرف على واقع لغة العرب، وأجد نفسي أقف مع قول الدكتور أحمد مطلوب عندما قال : « إن سيبويه لم يكن إلا واحداً من الذين ذكروا بعض مسائل البلاغة بصورتها الساذجة أو لعل سيبويه عندما نثر

<sup>١٣</sup> الكتاب : ١٧١/٣

<sup>١٤</sup> المرجع السابق : ١٧٩ .

<sup>١٥</sup> أثر النحاة في البحث البلاغي : ١٢٩ .

هذه المسائل لم يقصد إلى علم غير النحو، ولم يرَ علماً خاصاً هو علم البلاغة أو أحد فنونها الثلاثة»<sup>١٦</sup>.

فالتقديم والتأخير ما هو إلا أسلوب من أساليب التعبير في اللغة العربية نقله سيويه لبيان أثره وأهميته والتنبيه عليه.<sup>١٧</sup>

وقد بحث ابن جني ( ٣٩٥ هـ ) التقديم والتأخير في باب ( شجاعة العربية ) ما يجوز منه وما لا يجوز، وما يقبله القياس، وما يسهله الاضطرار<sup>١٨</sup>، وقد وافق النحويين تماماً في معالجته هذه القضية في كتابه الخصائص، فلم يتعدّ النحو إلى البلاغة، فأخذ يتحدث عما يقبله القياس كتقديم المفعول به والظرف على الفاعل، وتقديمها على الفعل، وكتقديم المستثنى على المستثنى منه، فلا يجوز المستثنى على الفعل الناصب له نحو: " إلا زيدا قام القوم " لأن القياس لا يقبل هذا التركيب، وعلّة ذلك مضارعة الاستثناء البديل، فالبدل لا يتقدم على المبدل منه، كما يجوز تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ، وخبر كان وأخواتها على أسمائها وعليها أيضاً، وتقديم المفعول لأجله على الفعل الناصب له نحو: " طمعاً في برك زرتك " في حين لا يجوز تقديم المفعول معه على الفعل نحو: " والطيالسة جاء البرد " لأن الواو هنا بمنزلة واو العطف، وهذا يقبح كقبح " وزيد قام عمرو"، كما يقبح تقديم التمييز، فلا يجيز " شحماً تفقأت " و"عرقاً تصببت" وقاس ذلك على الفاعل الذي لا يجوز تقديمه على فعله في مذهب البصريين، لأن التمييز هو الفاعل في المعنى، ولا يجوز كذلك تقديم نائب الفاعل على الفعل قياساً على الفاعل أيضاً، وقد وضع ابن جني قاعدة عامة مفادها: أنه ليس في الدنيا مرفوع يجوز تقديمه على رافعه مخالفاً في هذا مذهب الكوفيين الذين أجازوا تقديم الفاعل على فعله<sup>١٩</sup>. فأما خبر المبتدأ فلم يتقدم عنده على رافعه، لأن رافعه ليس المبتدأ وحده، إنما الرافع له المبتدأ والابتداء جميعاً، فلم يتقدم الخبر عليهما معاً وإنما تقدم

<sup>١٦</sup> البلاغة عند السكاكي : ٨٠ .

<sup>١٧</sup> ينظر: التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ١٣ - ١٦ .

<sup>١٨</sup> ينظر: الخصائص : ٢ / ٣٨٢ .

<sup>١٩</sup> ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات الأنباري، المسألة ٨٥ : ٢ / ٦١٥ . مغني اللبيب: ٧٥٧ .

على أحدهما وهو المبتدأ، وهذا لا ينتقض، ويتابع ابن جني بيان ما يجوز وما لا يجوز في التقديم والتأخير<sup>٢٠</sup>.

وهنا نرى ابن جني في سرده التقديم الواجب والجائز، لم يخرج عن قواعد النحو ليبين لنا المعنى الذي يفيد التقديم، فلا يهمه كما رأينا إلا القياس وصحته أو ضعفه أو فساده، وبيان العلة، ولا يتعدى ذلك إلى بحث المعنى الذي يتحصل بالتقديم والتأخير.

بل إن العناية والاهتمام بتقديم المفعول به التي رآها سيبويه لم يأخذ بها ابن جني وعده رأياً رآه سيبويه، فقال: « وإنما هو شيء رآه سيبويه واعتقده قولاً ولسنا نقلد سيبويه ولا غيره لهذه العلة ولا في غيرها، فإن الجواب في هذا حاضر عتيد والخطب فيه أيسر »<sup>٢١</sup>.

فالتقديم عند ابن جني وأستاذه أبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ليس لعلة بلاغية كالاتهام أو التنبيه « وذلك لأن المفعول قد شاع عندهم واطرد في مذاهبهم كثرة تقدمه على الفاعل، حتى دعا ذلك أبا علي إلى أن يقول إنَّ تقديم المفعول على الفاعل قسم قائم برأسه كما أنَّ تقديم الفاعل قسم أيضاً برأسه، وإن كان تقديم الفاعل أكثر، وقد جاء به الاستعمال واسعاً، نحو قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾<sup>٢٢</sup> و ﴿ الْهَآكُمُ النَّكَآثُ ﴾<sup>٢٣</sup> وفي كثير من شعر الشعراء والأمر في كثرة تقديم المفعول على الفاعل في القرآن وفصيح الكلام متعالم غير مستنكر. فلما كثر وشاع تقديم المفعول على الفاعل كان الموضع له حتى إنه إذا أخرج فموضعه التقديم<sup>٢٤</sup>، ويشعر ابن جني أن كلامه يبدو غريباً للقارئ فيقول: « ولا تستنكر هذا الذي صورته لك ولا يحفز عليك، فإنه مما تقبله هذه اللغة ولا تعافه ولا تتبشعه »<sup>٢٥</sup>.

<sup>٢٠</sup> ينظر: المرجع السابق: ٢/ ٣٨٢ - ٣٩٠.

<sup>٢١</sup> الخصائص: ٢٩٨/١.

<sup>٢٢</sup> سورة فاطر: ٢٨.

<sup>٢٣</sup> سورة التكاثر: ١.

<sup>٢٤</sup> الخصائص: ٢٩٧/١.

<sup>٢٥</sup> المرجع السابق الصفحة نفسها.

فالمفعول به عند ابن جني وأستاذه أبي علي ذو شأن في الجملة لا يقل عن شأن الفاعل، وإن الفعل إذا أسند إلى المفعول بدل الفاعل تتغير صورته قطعاً، ويفهم من كلام ابن جني أن العرب قد بنت أفعالاً على المفعول به دون الفاعل ولو بنت الفعل على الفاعل لم يعط المعنى المراد.

ولكن ابن جني في كتابه ( المحتسب ) ينهج النهج البلاغي الذي يهمله المعنى، ويعنيه التقديم وبلاغته، بعيداً عن القياس والتعليل وذلك نراه في حديثه عن تقديم المفعول به، فإنه يركز على معنى التقديم، ويلج في التركيز حتى يقدم لنا كلاماً فصلاً يبين فيه مدى العناية بالمفعول به، ويحسن هنا إيراد كلام ابن جني في هذه القضية على طوله : « ينبغي أن يعلم ما أذكره هنا، وذلك أن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة وبعد الفاعل " كضرب زيداً عمراً " فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا: " ضرب عمراً زيداً " فإن إزدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب له فقالوا " عمراً ضرب زيداً "، فإن تظاهرت العناية به عقدوه على أنه ربّ الجملة، وتجاوزوا به حدّ كونه فضلة، فقالوا : " عمرٌ ضربه زيداً " فجاءوا به مجيئاً ينافي كونه فضلة، ثم زادوا على هذه الرتبة فقالوا : " عمرٌ ضرب زيداً " فحذفوا ضميره ونووه، ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبةً به على صورة الفضلة، وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة، ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرًا أو مضمراً، فقالوا: " ضُربَ عمروٌ فاطرح ذكر الفاعل البتة، بل أسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل البتة، مثل قولهم : "امتّقع لونه " ولم يقولوا : امتّقعَه كذا ... وهذا كله يدل على شدة عنايتهم بالفضلة؛ لأنها تجعل الجملة تابعة في المعنى لها، حتى إنها إذا لم تكن تابعة لها، وكان المفعول مقدماً منصوباً، فإنه لا يعدم دليل العناية به، وهو تقديمه اللفظ منصوباً، وهذه صورة انتصاب الفضلة، فقدّمه ليدل على قوة العناية به «<sup>٦٦</sup>.

وتظهر قوة الحجة عند ابن جني واضحة في سرّ تقديم المفعول به، فالعناية عند ابن جني تبدو في أربع صور :

<sup>٦٦</sup> المحتسب لابن جني: ج: ١٠٦ - ٦٦ .

الأولى : تقديم المفعول به على الفاعل فقط .

الثانية: تقديمه منصوباً على الفعل .

الثالثة : تقديمه مرفوعاً على الفعل .

الرابعة : وتمثل أقوى مراتب العناية، حين بُنيَ الفعل على أنه مخصوص بالمفعول به لخلو هذا الفعل من الضمير .

فاين جني يردد هذه العناية في مواضع مختلفة من كتابه (المحتسب) ليؤكد ما ذهب إليه في تقديم المفعول به والاهتمام به، وأثر ذلك في المعنى، حتى إن بناء الفعل للمجهول من مظاهر هذه العناية لما لهذه الصيغة من قيمة بلاغية : « ومن شدة قوة العناية بالمفعول أن جاءوا بأفعال مسندة إلى المفعول، ولم يذكروا الفاعل أصلاً، وهي نحو قولهم : " امتنع لئون الرجل"، " وانقطع به"، " وجنّ زيد" " ولم يقولوا : " امتنعه، ولا انقطعَ ولا جنّه، ولهذا نظائر، فهذا كإسنادهم الفعل إلى الفاعل البتة في ما لا يتعدى نحو: " قام وقعد جعفر " <sup>٢٧</sup>. فالمفعول به في هذه الصيغة هو المقصود وهو موضع الاهتمام والتركيز، ويفوق الاهتمام به أي عنصر من عناصر الجملة .

وابن جني لم يقف عند هذا الحد في بيان أهمية التقديم وأثره في المعنى حتى ذهب إلى أن عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة له أثره البلاغي، وتلجأ إليه العرب بواقع من حسها اللغوي السليم، فهو لا يرى في هذا الأسلوب شذوذاً أو ضرورة مخالفاً من قال بذلك <sup>٢٨</sup>. فالمفعول به إذا قُدّم كان ذلك للعناية والاهتمام بشأنه، وعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة يلفت الأنظار إلى هذه العناية، ولكن ابن جني مسبوق إلى هذه اللفتة، فقد كان في رأيه هذا متأسيماً بأبي الحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ)، جاء في شرح الكافية في النحو : « وقد جوّز الأخفش وتبعه ابن جني نحو: ضرب غلامه زيدا، أي اتصال ضمير المفعول به بالفاعل مع تقدم الفاعل لشدة اقتضاء الفعل للمفعول به كاقترانها للفاعل واستشهد بقول الشاعر :

<sup>٢٧</sup> المرجع السابق: ١/ ١٣٥، ٢/ ٢٨٤ .

<sup>٢٨</sup> ينظر: الخصائص : ١/ ٢٩٤ .

جزى ربه عني عدي بن حاتم ❖ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل<sup>٢٩</sup>

ويقول آخر :

لما عصا أصحابه مُصعباً ❖ أدى إليه الكيل صاع بصاع<sup>٣٠</sup> «<sup>٣١</sup>.

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤هـ) فالتقديم والتأخير عنده « باب من الأبواب التي تظهر بها مزية الكلام ويعلو بها أسلوب على أسلوب ويبدو بها إعجاز القرآن<sup>٣٢</sup>، وقد نبه على مكانة التقديم والتأخير ووصفه « بأنه باب كثير القواعد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتقر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة<sup>٣٣</sup> .

ويتضح من كلامه أن التقديم والتأخير يأتي في الكلام لعلة بلاغية، ويجعل القارئ يقف أمام عبارته تلك لينظر إلى الموضوع غير النظرة التي وجدها عند غيره من العلماء، فالتقديم والتأخير يأخذ عند عبد القاهر مكانة أسمى وبعداً آخر إذ يؤدي وظيفة مهمة في سبك الكلام وفنون التصرف فيه .

وكان عبد القاهر ينظر إلى التقديم والتأخير من الوجهة التي تتفاضل فيها الفصاحة والوجهة التي يؤتى بها لتحسين الكلام سواء أكان شعراً أم كان نثراً، فيقول: « ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان<sup>٣٤</sup> .

والتقديم والتأخير عنده على نوعين : تقديم على نية التأخير « وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه<sup>٣٥</sup> » وذلك مثل خبر المبتدأ في قولنا ( منطلق زيد )، والمفعول إذا قدم على الفاعل مثل ( ضرب عمراً زيداً ) إذ إنهما لم

<sup>٢٩</sup> البيت من الطويل، وهو للنايعة الذبياني في ديوانه : ١٩١، والخصائص : ٢٩٤/١، وله أو لأبي الأسود الدولي في خزنة الأدب : ٢٧٨/١، ٢٧٧، ٢٧٨، والدرر : ٢١٧/١، وللنايعة أو لأبي الأسود أو لعبد الله بن همارق في شرح التصريح : ٢٨٣/١، وبلا نسبة في أوضح المسالك : ١٢٥/٢ .

<sup>٣٠</sup> البيت من السريع، وهو للسفاح بن بكير في خزنة الأدب : ٢٨٩، ٢٩٠/١، وبلا نسبة في لسان العرب : ١٤٨/١٥ ( فجا ) .

<sup>٣١</sup> شرح الكافية في النحو : ٧٢ / ١ .

<sup>٣٢</sup> عبد القاهر والبلاغة العربية : ١٣٩ .

<sup>٣٣</sup> دلائل الإعجاز : ١٠٦ .

<sup>٣٤</sup> المرجع السابق: الصفحة نفسها .

<sup>٣٥</sup> المرجع السابق: الصفحة نفسها .

يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من حكمهما الإعرابي، وتقديم على نية التأخير « ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعل له باباً غير بابهِ وإعراباً غير إعرابه»<sup>٣٦</sup> مثل (زيد المنطلق) و(المنطلق زيد) و(ضربت زيداً) و(زيدٌ ضربت) .

ويتابع الجرجاني دراسته لموضوع التقديم والتأخير بشكل لافت للنظر، إذ لم يترك للدارسين من بعده إضافات تذكر، معللاً رأيه بالشواهد القرآنية والأبيات الشعرية فيجعل الدارس يطمئن إلى عمق تفكيره ونفاذ بصيرته، فكل من جاء بعده اعتمد على شواهد وأرائه .

وقد تكلم عن التقديم بعد همزة الاستفهام<sup>٣٧</sup>، وتقديم المسند إليه في النفي<sup>٣٨</sup> والإثبات<sup>٣٩</sup> وتقديم النكرة<sup>٤٠</sup> .

ويضع عبد القاهر أمامنا أمراً مهماً في فائدة التقديم قد لا نجدها في التأخير فيقول : « فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام انه قد اختص لفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال »<sup>٤١</sup> .

ويفهم من كلامه أن التقديم والتأخير في الكلام لابد أن يأتي لفائدة تكسب الكلام حسناً وقوةً، ويعيب على من ينكر فائدتهما في الأسلوب فيقول : « ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء، أن يدعي أنه للفائدة في بعضها وللتصرف في اللفظ من غير معنى في بعض فمما ينبغي أن يُرغب عن القول فيه »<sup>٤٢</sup> .

ويتحدث عبد القاهر عن الفروق في الخبر، ولا يطمئن إلى قول النحاة بجواز التقديم والتأخير في الاسمين المعرفين إذ لا مبين للمبتدأ من الخبر مثل (زيد أخوك)<sup>٤٣</sup>، إذ لابد

<sup>٣٦</sup> المرجع السابق: الصفحة نفسها

<sup>٣٧</sup> ينظر: دلالات الإعجاز : ١١١

<sup>٣٨</sup> ينظر: المرجع السابق : ١٢٤ .

<sup>٣٩</sup> ينظر: المرجع السابق : ١٢٨

<sup>٤٠</sup> ينظر: المرجع السابق : ١٤٢

<sup>٤١</sup> المرجع السابق : ١١٠ .

<sup>٤٢</sup> المرجع السابق : ١١١ .

<sup>٤٣</sup> ينظر : شرح ابن عقيل / ١ : ٢٣٢ .

عنده من اختلاف في المعنى يسببه التقديم والتأخير « فإذا قلت ( زيدٌ أخوك ) كنت قد أثبت بـ ( أخوك ) معنى لزيد، وإذا قدمت وأخرت فقلت ( أخوك زيدٌ ) وجب أن تكون مُثبتاً بزيد معنى لأخوك »<sup>٤٤</sup>.

ويعد أن بين الجرجاني هذه الفروق واطمأن إلى صحة دعواه قال : « وإلا كان تسميتك له الآن مبتدأ وإذ ذاك خبراً تغييراً لئلا سم عليه من غير معنى »<sup>٤٥</sup>.

ونود أن نذكر شاهداً من الشواهد القرآنية التي ذكرها عبد القاهر لنبين رأيه في كيفية حصول المعنى المستفاد من التقديم والتأخير، ففي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾<sup>٤٦</sup>، يقول : « بيانه أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله بأنهم جعلوا الجن شركاء وعبودهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم فإن تقديم الشركاء، يفيد هذا المعنى ويفيد معنى آخر وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن »<sup>٤٧</sup>.

وتبدو نظرة عبد القاهر الجرجاني في تقديم وتأخير المفاعيل واضحة جلية فالتقديم والتأخير أحدث تحولاً في تغيير معنى الآية الكريمة .

وفي معرض حديثه عن مسائل الاستفهام فرّق الجرجاني بين تقديم الفعل وتقديم الاسم عقب الهمزة في الاستفهام الحقيقي ويتلخص في أنّ الذي يلي الهمزة هو المشكوك فيه، والمسؤول عنه، فالابتداء بالفعل في قولنا ( أفعلت ) يعني الشك بالفعل أما قولنا ( أنت فعلت ؟ ) كان الشك في الفاعل<sup>٤٨</sup>.

وقد يخرج الاستفهام عن طريق الهمزة إلى طلب الحقيقة والتقرير من المخاطب، فإذا جاء بعدها الفعل كان السؤال للإقرار بحدوثه أو نفيه، وإن جاء بعدها الاسم

<sup>٤٤</sup> دلائل الإعجاز: ١٨٩ - ١٩٠ .

<sup>٤٥</sup> المرجع السابق: ١٩٠ .

<sup>٤٦</sup> الأنعام : من الآية ١٠٠ وتماها ( وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون )

<sup>٤٧</sup> دلائل الإعجاز: ٢٨٦ .

<sup>٤٨</sup> ينظر: دلائل الإعجاز: ١١١ .

كان السؤال عن اعتراف الفاعل.<sup>٤٩</sup> كقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِاللَّهِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾<sup>٥٠</sup>.

ويستطرد عبد القاهر في دراسته للتقديم والتأخير مبيناً ما يحدثه من جمال في النص الأدبي، فلم يعد عنده مقصوراً على نظام الجملة الواحدة، بل يتعدى ذلك إلى البيت الشعري والقصيدة ففي قول الشاعر:

سألت عليه شعابُ الحيِّ حينَ دعا أنصارُهُ بوجوهِ كالدنانيرِ<sup>٥١</sup>

يقول: « فإنك ترى في هذه الاستعارة، على لطفها وغرابتها إنما تم لها الحسن وانتهى إلى حيث انتهى بما توخى في وضع الكلام من التقديم والتأخير، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها »<sup>٥٢</sup>.

فالتقديم والتأخير قد مكن من الاستعارة في البيت الشعري وجعلها ذات مأخذ في النفس، وفي ذلك يقول عبد القاهر: « فاعمد إلى الجارين والظرف فأزل كلا منهما عن مكانه الذي وضعه الشاعر فيه فقل ( سألت شعابُ الحيِّ بوجوهِ كالدنانيرِ عليه حين دعا أنصاره ) ثم انظر كيف يكون الحال وكيف يذهب الحسن والحلاوة »<sup>٥٣</sup>، وهذا بحق التفاتة من عبد القاهر في هذا المجال، فالشاعر اضطر إلى التقديم والتأخير ليستقيم له المعنى، وليستقيم له إبراز الاستعارة على أجمل صورة وأبهى حسن لتتمكن من نفس السامع .

ويُدخل الجرجاني موضوع التقديم والتأخير في مجال النقد كذلك، ويسوق أبيات البحثري لينظر ما أحدث التقديم والتأخير والحذف والإضمار فيها حتى أعجبت السامعين :

<sup>٤٩</sup> ينظر: المرجع السابق: ١١٣

<sup>٥٠</sup> الأنبياء: ٦٢

<sup>٥١</sup> من البسيط، قائله سبع بن الخصيم التميمي، من بطن منهم يقال له بنو رفاعة، ينظر: المؤلف والمختلف: ١٥٩ - ١٦٠ .

<sup>٥٢</sup> دلائل الإعجاز: ٩٩ .

<sup>٥٣</sup> المرجع السابق.

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى      فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيْبَا  
هُوَ الْمَرْءُ أَبَدَتْ لَهُ الْحَادِثَا      تُوْ عَزْمًا وَشِيكًا وَرَأْيَا صَلِيْبَا  
تَنْقُلَ فِي خُلُقِي سُوْؤِدَد      سَمَاحًا مُرْجَى وَبَاسًا مَهِيْبَا  
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِئْتَهُ صَارِحًا      وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِئْتَهُ مُسْتَثِيْبَا<sup>٥٤</sup>

فقال عبد القاهر معلقاً على هذه الأبيات : « فإذا رأيتها قد راقتك وكثرت عندك، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك، فعد فانظر في السبب واستقص في النظرة، فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخر، وعرف وذكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجهاً من الوجوه الذي يقتضيها ( علم النحو ) فأصاب في ذلك كله، ثم لطف موضع صوابه وأتى مأتى يوجب الفضيلة »<sup>٥٥</sup>.

ويرى شوقي ضيف أن نظرة عبد القاهر إلى هذه الأبيات كانت بحدود المؤثرات النحوية التي تقف عند ظاهرة التركيب اللغوي ولا تكشف عن الموسيقى الناتجة عن هذا التركيب، فقال : « يبدي عبد القاهر ويعيد في هذا المقياس الذي اتخذه من النحو، ولكن فاته أن علم النحو لا يكشف ( الموسيقى الخارجية ) موسيقى العروض فأولى به ألا يكشف ( الموسيقى الداخلية ) موسيقى النظم وهي لا ترتبط به ولا بقواعده ولم ينفع عبد القاهر ما اعتمد عليه من فلسفة وتفكير في فهم العبارات والأساليب اللغوية وبذلك فشل علم النحو عنده في تحليل هذا الجانب »<sup>٥٦</sup>.

وربما يكون شوقي ضيف متأثراً بما قاله الباقلائي في البحري بأنه ( كان يتتبع الألفاظ وينقدها نقداً شديداً )<sup>٥٧</sup>، وكذلك رأي ابن الأثير حيث قال في صفة تخير البحري للألفاظ ( كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي )<sup>٥٨</sup>.

<sup>٥٤</sup> من المتقارب، ديوان البحري : ١/١٥١ .

<sup>٥٥</sup> دلائل الإعجاز : ٨٥ .

<sup>٥٦</sup> الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٧٩ .

<sup>٥٧</sup> ينظر إعجاز القرآن : ١٠٦، والفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٨١ .

<sup>٥٨</sup> ينظر : المثل السائر : ١٠٦، والفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٨٠ .

من هذا الجانب أراد شوقي ضيف من عبد القاهر أن يقول كلمته في جرس اللفظ وتألقه والدقة في اختيار الكلمات وترتيبها كما كان يهتم بذلك العباسيون ( وجعلوه محور الفصاحة والبلاغة)<sup>٥٩</sup>.

والذي نراه أن اهتمام عبد القاهر كان منصبا على إثبات نظرية النظم التي يرى عبد القاهر أن القرآن معجز من جهتها، فليس من همه الحديث عن الموسيقى الداخلية، فحديثه عن النظم الذي « هو الوجه الوحيد الذي حصل به الإعجاز »<sup>٦٠</sup>، جعله لا يلتفت إلى دراسة ( الموسيقى الداخلية ) وأثرها في النص.<sup>٦١</sup>

وعبد القاهر يعترف بأسبقيّة سيوييه إلى معنى بناء الفعل على الاسم حين يذكر قول الشاعر :

هُمْ يُضْرشُونَ اللَّبْدَ كُلَّ طَمْرَةٍ ❖ وَأَجْرَدَ سَبَّاحٌ بَيْدُ الْمُغَالِبِ<sup>٦٢</sup>

يقول الجرجاني : « إنّه بدأ بذكرهم لينبّه السامع لهم، ويُعلم بدياً ( أولاً وابتداءً ) قصده إليهم بما في نفسه من الصفة، ليمنعه بذلك من الشك، ومن توهم أن يكون قد وضعهم بصفة ليست هي لهم »<sup>٦٣</sup>، وبعد ذلك يشير إلى سيوييه بقوله : « وهذا الذي ذكرت من أنّ تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له قد ذكره صاحب الكتاب في المفعول إذا قدّم فرقع بالابتداء، وبني الفعل الناصب كان له عليه<sup>٦٤</sup>، وعُدّي إلى ضميره فشغل به، كقولنا في، " ضربت عبد الله "، " عبد الله ضربته "، فقال : وإنما قلت " عبد الله " فنّبّهته له، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء »<sup>٦٥</sup>.

ولكن عبد القاهر الجرجاني يأخذ على العلماء اكتفاءهم بتفسير المقدم للأهمية والاعتناء، بل لا بد من تفسير هذه الأهمية وبيان سببها، يقول الجرجاني : « وقد وقع

<sup>٥٩</sup> ينظر : الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٨٠ .

<sup>٦٠</sup> تطور دراسات إعجاز القرآن وأثره في البلاغة العربية : ٢٨٣ .

<sup>٦١</sup> ينظر : التقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٣٦ - ٣٨ .

<sup>٦٢</sup> البيت من الطويل، للمُعَدَّل بن عبد الله الليثي في شرح الحماسة للمرزوقي : ١٧٦٤ .

<sup>٦٣</sup> المرجع السابق : ١٠٠ .

<sup>٦٤</sup> أي بني الفعل الذي هو ناصب له عليه

<sup>٦٥</sup> دلائل الإعجاز : ١٠١ .

في ظنون الناس أنه يكفي أن يقال : إنه قُدِّمَ للعناية، ولأن ذكره أهم من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية، ولم كان أهم ؟ ولتخليهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهوتوا الخطب فيه حتى أنك لترى أكثرهم يرى تتبعه والنظر فيه ضرباً من التكلف، ولم ترَ ظناً أزرى على صاحبه من هذا وشبهه»<sup>٦٦</sup> .

وقال أيضاً : « واعلم أننا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئاً يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام، قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول : كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم، ولم يذكر في ذلك مثلاً»<sup>٦٧</sup> .

فعبد القاهر أكسب التقديم والتأخير نظرة جديدة وبعداً أسمى، وحوَّله من الدرس النحوي إلى الدرس البلاغي، وشمل عنده وحدة الموضوع، بعد أن كان يُدرس بصورة متفرقة في كتب الذين سبقوه، أو كان ينظر إليه على أساس أنه يؤدي إلى التعقيد المعنوي للكلام .

أما الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ ) فنظرته للتقديم والتأخير تتسم بالتأني والتعليل والتحليل الفني، فلا تكاد تمر على آية كريمة تشتمل على التقديم والتأخير إلا ويدلي برأيه فيها شارحاً وموضحاً، فقد تحدث عن تقديم المسند إليه ومتعلقات الفعل والنكرة وغير ذلك .

ففي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾<sup>٦٨</sup> ، قال الزمخشري : « فإن قلت، كيف ابتداء قوله : الله يستهزئ بهم ولم يعطف على كلام قبله : قلت هو استئناف في غاية الجزالة والضحامة، وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء ولا يقربه في مقابلته لما ينزل

<sup>٦٦</sup> المرجع السابق : ٨٥ .

<sup>٦٧</sup> المرجع السابق : ٨٤ .

<sup>٦٨</sup> البقرة : ١٥ .

بهم من النكال ويحلّ بهم من الهوان والذل، وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاماً للمؤمنين»<sup>٦٩</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>٧٠</sup>، يقول الزمخشري: « هو للتخصيص والتأكيد وأن الله تعالى من شأنه قبول توبة التائبين، وقيل معنى التخصيص في هو أن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ وإنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها، فاقصدوه بها ووجهها إليه»<sup>٧١</sup>.

وتظهر براعة الزمخشري في تقديم الصلة وتأخيرها ليستخرج المعاني المتوخاة من التقديم والتأخير في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>٧٢</sup>، قال: « فإن قلت لم أخرج الصلة في قوله ( وهو أهون عليه ) وقدمت في قوله ( هو عليّ هين )<sup>٧٣</sup>، قلت هناك قصد الاختصاص وهو محرّزة، فقيل ( هو عليّ هين ) وإن كان مستصعباً عندكم أن يولد بين هم<sup>٧٤</sup> وعافر، وأما هنا فلا معنى للاختصاص، كيف والأمر مبني على ما يعقلون من أن الإعادة أسهل من الابتداء، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى»<sup>٧٥</sup>.

وقد علق أحمد بن المنير ( ت ٦٨٣ هـ ) على قول الزمخشري بقوله: « كلام نفيس يستحق أن يكتب بذوب التبر لا بالحبر»<sup>٧٦</sup>.

<sup>٦٩</sup> الكشاف: ٥١ / ١ .

<sup>٧٠</sup> التوبة: ١٠٤ .

<sup>٧١</sup> الكشاف: ٢١٢، ٢١٣ .

<sup>٧٢</sup> الروم: ٢٧ .

<sup>٧٣</sup> مريم: ٩ وتمامها ( قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا )

<sup>٧٤</sup> الهم: الشيخ الفاني: ينظر: تهذيب اللغة: ٣٨ / ٥ .

<sup>٧٥</sup> الكشاف: ٢٢٠ / ٣ .

<sup>٧٦</sup> حاشية الكشاف: ٣: ٢٢٠ .

أما تقديم وتأخير الظرف فقد تكلم عليه كثيرا وكان التقديم عنده يدل على الاختصاص كما في قوله تعالى : ﴿يَسِّحُ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>٧٧</sup> وفي قوله تعالى : إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ<sup>٧٨</sup>.

وتكلم الزمخشري عن تقديم الظرف وتأخيره مبينا السر البلاغي في التقديم ففي قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٧٩</sup> قال : « فإن قلت : فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم الغول في قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾<sup>٨٠</sup>، قلت لأن القصد في إيلاء حرف النفي إثبات أنه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعوناه<sup>٨١</sup> .

وفي قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>٨٢</sup>، قال الزمخشري : « فإن قلت لم قال ( لتركبوا منها ) ولتبلغوا عليها ولم يقل ( تأكلوا منها ) ولتصلوا إلى منافع؟ أو هلا قال : منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم ؟ قلت في الركوب : الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة والهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم وهذه الأغراض دينية إما واجبة أو مندوب إليها، ومعنى قوله ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونَ﴾<sup>٨٣</sup> وعلى الأنعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك وفي البر والبحر<sup>٨٤</sup> .

ولم يتفق أبو حيان (ت٧٤٥هـ) مع الزمخشري في معنى تأخير الظرف وتقديمه، فقد ناقشه في قوله تعالى (لا ريب فيه) بقوله: « وقد انتقل الزمخشري من دعوى

<sup>٧٧</sup> التغابن : ١

<sup>٧٨</sup> الغاشية : ٢٥ ، ٢٦ .

<sup>٧٩</sup> البقرة : ٢ .

<sup>٨٠</sup> الصافات : ٤٧ وتمامها ( لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون )

<sup>٨١</sup> الكشاف : ١ : ٢٧ .

<sup>٨٢</sup> غافر : ٧٩ .

<sup>٨٣</sup> المؤمن : ٨٠ وتمامها ( ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ) .

<sup>٨٤</sup> الكشاف / ٤ : ١٤١ - ١٤٢ .

الاختصاص بتقديم المفعول إلى دعواه بتقديم الخبر ولا نعلم أحداً يعرف ( ليس في الدار رجل ) و ( ليس رجل في الدار ) وعلى ما ذكر من أن خمر الجنة لا يغتال<sup>٨٥</sup>.

ويبدو كلام أبي حيان غريباً بصدد تأخير الظرف وتقديمه، فقد صرح عبد القاهر الجرجاني بفائدة الفرق بين التقديم والتأخير بقوله : « فمتى ثبت أن في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام، أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة في التأخير فقد وجب أن تكون تلك قضية في كل شيء وكل حال »<sup>٨٥</sup>.

فالفرق واضح من سياق الآية الكريمة ولو قدم الظرف لتغير المعنى ودلّ أن كتباً أخرى فيها ريب، ومن جهة أخرى صرح قسم من أئمة<sup>٨٧</sup> التفسير بالمعنى الذي قال به الزمخشري، فلا يعدو أن يكون كلام أبي حيان سوى تعصب على الزمخشري لا مسوغ له .

وقد تحدث الزمخشري عن تقديم المفاعيل في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>٨٨</sup>، قال الزمخشري : « والمعنى نخصك بالعبادة ونحصك بطلب المعونة »<sup>٨٩</sup>.

وفي قوله تعالى : ﴿خُذُوهُ فَعُلُوهُ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَوُهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ<sup>٩٠</sup>، قال : « ثم لا تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظمى ... وتقديم السلسلة على السلك مثله في الجحيم »<sup>٩١</sup>، ففي هذا النوع من التقديم الذي ذكره الزمخشري يفهم منه فائدة الاختصاص، وقد رفض أبو حيان رأي الزمخشري في تقديم المفعول المفيد للاختصاص، وعدها ( دعوى ادعى بها الزمخشري ) إنما هو للاهتمام كما قال سيبويه، فقال : « التقديم عنده ( أي الزمخشري ) يوجب الاختصاص وليس كما زعم : قال سيبويه وقد تكلم على ( ضربت زيداً ) ما نصه : وإذا قدمت الاسم فهو عربي جيد،

<sup>٨٥</sup> البحر المحيط : ٣٧/١ .

<sup>٨٦</sup> دلائل الإعجاز : ١١٠ .

<sup>٨٧</sup> ينظر على سبيل المثال : تفسير النسفي : ٩/١، تفسير أبي السعود : ١٩ / ١ .

<sup>٨٨</sup> الفاتحة : ٥ .

<sup>٨٩</sup> الكشف : ١١/١ .

<sup>٩٠</sup> الحاقة : ٣٠ ، ٣١ .

<sup>٩١</sup> الكشف : ٣ / ٢٦٥ .

وذلك قولك ( زيدا ضربت ) والاهتمام والعناية في التقديم والتأخير سواء) <sup>٩٢</sup>، وقال أيضاً : « فالتقديم عنده إنما هو للاعتناء والاهتمام بالمفعول » <sup>٩٣</sup>، وأورد أبو حيان في معرض رده على الزمخشري قول الأعرابي الذي سبَّ صاحبه فأعرض عنه وقال : ( إياك أعني، فقال له : وعنك أعرض، فقدم الأهم ) <sup>٩٤</sup>.

والحجة التي أقامها أبو حيان في رفض مبدأ الزمخشري، ربما تكون بعيدة عن واقع أسرار التقديم والتأخير، إذ كثيراً ما يقدم المفعول به في القرآن الكريم دالاً على الاختصاص، وأما قصة الأعرابي التي ذكرها فلا يفهم التقديم فيها إلا بمعنى الاختصاص، حيث خصَّ كل منهما صاحبه بالحديث، ثم إن التمسك بقول سيبويه لا يعني أن سيبويه لا يقول بالاختصاص أو يرفضه، فقد كان سيبويه في وقت يهتم بدراسة أسلوب العرب ووضع القواعد النحوية والتعرف على صياغة الجملة، دون النظر إلى أسرار التقديم بصورة مفصلة، كما إنَّ الزمخشري لا يرفض التقديم لأجل العناية والاهتمام كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ <sup>٩٥</sup> فكان تعليق الزمخشري على الآية المذكورة « معناه : أغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون - استلم بعض آلهتنا ونؤمن بإلهك » <sup>٩٦</sup>.

ويظهر أن أبا حيان ما كان يأخذ بالتقديم المفيد للاختصاص بل كان التقديم عنده للعناية والاهتمام وقد ردَّ على الزمخشري في مواضع <sup>٩٧</sup>.

ويعلل أحد الدارسين أسباب تلك المنافرة - وإن كانا في عصرين مختلفين - بما معناه : أن كلا الرجلين ألفا في التفسير، وقد بلغ الكشاف عند الناس ما لم يكده يبلغه تفسير ثم جاء أبو حيان فأودع في تفسيره كل ما عنده وأراد أن يعلو به عليه <sup>٩٨</sup>.

<sup>٩٢</sup> البحر المحيط : ١٦/١ .

<sup>٩٣</sup> المرجع السابق : ١٦/١ .

<sup>٩٤</sup> ينظر : البحر المحيط : ٢٤/١ .

<sup>٩٥</sup> الزمر : ٦٤ .

<sup>٩٦</sup> الكشاف : ٤٠٧/٣ .

<sup>٩٧</sup> ينظر : البحر المحيط : ١٦/١، ١٧٦/٤، ٣٧٩، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٣٢٥ .

<sup>٩٨</sup> ينظر : الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري : ٧٧، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم : ٤٥ - ٤٨ .

ويرى الباحث أن أهم سبب وراء مخالفة أبي حيان للزمخشري في تلك الإفادة هو أنها دلالة بلاغية ذوقية سياقية، وليست حكماً نحوياً قطعياً لازماً<sup>٩٩</sup>.

ويرى ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) أن التقديم يكون للأهمية، ولكن إفادته للاختصاص أولى، فقال: «الأولى أن يقال أنه يفيد القصر كقوله تعالى: ﴿بَلِ اللّٰهُ فَاعْبُدْهُ﴾<sup>١٠٠</sup>»<sup>١٠١</sup>.

### أثر التقديم والتأخير عند المحدثين:

تناول كثير من المحدثين ظاهرة التقديم والتأخير وعلاقتها بالمعنى وعدوها (عدولاً عن الأصل). يقول فاضل السامرائي: «وقد جعل النحاة رتبا بعضها أسبق من بعض، فإن جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير، وإن وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتأخير وهذا هو الأصل في الكلام العربي، فالتقديم إما أن يكون بحسب الأصل أو بالعدول عن الأصل للعناية والاهتمام»<sup>١٠٢</sup>.

فالكلام عندهم يعبر عن المعاني، ولا بد من أن ينتظم على صورة مخصوصة، للوصول إلى المعنى المفيد، والأصل أن يكون هناك رتبة بين الألفاظ، وهذه الرتبة قد تكون محفوظة أو غير محفوظة، قابلة للتقديم والتأخير وذلك بحسب المعنى المراد إيصاله، وعدم حفظها يعني أن المعنى معها لا يدخله الغموض أو اللبس، بل على العكس، فقد يستغل المتكلم حرية الرتبة من أجل التعبير عن معانٍ لا تعبر عنها الرتبة المحفوظة، وقد يعرض لهذه الرتبة ما يقيدها من أجل المعنى، ولهذا نجد النحاة أحياناً ينصّون على ضرورة حفظ الرتبة إذا دعت لذلك ضرورة تركيبية مثلاً ويؤذي عدم حفظها إلى الغموض والالتباس<sup>١٠٣</sup>.

<sup>٩٩</sup> ينظر: (إفادة تقديم ما حقه التأخير للاختصاص بين الزمخشري وأبي حيان): مجلة جامعة القصيم للعلوم الشرعية، المجلد (٥)، العدد (١).

<sup>١٠٠</sup> سورة الزمر: ٦٦

<sup>١٠١</sup> الكافية في النحو لابن الحاجب: ١٦ / ٢.

<sup>١٠٢</sup> الجملة العربية تأليفها وأقسامها: ٣٧.

<sup>١٠٣</sup> ينظر: البيان في روائع القرآن: تمام حسان: ٢٧٧، وبناء الجملة العربية: محمد حماسة عبد اللطيف: ٧٩.

وقد تكون الرتبة محفوظة، وحفظها يعني أن الخروج عنها يهدد بضياع المعنى، وقد يخرج عن هذه الرتبة بشرط وضوح المعنى، وهو ما يسميه تمام حسان (الترخُّص)<sup>١٤٤</sup>.

يقول تمام حسان : « العدول عن الرتبة، عدم مراعاتها، بتقديم ما رتبته التأخير أو العكس، وتسمى الرتبة في هذه الحالة ( رتبة مشوشة ) »<sup>١٤٥</sup> أي متداخلة، وذلك كقولنا: ( زيداً رأيتُ ) فالأصل تقدم الفعل، فالفاعل، فالمتفعل، ولكن عدل عن الأصل من أجل الأهمية .

« ويمكن العدول عن أصل الرتبة بالتقديم والتأخير، وهذا العدول إما أن يكون مطرد أو غير مطرد، فإن كان غير مطرد فالنحاة يسمونه شاذاً أو ضرورة أو خطأ »<sup>١٤٦</sup>، وذلك كقول الشاعر<sup>١٤٧</sup> :

عليكِ ورحمة الله السلامُ

فالقاعدة العامة تنص على حفظ الرتبة بين المعطوف والمعطوف عليه ولكن عدل عن الأصل للضرورة.

« أما إذا كان العدول مطرداً فإنه عندئذٍ يخضع للاعتبارات الآتية : القاعدة، والخضوع للقاعدة التي يتم العدول في ضوئها، والاحتكام العام لصناعة النحو، كما يبدو من خلال قواعد التوجيه »<sup>١٤٨</sup>.

وذلك كتقديم المفعول على الفاعل، فعملية التقديم والتأخير تتم من أجل الفائدة، أو من أجل هدف معين، بناء على قاعدة فرعية على الأصل، على أن لا يتعارض العدول مع قواعد التوجيه التي تحكم النحو العربي، كأن يقال مثلاً ( لا عبرة بالتقديم إذا كان في نية التأخير )<sup>١٤٩</sup>.

<sup>١٤٤</sup> ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٣٦ .

<sup>١٤٥</sup> البيان في روائع القرآن : ٣٧٨ .

<sup>١٤٦</sup> الأصول : تمام حسان : ١٤٨ .

<sup>١٤٧</sup> عجز بيت وتماهه : أَلَا يَا نُحْلَةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقِي ... عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ السَّلَامُ

وهو للأحوص، ينظر : الخصائص : ٣٨٦/٢، الجمل للزجاجي : ١٥٩ .

<sup>١٤٨</sup> الأصول : تمام حسان : ١٤٨ .

<sup>١٤٩</sup> ينظر : الأصول : ٢٢٦، دور الرتبة في الظاهرة النحوية : ١٠٥ - ١٠٦ .

أما خليل عمايرة فهو ممن تأثروا بالفكر اللغوي عند تشومسكي، وقد انحصر تأثيره في فكرتين هما : الجملة التوليدية والجملة التحويلية وفكرة عناصر التحويل ويعد من أبرز رواد النظرية التوليدية التحويلية .<sup>١١٠</sup> وهي نظرية تقوم على أن لكل جملة مستويين من الأبنية : أحدهما باطن ( بنية عميقة ) وهي التي تعبر عن الفكر، وهو المعنى المجرد في الذهن، والآخر ظاهر ( بنية سطحية ) وهي تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم ليعبر بها عن المعنى الموجود في الذهن، وهي تمثل الجانب الصوتي والصريفي، وهذه البنية لا بد منها للوصول إلى المعنى العميق .

وأرى أننا إذا نظرنا إلى اللغة في ضوء هذين المستويين نجد أن فكرتهما موجودة مسبقاً منذ القدم عن اللغويين العرب، فقد دلت تطبيقاتهم النحوية على وجود مثل هذه النظريات، ويكفي لتأكيد ذلك أن ننظر في باب التمييز، وما اشتمل عليه هذا الباب من تحويلات كثيرة، فسيبويه مثلاً يرى أن ( امتلأت ماءً ) و ( تفتأت شحمًا ) أصلهما ( امتلأت من الماء ) و ( تفتأت من الشحم )، وهذا يعني أن سيبويه لا يقف عند ظاهر اللفظ، أو بلغة التحويلين لا يقف عند البنية السطحية للجملة، بل يرى لها أصلاً عميقاً يختفي وراءها، ويعاد توزيع الجملة انطلاقاً منه على مستوى السطح، أو الظاهر في مواقع لم تكن لها في حالة الأصل .<sup>١١١</sup>

يرى عمايرة أن التقديم والتأخير ( الترتيب ) من أبرز عناصر التحويل وأكثرها وضوحاً وهو نقل مورفيم ( مبنى صرفي ) من موقع أصل له إلى موقع جديد، مغيراً بذلك نمط الجملة، ناقلاً معناها إلى معنى جديد، تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة، وهو عنصر من عناصر التحويل، فجملة ( أكرمَ خالدٌ علياً ) جملة توليدية فعلية، لا تركيز فيها على أي جزء من أجزاء المعنى، والهدف منها الإخبار لا غير، ولكن المتكلم إذا أراد أن ينقل الخبر بتركيز على جزء من أجزائه قدّمه اعتناءً واهتماماً به فتحوّلت الجملة وأصبحت تحويلية .<sup>١١٢</sup>

<sup>١١٠</sup> ينظر : ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها : د خليل عمايرة : ٤٥ - ٦٠، النحو العربي والدرس الحديث : د عبده الراجحي :

١٢٤ - ١٢٦، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية : مشيل زكريا : ٩ - ٢٠ .

<sup>١١١</sup> ينظر : الرتبة النحوية في الجملة العربية المعاصرة، د. إبراهيم الخلفات : ٦٠ .

<sup>١١٢</sup> ينظر : في نحو اللغة وتراكيبها : ٨٩ .

فالتقديم والتأخير في النظرية التحويلية التوليدية له أثره في المعنى الدلالي للجملة، إذ ينقل الجملة من معناها الأصل، فالمقدم مؤكد بالترتبة، وقد أدرك نحائنا القدماء هذه الظاهرة وأولوها عنايتهم، يقول الدكتور عميرة: « فالتقديم والتأخير عند علمائنا من السلف الصالح يكون لأمر يتعلق بالبنية الداخلية، المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم »<sup>١١٣</sup>.

أما إبراهيم أنيس فقد رفض أن يكون للتقديم أثر في المعنى، وحمل على سيبويه، وعلى عبد القاهر الجرجاني بقوله: « وليس يشفع في انحراف الفاعل عن موضعه، أو المفعول عن موضعه ما ساقه سيبويه من حديث عن العناية والاهتمام، إذ كما قال الجرجاني لم يذكر في ذلك مثلاً . كذلك لا يشفع في هذا الانحراف فلسفة عبد القاهر حين أراد توضيح معنى الاهتمام بعبارته المشهورة ( قتل الخارجي زيد ) »<sup>١١٤</sup>.

واللجوء إلى التقديم عنده في النثر ليس من الأساليب الصحيحة، ولكنه رخصة غير مقبولة، إلا لحاجة ملحة في النثر، مقبولة في الشعر: « فما قاله النحاة من جواز تقديم المفعول على فاعله حين يؤمن اللبس، لا مبرر له من أساليب صحيحة، ولا يعدو أن يكون رخصة من بها علينا النحاة، دون حاجة ملحة إليها، غير أنا قد نقبلها في الشعر، وذلك لأن للشعر أسلوبه الخاص »<sup>١١٥</sup>.

أما ما جاء في القرآن الكريم من تقديم للمفعول به على الفاعل عنده، فإنما هو رعاية للفاصلة القرآنية في قوله تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾<sup>١١٦</sup>، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾<sup>١١٧</sup>. يقول: « ولا نجد عنناً أو مشقة حين نذكر أن نظام الفواصل القرآنية، والحرص على موسيقاها هو الذي تطلب تأخير الفاعل في

<sup>١١٣</sup> المرجع السابق: ٩٣ .

<sup>١١٤</sup> من أسرار اللغة: ٢٤٤ .

<sup>١١٥</sup> المرجع السابق الصفحة نفسها .

<sup>١١٦</sup> سورة طه: ٦٧ .

<sup>١١٧</sup> سورة الحجر: ٦١ .

الآية الأولى، فارجع إلى ما اكتنفها من آيات في سورة ( طه )، وكذلك في الآية الثانية - نلاحظ أن نظام الفواصل هو الذي حتمّ تقديم المفعول على الفاعل «<sup>١١٨</sup> .

كما استهجن إبراهيم تصرف النحاة في تقديم الحال وتأخيرها، لأنه يؤدي إلى فوضى لا تقبلها أية لغة من اللغات، فكيف إذا كان ذلك في اللغة العربية التي اتسمت بالدقة والنظام ؟ إذ يقول : « لا يرى النحاة غضاضة من تقديم الحال أو تأخيرها في غير هذين الأسلوبين - أسلوب الإضافة، مثل : " أعجبني وجه هند مسفرة "، وأسلوب الحصر، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾<sup>١١٩</sup>، بل يفهم من كلامهم أن أي تركيب من تراكيب التقديم والتأخير في الحال، جائز لا غبار عليه<sup>١٢٠</sup>، ويُعقَّب بقوله : « ولعمري تلك هي الفوضى التي لا تقبلها لغة من اللغات فضلاً عن لغة منظمة دقيقة النظام كلغتنا العربية »<sup>١٢١</sup> .

فالتقديم عند إبراهيم أنيس ليس له أثر في المعنى الدلالي للتركيب، فهو ينكره ويستهجنه، أما ما ورد منه في القرآن الكريم، فإنما هو عنده لرعاية الفاصلة القرآنية ليس إلا .

كما أخذ بهذه الفكرة أحمد نصيف، فالتقديم عنده أيضاً يكون اقتضاء للسياق الموسيقي للجملة يقول: قد يقتضي هذا السياق الموسيقي أن يقدم في أجزاء الجملة ويؤخر لتناسب السياق<sup>١٢٢</sup>، وقدّم نماذج من القرآن الكريم ليبين ذلك، كتقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى : ﴿ لِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾<sup>١٢٣</sup>، وذلك ليتناسب السياق الموسيقي، فالآية التي قبلها تنتهي بالفعل ( تفعلون )، والآية التي بعدها تنتهي بالفعل ( تعملون ) .

<sup>١١٨</sup> من أسرار اللغة : ٢٤٥ .

<sup>١١٩</sup> سورة الأنعام : ٤٨ .

<sup>١٢٠</sup> من أسرار اللغة : ٣٣٤ .

<sup>١٢١</sup> المصدر السابق الصفحة نفسها.

<sup>١٢٢</sup> ينظر : السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، مجلة الآداب بالمستصرية، العدد ٤، سنة ١٩٧٩ .

<sup>١٢٣</sup> سورة النحل : ٩٢ .

فمن أخذ بهذا الرأي من قدماء ومحدثين ينكر أن يكون التقديم في القرآن لغرض يتعلق بالمعنى، وإنما هو لرعاية الفاصلة والموسيقى، كما هو الحال في الشعر، ولكن كلام الله ليس شعراً ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾<sup>١٢٤</sup>، فهذا الفهم للتقديم والتأخير يؤدي إلى إغفال المعنى المتحصّل بالتقديم، ويكفي أن نعرض بعض الآيات القرآنية لنبين خطأ مذهب أنيس ومن حدا حدوه :

يقول تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>١٢٥</sup>.

وقال : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾<sup>١٢٦</sup>

ففي الآية الأولى قدّم رزق المخاطبين على رزق الأولاد، وذلك لأن الخطاب للفقراء بدليل قوله ( من إملاق ) فكان رزقهم عندهم أهم من رزق أولادهم، فقدّم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم .

أما الآية الثانية فالخطاب فيها للأغنياء بدليل قوله ( خشية إملاق ) فإن الخشية إنما تكون مما لم يقع بعد، وتخاف من وقوعه، فكان رزق أولاده هو المطلوب دون رزقهم لأنه حاصل، فالأهم عندهم رزق أولادهم، فقدّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم<sup>١٢٧</sup> .

<sup>١٢٤</sup> سورة يس : ٦٩ .

<sup>١٢٥</sup> سورة الأنعام : ١٥١ .

<sup>١٢٦</sup> سورة الإسراء : ٣١ .

<sup>١٢٧</sup> ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/٢٨٥، الجملة العربية تأليفها وأقسامها . فاضل السامرائي : ٣٨- ٤٨ ، التعبير

القرآني : ٤٨ - ٦٥ ، البيان في روائع القرآن تمام حسان : ١ : ٧٠ وما بعدها .

ومن الآيات التي ورد فيها تقديم وتأخير قوله تعالى: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>١٢٨</sup>، إذ أخرجت صلة الشهادة في الأولى وقدمت في الثانية؛ لأن الغرض في الأولى إثبات شهادتهم على الأمم، وفي الثانية اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم<sup>١٢٩</sup>.

وكما هو واضح نرى أن التقديم في الآيات السابقة جاء لمعنى، إذ لو غيرنا موقع المُقدم لانحرف المعنى، ولما حصلنا على تلك الفائدة، ولو كان الأمر لا يعدو الموسيقى والفاصلة لما أثر ذلك في المعنى، وفقدنا العنصر الموسيقي فقط، ثم إننا إذا تدبرنا الآيات المتقدمة لا نجد للفاصلة أي نصيب في التقديم والتأخير، فالآية الأولى جاءت ضمن قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>١٣٠</sup>، وجاءت الثانية ضمن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾<sup>١٣١</sup>.

فما ذهب إليه إبراهيم أنيس وغيره يؤدي إلى ضياع المعنى من أجل المحافظة على الشكل، لذا عاب ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) على الفراء (ت ٢٠٧هـ) إهماله المعنى من أجل قوله بالفاصلة القرآنية، فالفراء في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾<sup>١٣٢</sup>، فسّر (جنتان) أنها جنة واحدة، ولكن رعاية الفاصلة اقتضت أن يكون هذا اللفظ مثني<sup>١٣٣</sup>.

<sup>١٢٨</sup> سورة البقرة: ١٤٣.

<sup>١٢٩</sup> ينظر: الكشاف للزمخشري: ٣١٨/١.

<sup>١٣٠</sup> سورة الأنعام: ١٥١.

<sup>١٣١</sup> سورة الإسراء: ٣١.

<sup>١٣٢</sup> سورة الرحمن: ٤٦.

<sup>١٣٣</sup> ينظر: معاني القرآن للفراء: ١١٨/١.

فأنكر ابن قتيبة ذلك وضاق به، لأنه يزيل المعنى من جهته، يقول : ( وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله، ونحن نعوذ بالله من أن نتعسف هذا التعسف، ونجيز على الله - جل ثناؤه- الزيادة والنقص في الكلام لرأس آية ... فأما أن يكون الله - عز وجل- وعد بجننتين فيجعلهما جنّة واحدة من أجل رؤوس الآي فمعاذ الله !! )<sup>١٣٤</sup> .

### خاتمة البحث :

وفي خاتمة هذا البحث أسجل أهم النتائج التي توصل إليها الباحث وهي كما يأتي :

- (١) يعدُّ سبويه صاحب الريادة في بيان أثر التقديم والتأخير في المعنى وهو التقديم للأهمية والعناية ومن جاء بعده من النحاة سار على منواله .
- (٢) إنّ اهتمام القدماء - قبل عبد القاهر الجرجاني - بأثر التقديم والأخير في المعنى لم يكن وافياً، فقصرُوا أثره على العناية والاهتمام بالمقدم دون أن يبينوا سبب هذا الاهتمام .
- (٣) عبد القاهر الجرجاني يعود له الفضل الأكبر في اكتشاف أسرار التقديم والتأخير، وإليه يرجع الفضل في وضع قواعده وترسيخ أركانه وبيان أسرارهِ ولطائفهِ، وتوسيع دائرة بحثهِ وتحويلهِ إلى فن بلاغي ذي شأن في الدراسة البلاغية، بعد أن كان يدرس ضمن أبواب النحو، وبذلك فتح باباً واسعاً لمن بعده للتعرف إلى دقائقهِ وبيان أسرارهِ البلاغية التي تكمن وراءهِ .
- (٤) يعتبر الزمخشري من أوائل المتأثرين بعبد القاهر الجرجاني، فكان ( الكشاف ) منبعاً ثراً تزود منه السابقون لمعرفة أسرار هذا الفن الأصيل، ولا يزال منبعاً لمن يريد التزود ببلاغة التقديم والتأخير ومعرفة أسرارهِ في القرآن الكريم .
- (٥) من المحدثين من ينكر أن يكون للتقديم والتأخير أثر في المعنى كإبراهيم أنيس وغيرهِ، وإنما يلجأ إليه لحاجة ملحة في النشر، وهو مقبول في لغة الشعر، وأما ورودهِ في القرآن فلرعاية الفاصلة والموسيقى، وهو رأي لم يسلم به البحث وحاول تفضيده مستدلاً ببعض الآيات القرآنية مبيناً أثر التقديم والتأخير في معناها .

<sup>١٣٤</sup> تفسير غريب القرآن: ٤٤٠، وينظر: البرهان في علوم القرآن: ٦٥/١ .

- (٦) إنَّ دراسة موضوع التقديم والتأخير له أهمية كبرى في فهم بعض أسرار القرآن الكريم وبيان معانيه.
- (٧) التقديم والتأخير له أهمية كبيرة في النظرية التحويلية التوليدية الحديثة باعتباره عنصراً من عناصر التحويل عند د. خليل عمارة وله أثر في المعنى الدلالي في الجملة .

## مصادر البحث ومراجعته :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) أثر النحاة في البحث البلاغي : عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر - ١٩٧٠ م .
- (٣) الأصول، دراسة استمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨ م .
- (٤) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (٤٠٣ هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣ م .
- (٥) إعراب القرآن ( المنسوب خطأ إلى الزجاج في النسخة المطبوعة )، أبو الحسن علي بن الحسين الباقولي المعروف بجامعة العلوم ( ت ٥٤٣ هـ )، تحقيق : إبراهيم الإيباري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٢ م .
- (٦) الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ( الجملة البسيطة )، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢ - ١٩٨٦ م .
- (٧) إفادة تقديم ماحقه التأخير بين الزمخشري وأبي حيان - دراسة تفسيرية مقارنة - للباحثين : منصور محمد أبو زينة، محمد رضا الحوري، بحث منشور في مجلة القصيم للعلوم الشرعية، المجلد الخامس العدد الأول .
- (٨) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري ( ت ٧٦١ هـ )، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٦ - ١٩٨٠ م .
- (٩) البحر المحيط، لأبي حيان محمد بن يوسف ( ت ٧٤٥ هـ )، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٩٢ م .
- (١٠) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ( ت ٧٩٤ هـ )، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت - ١٩٨٢ م .
- (١١) البلاغة عند السكاكي، ر : أحمد مطلوب، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٤ م .
- (١٢) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٣ م .

- ١٣) البيان في روائع القرآن، الدكتور: تمام حسان، علم الكتب، مصر، ط٢ - ٢٠٠٠ م .
- ١٤) تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية، عمر الملا حويش، مطبعة الأمة، بغداد - ١٩٧٢ م.
- ١٥) التعبير القرآني، الدكتور: فاضل السامرائي، دار عمار، عمان - الأردن، ١٩٩٨ م .
- ١٦) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن أحمد العمادي (ت ٩٨٢ هـ) المطبعة المصرية، ط ١، ١٩٢٨ م .
- ١٧) تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٦٧ هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٩٧٨ م .
- ١٨) تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧٠١ هـ)، المطبعة الأميرية - بولاق، مصر ١٩٣٦ م .
- ١٩) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: محمد خفاجي ومحمود فرج عقدة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - ١٩٦٩ م .
- ٢٠) الجملة العربية تأليفها وأقسامها، د. فاضل السامرائي، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد - ١٩٩٨ م .
- ٢١) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٦ .
- ٢٢) الجملة العربية تأليفها وأقسامها، لفاضل السامرائي، بغداد: منشورات المجمع العلمي - ١٩٩٨ م .
- ٢٣) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ - ١٩٨٩ م .
- ٢٤) الجمل في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣١٠ هـ) تحقيق علي توفيق الحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢ م .
- ٢٥) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢ هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

- (٢٦) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، فاضل السامرائي، دار التقدير للطباعة والنشر، ١٩٧٠ م .
- (٢٧) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع في العلوم العربية، لأحمد بن الأمين الشنقيطي (ت ١٣٣١هـ)، تحقيق وشرح عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٨١ م .
- (٢٨) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ أو ٤٧٤ هـ)، تحقيق : محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت - ١٩٧٨ م .
- (٢٩) دور الرتبة في الظاهرة النحوية، عزام محمد الشريدة، دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان، ط٤، ٢٠٠٤ م .
- (٣٠) ديوان البحري ( الوليد بن عبيد ٢٨٤ هـ ) - دار صادر - بيروت ١٩٨٧ م .
- (٣١) ديوان عمر بن أبي ربيعة = شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الأندلس، ط٤، ١٩٨٨ م .
- (٣٢) ديوان النابغة الذبياني ( زياد بن معاوية )، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر - ١٩٧٧ م .
- (٣٣) الرتبة النحوية في الجملة العربية المعاصرة : إبراهيم صالح الخلفات، دار الفرقان للتوزيع والنشر ط١، ٢٠٠٢ م .
- (٣٤) السياق الموسيقي للجملة العربية وأثره في بنائها، أحمد نصيف ( بحث منشور في مجلة الآداب المستنصرية، العدد ٤، سنة ١٩٧٩ .
- (٣٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني ( ت ٧٦٩ هـ )، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت : المكتبة العصرية \_ ٢٠٠٢ م .
- (٣٦) شرح التصريح على التوضيح، لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، وبهامشه حاشية يس بن زين الدين، دار إحياء الكتب العربية ( عيسى البابي الحلبي وشركاه ) القاهرة، بدون تاريخ .
- (٣٧) شرح ديوان الحماسة، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق : أحمد أمين، عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٩١ م .

- ٣٨) شروح سقط الزند، تحقيق الأستاذة مصطفى السقا، وعبد الرحيم محمود وآخرون، القاهرة، ١٩٨٧م .
- ٣٩) عبد القاهر الجرجاني والبلاغة العربية، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الهرم التجارية الكبرى، ط١، بدون تاريخ .
- ٤٠) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : شوقي ضيف، دار المعارف مصر - ط ٥ ١٩٦٥ م .
- ٤١) في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمايرة، عالم المعرفة، جدة - ١٩٨٤ م .
- ٤٢) الكافية في النحو، شرح الإسترابادي (رضي الدين محمد بن الحسن)، دار الكتب العلمية، بيروت ط٣ - بدون تاريخ .
- ٤٣) كتاب سيوييه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، تحقيق : عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ .
- ٤٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ .
- ٤٥) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .
- ٤٦) اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩ م .
- ٤٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٣٩ .
- ٤٨) المحتسب في تبين شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط ٣ - ١٩٩٩ .
- ٤٩) معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ م .
- ٥٠) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الإنجلو المصرية ، ط٥، ١٩٧٥ م .
- ٥١) النحو العربي والدرس الحديث، د عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩ م .

## الاكتئاب وأعراضه لدى عينات من نساء ساحل حزرموت في ضوء بعض المتغيرات

الدكتور/ عبدالحكيم محمد بن بريك

أستاذ مساعد

كلية التربية - المكلا - جامعة حضرموت

الدكتور/ هادون علي العطاس

أستاذ مساعد

كلية التربية - المكلا - جامعة حضرموت



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## الاكتئاب وأعراضه لدى عينات من نساء ساحل حضرموت

### في ضوء بعض المتغيرات

#### المقدمة:

قال الله عز وجل في محكم كتابه : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَكُوتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة القصص : الآية ١٠). وقد تكررت إشارات القرآن الكريم إلى مظاهر الاكتئاب في أكثر من موضع. من بينها ما ورد فيه عن معاناة نبي الله يعقوب عليه السلام عندما أصيب بالحزن لفقد ابنه يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَهِيمٌ ﴾ (سورة يوسف: الآية ٨٤).

يعد الاكتئاب سريريا أحد أهم المشكلات التي يعنى بدراستها علم النفس الطبي، ويمكن أن تعوق الفرد عن توافقه وارتقائه وعن أداء دوره الاجتماعي. يؤثر الاكتئاب على المزاج، والتفكير، والسلوك عموما، كما يؤثر على عمل أعضاء الجسم المختلفة. وهو خبرة إنسانية شائعة في المقام الأول، يمكن أن يمر بها كل فرد من بني البشر في أي مرحلة من حياته. وتختلف هذه الخبرة في شدتها من شخص لآخر. حيث تتراوح بين ضعف الهمة البسيط نسبيا والحزن والكآبة، إلى مشاعر اليأس والقنوط.

ويعد الاكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية انتشارا بعد القلق، ومن أكثر المشكلات التي يلجأ الناس بسببها للعلاج ( إبراهيم، ١٩٩٨). وبإمكانية انتشاره في المستقبل. وتصفه منظمة الصحة العالمية (WHO) بأنه وباء يجتاح البشرية جمعاء: إذ يحتل الاكتئاب المرتبة الأولى من بين أسباب التغيب عن العمل، والمركز الثاني - من بين الأمراض المرتبطة بالإعاقة. ويعد رابع مشكلة صحية عالمية في الوقت الراهن. وأنه بحلول عام ٢٠٢٠ سيكون الاكتئاب في المرتبة الأولى عالميا بين جميع الأمراض، متخطيا بذلك تلك الأمراض التي تحتل اليوم موقع الصدارة كالأمراض المعدية وأمراض القلب والأوعية الدموية. والذي بدوره سيشل دورة الحياة الاقتصادية في كل من البلدان المتقدمة والبلدان النامية. وتُقدر منظمة الصحة العالمية بأنه يوجد ما

يُقارب من نصف مليار شخص في العالم يُعانون من مرض الاكتئاب. وهو اليوم من أكثر الأمراض انتشاراً بين النساء.  
(<http://lossofsoul.com/DEPRESSION/statistic.htm>)

وتشير التقديرات والإحصاءات العلمية إلى أن النساء أكثر إصابة من الرجال بالاكتئاب. فالإكتئاب اضطراب يصيب ١٥ - ٢٥% من السيدات خلال فترة العمر كله، و٣٠% من النساء يصبن به قبل الدورة الشهرية، و١٠% من النساء أثناء الحمل، و١٠ - ٢٠% من النساء بعد الولادة، و١٠ - ١٥% منهن بعد انقطاع الدورة الشهرية.  
(Barbara et al 2008).

كما أن تأثير الاكتئاب الجسيم والديستيميا عند النساء أعلى مرتين من الرجال. وهذه النسبة - أي ١:٢ - تظل موجودة بغض النظر عن العرق أو الأصول الإثنية أو الوضع الاقتصادي للأفراد، (Weiss man MM, et al., 1996, (Rufae&Absood,1994).

إن دراسة المشكلات النفسية للمرأة غاية في الأهمية. فالمرأة كما يقال هي نصف المجتمع، وهي الأم والأخت والزوجة والابنة، وهي التي تقع على عاتقها أعظم المسؤوليات وأقدسها في الحياة: الإنجاب، الرضاعة والرعاية، وأخيراً التربية وإعداد الأجيال الناشئة للحياة. ولا شك أن مشكلاتها الصحية عموماً والنفسية منها على وجه الخصوص، تنعكس في كل الأحوال على أفراد الأسرة جميعاً بما فيها الأبناء - شباب المستقبل.

وتمر النساء في حياتهن بالعديد من المواقف والتجارب الشخصية الخاصة بها كأنثى، والتي لا يعاني منها الرجال، لتمييزها بخصائص بيولوجية ونفسية في أطوار مختلفة من دورة حياتها مثل الحيض (الدورة الشهرية) ومشكلاته، وكذا الحمل والولادة والنفاس ثم الرضاعة والأمومة ورعاية الأطفال، ثم مشكلات ما اصطُح على تسميته "سن اليأس". ناهيك عما تفرضه أعباء الحياة العامة للمرأة من مشكلات الحياة الزوجية أو العنوسة، وكذا الجروح النفسية التي تحدثها حالات الوحدة والانفصال والطلاق والهجر والترمل... الخ.

ويرى إبراهيم (Ibrahim) أن فرص الشفاء من الأمراض الجسمية واضطرابات الوظائف العضوية، تأخذ زمناً أطول إذا كانت مصحوبة بالاكتئاب، في حين تزداد فرص الشفاء والعلاج السريع حينما يكون المريض من النوع المتفائل والمبتهج. (Ibrahim ,& Ibrahim, 1996).

ومن الحقائق المرة أن مخاطر الاكتئاب تظل ماثلة وشديدة في كل مراحلها ومستوياته وأشكاله، يؤكد ولسن (Walsin) من خلال الدراسة المسحية التي أجراها على عينة اشتملت على (١١٢٤٢) من المصابين بمرض الاكتئاب أن مخاطر الاكتئاب سواء بلغ المستوى المرضي "الذهاني" أو ظل في المستوى العصبي تتساوى أو تفوق الأمراض الجسمية المعروفة، بما في ذلك أمراض القلب وأمراض الروماتزم والسكري، وكذلك أمراض الجهاز الهضمي، ويؤكد بأن هناك علاقة مؤكدة ودالة بين الاكتئاب والانتحار، إذ يبين أن نسبة المنتحرين من بين المكتئبين تزيد عن غيرها لتصل إلى ما يقارب (١٥٪)، كما تبين أن نسبة (٨٠٪)، من حالات الانتحار تكون بسبب حالات الاكتئاب (Walsin, L.R.1996). وتشير دراسات أخرى إلى أن ٣٠٪ من المكتئبين يفكرون في الانتحار، وقد يخططون له. بينما ١٠ - ١٧٪ من المكتئبين يقدمون فعلاً على الانتحار ( National Committee for Quality Assurance ) (2006). أما إحصائيات منظمة الصحة العالمية حول عدد الأشخاص الذين يقدمون على الانتحار كل عام يصل ٨٠٠ ألف شخص في العالم سنوياً (الشربيني، ٢٠٠٧).

ما يعنينا هنا هو ما ذهب إليه إبراهيم (١٩٩٨) بالاستناد إلى ( O'Leary & Wilson 1975) أنه ينبغي التفريق بين نوعين من الاكتئاب: الاكتئاب بالنسبة للغالبية العظمى من الناس والذي يعبر عن استجابة عادية تثيرها خبرة مؤلمة كالفشل في علاقة أو خيبة أمل أو فقدان شيء مهم كالعمل أو وفاة إنسان غال. وأن ما يميز هذا النوع العادي من الاكتئاب أنه يحدث لفترات قصيرة قد لا تزيد على أسبوعين، كما أنه عادة ما يكون مرتبطاً بالموقف الذي أثاره. وهو ما تحاول الدراسة الحالية بحثه لدى مختلف أنواع العينات النسوية المشمولات بالبحث. أما ما يسمى بالاكتئاب المرضي (أو الإكلينيكي) فهو عادة ما يتميز بأربع خصائص على النحو الآتي:

- (١) أنه أكثر حدة.
- (٢) يستمر لفترات طويلة.
- (٣) يعوق الفرد بدرجة جوهريّة عن أداء نشاطاته وواجباته المعتادة.
- (٤) الأسباب التي تثيره قد لا تكون واضحة أو متميزة بالشكل الذي نراه عند الغالبية العظمى من الناس. (إبراهيم، ١٩٩٨ ص١٧).

وتعد هذه الدراسة محاولة للتعرف على الأعراض والحالات الاكتئابية في مراحل ومواقف مختلفة من حياة المرأة وتحت تأثير العديد من المتغيرات المعيشية - أنفة الذكر، مما قد يسهم في وضع التدابير الوقائية والعلاجية لها.

### مشكلة الدراسة:

نستخلص من المقدمة أعلاه، أن الاكتئاب بما يشهده من انتشار على نطاق واسع بين سكان العمورة بات مشكلة عالمية تؤرق الهيئات والمؤسسات العلمية والصحية، وهو يستهدف النساء مرتين أكثر من الرجال. إلا أن الدراسات والأبحاث في مشكلة الاكتئاب وانتشار أعراضه خصوصاً بين أوساط النساء في عالمنا العربي وفي اليمن بالذات شحيحة للغاية. كما أن هناك حاجة ملحة لتحديد العديد من العوامل والمتغيرات التي من شأنها أن تلعب دوراً بارزاً في النشوء المرضي للاكتئاب.

### أسئلة الدراسة:

يمكن حصر المشكلة الأساسية لهذه الدراسة في سؤال رئيسي: ما مدى انتشار الاكتئاب لدى النساء في ساحل حضرموت وما هي أبرز أعراضه؟ ويتفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

- (١) هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكتئاب تعزى لمتغير الحالة البيولوجية للمرأة: العادية والمراهقة والحوامل والنفاس.
- (٢) هل توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب تعزى لمتغير العمر.
- (٣) هل توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب تعزى لمتغير المستوى التعليمي.

٤) هل توجد فروق دالة إحصائية في مستوى الاكتئاب تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية للمرأة: عازبات - متزوجات - أخرى (طلاق، أرامل، انفصال.... الخ).

٥) ما مدى تأثير انتشار أعراض الاكتئاب لدى العينة بالمتغيرات المذكورة في ١ - ٤.

### أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

أولاً: التعرف على مستوى الاكتئاب النفسي لدى النساء في ساحل حضرموت.

ثانياً: تحديد الأعراض المرضية الأكثر ظهوراً للاكتئاب لدى نساء ساحل حضرموت.

ثالثاً: الكشف عن مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الاكتئاب لدى النساء تبعاً

للمتغيرات أدناه:

١) المرحلة البيولوجية التي تعيشها المرأة (مراهقة، حامل، نفا، عادية في سن

الإنجاب، سن اليأس).

٢) الحالة الاجتماعية (عازبة، متزوجة، غير ذلك - مطلقة أو مترملة).

٣) المستوى التعليمي (أمية، متعلمة، جامعية).

٤) العمر (١٣ - ١٩، ٢٠ - ٤٠، ٤٠ فما فوق).

رابعاً: تحديد أعراض الاكتئاب الأكثر بروزاً لدى مختلف العينات التي شملتها

الدراسة وفقاً لمتغيراتها.

### أهمية الدراسة:

يمكننا النظر إلى أهمية هذه الدراسة من وجهتين:

الأهمية النظرية: تسليط الضوء على طبيعة الاكتئاب وأعراضه عند الإنسان

وبخاصة لدى الجنس اللطيف، والعوامل التي لها دور في نشوئه وتناميه لدى النساء،

حيث تجري محاولة تقديم فهم نظري لطبيعة العلاقة بين المرأة والاكتئاب، وتأثير

العديد من المتغيرات التي ركزت عليها الدراسة كالعمر والمرحلة البيولوجية والمستوى

التعليمي وحالتها الاجتماعية. وعلى حد علم الباحثين تعد هذه الدراسة الأولى من

نوعها التي تتصدى لظاهرة الاكتئاب لدى النساء في ساحل حضرموت.

الأهمية التطبيقية إكلينيكية: وتتمثل في الاستفادة من نتائج هذه الدراسة عند التخطيط لبرامج الوقاية النفسية للنساء الأكثر عرضة للاكتئاب وكذا عند وضع التدابير العلاجية للحالات المرضية.

كل ذلك لا شك أنه يساهم في الكشف المبكر عن حالات الاكتئاب لدى المرأة قبل تعقد أحوالهن النفسية فتتحول بمرور الزمن إلى حالة مرضية يكون من الصعب التعامل معها والتي قد تؤدي في الكثير من الأحيان إلى الانتحار.

### حدود الدراسة :

الحدود الموضوعية: الاكتئاب وأعراضه عند النساء في ضوء متغيرات الحالة البيولوجية والعمر الزمني والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية لهن.  
الحدود البشرية: عينات من نساء ساحل حضرموت ابتداء من سن المراهقة حتى نهاية الكهولة ٥٩ سنة.

الحدود الزمانية : العام الدراسي الجامعي ٢٠١٠ - ٢٠١١م

الحدود المكانية : مدن حضرموت الساحل وبعض أريافها.

### تحديد المصطلحات :

#### مفهوم الاكتئاب:

الاكتئاب Depression لفظة مشتقة من اللاتينية Deprimo- وتعني «كبت» أو "قمع". والاكتئاب في اللغة مأخوذ من كئب كآبة أي تغيرت نفسه وانكسرت من شدة الهم والحزن، فهو كئب وكئيب، وأكأب فلان أحزنه، واكتأب وجه الأرض تغير وضرب إلى السواد، والكآبة الحزن الشديد، كما أن لكلمة اكتئاب مرادفات كثيرة منها الانقباض والمالنخوليا، والانقباض مأخوذ من انقبض يعني تجمع، وانطوى الرجل على نفسه ضاق بالحياة فاعتزل وانقبض عن القوم هجرهم.  
(الليحاني، ١٦٦٩م: ٤١).

أما اصطلاحيا فقد حدد علماء النفس والطب النفسي ثلاثة ملامح رئيسية للاكتئاب أو ما يسمى (ثالث الاكتئاب):

- ١) ضعف النشاط الحركي "تعذر الحركة" - akinesia
  - ٢) اللامبالاة التامة تجاه كل شيء - "فقد الإرادة" - abulia
  - ٣) تدني الحالة المزاجية "التبلد العاطفي" - .apathy
- <http://lossofsoul.com/DEPRESSION/introduction.htm>

وهو بذلك اضطراب له جوانب انفعالية ومعرفية وبدنية، ويمكن أن يتمثل الاضطراب الانفعالي في الاكتئاب في عدم القدرة على الحب، وكراهية الذات والتي قد تصل إلى التفكير في الانتحار أو الإقدام الفعلي عليه. أما الاضطراب المعرفي فيتمثل في انخفاض تقدير الذات، وتشويه المدركات، واضطراب الذاكرة، وتوقع الفشل وخيبة الأمل في الحياة، وعدم القدرة على التركيز الذهني، هذا فضلاً عن الاضطراب البدني الذي يتمثل في اضطراب الشهية للطعام، واضطراب النوم، والعجز الجنسي، واضطراب الجهاز العصبي المستقل، والصداع، والإنهاك، وكثرة البكاء وتناقص الطاقة (عسكر، ١٩٨١، عكاشة، ١٩٩٢، Beck 1976).

وينظر إلى الاكتئاب من الناحية النفسية Depression بأنه شعور بالحزن والكآبة والفشل، وغالباً ما يكون مصحوباً بقلّة النشاط، وقد يتطور الأمر بالمكتئب إلى حد إيذاء النفس Self - injurious والانتحار Suicide ( شيفر وملمان، ١٩٩٩: ١١٩ ). وتسيطر على المكتئب تلقائياً أفكار وخواطر ومعتقدات ووجهات نظر سلبية عن نفسه وعن الناس وعن العالم أجمع، وتعمل هذه الأفكار كقوة داخلية تحرف تفسيره لجوانب الخبرة في الاتجاه السلبي، بحيث تصل إلى استنتاجات خاطئة قائمة على مقدمات منحرفة، الأمر الذي يؤيد تقديره السلبي لذاته (عوض، ٢٠٠١: ٨٣) .

ومن الأمثلة على تلك الاستنتاجات الخاطئة :

- التقييم السلبي الشديد : " كل أفعالي وتصرفاتي خاطئة " .
- قراءة أفكار الآخرين سلبياً : " إنهم يظنون بأنني أقل منهم " .
- المقارنة : " إنهم أكثر قدرة مني " .
- تجريد إيجابيات الشخصية : " إنني لا أستحق هذه الدرجات العالية " .
- التفكير القائم على الاستنتاجات الانفعالية : " التراجع عن الرأي ضعف " .

- تحميل الذات مسئوليات فشله وفشل مجموعته: "بسببي وبسبب فشلي". (عوض  
٢٠٠١: ٨٥)

وفي الدليل التشخيصي والإحصائي الثالث للاضطرابات العقلية The Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders ( DSM - III, American Psychiatric Association, 1980 ) تم وضع الاكتئاب في عائلة من الاضطرابات العقلية تعرف باسم الاضطرابات الوجدانية affective disorders وتنقسم هذه المجموعة من الاضطرابات إلى نوعين من الاضطرابات: اضطراب ثنائي bipolar disorder والذي يتصف بتناوب حالات من الهوس والاكتئاب، والاضطراب الثاني اضطراب أحادي unipolar disorder، وفيه لا تظهر إلا نوبات من الاكتئاب فقط .

وفي الدليل التشخيصي الإحصائي الرابع للاضطرابات العقلية الذي تصدره جمعية الطب النفسي الأمريكية DSM-4 تم تطوير معايير التشخيص الفارقي بين الأنواع المختلفة للاكتئاب، إلى نحو عشرة تصنيفات للاكتئاب، تأتي ضمن أربع مجموعات هي:

١) الاضطراب الانفعالي الثنائي القطب ( الهوس والاكتئاب) Bipolar disorder

ويتميز بنوبات من الأعراض الاكتئابية أو الهوس أو كليهما معا.

٢) الأعراض الاكتئابية التراجيدية العارضة ومنها:

- التراجيدية البسيطة، وتشمل:

أ- اكتئاب مصحوب بأعراض جسمية.

ب- اكتئاب مع انعدام الأعراض الجسمية.

- التراجيدية المتوسطة، وتشمل :

أ- اكتئاب مع أعراض جسمية.

ب- اكتئاب دون أعراض جسمية.

- التراجيدية الشديدة، وتشمل:

أ- اكتئاب بوجود أعراض ذهانية.

ب- اكتئاب بدون أعراض ذهانية.

٣) أعراض الاكتئاب المتكررة: وتشمل أحد أشكال الاكتئاب البسيطة والمتوسطة أو الشديدة، وتحمل خاصية الانتكاس أو الارتداد.

٤) الاضطراب الانفعالي المستمر persistent ويشمل:

أ- الاكتئاب المستمر لفترات متقطعة Cyclothymia .

ب- الاكتئاب المتأصل (Dysthymias (Gilbert, 2000).

عادة ما يبدأ الاكتئاب بأعراض بسيطة متدرجة في الشدة، تستمر في التفاقم إذا لم تعالج منذ البداية. وتتميز هذه الأعراض بعلامة فارقة، هي أنها متغيرة طوال النهار. إذ تزيد في فترة الصباح ثم تتحسن تدريجياً أثناء النهار حتى تقل حدة في المساء وعندما يصحو المريض من النوم فإنه يكون في حالة شديدة من الضيق والاكتئاب ويبدأ التحسن في وسط النهار. وتكون شكوى المريض في البداية عدم القدرة على التمتع بمباهج الحياة وانكسار في النفس وهبوط في الروح المعنوية ويشعر بعدم قيمة الحياة ثم يشعر باليأس والحزن والبكاء ثم تزيد وطأة الاكتئاب ويشعر بفقدان الأمل ويصيبه الارتباك الشديد وتراوده بعض الأفكار الانتحارية. (الغامدي، ١٩٩٦: ١٦).

وهكذا نرى أن مصطلح الاكتئاب يغطي مدى واسع من الظواهر يمتد من الحزن العادي عبر الأسى والأعراض الاكتئابية إلى الأشكال العنيفة شديدة الوطء من السوء، والاكتئاب إما أن يكون عرضي أو يكون حالة إكلينيكية أو سلوك غير تكيفي أو استجابة غير سوية وإما أن يكون انفعالا سويا وحالة مزاجية سوية. (الشهري، ١٩٩٦: ١٥).

#### تعريف الاكتئاب:

هناك العديد من التعريفات التي تصدت لبيان مفهوم الاكتئاب (Depression)، فمثلاً تعرفه الجمعية الأمريكية للطب النفسي، بأنه حالة تحتوي على عدد معين من الأعراض على الأقل من قائمة الأعراض الآتية أدناه بحيث تمتد هذه الأعراض لفترة زمنية معينة وهي كالتالي:

- المزاج المكتئب (Depressed Mood)، ويكون معظم زمن اليوم تقريباً.
- فقدان المرح (Look of Pleasure)، ويكون ظاهر في الأنشطة اليومية.

- التغيير في الجانب الحركي (Change of Mobility)، فيصبح بطيئاً مع ظهور الإيحاءات العصبية (Nervous Gestures).
- الشعور بعدم الأهمية والقيمة (Worthless)، ولوم الذات (Self- reproach)، والشعور المضطرب بالآثم (Guilt).
- الأفكار الانتحارية (Suicidal Thoughts) (أورد في: المحمداوي ٢٠٠٨).

وحسب تعريف المعهد الأميركي للصحة العقلية فإن الاكتئاب عبارة عن: خلل في سائر الجسم يشمل الجسم والأفكار والمزاج ويؤثر على نظرة الإنسان لنفسه ولما حوله من أشخاص وما يحدث من أحداث بحيث يفقد المريض اتزانه الجسدي والنفسي والعاطفي".

<http://www.sulayyil.com/vb/showthread.php?p=6613>

أما موسوعة علم النفس فتري أن الاكتئاب هو حالة من الاضطراب النفسي التي تبدو أكثر ما تكون وضوحاً في الجانب الانفعالي لشخصية المريض إذ تتميز بالحزن الشديد واليأس من الحياة ووخز الضمير وتبكيته القاسي على شرو لم ترتكبها الشخصية في الغالب، بل تكون متوهمة إلى حد بعيد. (طه وآخرون، ١٩٩٣ : ١١٠).

وعرفه معجم علم النفس بأنه حالة انفعالية من الحزن المستمر التي تتراوح ما بين حالات الخور المعتدلة نسبياً والوجوم إلى أقصى مشاعر اليأس والقنوط وغالبا ما تكون تلك المشاعر مصحوبة: بفقدان المبادأة وفتور الهمة وفقدان الشهية، وصعوبة التركيز، وصعوبة اتخاذ القرار (جابر، ١٩٩٠). فيما عرفه (عبد الخالق، ١٩٩٩) أنه حالة انفعالية عابرة أو دائمة تتصف بمشاعر الانقباض، والحزن، والضيق، وتشيع فيها مشاعر كالتهم، والغم، والشؤم، والقنوط، والحزن، واليأس، والعجز وتترافق هذه الحالة مع أعراض تمس الجوانب الانفعالية والمعرفية، والسلوكية، والجسمية، تتمثل في نقص الدافعية وعدم القدرة على الاستمتاع وفقدان الوزن وضعف التركيز ونقص الكفاءة والأفكار الانتحارية.

وقد عرفه (عبد الفتاح، ٢٠٠٠) بالخبرة الوجدانية الذاتية التي تبدو في أعراض الحزن والتشاؤم، والشعور بالفشل والرغبة في إيذاء الذات، والتردد، والإرهاق، وفقدان الشهية، والانسحاب الاجتماعي، ومشاعر الذنب، وكراهية الذات، وعدم القدرة على بذل أي جهد. فيما يعتبر زهران (١٩٩١) أن الاكتئاب ناتج عن ظروف أليمة، تسبب حالة من الحزن الشديد، وقد لا يتمكن المكتئب من معرفة السبب الأساسي لحالته أو الأعراض التي يعاني منها (زهران، ١٩٩١).

أما نظرية التحليل النفسي فقد ربطت الاكتئاب بالصراع الداخلي وأرجعته إلى الصراع بين "الأنا الأعلى" و"الأنا" والذي قد يرتفع إلى الدرجة التي تؤدي إلى إقدام المكتئب على الانتحار (فرويد، ١٩٨٩).

وهكذا يتضح أن لمصطلح الاكتئاب تعريفات عديدة وسوف نستخدم في هذا البحث تعريف بيك (Beck, 1967, p.6) للاكتئاب واطع المقياس الأصلي المستخدم في البحث BDI وذلك لأنه لا يختلف عن تعريف ال (DSM - III) والذي جاء بعده بحوالي عشر سنوات، ويعرف بيك الاكتئاب "بأنه حالة تتضمن تغيراً محدداً في المزاج، مثل الشعور بالحزن والوحدة واللامبالاة، مفهوم سالب عن الذات مصاحب بتبويبخ للذات وتحقيرها ولومها، مع رغبات في عقاب الذات مع الرغبة في الهروب والاختفاء والموت، وكذا تغيرات في النشاط كما تبدو في صعوبة النوم وفقدان الشهية للطعام وتغيرات في مستوى النشاط وخصوصاً النقص فيه". كذلك سوف يقتصر البحث على دراسة الاكتئاب بوصفه مجموعة من الأعراض لدى العاديين، كونه أكثر فئات الاكتئاب الأخرى أو فئات الاضطرابات الوجدانية انتشاراً على وجه العموم. وقد أشارت العديد من الدراسات، أن الاكتئاب الذي يتم إقراره من أفراد عاديين يُعتبر على متصل continuum مع الاكتئاب الذي يُعاني منه المرضى النفسيين (Costelo, 1982, P.343) كما أكدت بعض الدراسات أن العوامل التي تؤثر على الإفصاح عن الأعراض الاكتئابية الإكلينيكية يوجد أصلها أو أساسها في الاتجاهات الاستجابية لدى الأفراد غير المكتئبين (Byrne, 1980, In Byrne, 1981, P.90).

## التعريف الإجرائي للاكتئاب:

ولغرض هذا البحث سيعتمد التعريف الإجرائي الآتي: "هو درجة المفحوص التي تشير إلى مستوى الحالة المزاجية التي يغلب عليها الحزن والانقباض وأعراض أخرى على مقياس بيك للاكتئاب" وتعرف الأعراض الاكتئابية إجرائياً بأنها "بعض أو أغلب الأعراض الواحدة والعشرون المتضمنة في مقياس الاكتئاب".

## الإطار النظري والدراسات السابقة:

### المبحث الأول: الأعراض والعوامل النشوتية للاكتئاب لدى النساء:

#### أولاً: الأعراض الرئيسية للاكتئاب:

جاء في تقرير منظمة الصحة العالمية عن الصحة في العالم، "الصحة النفسية: فهم جديد، أمل جديد" (٢٠٠١) أن الاكتئاب يتميز بأنه حالة من الحزن، وفقدان الاهتمام في أي نشاط وانخفاض الحيوية (ДокладВОЗ 2001) إلى جانب أعراض أخرى تشمل فقدان الثقة بالنفس، وانخفاض تقدير الذات، والشعور بالذنب دون مبرر، والأفكار عن الموت أو الانتحار، وانخفاض القدرة على التركيز والنوم والشهية، والتي قد تحتوي على عدد من الأعراض الجسدية.

ويرى القاسم وعبيد والزعبي أن المكتتب تظهر عليه عدد من الأعراض، ومنها :

- ١) نادراً ما يظهر المكتتب الفرح أو السرور، ونادراً ما يضحك .
- ٢) تظهر لديه أنماط من اضطرابات النوم .
- ٣) قد تظهر على بعضهم شكاوى جسمية مثل الصداع والألم .
- ٤) يصعب إثارة اهتمامهم بأي شيء .
- ٥) يشعرون بالنبذ، وغالباً ما يفضلون النشاطات الذاتية القائمة على العزلة .
- ٦) يقللون من قيمة أنفسهم وينظرون لأنفسهم وللعالم بمنظار أسود .
- ٧) يبدوون للآخرين بأنهم جديون جداً ووقورون أكبر من عمرهم. (القاسم وعبيد والزعبي، ٢٠٠٠: ١٥٨).

وتبعاً لـ (DSM - III) فإن الأعراض الشائعة للاكتئاب تتضمن فقدان الدافعية، الحزن، فقدان القدرة على التمتع، انخفاض في تقدير الذات وتحقيرها وشكاوى عضوية وصعوبات في التركيز، صعوبات في النوم، ونقصان في الوزن (Spitzer; Skodol; Gibbon. & Williams 1981, p. 29)

أما الاكتئاب الجسيم فيمكن تشخيصه بناءً على الأعراض الواردة في الدليل التشخيصي الإحصائي الرابع DSM-4، والتي تتلخص فيما يلي:

أ. وجود خمسة أو أكثر من الأعراض التالية خلال أسبوعين، بحيث يعتبر وجود هذه الأعراض تغيراً عن الوضع الطبيعي. وينبغي أن يكون أحد الأعراض الخمسة على الأقل: (١) مزاج مكتئب، (٢) فقدان المتعة أو الرغبة.

(١) مزاج مكتئب في أغلب الوقت، وفي كل الأيام تقريباً. وذلك حسبما يدل ذلك المريض مباشرة، أو يلاحظه أقاربه.

(٢) نقص واضح في الرغبة أو المتعة في كل الأشياء التي كانت تثير الرغبة أو المتعة، وذلك في أغلب الوقت، وفي كل الأيام تقريباً. وهذه الأعراض قد يفيد بها المريض أو أقاربه.

(٣) ضعف في الشهية للطعام أو انخفاض واضح في الوزن لا يمكن تفسيره بحمية غذائية، أو زيادة في الشهية للطعام أو زيادة ملحوظة في الوزن.

(٤) أرق أو ميل للنوم في كل الأيام تقريباً.

(٥) شعور بالتوتر وعدم القدرة على الاسترخاء أو شعور بالبطء والتثاقل الجسمي في كل الأيام تقريباً، حسب إفادة المريض بنفسه أو ملاحظة الآخرين من حوله.

(٦) الخمول وفقدان الطاقة في كل الأيام تقريباً.

(٧) الإحساس بعدم القيمة أو الشعور المبالغ فيه بالذنب (وقد تصل إلى درجات ضلالية أو هذائية)، في كل الأيام تقريباً.

(٨) عدم القدرة على التفكير أو التركيز أو اتخاذ القرار في كل الأيام تقريباً، حسب إفادة المريض بنفسه أو ملاحظة الآخرين من حوله.

(٩) أفكار متكررة في الموت (ليس فقط الخوف من الموت)، أفكار انتحارية متكررة بدون خطة محددة أو محاولة انتحار أو خطة محددة لارتكاب الانتحار فعلاً.

١٠) خلل في القدرة على أداء الوظائف الاجتماعية أو المهنية أو غيرها من الوظائف الأخرى. (المرجع السريع DSM-4، 2004)

إن الأعراض المرضية سواء في الاكتئاب العصابي أو الذهاني واحدة. وتتراوح بين الدرجة المعتدلة والدرجة القاتلة (عفيضي، ١٩٨٩). وبالتالي فان الفارق بين حالات الاكتئاب هو فارق في الدرجة وليس في النوع.

### ثانياً: المرأة والاكتئاب:

من الشواهد العديدة التي تقابل الباحث في التراث النفسي، أن المرأة أكثر استهدافاً من الرجل للعديد من الاضطرابات العقلية عموماً وللإكتئاب على وجه الخصوص ( Flor - Henry, 1979, P. 155., webb & Allen, 1979, p. 93 )

وتفيد الدراسات المتعلقة بهذا الشأن بأن هناك فروق دالة لمشاعر الإكتئاب بين الجنسين ولصالح الإناث، فالمرأة أكثر معاناة من الرجل بالنسبة للأعراض الإكتئابية، وهذا ما دلت عليه دراسة كلبرتسون (Culbertson, 1997)، من أن النساء قد تفوقن على الذكور خلال السنوات الثلاثين الأخيرة من حيث نسبة المعاناة والإصابة بالإكتئاب بما يعادل الضعف. (Culbertson, F. M.1997 : ٢٥).

وفي هذا الصدد يؤكد عبد الفتاح أن الإكتئاب من أكثر الاضطرابات النفسية شيوعاً بين البالغين حيث تصل نسبة الإصابة به في وقت ما من حياة البالغين (٢٠٪) لدى الإناث و(١٠٪) لدى الذكور (عبد الفتاح ١٩٩٧). وقد ظهرت العديد من التفسيرات لهذا أحدهما أنها زيادة زائفة وليست حقيقية (النساء أكثر تعبيراً عن انفعالاتهن من الرجال، ولذا فإنهن يظهرن الحزن والتعاسة أكثر من الرجال) والثانية أنها أسباب مجتمعية (تركز على تخلف المكانة الاجتماعية للمرأة وعلى الأدوار الاجتماعية والجنسية وما تتركه من آثار في حياة كل من الجنسين. فالسبب هو ما تتعرض له المرأة من ضغوط خاصة بها والشعور بالعجز أو القهر في بعض المجتمعات). وأخرى أنها أسباب بيولوجية ( ما تتعرض له من تغيرات هرمونية مع الدورة الشهرية أو مثل الحمل والولادة)، وأخيراً تفسيرات تقوم على معطيات التحليل النفسي فيما يتعلق بالنمو النفسي للمرأة، وكيف أن هذا النمو يؤهلها بدرجة أكبر للإصابة بهذا

الاضطراب (المدني وعلي إسماعيل ٢٠١٠). يري فرويد أن سبب هذه الفروق هو صراعات المرأة النفسية الداخلية، وأن شخصية المرأة البالغة سواء كانت سوية أو عصابية تتصف بالنرجسية والمزوخية وانخفاض تقدير الذات والاعتمادية وعدوانية مكبوتة، وذلك كنتيجة لحل الفتاة الصغيرة للصراع الأوديبي ( Weissman, Klerman, 1979). هذا ولا يزال الجدل قائم في علاقة الاكتئاب بالإناث حتى الآن.

ينتظر من المرأة أن تكون سلبية تتحمل الألام من أجل أبنائها وزوجها وغيرية وغير أنانية ومساندة ومعاضدة وذلك تماشياً مع دورها الأنثوي، وفي نفس الوقت، فهي مطالبة بأن تؤكد ذاتها وأن تكون متمكنة لو أرادت أن تنجز عملها، وهذه الازدواجية في التوقعات أمر في غاية الصعوبة، وذلك لأن المرأة ربما تضطر إلى إهمال أحد الدورين في سبيل تحقيق الدور الثاني. إن الانحراف عن الدور الاجتماعي الجنسي الطبيعي للمرأة ربما يؤدي إلى رفض اجتماعي لها (غريب، ١٩٨٨: ١٤٨).

وقد وجدت أنشيسيل وزملاؤها ( Aneshensel, Frerichs. & Clark, 1981, p. 384 ) أنه من بين الأفراد المتزوجين العاملين ظهر أن النساء قد أعلن أعراضاً اكتئابية أكثر من الرجال ، وهذا يؤكد أن وجود أدوار مزدوجة dual roles يمكن أن يشكل عاملاً خطراً للإصابة بالاكتئاب بالنسبة للمرأة .

وجد العطاس (AL-Attass 2006) أن مستوى الاكتئاب عند النساء العاملات أكثر منه عند العاملين، وارتبط هذا الاكتئاب بعوامل العمل غير الفيزيائية والشعور بعدم العدالة.

إلا أن رادلوف (Radloff, 1975, Cited In Nolen-Hoeksema, 1987) قد وجد أن كلا من الزوجات العاملات وغير العاملات قد أظهرن اكتئاباً أكثر من الرجال العاملين، كما وجد أن الزوجات غير العاملات كن أكثر اكتئاباً من الزوجات العاملات. وقد توصل كل من روزنفلد وانسيل إلى نتائج متشابهة (Rosenfield, 1982, P. 37., Ensel, 1982, Cited In Nolen-Hoeksema, 1987).

في بداية المرض تشكو النساء من بعض الأعراض الجسدية (والتعب، والألم). ومع مزيد من البحث يمكن اكتشاف المزاج المكتئب و فقدان الاهتمام، والتهيج بدون سبب واضح أحيانا. الملامح الرئيسية للتشخيص هي تدني الحالة المزاجية أو الحزن، وفقدان الاهتمام ومشاعر المتعة (انعدام التلذذ). وفي كثير من الأحيان يصاحب ذلك أعراض أخرى مثل اضطرابات النوم، وعدم الشعور بالراحة بعد النوم، والشعور بالذنب أو عدم الثقة بالنفس، التوتر، أو القلق، والتعب أو قلة اليقظة، وصعوبة التركيز، والاستثارة أو بطء في الحركة والكلام واضطرابات الأكل، وأفكار أو أفعال انتحارية وانخفاض الدافع الجنسي.

ولا تتوفر معلومات دقيقة حول انتشار الاضطرابات الاكتئابية في المجتمع العربي يمكن الاعتماد عليها بسبب غياب السياسة المتسقة فيما يتعلق ببحوث الصحة النفسية (إبراهيم ١٩٩٨، ص ٣٦). ولكن توجد معلومات متفرقة لانتشار أعراض الاضطرابات النفسية بنسب مختلفة، وانتشارها بين النساء أكثر من الرجال (إبراهيم ١٩٩٨، ص ٣٨؛ رضوان ٢٠٠١، ص ٢٧؛ رضوان ٢٠٠٠، ص ١٣٤ - ١٣٥).

### ثالثا: عوامل نشوء الاكتئاب لدى النساء:

تلعب مجموعة متنوعة من الميزات الفريدة من نوعها لدى النساء، دورا في نشوء وتنامي الاكتئاب. ويولي الباحثون (Quitkin, F. M., Endicott, J. & Wittchen, U. H.). اهتماما خاصا لفهمها والكشف عن تأثيراتها، بما في ذلك العوامل التالية: العوامل البيولوجية الإنجابية والهرمونية والوراثية وغيرها، وكذا الاعتداء والتحرش، والعلاقات الشخصية، وبعض السمات النفسية والشخصية. ومع ذلك فإن الأسباب الخاصة لإصابة النساء بالاكتئاب لا تزال غير محددة أو ثابتة، فقد انتفى ظهور الاكتئاب لدى العديد من النساء اللائي كن عرضة للعوامل المذكورة أعلاه. وقد برزت في الآونة الأخيرة مجموعة كبيرة ومهمة من الاتجاهات التي تحاول تفسير الاضطرابات الاكتئابية، منها نماذج التفسير القائمة على العوامل البيولوجية والبيوكيماوية (كالوراثة وهرمونات محيط الكظر وهرمونات الغدة الدرقية والإيقاع الحيوي والتبدل في المستقبلات العصبية وفرضيات السيروتونين.. الخ) والنماذج النفسية التي تقوم على العوامل النفسية (كالشخصية والعوامل الاجتماعية وأحداث

الحياة الحرجة وظروف الحياة المقيتة وفقدان الدعم وخبرات اليأس ... الخ (أورد في رضوان-د ت). غير أن أيًا من هذه النماذج لا يستطيع الادعاء وحده أنه قادر على تفسير عوامل نشوء الاكتئاب وتطوره.

وانطلاقاً من ذلك يرى الباحثون Quitkin, F. M., Endicott, J. & Wittchen, H.-U. أن نموذج المنشأ المتعدد الأسباب multi-causal Geneses للمتلازمات (Syndromes) الاكتئابية قادر على أن يقدم فهماً أفضل للاكتئاب ويعطي نتائج علاجية فاعلة، ذلك أنه حتى الآن لم يتم التمكن من إثبات صلاحية النماذج التي تفسر الاكتئاب على أساس المنشأ النوعي specific الوحيد وإثبات فاعلية العلاج القائم على أساس هذا الفهم. ويتضح من ذلك أنه، وبغض النظر عن العوامل التي تؤدي إلى الاكتئاب ، فإن هذا المرض قابل للشفاء تماماً (أورد في رضوان د ت).

بناء على ما سبق يمكننا التأكيد على ان هناك أربع مجموعات رئيسية من العوامل المسؤولة عن نشوء الاكتئاب لدى النساء، وهي على النحو الآتي:

- ١) وجود أثر لاضطرابات المزاج في التاريخ العائلي للمرأة .
- ٢) أسباب جسدية (تغيرات في الجسم خلال البلوغ وفترة الحمل وبعد الولادة، .... الخ).
- ٣) العوامل الاجتماعية (البيئة العائلية والاجتماعية خصوصاً) .
- ٤) العوامل النفسية (سمات شخصية المرأة، وتصورها عن نفسها كامرأة، أو كحامل أو أم، .. الخ).

رابعا: دور الهرمونات الجنسية في الاكتئاب:

لا تقتصر الأمراض الوجدانية التي تكون النساء أكثر عرضة لها إلى حد كبير، على اضطراب الاكتئاب الجسيم (MDD) ، بل يتضمن أيضا "الاكتئاب اللانمطي" (تزايد الحاجة إلى النوم ، والاسْتِيَاء، وزيادة الشهية، وانخفاض الطاقة، والغضب)، وقلق الاكتئاب، والاضطرابات العاطفية الموسمية، والاضطراب الوجداني ذو التبدل السريع للمراحل (وبشكل عام ليس الهوس الاكتئابي) ( Hamilton JA, Halbreich U., ) (1993; 44: 355-364).

كما أن بعض النساء أكثر عرضة لاضطرابات اكتئابية في فترات معينة من دورة التكاثر، (بعد الولادة - اكتئاب ما بعد الولادة، في مرحلة ما قبل انقطاع الطمث، سن اليأس، وفي حالات استخدام وسائل منع الحمل عن طريق الفم والأدوية الهرمونية الأخرى أثناء علاج العقم،... الخ. (Halbreich U, 1996).

يفترض كل من براون Brown GW وهاريز Harris TO وهالبريش Halbreich U أن زيادة قابلية المرأة للاكتئاب يحدده عمل مزيج من الهرمونات الجينية (الهرمونات الجنسية و تقلبات تركزها)، والعوامل النفسية والاجتماعية (Brown GW, 1997, ed., Harris TO, 1978 Halbreich U, ed., 1997).

وتحدث متلازمة ما قبل الحيض الشديدة (PMS) لدى النساء بشكل لافت نسبيا. إذ تعاني من ٣٪ إلى ٨٪ من النساء في سن الإنجاب من اضطرابات ما قبل الدورة الشهرية المزعجة، والتي تؤدي إلى سوء التكيف وتتطلب التدخل الطبي (AnderschB, WendestamC, Hahn L, Ohman R, 1986; 5:39-49). ويجب تمييز متلازمة ما قبل الحيض أو ما قبل الطمث عن الاكتئاب المزمن والقلق (American Psychiatric Association, 1994:714-718).

لذلك يتطلب تشخيص متلازمة ما قبل الحيض رصد ما لا يقل عن دورتين من الحيض لتأكيد ارتباط الأعراض بها، فالأعراض تتناقص في أقرب وقت بعد بدء الحيض، وتغيب تماما خلال مرحلة منتصف الدورة الطمثية. ولا تزال البيولوجيا المرضية لهذه الأعراض مجهولة، على الرغم من وجود الاستعداد الوراثي الواضح لها، والذي يتعزز تحت تأثير العوامل البيئية طوال حياة المرأة ويرتبط بشكل أعراض الدورة الشهرية ببعض التفاعلات في النظم العصبية الناقلة وغيرها من النظم المؤثرة على المزاج والسلوك في الجهاز العصبي المركزي (CNS). ويبدو ان العوامل المثيرة للاكتئاب لدى أولئك النسوة هي التفاعل بين الهرمونات الجنسية، فضلا عن التقلبات في تركيزاتها (Halbreich U, 1995; 9: 163-175).

تأسيسا على ذلك يمكن أن تكون لمتلازمة ما قبل الحيض (واكتئاب ما بعد الولادة) قيمة تطبيقية وإرشادية إضافية، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ارتباطهما الكبير

مع الاكتئاب الجسيم MDD وغيره من حالات الاضطراب الوجداني ( Halbreich )  
(U, Endicott J. 1985; 71: 331).

خلاصة القول أن الهرمونات الجنسية الأنثوية تلعب دورا هاما في حياة المرأة بشكل عام وفي تنظيم المزاج والسلوك لديها. ولهرمون الإستروجين تأثير إيجابي على مزاج المرأة أكثر من غيره من الهرمونات الأخرى، ولكنه يلعب دورا في تزايد خطر نشوء الاضطرابات الوجدانية في أوقات التغيرات الهرمونية (بعد الولادة، مرحلة ما قبل الدورة الطمثية، وقبل انقطاع الطمث). ومن ثم يؤثر كل من معدلات أو غياب الهرمونات الجنسية على الحساسية لمضادات الاكتئاب لدى النساء المصابات بالاكتئاب الجسيم. ويجب أخذ جميع هذه العوامل بعين الاعتبار عند الممارسة السريرية.

#### خامسا: الاكتئاب والضغط الحياتية لدى المرأة :

من المعتاد أن يساهم الضغط النفسي في نشوء الاكتئاب، حتى عندما لا يكون الناس عرضة للمرض من الناحية البيولوجية. ويعتقد أن لدى النساء مستويات عالية من الاكتئاب ليس لأنهن أكثر عرضة للخطر، بل لأنهن يتعرضن لعدد من المواقف العصيبة. إن هذه الأحداث المجهدة للمرأة متعددة: فقد تكون مسؤولياتها الرئيسية في المنزل أو في العمل، أو تحمل تربية طفل في غياب الأب لأي سبب كان أو رعاية الأبناء، أو كبار السن من الوالدين. وقد لوحظت مستويات عالية من الاكتئاب لدى كل من الرجال والنساء المطلقات على السواء أو ممن يعيشون بشكل منفصل عن زوجهم، وأدنى من ذلك - لدى المتزوجين، رغم أنه في هذه الحالة الأخيرة، فإن مستوى الاكتئاب هو أعلى بين النساء. ربما يساهم "نوعية الزواج" إسهاما كبيرا، بطريقة أو بأخرى، في ظهور الاكتئاب. و كما بات معلوما في الوقت الحاضر، ترتبط العلاقة التي تفتقر إلى الحميمية والثقة، فضلا عن الخلافات المتكررة بين الزوج والزوجة، ارتباطا إيجابيا بالاكتئاب لدى النساء. وهذا، ما يفسر وجود مستويات عالية من الاكتئاب لدى النساء غير السعيدات في زواجهن.

يذكر فومبون وآخرون ثلاثة أنواع من الضغوط :

- أحداث الحياة: التغييرات التي تحدث في حياة الآباء وتؤدي إلى خلل في السلوك المعتاد للطفل وتهدد وجوده مثل الفقر، فقدان الأربة.
- الضغوط المزمنا: وهي الظروف طويلة المدى التي تتحدى الشخص مثل صراعات العمل، التهديد المستمر للأمن.
- المنغصات اليومية Daily hassles هي ضغوط تحدث عادة في الحياة العصرية مثل العلاقات السيئة مع الجيران، الخلافات الزوجية. (Fombonne et al 1999).  
المبحث الثاني: الاكتئاب وبعض المتغيرات الحياتية للمرأة:

#### أولاً: الحالة الاجتماعية والاكتئاب:

تؤكد العديد من الدراسات ان الاضطرابات الوجدانية أعلى بين المطلقين والمنفصلين وأقل بين العزاب والمتزوجين، وقد يختلف هذا حسب الجنس فالأنسات أقل تعرضاً للاكتئاب من المتزوجات، بينما الأعزب أكثر تعرضاً من المتزوج، والاكتئاب الجسيم MDD في الأشخاص الذين يعيشون منفردين ضعف الذين يعيشون مع آخرين، كما أن حجم العائلة ليس له علاقة بالاكتئاب، بينما حجم الدعم واختفاء الصراعات داخل الدائرة الاجتماعية أهم العوامل التي تساعد علي الحماية من الاضطرابات الوجدانية خاصة الاكتئاب. ويزيد الاكتئاب بين الأرامل والمطلقات ومن يعيش وحيدا. والرجل يصاب بالاكتئاب عند الطلاق أكثر من المرأة. بينما تصاب المرأة بالاكتئاب عند الزواج أكثر من الرجل. (Sloan DM, et al 2003)

#### ثانياً: الاكتئاب والفترة الإنجابية (فترة الخصوبة):

وهي الفترة الممتدة من حياة المرأة والتي تبدأ بظهور أول حيض لديها وتنتهي مع ولوج المرأة لمرحلة التوقف النهائي للدورة الطمثية. تشتمل الفترة الإنجابية على العديد من الأحداث المصيرية بالنسبة للمرأة. منها الدورة الشهرية والحمل وما بعد الحمل، والعقم، وانقطاع الطمث، وأحيانا اتخاذ قرار بتأخير أو بعدم إنجاب أطفال. هذه الأحداث يمكنها أن تتسبب في نشوء التقلبات المزاجية، والاكتئاب عند بعض النساء. ولقد أكد العلماء أن الهرمونات تؤثر على مواد كيميائية في الدماغ لها قدرة التحكم والسيطرة على المزاج والمشاعر، لكنهم لم يعرفوا بعد آلية بيولوجية محددة تشرح تأثير تلك الهرمونات. ويحاول العلماء حاليا معرفة تفسير الصعود والهبوط الدوري

والمتعاقب لمستويات الاستروجين والهرمونات الأخرى التي قد تؤثر على كيمياء المخ المرتبطة بمرض الاكتئاب (Roca CA, Rubinow DR, Schmidt PJ, and (1998)،

وهناك الكثير من النساء يعانين من بعض التغيرات المزاجية والتغيرات الجسدية المرتبطة بمراحل مختلفة من دورة الطمث. ويمكن أن تكون هذه التغييرات مفاجئة لبعض النساء كونها تحدث بشكل منتظم وتسبب مشاعر الانفعال والاكتئاب وغيرها من التغيرات النفسية والجسدية. وتسمى هذه التغيرات بمتلازمة ما قبل الحيض (اضطراب الدورة الشهرية)، وهي تبدأ بعد التبويض عادة، وتستمر في النمو حتى يبدأ الحيض بالظهور.

### ثالثاً: اكتئاب الحمل والنفاس (فترة ما بعد الولادة):

تتحدد أهمية دراسة اكتئاب النفاس لهذه المرحلة في أن تغيرات الحالة الانفعالية للمرأة تأتي في مرحلة أزمة أسرية حياتية لها تأثير عميق على جميع أفراد الأسرة، وفي مقدمتهم، الرضيع حديث الولادة. تصبح الحالة الاكتئابية حاجزاً بين الأم والطفل، وتعيق الاتصال والتفاهم المتبادل بينهما. إن امتداد الحالة الاكتئابية للأم، لفترة طويلة، يعطل التطور الطبيعي للطفل، ويشجع على تشكيل الاضطرابات النفسية متفاوتة الشدة.

اكتئاب ما بعد الولادة هو اضطراب عاطفي على نطاق واسع إلى حد ما. وهو حالة طويلة وصعبة على المستوى الشخصي للمرأة، يرافقه هبوط في المزاج، وعدم الرغبة في الحياة، والهمود. أظهرت النساء اللائي يكابدن أعراضه، مستويات عالية من القلق، والمخاوف المرضية. ووفقاً للتصنيف الدولي العاشر للأمراض ICD - 10، فإن هذه الحالات عادة ما تقابل المعايير التشخيصية لاضطراب الاكتئاب المعروف ب (F10). ويسود فيها اضطراب القلق والوهن من بين أنواع المتلازمات الأخرى (Bazil.A., 2005).

يرى كل من سكوبلو وبالاندينا 1999، Скоблог.В., БаландинаТ.А., أن الحمل يترافق مع زيادة كبيرة في مستويات البروجسترون والاستروجين، ما يعني حماية للحامل من الاضطرابات الوجدانية العنيفة. إذا كان الحمل، أمراً مرغوباً فيه، نادراً ما يؤدي إلى الاكتئاب، والأمر نفسه ينطبق على الإجهاض - كلاهما لا يؤدي إلى الاكتئاب على نطاق واسع. والنساء اللواتي يعانين من العقم، قد يشعرن بالقلق الشديد أو الاكتئاب، ولا يعرف بعد ما إذا كان العقم سيؤدي إلى أرضية خصبة لنشوء مرض الاكتئاب. والأمومة، بدورها، قد تكون مرحلة تتزايد فيها مخاطر الإصابة بالاكتئاب - بسبب الضغوط والمسؤوليات المرتبطة بالأمومة.

وتتميز فترة ما بعد الولادة بانخفاض حاد في مستويات الهرمونات مع كل ما ينتج عن ذلك من عواقب. ففي حين بلغ مستوى البروجسترون والاستروجين أثناء الحمل، قيمتهما الفسيولوجية القصوى. فانه وبعد إزالة المشيمة مباشرة ينخفض مستوياتها بشكل حاد، الأمر الذي يؤدي إلى اختلال التوازن (homeostasis). ويعد حدوث نوع من الاكتئاب المعتدل أو البسيط الذي يسمى أحياناً باعتلال المزاج أمراً طبيعياً لدى معظم النساء في هذه المرحلة. أما الاضطراب المرضي فيحدث لدى 10- 15٪ من النساء ويديم لفترة أطول (Скоблог.В., БаландинаТ.А., 1999).

أجرى Michael W 1990 وآخرون دراسة تجريبية لتحديد: إلى أي مدى يرتبط الحمل والنفاس مع الخطر المتزايد لنوبات الاكتئاب الصغرى والكبرى، والأعراض الاكتئابية، وضعف التكيف الاجتماعي 99. تم تعيين عينة كبيرة من النساء الحوامل childbearing خلال الثلاثة أشهر الثانية من الحمل جنباً إلى جنب مع عينة أخرى ضابطة متطابقة الخصائص معها من النساء غير الحوامل nonchildbearing. أجريت الدراسة المقررة عدة مرات خلال فترة الحمل وبعد الولادة عن طريق الاستبيان والمقابلة الشخصية من خلال استخدام مقاييس الاكتئاب ومقاييس بعض الحالات المزاجية الأخرى ومقاييس التكيف الزواجي والاجتماعي. وأسفرت نتائج الدراسة عن عدم وجود فروق بين عينتي النساء الحوامل وغير الحوامل فيما يتعلق بمعدلات حالات الاكتئاب الصغرى والكبرى أثناء فترة الحمل أو بعد الولادة. بيد أن المرأة الحامل تتعرض لمستويات أعلى بكثير من الأعراض الاكتئابية وسوء التكيف الاجتماعي من

المرأة غير الحامل في وقت متأخر من الحمل وفي وقت مبكر من النفاس puerperium ( بن بريك، ٢٠١٣).

تشير مختلف الدراسات إلى أن اكتئاب ما بعد الولادة يحدث في ١٠ - ١٥ ٪ من النساء بعد الوضع ( Cox J.L., Murray D., Champman G.A., 1998; Kumar R., Robinson K.M., 1984; Скоблог.В., БазЛ.Л., 1999; Скоблог.В., БаландинаТ.А., 1999).

ويبدأ اكتئاب النفاس في الأيام الأولى أو في الأسبوعين الأولين عقب الولادة ويستمر من شهر إلى ٦ - ٧ أشهر (Скоблог.В., БаландинаТ.А., 1999). لكن كوكس وروني Cox & Rooney، وجدوا أن اكتئاب النفاس يمكن أن يحدث حتى خلال ثلاث سنوات من بعد الولادة. وغالبا ما يتأخر علاج هؤلاء النسوة لأكثر من عام من ظهوره، وذلك بسبب تأخير القيام بالفحوصات في الوقت المناسب ( Gilbert P., 1992, C.48). وتتأرجح التغيرات المزاجية بعد الولادة من حالة حزن عابر يحدث بعد الولادة مباشرة، إلى نوبات الاكتئاب الشديد والحاد الكبرى، مما يؤدي إلى اضطراب الاكتئاب الذهاني. ويعتقد العلماء أن النساء اللواتي يحدث لديهن نوبات الاكتئاب الشديد عقب الولادة (فترة النفاس)، غالبا ما يكون لديهن تاريخ مسبق مماثل للحالة، حتى وإن لم يتم تشخيصها أو علاجها من قبل.

بسبب اكتئاب النفاس تكتسب المرأة مجموعة متنوعة من المشاعر السلبية والمواقف تجاه طفلها، والذي يتجلى في طائفة واسعة من ردود الفعل السلبية على سلوك الأم. فالأمهات المصابات التي شملتهن دراسة باز وسكوبلو ( Скоблог.В., БазЛ.Л., 1999) باكتئاب النفاس قليلات التعبير ويحفظن سلوك أطفالهن الرضع لدرجة ضئيلة. أنهن لا ينظرن لأطفالهن إلا لفترات قصيرة، ونادرا ما يلامسن الرضع مقارنة مع المجموعة الضابطة في هذه الدراسة ( Скоблог.В., БазЛ.Л., 1996). وتجد المرأة المكتئبة صعوبة في توفير الرعاية للطفل وتفهم احتياجاته. ولا تدنو أو تقترب الأمهات من أطفالهن حين يكون، ونادرا ما يحملنهم إلى ذراعيهن، ويرفضن الرضاعة الطبيعية. ومن المعروف أن حليب الأم يمد الطفل باحتياجاته من المواد الغذائية، فضلا عن توفيره الحصانة والمناعة ويؤثر على نمو جهاز الهيكل العظمي. كما أن عملية

الرضاعة الطبيعية - هي التفاعل الأكثر أهمية في حياة الطفل التي تجلب بهجة التواصل والشعور بالحب والدفء والأمان اللازم للكائن الصغير. وبالنتيجة يصاب الأطفال المحرومون من اهتمام ورعاية ومودة الأم بنقص الوزن، ويتأخر كلامهم، وكثيرا ما يبكون، ويجدون صعوبة في النوم.

ويؤكد شتراوس Straus M.A. أنه من المهم ملاحظة أن الأشكال الأكثر تجليا من اكتئاب النفاس قد تؤدي إلى عجز كامل لرعاية المولود الجديد. وأن اكتئاب النفاس البسيط والمتوسط قد يكون أقل تأثيرا، ولكنه على أي حال يعطل التفاعل بين الأم والطفل (Straus M.A., 1980).

وفي هذا الصدد حدد بيكويث أنماط عدة من التفاعل بين الأمهات الكئيبيات وأطفالهن. هذه الأنماط تختلف تبعا لشدة حالة الاكتئاب ومدته وعوامل الخطورة الأخرى (Beckwith L., 1990) وهي :

- ١) مجانية الوجدان، الانسحاب الاجتماعي وانخفاض مستوى الطاقة .
- ٢) انفعال سلبي أكثر وضوحا، والذي يترافق مع العداء والتدخل في عملية التفاعل.
- ٣) التناوب الدوري بين قسر الذات وتحفيزها على الاتصال وبين تجنب التفاعل.

#### رابعا: الاكتئاب ومرحلة المراهقة عند المرأة:

يبني الباحثان في هذا الدراسة على تعريف ماديناس Medinnus للمراهقة بأنها "مرحلة تبدأ بظهور علامات النضج الجنسي في جوانب النمو الجسمي والاجتماعي، وتنتهي عندما يقوم الفرد بتولي أدوار الكبار في أغلب الأحوال على أنه شخص بالغ" منصور، (١٩٨٩: ٤٥٢). أما من حيث فترتها العمرية نرى أن البعض يتجه إلى التوسع في تحديد مرحلة المراهقة ويرون أنها تضم الفترة التي تسبق البلوغ ويحدونها بين ١٠ - ٢١ سنة، ومنهم من يحصرها ما بين ١٣ - ١٩ سنة (معوض، ١٩٩٤: ٣٣٠).

و تتزامن المراهقة مع مرحلة يتعين فيها على الشباب الكثير من المسؤوليات والتوقعات والتغييرات الهائلة على مختلف المظاهر النمائية، بما في ذلك تكوين الشخصية، والنضج الجنسي، والانفصال أو النزوع للاستقلالية عن الآباء واتخاذ

قراراتهم بأنفسهم، فضلا عن التغيرات الجسدية والعقلية، والهرمونية - كل ذلك ربما كان من أهم مصادر التوتر والضغط النفسي لدى المراهقين.

إن المواقف العصبية (الضغط النفسي) تحدث تأثيرات مختلفة على الفتيان والفتيات وفي كثير من الأحيان يكون لها صلة مباشرة بالاكتئاب لدى الفتيات. وتشير الدراسات إلى أنه وبالمقارنة مع الأولاد الذين يتسمون بسلوك عدواني أكثر تواترا، تظهر طالبات المدارس الثانوية مستويات أعلى بكثير من الاكتئاب، واضطرابات القلق، واضطرابات الأكل والتكيف ( Lewisohn PM, Hyman H, Roberts RE, ) (Seeley JR, and Andrews JA, 1993).

يصيب الاكتئاب طفل من كل ٥٠ طفل تحت سن ١٢ سنة ويصيب مراهق من بين كل عشرين مراهق. (سرحان، ٢٠٠١: ٨٦). والملاحظ أن الفروق في مستوى الاكتئاب بين الفتيان والفتيات قبل مرحلة المراهقة، ضئيلة جدا، ومع بلوغهم سن ١١ إلى ١٣ سنة، تزداد نسبة الاكتئاب بين الفتيات بشكل متسارع. وعند بلوغهم ١٥، تكون الفتيات أكثر عرضة مرتين لنوبات الاكتئاب الكبرى من الشباب ( Cyranowski JM, ) (Frank E, Young E, Shear MK, 2000).

والاكتئاب لدى المراهق تعبير غير نموذجي وتطور عضوي يتناسب مع أزمة المراهقة حيث يشكل عرضاً من أعراضها وحالات الاكتئاب عند المراهقين كثيرة وتشبه أعراضها بشكل عام أعراض الاكتئاب لدى الراشدين وتطور الاكتئاب، هو تنمة لحالة مرضية لدى الراشد وخطورته مرتبطة بواقعها على عملية النمو في فترة المراهقة والخطورة المحتملة للاكتئاب عند المراهق تتطلب تحسينا في كشف المرض والعلاج. (شابروول، ١٩٩٨: ٨).

لقد أشارت بعض الدراسات الإحصائية إلى أن ١٣,٦ من كل ١٠٠ ألف من المراهقين (١٥ - ١٩ سنة) من الجنسين ينتحرون سنويا في أمريكا بسبب الاكتئاب. بينما ٣,٦ من كل ١٠٠ ألف من البنات البالغات ١٥ - ١٩ سنة ينتحرن سنويا في أمريكا بسبب الاكتئاب. (Bridge JA et al 2006 , Angold, et al., 2002) على الرغم من أن

التشخيص الرسمي في العيادات النفسية والمستشفيات يبين معدل أقل من هذا.  
(عسكر، ٢٠٠١: ٢٠).

#### خامسا: الاكتئاب وسن اليأس لدى المرأة:

قالت باربرا بوش والدة الرئيس الأميركي الأسبق، في مذكراتها عام ١٩٩٤، أنها عانت من الاكتئاب الشديد في منتصف السبعينيات من القرن المنصرم مما دفعها إلى التفكير الجاد بوضع نهاية لحياتها بالانتحار عن طريق حادث اصطدام متعمد في سيارتها. السيدة الأولى للبيت الأبيض سابقا عزت حالتها العاطفية تلك إلى التغيرات الهرمونية المرتبطة بانقطاع الطمث، المثقلة بالضغوط الحياتية المتصلة بعمل زوجها، الذي كان في حينها رئيسا لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. أعطت هذه المصارحة العلنية زحما جديدا للباحثين والمتخصصين في جميع أنحاء العالم لمواصلة البحث عن الأسباب والتفسيرات الكاشفة عن العلاقة بين سن اليأس والاضطرابات النفسية لدى النساء. <http://woman.health-ua.com/article/178.html>

تعرف مرحلة سن اليأس بمتراذفات أخرى مثل سن توقف الطمث أو أزمة منتصف العمر وتشير إلى المرحلة الحرجة التي تتوقف عندها الدورة الشهرية بشكل نهائي. منهيّة بذلك قدرة المرأة على الإنجاب. ويحدث توقف الطمث بشكل تدريجي وكنتيجة مباشرة لتوقف المبيضين عن إنتاج الهرمونات الأنثوية (الاستروجين والبروجسترون) مع تقدم المرأة في العمر في المرحلة العمرية ما بين ٤٥ - ٥٩ سنة (النمر، ٢٠٠٧). ويفيد جلال بان اكتئاب سن اليأس يصيب الأفراد غالبا في الأعمار المتوسطة والمتأخرة ما بين (٤٠ - ٥٥) سنة عند النساء وما بين (٥٠ - ٦٥) سنة عند الرجال (جلال: ١٩٨٦).

يشكل النساء في سن انقطاع الطمث حوالي ٥ ٪ من سكان العالم ( Serr DM, Atlas M, 1982). ووفقا لدراسات وبائية، وباثولوجية يحدث انقطاع الطمث في ٣٥ - ٨٠ ٪ من النساء ( СметникВ.П., ТкаченкоН.М., ГлезерГ.А., МоскаленкоН.П., 1988).

يمكن تعريف انقطاع الطمث بأنه ظاهرة فسيولوجية، تتميز بتلاشي الحيض وتوقف الإنجاب. ومع ذلك، وفي ظل ظروف معينة تحت تأثير العوامل السلبية، فإنه يصبح حالة مرضية تدعى "اضطراب سن اليأس"، أو متلازمة انقطاع الطمث، وتنطوي على اضطراب الأوعية الدموية اللاإرادي، واضطراب التمثيل الغذائي والغدد الصماء والاضطرابات النفسية [1].  
СметникВ.П., ТкаченкоН.М., ГлезерГ.А., МоскаленкоН.П., 1988.  
СметникВ.П., КулаковВ.И. , 2001 .  
ТювинаН.А., 2008. ويذكر تعبير "سن اليأس" بالتهبات الساخنة في الرأس والجزء العلوي من الجسم، التعرق الليلي، التهاب المهبل الضموري Serr DM, (Atlas) M, 1982  
СметникВ.П., ТкаченкоН.М., ГлезерГ.А., Kronenberg F. 1994, МоскаленкоН.П., 1988. وهي مظاهر تعكس حقيقية انخفاض مستويات الاستروجين مع التقدم في العمر. وتشتمل على شكاوى أخرى عديدة، منها : ارتفاع ضغط الدم، وخفقان القلب والصداع والدوار والحساسية للبرد، والارتعاش، والخدر، والحرقة، والحكة، والسمنة – وهي شائعة إلى حد ما، ولكن العديد من الكتاب لا يعتبرونها ذات خصوصية. ( Utian WH, Serr DM., 1976; )  
(Kronenberg F. 1994;Сметник В.П., Кулаков В.И. , 2001).

ومع ذلك، لا تتوقف فترة سن اليأس على العوامل البيولوجية فقط، بل أيضا على العوامل النفسية والثقافية والاجتماعية. من المعتاد ان العملية الطبيعية المتمثلة بإعادة البناء الهرموني العصبي تقوم بتوجيه آليات التكيف لدى المرأة ( ТювинаН.А., 1991, СметникВ.П., КулаковВ.И. , 2001 ). ولكن بتدخل وتأثير عوامل إضافية قد تؤدي إلى اضطراب هذا التكيف، وظهور اضطرابات جسدية لاإرادية وسيكوباتية، ما يفسر الزيادة في تعداد الأوجاع الجسدية والاضطرابات النفسية في فترة توقف الحيض (ТювинаН.А, 1991;1996). وتصبح المرأة أكثر تدهورا من الناحية النفسية : فقد تكتسب لديها بعض العوامل أهمية أكبر من ذي قبل، والتي لم تكن تبدو سلبية بالنسبة لها قبل سن اليأس ( الشعور بالوحدة، والصراعات في مكان العمل، على سبيل المثال).

من ناحية أخرى، فإن متلازمة سن اليأس يعد مرضا نفس- اجتماعيا إلى حد ما لأنه يعتمد على الوضع الاجتماعي للمرأة في المجتمع وعلى المواقف التقليدية للمجتمع تجاه النساء في سن انقطاع الطمث. إن الأفكار المتبلورة في المجتمع عن ماهية الشباب، والجمال، ومدى تقييمه لفترة انقطاع الطمث كمؤشر للشيوخوخة، والتدهور، والعد التنزلي للحياة جعل من سن اليأس موقفا نفسيا صادما.

ТювинаН.А.,1991, Schindler ،Utian WH, Serr DM., 1976 )  
(:HPG, 1981

تكتسب العوامل الاجتماعية أهمية خاصة خلال هذه الفترة التي تنقرض فيها الوظيفة الإنجابية للمرأة مثل الوضع العائلي، والعلاقة مع الزوج، والأطفال، والأصدقاء، وصحة الأقارب، والأسرة، والعمل، والأمن المادي. كل هذه العوامل، اعتمادا على اتجاهات المرأة نحوها يمكنها إما أن تسهل عملية تكيف المرأة في الفترة الانتقالية، أو أنها تعقد من ذلك ( СметникВ.П., КулаковВ.И. , 2001 , ТювинаН.А., 1991 ). وتجدر الإشارة إلى أن الدور الأهم لفشل آليات التعويض وظهور الاضطرابات النفسية لا يعود للأحداث الفردية بحد ذاتها، وإنما لما لها من خصوصية، وشدّة، وأهمية عاطفية للمرأة من ( , СметникВ.П., КулаковВ.И. ) (ТювинаН.А., 1991، 2001).

وقد ربط العديد من الكتاب ظهور اضطرابات انقطاع الطمث، وكذلك مسارها، وطبيعة اضطراباتها النفسية، مع سمات الشخصية السابقة للمرض والتي تحدد القدرة على التعامل مع التعقيدات والتكيف مع الوضع المستجد ( Serr DM, Atlas M, 1982 ). وقد وجد علماء النفس أن الصفات الشخصية مثل عدم الثقة في النفس، الاستعداد للقلق، والاعتماد العاطفي، وأناية، وسوء التكيف في المجتمع، وضحالة العلاقات مع الآخرين، تساهم في ظهور أعراض سن اليأس ( СметникВ.П., КулаковВ.И. , 2001 )) والنساء اللاتي يقضن موقفا سلبيا تجاه انقطاع الطمث ولديهن انخفاض في مستوى الرضا عن الحياة، أكثر تأثرا بمتلازمة سن اليأس.

### المبحث الثالث: الدراسات السابقة:

ليس هناك دراسة سابقة طابقت تماما ما ذهب إليه الباحثان ولهذا سنستعرض دراسات سابقة مقارنة.

(١) وفي دراسة قام بها براج Bragg سنة ١٩٧٩ بعنوان التركيب العائلي لدى الفتيات والاكتئاب لديهن، وطبقت الدراسة على ٩٨ طالبة جامعية من قسم علم النفس، وقد وجد أن الطالبات السيئات التوافق يأتين من اسر تتميز بالصراع بين الوالدين وسيطرة الأب، وتوصل إلى وجود ارتباط موجب بين درجات الاكتئاب وبين الصراع بين الوالدين، وبين الاكتئاب وعدم الاتساق في المحبة الوالدية وتبين أن عدم اتساق حمية الأب أكثر قوة في ارتباطها بالاكتئاب من الأم ( السيد، صالح: ١٩٩٣).

(٢) دراسة كارتررايت وآخرين Cartwright et al. 1984 بعنوان "الحلم المكسور: دراسة لأثار الطلاق والاكتئاب على محتوى الأحلام". والتي ركزت على دراسة أثر الطلاق على كل من القلق والاكتئاب، وهدفت إلى معرفة طبيعة الأساليب اللاشعورية للتكيف. قام الباحثون بدراسة أحلام مجموعة من ٢٩ من المطلقات (بين سن ٣٠ - ٥٥ سنة، حيث تم تطبيق اختبار بيك للاكتئاب عليهن وتم تقسيمهن إلى ١٩ من المكتئبات و ١٠ من غير المكتئبات، وهذا يعني أن ٦٦٪ منهن تعرضن للاكتئاب. كما تمت المقارنة بمجموعة ضابطة من ٩ متزوجات بمتوسط عمري ٣٥.٢ سنة، حيث تمت متابعة أحلامهن لمدة ستة ليالي. وقد تبين من الدراسة أن للطلاق أثره الكبير على حياة المطلقة ومشاعرها وما تتعرض له من ضغوط وأيضاً على أساليب التكيف الشعورية واللاشعورية، وأن أحلام غير المكتئبات من المطلقات أطول زمنياً مقارنة بالأخريات، وأنهن يتعاملن مع قضايا زوجية وهو ما لا يحدث في أحلام المكتئبات. كما تبين أن المطلقات المكتئبات يظهرن في أحلامهن تغيرات إيجابية، وقد أظهرن في أحلامهن توحداً مع أدوارهن الزوجية إيجاباً، مما يعني محاولتهن للتكيف وخفض القلق عن طريق التنفيس اللاشعوري خلال الأحلام، وهذا ما يؤكد أيضاً ارتباط الاكتئاب نفسه بالطلاق لديهن (Cartwright, R. D. et al. 1984).

(٣) دراسة أحمد، سهير كامل (١٩٨٧) هدفت التعرف على مستوى الاكتئاب والانطواء لدى المسنين المتقاعدين في كل من مصر والسعودية، وكذا التعرف على أثر الاختلافات الحضارية على التركيب النفسي للمسنين، وشملت عينة الدراسة ثلاث مجموعات من المسنين، بحيث كانت المجموعة الأولى (٢٠) مسن من المتقاعدين المصريين، بينما المجموعة الثانية (٢٠) مسن من الذين يعملون بعد سن التقاعد، أما المجموعة الثالثة فكانت (٢٠) مسن من المتقاعدين السعوديين، وقد استخدمت الباحثة مقياس الانطواء الاجتماعي من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه (MMPI) ومقياس الاكتئاب من نفس الاختبار واستمارة بيانات عامه. وتوصلت الدراسة الى أن مجموعة المسنين العاملين بعد سن التقاعد هم أقل شعوراً بالاكتئاب النفسي مقارنة بمجموعة المسنين المتقاعدين (أحمد، ١٩٨٧: ٢١٨).

(٤) درس برتشنيل (1988 Britchnell) طبيعة العلاقات الأسرية الباكرة لدى المكتئبات وغير المكتئبات، وتكونت عينة الدراسة من ٥٠ امرأة مكتئبة و ٥٠ امرأة غير مكتئبة أعمارهن ما بين ٢٤- ٢٥ سنة، وتوصل إلى أن آباء وأمهات المكتئبات كانوا أقل في الرعاية من آباء وأمهات غير المكتئبات (السيد، صالح ١٩٩٣: ٤٦).

(٥) ودرس كبلان وزملاؤه Caplan & et al 1989 الاكتئاب لدى الأمهات والنمو العاطفي لدى أطفالهن، طبقت الدراسة على ٩٢ أمماً وأكبر أطفالهن البالغين من العمر ٤ سنوات، وقد وجدوا أن هناك علاقة بين معاناة الأمهات من الاكتئاب ووجود صعوبات في السلوك لدى أطفالهن، ووجد أن عدم الترابط الأسري مع وجود اضطرابات نفسية يؤديان إلى آثار خطيرة على النمو العاطفي والسلوكي والمعرفي لدى الأبناء (Caplan & et al 1989).

(٦) وفي دراسة السيد، فاتن عبد الفتاح سنة ١٩٩٣ بعنوان (مظاهر الاكتئاب لدى الفتاة الجامعية) والتي هدفت قياس العلاقة بين مظاهر الاكتئاب وبعض متغيرات التنشئة الأسرية، وطبقت على عينة مكونة من ١٠١ ذكراً و١٤٨ أنثى تراوحت أعمارهن ما بين ١٨- ٢٣ سنة، وجدت علاقة ارتباطية سالبة بين الاكتئاب وإدراك الذكور والإناث للقبول من قبل الوالدين وهي اقوى لدى الإناث

كما وجدت علاقة ارتباطية موجبة بين الاكتئاب والاضطراب الوالدي لدى الإناث والاكتئاب وعدم الاتساق الوالدي لدى الذكور ولم توجد فروق بين الذكور والإناث في بعض جوانب الاكتئاب (تعميم الفشل، والمبالغة في المعايير والمستويات) وفي لوم الذات كانت الفروق لصالح الإناث (السيد، فاتن: ١٩٩٣).

(٧) وفي دراسة مسحية لدى انتشار الاضطرابات النفسية بما فيها القلق والاكتئاب والعداوة والاستعداد للمرض النفسي، قام إبراهيم وإبراهيم (١٩٩٧)، بتطبيق مقاييس مقننة للاكتئاب والقلق والعداوة على عينة مكونة من ١٠٢٤ من الإناث، و٩٨٩ من الذكور من أطر ثقافية واجتماعية متباينة بالمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، وبالرغم من أن الفروق بين الذكور والإناث لم تكن ضخمة، إلا أن النساء سجلن عموماً درجات مرتفعة عن الذكور في كل المتغيرات المرضية، وقد ازدادت هذه الفروق بشكل جوهري بين من هم أصغر، أي بين طالبات المدارس الثانوية، والطالبات الجامعيات، بينما كانت أقل الدرجات في الاكتئاب لدى النساء العاملات (Ibrahim & Ibrahim, 1997).

(٨) وتصدت هوكسيما وآخرون (Hoeksema et al, 1999) لدراسة الفروق الجنسية والأعراض الاكتئابية، وقد نص فرض الدراسة على أن الإناث المسنات أكثر قابلية للتعرض للأعراض الاكتئابية مقارنة بالذكور المسنين، ويعززون ذلك إلى حصولهن على معانٍ ضعيفة للموضوع ويقمن بالتركيز عليه، كما أنهن ينجذبن نحو التعامل مع التخيلات والتأملات بشكل كبير، وأجريت هذه الدراسة على عينة تمتد من عمر (٢٥ - ٧٥) سنة، وتم قياس الحالة المزاجية وضعف السيطرة والسرحان، وتوصلت الدراسة إلى أن هذه المتغيرات كانت أكثر شيوعاً لدى المسنات مقارنة بالذكور وكذلك وجود فروق جنسية دالة بالنسبة للأعراض الاكتئابية مع وجود علاقة دالة بين السرحان والسيطرة على الأعراض الاكتئابية، كما اتضح وجود علاقة متبادلة بينهما حيث تسهم الأعراض الاكتئابية في حالة السرحان وضعف السيطرة مع التقدم العمري.

(٩) دراسة التونسي، عديلة حسن طاهر سنة (٢٠٠٢) بعنوان (القلق والاكتئاب لدى عينة من المطلقات وغير المطلقات في مدينة مكة المكرمة) وهي رسالة ماجستير

مقدمة إلى قسم العلوم النفسية في كلية التربية بجامعة أم القرى في المملكة العربية السعودية، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن الفروق بين المطلقات وغير المطلقات في متوسط القلق والاكتئاب واستخدمت الباحثة مقياس الطائف للقلق والاكتئاب على عينه من (١٨٠) من المطلقات وعينة ضابطة من (١٨٠) من غير المطلقات في مدينة مكة المكرمة، وشملت تساؤلات البحث وفرضياته موزعة على أبعاد هي الفروق العامة بين المطلقات وغير المطلقات، الفروق بين المطلقات تبعاً لمصدر الطلاق، البعد الزمني، ومن ذلك عمر المطلقة عند الزواج والعمر الحالي والمدة بعد الطلاق، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، الأمومة ورعاية الأبناء، وتحليل البيانات إحصائياً انتهت الدراسة إلى وجود دالة إحصائية من القلق والاكتئاب بالمطلقات مقارنة بعدم المطلقات. (التونسي: ٢٠٠٢).

(١٠) دراسة بن بريك، عبد الحكيم سنة ٢٠٠٥ وهي دراسة عبر الحضارية، بعنوان "العوامل السيكلوجية للعصابية لدى الطلاب اليمنيين بهدف وضع مبادئ علاج نفسية" قارن خلالها بين عينات من الطلاب والطالبات اليمنيين والروس من حيث بعض الخصائص الشخصية والمرضية مستخدماً عدة اختبارات نفسية من بينها قائمة الأعراض المرضية SCL. أظهرت النتائج في العينة اليمنية أن شدة الأعراض العصبية لدى الإناث أعلى بكثير من الذكور. أما في العينة الروسية فالفروق أقل بين الجنسين وبالعكس الاتجاه السابق (الذكور أكثر عصابية من الإناث). كما لوحظ وجود مزيد من الفروقات عبر الحضارية أكثر وضوحاً في عينة الإناث (اليمنيات أكثر عصابية من الروسيات). كما تبين أيضاً أن الطالبات اليمنيات حصلن على درجات أعلى في مقياس الاكتئابية عن أقرانهم الطلاب اليمنيين الذكور. ومن المعروف أن النزوع العصابي يشكل مناخاً مهيئاً لاكتساب شتى الاضطرابات النفسية والانفعالية بما فيها الاكتئاب. (بن بريك ٢٠٠٥م).

(١١) وفي دراسة بعنوان "ترافق المراضة بين الاكتئاب وكرب ما بعد الصدمة لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة" قام بها ثابت، عبد العزيز موسى. هدفت الدراسة إلى التعرف على ترافق المراضة بين الاكتئاب وكرب ما بعد الصدمة لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية مثل الجنس،

والعمر، والسكن، والدخل الشهري، وتعليم الوالدين وعملهما. واشتملت العينة على ٣٣٢ من طلبة الجمعيات الفلسطينية منهم ١٦٢ ذكور و١٧٠ إناث ممن تراوح أعمارهم بين ١٨ - ٢٥ سنة. تم تطبيق اختبار الخبرات الصادمة ومقياس كرب ما بعد الصدمة ومقياس بيك للاكتئاب عليهم. تبين أن الذكور أكثر عرضة للخبرات الصادمة ولم تسجل فروق دالة إحصائية في مستوى الخبرات الصادمة تعزى للعمر أو نوع السكن أو الدخل الشهري. كما وجدت فروق دالة إحصائية في مستوى كرب ما بعد الصدمة تعزى للجنس وذلك لصالح الإناث ولم تجد النتائج فروقا ذات دلالة إحصائية في مستوى الاكتئاب تعزى للجنس، للعمر، أو للدخل الشهري لأسر أفراد العينة. وكشفت النتائج عن أن ٧٣ من المكروبيين هم مكتئبين بنسبة ٧٠.٩٪، وأن ٣٠ من المكروبيين لديهم ترافق مرادة مع الاكتئاب بنسبة ٢٩.١٪ من الطلبة (ثابت، ٢٠٠٧).

(١٢) دراسة الزايدي، ابتسام (١٤٢٧)هـ بعنوان: "صورة الجسم وعلاقتها ببعض المتغيرات الانفعالية (القلق - الاكتئاب - الخجل) لدى عينة من المراهقين والمراهقات للمرحلتين الدراسيتين المتوسطة والثانوية داخل مدينة الطائف" وهي أطروحة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة ام القرى بمكة المكرمة - كلية التربية - قسم علم النفس. هدفت الدراسة إلى: فحص الفروق بين عينات الدراسة في صورة الجسم والمتغيرات الانفعالية التالية: القلق، والاكتئاب، والخجل؛ وكذا الكشف عن العلاقة الارتباطية بين صورة الجسم والمتغيرات الانفعالية سابقة الذكر لدى عينة المراهقين والمراهقات مستخدمة المنهج الوصفي. وقد أجريت على عينة مكونة من (٣٠٠) طالب، و(٣٠٠) طالبة من طلاب المرحلتين الدراسيتين المتوسطة والثانوية من التعليم العام داخل مدينة الطائف. وطبقت عددا من الاختبارات النفسية من بينها مقياس الاكتئاب (د) BDI من إعداد غريب عام (١٩٩٩م). وقد أسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقين والمراهقات في صورة الجسم لصالح المراهقين. أي أن المراهقين أكثر رضا عن صورة الجسم من المراهقات. كما وجدت فروق ذات دلالة بين المراهقين

والمراهقات في درجة القلق والاكتئاب وفي درجة الخجل لصالح المراهقات (الزايدي، ١٤٢٧ هـ) .

١٣) دراسة المحمداوي، حسن إبراهيم سنة (٢٠٠٨) بعنوان دراسة بعض أعراض الاكتئاب لدى المسنين من الجالية العربية في السويد " استهدفت التعرف على مستوى الاكتئاب النفسي لدى المسنين وهل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في الاكتئاب وفقاً للمتغيرات أ . الجنس ، ب . الحالة الاجتماعية. أجريت الدراسة باستخدام اختبار من إعداد الباحث نفسه على عينة عشوائية من المسنين بلغ قوامها (٥٠) مسن من أفراد الجالية العربية المقيمة في السويد، وأسفرت النتائج عن وجود أعراض الاكتئاب لدى عينة البحث وأن الإناث والمترملين أكثر شعوراً بالاكتئاب من الآخرين. وأوصت الدراسة ببعض التوصيات والمقترحات في ضوء النتائج التي توصلت إليها (المحمداوي، ٢٠٠٨).

## منهجية الدراسة:

### أولاً: عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من ٢٣٦ امرأة. منهن ٥٠ فتاة في سن المراهقة، ٤٧ امرأة من الحوامل، ٤٩ منهن في طور النفاس (مرحلة ما بعد الولادة)، و ٩٠ امرأة عادية في سن الرشد والكهولة. وقد تم اختيار كل مجموعة من تلك العينات عشوائياً. واستعان الباحثان بطلاب وطالبات المستوى الثالث - ترميز بكلية التمريض جامعة حضرموت لتطبيق المقياس على النساء الحوامل والواضعات (في طور النفاس)، خلال فترات دراستهم التطبيقية (الفصل الدراسي الأول للعام الجامعي ٢٠١٠ - ٢٠١١م) في أقسام النساء والولادة بمستشفيات ومستوصفات ومراكز الأمومة بمدن وأرياف ساحل حضرموت. الجدول (١) أدناه يبين خصائص العينة الكلية من حيث متغيرات الحالة، العمر، المستوى التعليمي والحالة الاجتماعية.

جدول (١) توزيع أفراد العينة حسب المتغيرات المستقلة

المتغير	الحالة			العمر			المستوى التعليمي			الحالة الاجتماعية			
	عدييات في سن الرشد	مراهقات	حوامل	نفس	١٩ - ١٣	٢٠ - ٣٩	٤٠ - ٦٠	أميات	دون الجامعة	جامعيات	عازبات	متزوجات	أرامل ومطلقات
فئات المتغير	٩٠	٥٠	٤٧	٤٩	٥٩	١٥١	٢٦	١٨	١٦٣	٥٥	٨٧	١٤٧	١١
العدد	٩٠	٥٠	٤٧	٤٩	٥٩	١٥١	٢٦	١٨	١٦٣	٥٥	٨٧	١٤٧	١١
النسبة	%٣٨	%٢١	%٢٠	%٢١	%٢٥	%٦٤	%١١	%٨	%٦٩	%٢٣	%٣٣	%٦٢	%٥

### ثانياً: أداة الدراسة:

استخدمت في هذه الدراسة قائمة " بيك " للاكتئاب ( Beck ) B D I Depression Inventory . وهي من أكثر قوائم الاكتئاب استخداماً وشيوعاً منذ عام ١٩٦١ وحتى الآن مع المجموعات الإكلينيكية وغيرها، والتي أجريت عليها أكثر من (١٠٠٠) دراسة على مدى (٣٦) عاماً في مختلف بلدان العالم (الأنصاري ، ١٩٩٨).

وصاحب هذا المقياس هو العالم والطبيب النفسي الأميركي المعروف ( Aaron Beck )، الأستاذ بجامعة بنسلفانيا الأمريكية، وهو من المساهمين في تطوير حركة العلاج السلوكي المعرفي للاكتئاب وما عده من الاضطرابات.

النسخة العربية المستخدمة في هذه الدراسة من إعداد حمدي وزملاءه (١٩٩٨) وتتكون القائمة من ٢١ بند، يتعلق كل منها بعرض من الأعراض السريرية للاكتئاب. وتقيس في مجموعها شدة الاكتئاب لدى البالغين، ويتم حساب النقاط وفقاً لتدرج ليكرت الرباعي وتتراوح درجات الاستجابة عليه بين (٠) وتعني عدم وجود عرض إلى (٣) وتعني وجود عرض شديد، ويقوم المفحوص بوضع دائرة حول الدرجة الموضوعه للعبارة التي يرى أنها تنطبق عليه، ويتراوح مجموع الدرجات على هذه الأداة بين صفر و٦٣ درجة (حمدي، وأبو حجلة، وأبو طالب، ١٩٩٨).

الأعراض التي يقيسها المقياس مرتبة وفق الدراسة الحالية هي : (d1) الحزن (d2) التشاؤم (d3) الفضل السابق (d4) فقدان الاستمتاع (d5) مشاعر الندم والذنب (d6) مشاعر العقاب (d7) كراهية النفس (d8) إدانة الذات (d9) الأفكار أو الرغبات الانتحارية (d10) البكاء (d11) التهيج والاستثارة (d12) الانسحاب الاجتماعي (d13) التردد (d14) تغير صورة الجسم والشكل (d15) هبوط مستوى الكفاءة والطاقة (d16) اضطرابات النوم (d17) التعب والقابلية للإرهاق (d18) تغيرات في الشهية (d19) تناقص الوزن (d20) الانشغال على الصحة (d21) فقدان الاهتمام بالجنس .

تم حساب مصداقية النسخة العربية من هذا المقياس على البيئة المصرية باستخدام معامل ألفا وكان = ٠.٧٩ (غريب، ٢٠٠٠). وتم استخدام هذا المقياس في دراسات أبو ليلى، ٢٠٠٣، وأبو سيف، ٢٠٠٣ في البيئة الفلسطينية وكانت مصداقيته عالية (أورد في : ثابت، ٢٠٠٧).

تفسر نتائج المقياس في الجدول أدناه :

الدرجة	صف - ٩	١٠ - ١٥	١٦ - ٢٣	٢٤ فما فوق
تفسيرها	لا يوجد اكتئاب	اكتئاب بسيط	اكتئاب متوسط	اكتئاب شديد

الحد الفاصل بين الاكتئاب وعدمه تبدأ من مستوى ( ١٠ )

ثالثاً: تصميم الدراسة: تعد الدراسة الحالية وصفية ارتباطية، وكانت متغيراتها

على النحو الآتي:

(أ) المتغيرات المستقلة:

(١) الحالة البيولوجية للمرأة. (٢) العمر.

(٣) المستوى التعليمي. (٤) الحالة الاجتماعية.

(ب) المتغيرات التابعة:

(١) مستوى شدة الاكتئاب.

(٢) أعراض الاكتئاب (٢١ عرض) وفق بنود المقياس.

## طريقة تحليل البيانات

للتحقق من أهداف الدراسة أعتد الباحثان على العديد من الوسائل الإحصائية منها المتوسطات و تحليل التباين أحادي الاتجاه لاختبار دلالة الفروق في الاكتئاب النفسبيين متوسطات العينات المختلفة المدروسة تبعاً لمتغيرات الفئات العمرية والحالة البيولوجية، والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية، واعتمد الباحثان على نظام الحزمة الإحصائية (SPSS)، لما لها من مزايا كثيرة تكمن في توفير الكثير من الوقت والجهد ، وأن نتائجها أكثر موضوعية ومعيارية.

## نتائج الدراسة:

للإجابة على السؤال الرئيس: ما مدى انتشار الاكتئاب لدى النساء في ساحل حضرموت، وما أبرز أعراضه؟ والسؤال الخامس نلاحظ أن الجدول رقم (٢) يشير إلى أن ٨١٪ من عينة البحث من تعاني من الاكتئاب منها ٢٨٪ من إجمالي العينة يعانون من اكتئاب شديد و٣٠٪ من اكتئاب متوسط. أما وفقاً لمتغير الحالة البيولوجية سنلاحظ أن النساء هن أكثر من يعاني من الاكتئاب بشكل عام بينما الحوامل هن الأكثر نسبة في من يعاني من الاكتئاب الشديد. بالنسبة لمتغير السن فقد تقاربت النسب ولكن نلاحظ أن الأصغر سناً كان انتشار الاكتئاب الشديد أكبر من الأنواع الأخرى من الاكتئاب. بينما متوسطات السن والكبيرات في السن كان الاكتئاب المتوسط الأكثر انتشاراً.

أما بالنسبة لمتغير المستوى الدراسي فنلاحظ أن الأميات هن أكثر من يعاني من الاكتئاب حيث بلغت نسبة المكتئبات ١٠٠٪ توزعت بالتساوي على فئات الاكتئاب الثلاث، شديد ومتوسط وخفيف. ثم تلتهم ذات المستوى التعليمي دون الجامعة والتي انتشر عند أغلبهن الاكتئاب المتوسط وكانت فئة الجامعيات هن الفئة الأقل معاناة من الاكتئاب ولكن كان الاكتئاب الشديد هو الأكثر انتشاراً بينهن. بالنسبة لمتغير الحالة نلاحظ أن فئة الأرملة والمطلقات (أخرى) هن أكثر من يعاني من الاكتئاب وظهر بوضوح عندهن الاكتئاب الشديد والمتوسط وهذا يتوافق إلى حد ما مع دراسة (كارترايت وآخرون ١٩٨٤، ودراسة التونسي ٢٠٠٢، ودراسة المحمداوي ٢٠٠٨).

تلتهن المتزوجات فالعازبات وأيضا انتشر عند هاتين الفئتين النوع الشديد والمتوسط من الاكتئاب.

من خلال جدول رقم (٣) نلاحظ ان "هبوط مستوى الكفاءة والطاقة" هو العرض الأكثر انتشارا بين كل الفئات باستثناء فئات المراهقات والعازبات وصغار السن اللاتي ظهر لديهن "التردد" كعرض الأكثر انتشارا ولا ننسى هنا أن جزء كبير من فئة العازبات هن من فئة المراهقات وصغار السن. أما "فقدان الاهتمام بالجنس" فقد انتشر بين شريحة الأرامل والمطلقات (أخرى) وشريحة الأميات وكبار السن. والذي ظهر كعرض ثاني انتشارا بين كل من الحوامل والنساء والمتزوجات ومتوسطات السن. وظهر "هبوط مستوى الكفاءة والطاقة" كعرض ثاني عند كل من الأميات وكبار السن. أما أقل الأعراض انتشارا عند كل الشرائح هي الأفكار الانتحارية أما عرض الفشل السابق فكان في المرتبة الثانية الأقل انتشارا أيضا عند كل الشرائح باستثناء شريحة المراهقات والعازبات وصغار السن واللاتي ظهر عندهن فكان الاهتمام بالجنس كعرض ثاني.

جدول رقم (٢) يبين مدى انتشار الاكتئاب بشكل عام ووفقا للمتغيرات

المتغير	الفئة	لا يوجد		اكتئاب خفيف		اكتئاب متوسط		اكتئاب شديد		مجموع من يعانون	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
الحالة البيولوجية	جميع افراد العينة	٤٤	%١٨.٦	٥٥	%٢٣.٣	٧١	%٣٠.١	٦٦	%٢٨.٠	١٩٢	%٨١.٤
	عاديات راشادات	٢٩	%٣٢.٢	٢٣	%٢٥.٦	٢٢	%٢٤.٤	١٦	%١٧.٨	٦١	%٦٧.٨
	مراهقات	٨	%١٦.٠	١٣	%٢٦.٠	١٤	%٢٨.٠	١٥	%٣٠.٠	٤٢	%٨٤.٠
	حوامل	٥	%١٠.٦	٧	%١٤.٩	١٦	%٣٤.١	١٩	%٤٠.٤	٤٢	%٨٩.٤
	نفاس	٢	%٤.١	١٢	%٢٤.٥	١٩	%٣٨.٧	١٦	%٣٢.٧	٤٧	%٩٥.٩
العمر	١٩ - ١٣	١١	%١٨.٦	١٤	%٢٣.٤	١٥	%٢٥.٤	١٩	%٣٢.٢	٤٨	%٨١.٤
	٢٠ - ٣٩	٢٨	%١٨.٥	٣٤	%٢٢.٦	٤٨	%٣١.٧	٤١	%٢٧.٢	١٢٣	%٨١.٥
	٤٠ - ٦٠	٥	%١٩.٢	٧	%٢٧.٠	٨	%٣٠.٧	٦	%٢٣.١	٢١	%٨٠.٨
المستوى التعليمي	اميات	-	-	٦	%٣٣.٣	٦	%٣٣.٣	٦	%٣٣.٣	١٨	%١٠٠
	دون جامعي	٢٩	%١٧.٨	٣٨	%٢٣.٣	٥٢	%٣١.٩	٤٤	%٢٧.٠	١٣٤	%٨٢.٢
	جامعيات	١٥	%٢٧.٣	١١	%٢٠.٠	١٣	%٢٣.٦	١٦	%٢٩.١	٤٠	%٧٢.٧
الحالة الاجتماعية	عازبات	١٨	%٢٣.١	١٩	%٢٤.٤	٢٢	%٢٨.٢	١٩	%٢٤.٤	٦٠	%٧٦.٩
	متزوجات	٢٥	%١٧.٠	٣٤	%٢٣.١	٤٥	%٣٠.٦	٤٣	%٢٩.٣	١٢٢	%٨٣.٠
	أخرى	١	%٩.١	٢	%١٨.٢	٤	%٣٦.٤	٤	%٣٦.٤	١٠	%٨٩.٩



٠.٥٠	مشاعر العقاب	٠.٥٦	كراهية النفس	٠.٥٤	تغير صورة الجسم والشكل	٠.٥١	التشاؤم	٠.٥٣	الفضل السابق	٠.٥٢	تناقص الوزن	٠.٧٣	مشاعر العقاب، كراهية النفس، تغير صورة الجسم، تناقص الوزن، الانشغال على الصحة
٠.٤٦	كراهية النفس	٠.٥٦	الفضل السابق	٠.٥٣	الفضل السابق	٠.٣٨	الفضل السابق	٠.٤٦	فقدان الاهتمام بالجنس	٠.٤٦	الفضل السابق	٠.٢٢	
٠.١٢	الأفكار الانتحارية	٠.١٧	الأفكار الانتحارية	٠.١٨	الأفكار الانتحارية	٠.٢٠	الأفكار الانتحارية	٠.٢٦	الفضل السابق	٠.١٤	الفضل السابق	٠.٢٢	الأفكار الانتحارية
١.٢٣	التعب والقابلية للإرهاق	١.٤٤	اضطرابات النوم	١.١٠	التعب والقابلية للإرهاق	١.٠٢	الحزن	١.١٠	هبوط مستوى الكفاءة والطاقة	١.٢٠	التعب والقابلية للإرهاق	١.٦٤	هبوط مستوى الكفاءة والطاقة
١.٣١	هبوط مستوى الكفاءة والطاقة	١.٧٢	هبوط مستوى الكفاءة والطاقة	التردد	التردد	١.٠٥	مشاعر الندم والذنب	١.١٣	مشاعر الندم والذنب	١.٢٦	فقدان الاهتمام بالجنس	١.٦٤	الانسحاب الاجتماعي
١.٦٢	فقدان الاهتمام بالجنس	١.٨٩	فقدان الاهتمام بالجنس	١.٢٥	١.٢٥	١.٢٥	مشاعر الندم والذنب	١.١٨	التردد	١.٣٦	هبوط مستوى الكفاءة والطاقة	٢.٢٧	فقدان الاهتمام بالجنس
٦٠ - ٤٠	امي	امي	دون الجامعي	جامعي	عازيات	متزوجات	غير ذلك	الحالة الاجتماعية	المستوى التعليمي				

جدول رقم (٤) بين الدلالة الإحصائية وفقاً لمتغير الحالة البيولوجية (عاديات - مراهقات - حوامل - نساء)

الدلالة الإحصائية	قيمة ف	التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
٠.٠٠١	٥.٣٩٥	٤٤٨.٣٨٣	٣	١٣٤٥.١٤٨	بين المجموعات
		٨٣.١٠٥	٢٣٢	١٩٢٨٠.٤٢٨	داخل المجموعات

للإجابة على السؤال رقم (١) تشير النتيجة في جدول رقم (٤) إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي فئات الحالة البيولوجية في مستوى الاكتئاب. وبالعودة إلى اختبار توكي جدول رقم (٥) بين ان الفروق هي بين فئة العاديات وفئة الحوامل لصالح الحوامل، وبين فئة العاديات وفئة النساء لصالح فئة النساء. بينما ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين بقية الفئات.

جدول رقم (٥) اختبار توكي للفرق الدال الموثوق به " Tukey HSD " :

الدلالة الإحصائية	الخطأ المعياري	فرق المتوسط	الحالة البيولوجية
٠.٠٧٥	١.٦٠٨	٣.٩٠٢.	عاديات - مراهقات
٠.٠٠٥	١.٦٤١	٥.٥١٨.	عاديات - حوامل
٠.٠١٢	١.٦١٨	٥.٠٠٤.	عاديات - نساء
٠.٨١٩	١.٨٥٢	١.٦١٦.	مراهقات - حوامل
٠.٩٣٢	١.٨٣٣	١.١٠٢.	مراهقات - نساء
٠.٩٩٣	١.٨٦١	٠.٥١٤	حوامل - نساء

جدول رقم (٦) بين قيمة ف والدلالة الإحصائية وفقا لمتغير العمر

الدلالة الإحصائية	قيمة ف	التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
٠.٧٣٨	٠.٣٠٥	٢٦.٨٩٣	٢	٥٣.٧٨٥	بين المجموعات
		٨٨.٢٩١	٢٣٣	٢٠٥٧١.٧٩١	داخل المجموعات

جدول رقم (٧) بين قيمة ف والدلالة الإحصائية وفقا لمتغير المستوى التعليمي

الدلالة الإحصائية	قيمة ف	التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
٠.١٦٥	١.٨١٥	١٥٨.٢٢١	٢	٣١٦.٤٤٢	بين المجموعات
		٨٧.١٦٤	٢٣٣	٢٠٣٠٩.١٣٥	داخل المجموعات

جدول رقم (٨) بين قيمة ف والدلالة الإحصائية وفقا لمتغير الحالة الاجتماعية

الدلالة الإحصائية	قيمة ف	التباين	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
٠.٢٥٣	١.٣٨٣	١٢١.٠٠٦	٢	٢٤٢.٠١٢	بين المجموعات
		٨٧.٤٨٣	٢٣٣	٢٠٣٨٣.٥٦٤	داخل المجموعات

للإجابة على الأسئلة (٢ و ٣ و ٤) تبين لنا الجداول (٦ و ٧ و ٨) أنه ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمتغيرات الثلاثة وهي (العمر والمستوى التعليمي والحالة الاجتماعية).

توصيات: من خلال النتائج يمكن أن نخلص إلى التوصيات الآتية وخاصة عند التشخيص للتوصيتين الأوليين:-

- (١) إن ظهور العرضين "هبوط مستوى الكفاءة والطاقة" و "فقدان الاهتمام بالجنس" لدى المتزوجات والمطلقات والأرامل ومتوسطات السن وكبيرات السن يمكن ان يكون مؤشرا قويا لوجود مستوى من الاكتئاب يتطلب التدخل الإرشادي.
- (٢) إن نساء حضرموت الساحل بمختلف فئاتهن هن اقدر في التعبير عن متاعبهن الجسدية مقارنة بحالاتهن النفسية.
- (٣) يجب أن يولى للنساء اهتمام كبير في الرعاية النفسية.
- (٤) يوصى أن تكون هناك دراسات أخرى تتطرق إلى تقصي السببية وطرق التعامل مع هذه الأعراض من قبل النساء المصابات.

## المراجع العربية :

- (١) القرآن الكريم : سورة القصص : الآية ١٠
- (٢) القرآن الكريم : سورة يوسف: الآية ٨٤
- (٣) إبراهيم، عبد الستار. ١٩٩٨: الاكثئاب، اضطراب العصر الحديث- فهمه وأساليب علاجه. سلسلة عالم المعرفة (٢٣٩). المجلس الوطني للثقافة والعلوم. الكويت.
- (٤) أحمد، سهير كامل. ١٩٨٧: الاكثئاب والانطواء الاجتماعي لدى المسنين المتقاعدین في البيئتين المصرية والسعودية . مجلة دراسات تربوية، المجلد الثاني، الجزء السابع. القاهرة.
- (٥) الأنصاري، بدر محمد. ١٩٩٨: الصورة الكويتية لقائمة "بيك" للاكثئاب. المجلة التربوية - مجلد ١٢، ع ٤٦، ص ٧٧- ١١٢، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت. الكويت.
- (٦) المرجع السريع إلى المعايير التشخيصية من الدليل التشخيصي والإحصائي المعدل للأمراض العقلية جمعية الطب النفسي الأمريكية DSM-4 - سنة الطبع ٢٠٠٤.
- (٧) بن بريك، عبد الحكيم. ٢٠٠٥: "العوامل السيكولوجية للعصابية لدى طلاب الجامعات اليمنية بهدف وضع مبادئ علاج نفسي". رسالة دكتوراه باللغة الروسية غير منشورة مقدمة إلى جامعة سانت بطرسبرغ - كلية علم النفس، قسم علم النفس الإكلينيكي. - راجع الملخص في مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية مج ٨ عدد ٢ سنة ٢٠١١م.
- (٨) بن بريك، عبد الحكيم. (٢٠١٣). مدخل إلى الاضطرابات النفسية والنفسجسدية للمرأة الحامل. مجلة جامعة حضرموت، ١٠ (١)، ٥٣- ٨١.
- (٩) التونسي، عديله حسن. ٢٠٠٢: القلق والاكثئاب أدى عينه من المطلقات وغير المطلقات في مدينة مكة المكرمة . رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى قسم علم النفس في كلية التربية جامعة ام القرى. مكة المكرمة.

- (١٠) ثابت، عبد العزيز موسى ٢٠٠٧م: ترافق المراضة بين الاكتئاب وكرب ما بعد الصدمة لدى طلبة الجامعات في قطاع غزة. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية: العدد ١٥ & ١٦ - صيف وخريف ص ١٢ - ٣٢.
- (١١) جابر، جابر؛ وكناني، علاء: معجم علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة. ١٩٩٠
- (١٢) جريجوري هسلر ٢٠١٠ Gregor Hasler: فسيولوجيا الاكتئاب: هل لدينا أي دليل متواتر يهيم الأطباء المعالجين؟ مجلة الجمعية العالمية للطب النفسي، السنة التاسعة، العدد ٣ أكتوبر ٢٠١٠ ص ٢٩ - ٣٥
- (١٣) جلال، اسعد ١٩٨٦: في الصحة العقلية، الأمراض النفسية والعقلية والانحرافات السلوكية. دار الفكر العربي. القاهرة.
- (١٤) حمدي، نزيه؛ ونظام أبو حجله؛ وصابر أبو طالب ١٩٩٨: قائمة وصف المشاعر (بيك للاكتئاب)، البناء العاملي ودلالات صدق وثبات صورة معربة لقائمة بيك للاكتئاب، مجلة دراسات.. مجلد (١٢) عدد (١١).
- (١٥) رضوان، سامر جميل (٢٠٠٠م): القائمة السورية للأعراض. دراسة ميدانية. مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، ٤٤٢٨ ص ١١٣ - ١٣٨.
- (١٦) رضوان، سامر جميل (٢٠٠١م): القلق الاجتماعي: دراسة ميدانية لتقنين مقياس للقلق الاجتماعي على عينات سورية. مجلة مركز البحوث التربوية، جامعة قطر، ١٩٤١ ص ٤٧ - ٧٧.
- (١٧) رضوان، سامر جميل (د ت): الصورة السورية لمقياس بيك للاكتئاب - دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعة دمشق. قسم علم النفس. كلية التربية. جامعة دمشق.
- (١٨) الزايدي، ابتسام (١٤٢٧ هجرية): صورة الجسم وعلاقتها ببعض المتغيرات الانفعالية (القلق - الاكتئاب - الخجل) لدى عينة من المراهقين والمراهقات للمرحلتين الدراسيتين المتوسطة والثانوية داخل مدينة الطائف. رسالة ماجستير غير منشورة. قسم علم النفس - كلية التربية - جامعة ام القرى. مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية.

- ١٩) زهران، حامد عبد السلام ١٩٩١: الصحة النفسية والعلاج النفسي. عالم الكتب. القاهرة.
- ٢٠) سرحان، وليد؛ الخطيب، جمال؛ حباشنة، محمد (٢٠٠١م): الاكتئاب. الطبعة الأولى. مجدلاوي. عمان.
- ٢١) السيد، صالح حزين (١٩٩٣): إساءة معاملة الأطفال (دراسة إكلينيكية)، مجلة الدراسات النفسية تصدر عن رابطة الأخصائيين النفسيين مج ٣. القاهرة.
- ٢٢) السيد، فاتن عبد الفتاح (١٩٩٣) مظاهر الاكتئاب لدى الفتاة الجامعية دراسة لعلاقة مظاهر الاكتئاب ببعض متغيرات التنشئة الأسرية كما يدركه الفتيات، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى جامعة الزقازيق، كلية الآداب، قسم علم النفس.
- ٢٣) شابرول، هنري (١٩٩٨). تعريب سلمان قعفراني: المراهقة والاكتئاب. عويدات للنشر والطباعة. بيروت.
- ٢٤) الشربيني، لطفى (٢٠٠٧م): الاكتئاب .. نظرة عامة. الكتاب الالكتروني لشبكة العلوم النفسية العربية: العدد ٩، لسنة
- ٢٥) الشهري، سالم سعيد سالم (١٩٩٦م): الالتزام الديني في الإسلام وعلاقته بالاكتئاب النفسي لدى عينة من طلاب جامعة أم القرى. رسالة ماجستير غير منشورة. مكة المكرمة.
- ٢٦) شيفر وملمان (١٩٩٩م)، ترجمة سعيد حسني العزة: سيكولوجية الطفولة والمراهقة (مشكلاتها وأسبابها وطرق حلها). دار الثقافة للنشر والتوزيع. عمان.
- ٢٧) الصواف، منى؛ جليبي، قتيبة (٢٠٠١م): الصحة النفسية للمرأة العربية. [http://www.hayatnafs.com/7aola\\_almar2a/psychiatricdisorders&mensrualcycles.htm](http://www.hayatnafs.com/7aola_almar2a/psychiatricdisorders&mensrualcycles.htm)
- ٢٨) طه، فرج عبد القادر وآخرون (١٩٩٣م): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط (١). دار سعاد الصباح. القاهرة.
- ٢٩) عبد الخالق احمد (١٩٩٩م): التفاؤل والتشاؤم عرض لدراسات عربية، مؤتمر الخدمة النفسية والتنمية، الكويت.

- ٣٠) عسكر، عبد الله (٢٠٠١م): الاكتئاب النفسي بين النظرية والتشخيص. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة.
- ٣١) عسكر، عبد الله (١٩٨١م): الاكتئاب النفسي بين النظرية والتشخيص. الانجلو المصرية. القاهرة.
- ٣٢) عفيفي، عبد الحكيم ١٩٨٩م: الاكتئاب والانتحار. الدار المصرية. القاهرة.
- ٣٣) عكاشة، احمد ١٩٩٢م: الطب النفسي المعاصر. الانجلو المصرية. القاهرة.
- ٣٤) عوض، رثيفة رجب ٢٠٠١م: ضغوط المراهقين ومهارات المواجهة (التشخيص والعلاج). مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
- ٣٥) الغامدي، حامد بن أحمد ضيف الله ١٩٩٦م: الاكتئاب النفسي وعلاقته بالتذكر لدى عينة من مراجعي العيادات النفسية بالمنطقة الغربية. رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة عبد العزيز. جده.
- ٣٦) غريب، عبد الفتاح ٢٠٠٢م: الاكتئاب ومركز الضبط لدى عينة مصرية من الراشدين. المجلة المصرية للدراسات النفسية. القاهرة. العدد ٣٤، ص ١ - ٤٢.
- ٣٧) غريب، عبد الفتاح (٢٠٠٠م): مقياس بك الثاني للاكتئاب، مكتبة الانجلو المصرية. القاهرة.
- ٣٨) الفاسم، جمال مثقال؛ و عبيد، ماجدة السيد؛ و الزعبي، عمار (٢٠٠٠م): الاضطرابات السلوكية. دار صفاء للنشر والتوزيع. عمان.
- ٣٩) فرويد، سيجموند ترجمة محمد عثمان نجاتي (١٩٨٩م): الكف والعرض والقلق. دار الشروق. القاهرة.
- ٤٠) اللحياني، سامي أحمد صليح. ١٩٩٦م. مستوى الاكتئاب وقلق الموت لدى عينة من مرضى ومريضات الفشل الكلوي المزمن بالمنطقة الغربية. رسالة ماجستير غير منشورة.
- ٤١) محمد، عبد الفتاح ١٩٩٧م: دراسة إكلينيكية وبائية لاضطراب الاكتئاب لدى سكان إحدى القرى المصرية. " أطروحة دكتوراه غير منشورة" كلية طب الأزهر. القاهرة.

(٤٢) المحمداوي، حسن ابراهيم ٢٠٠٨م: دراسة بعض أعراض الاكتئاب لدى المسنين من الجالية العربية في السويد. مجلة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك. العدد ٧-٦ ص ٨٧- ١٠٢

(٤٣) المدني، عادل؛ علي إسماعيل ٢٠١٠م: الطب النفسي، إصدار مطبعة الرحمة. القاهرة

(٤٤) معوض، خليل ميخائيل ١٩٩٤م: سيكولوجية النمو (الطفولة والمراهقة). الإسكندرية: دار الفكر الجامعي. الإسكندرية.

(٤٥) منصور، محمد جميل يوسف وآخرون ١٩٨٩م: النمو من الطفولة إلى المراهقة. دار تهامة. جدة.

(٤٦) النمر، مها ٢٠٠٧م: سن اليأس .. مرحلة حرجة في حياة المرأة. مجلة التخصصي. العدد ٥ ص ٣٧.

#### المراجع الأجنبية :

- 1) AL-Attass, Hadoon Ali. (2006): Psychické a psychosomatické poruchy u obyvatel Jemenu se zvláštním zřetelom k faktorům pracovnizátěže (Město AL-MUKALLA). Charles University. Prague (اطروحة دكتوراه غير منشورة).
- 2) American Psychiatric Association (APA) 1994. Premenstrual disphoric disorder. Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders. 411 ed. Washington. DC: American Psychiatric Press;:714-718.
- 3) Andersch B.; Wendestam C.; Hahn L.; Ohman R. (1986): Premenstrual complaints. I. Prevalence of premenstrual symptoms in a Swedish urban population. J Psychosom Obstet Gynaecol. 5:39-49.
- 4) Aneshensel, C.; Frerichs, R.; & Clark, V. (1981): Family roles and sex difference in depression. Journal of Health and Social Behavior. 22, Dec, 379-393.

- 5) Angold, A.; Erkanli,A.; Farmer,E.M.Z.; Fairbank,J.A.; Burns,B.J.;Keeler,G.; and Costello,E.J. (2002): Psychiatric disorder, impairment and service use inrural aAfrican American and white youth. Archives of General Psychiatry. 59: 893-901.
- 6) Barbara L. Parry (2008): Premenopausal Depression. Am J Psychiatry January.165:1
- 7) Beck, A. 1967: Depression Clinical,Experimental and Theoretical Aspects.Harper and Row.New York.
- 8) Beck, A (1967) The Diagnosis and Management of Depression. philadelphia : University of Pennsylvania Press.
- 9) Beck, A.; Rush, A.; Shaw, B.;&Emery,G. (1979): Cognitive Therapy of Depression. Guilford Press.New York .
- 10)Beckwith, L. 1990: Adaptive and maladaptive parenting: Implications for intervention. Handbook of early childhood intervention. Cambr. Univ. Press, Cambridge. P. 53—77 .
- 11)Bridge, J.A.; Goldstein, T.R.; Brent, D.A. (2006): Adolescent suicide and suicidal behavior. J. Child Psychol Psychiatry; 47:372—394
- 12)Brown, G.W.; Harris, T.O.(1978): Social Origins of Depression. Free Press. New York, NY .
- 13)Bruning, J. 1968 : Computational Handbook of Statistics. Scott, Foresman and Company. New Jersey .
- 14)Byrne, D. 1981: Sex differences in the reporting of symptoms of depression in the general population. British Journal of Clinical Psychology. 20, 83 – 92.
- 15)Caplan,H. L. , et al. 1989.: Maternal depression and emotional development. British Journal of Psychiatry, 154. 823-828.
- 16)Cartwright, R. D. et al. 1984: Broken dream: A study of the effects of divorce and depression on dream content.

- Psychiatry Journal for the Study of Interpersonal Processes. 47, 3: 251-259.
- 17) Costello, E. 1982: Locus of control and depression in students and psychiatric outpatients . Journal of Clinical Psychology. 38, No. 2, 340 – 343.
- 18) Cox, J.L.; Murray, D.; Champman, G.A. 1998: A controlled study of the onset, duration and prevalence of postnatal depression. British Journal of Psychiatry. Vol. 163. P. 27— 31 .
- 19) Culbertson, F. M. 1997: Depression and gender. An international review. American Psychologist, 52,1.
- 20) Cyranowski, J.M.; Frank, E.; Young, E.; Shear, M.K. 2000: Adolescent onset of the gender difference in lifetime rates of major depression. Archives of General Psychiatry; 57:21- 27 .
- 21) DSM IV (1994) : Diagnostic and statistical manual of mental disorders. 4th edition. Washington: American Psychiatric Association.
- 22) Flor-Henry, P. 1978: Gender, hemispheric specialization and psychopathology. Social Science and Medicine . Jul. 12. 155- 162 .
- 23) Fombonne E. 1999: True trends in affective disorders. In: Cohen P, Slomkoski C, Robins LN, eds. Historical and Geographical Influences on Psychopathology. Laurence Erlbaum, New Jersey:115–39
- 24) Ghareeb, G. (1996): An investigation of some variables related to depression in Egyptian Youth. Paper presented at the World Federation for Mental Health, Cairo World Congress, Cairo, Oct. 1987. (Also published Journal of Education, College of Education, Al – Azhar University, 54, 1 – 10.

- 25) Gilbert, P. 2000: Counseling for depression. Sage publication Ltd. London .
- 26) Gilbert, P. 1992: Depression The evolution of powerlessness.– Hove.: LEA –.
- 27) Halbreich, U. ed. 1997: Hormonal Modulation of Brain and Behavior. American Psychiatric Press; Washington, DC .
- 28) Halbreich, U. ed. 1996: Psychiatric Issues in Women. Ballieres International Practice and Research: Clinical Psychiatry. London, UK: Bailliere-Tindall :
- 29) Halbreich, U. 1995: Menstrually related disorders: what we know, what we only believe we know, and what we know we do not know. Crit Rev Neurobiot; 9: 163-175.
- 30) Halbreich, U.; Endicott, J. 1985: The relationship of dysphoric premenstrual changes to depressive disorders. Act PsychiatrScand; 71: 331.
- 31) Hamilton, J.A.; Halbreich, U. 1993: Special aspects of neuropsychiatric illness in women: focus on depression. Ann RevMed; 44: 355-364.
- 32) Hoeksema, S.N., Grayso, C.,&Larson.J. 1999: Explaining the gender difference in depressive symptoms, Journal of personality and social psychology, Vol. 77, No.5.
- 33) Ibrahim, A-S.,& Ibrahim, R. M. 1996: The foundations of human behaviour in health and illness. Heartstone Book; Carlton Press.New York, N. Y,Kronenberg, F.: Hot flashes: phenomenology, quality of life, and search for treatment options. ExpGerontol 1994; 29: 319–36. □
- 34) Kumar R., Robinson K.M. 1984: A prospective study of emotional disorders in childbearing women // British Journal of Psychiatry. Vol. 144. P. 35–47
- 35) Lewin, M. 1979 : Understanding Psychological Research. John Wiley & Sons. New York .

- 36) Lewisohn, P.M.; Hyman, H.; Roberts, R.E.; Seeley, J.R.; and Andrews, J.A. 1993: Adolescent psychopathology: 1. Prevalence and incidence of depression and other DSM-III-R disorders in high school students. *Journal of Abnormal Psychology*,;102:133-44.
- 37) National Committee for Quality Assurance(2006): *The State of Healthcare Quality*. Washington, DC.
- 38) Nolen-Hoeksema, S.: Sex differences in unipolar depression, evidence and theory. *Psychological Bulletin*. 1987. 101. No. 2. 259-282.
- 39) Rosenfield, S. 1980: Sex differences in depression : do women always have higher rates ? *Journal of Health and Social Behavior*, 21, 33-42 .
- 40) Rubinow, D.R.; Schmidt, P.J.; and Roca, C.A. 1998: Estrogen-serotonin interactions: Implications for affective regulation. *Biological Psychiatry*,;44(9):839-50 .
- 41) Rufaie, O.E.F.; & Absood,L.G. 1994: *Experimental therapeutics in addiction medicine*. Haworth Press.New York, N.Y.
- 42) Schindler, H.P.G. 1981: *The Controversial Climacteric*. Eds. P.A.van Keep, W.H.Utian, A.Vermeulen. Lancaster; p. 9–18.
- 43) Serr, D.M.; Atlas, M 1982: *The Menopause: Clinical, Endocrinological and Pathophysiological Aspects*. Eds. P.Fioretti et al. London; New York; p. 507–15.
- 44) Sloan, D.M.;Kornstein, S.G. 2003: Gender differences in depression and response to antidepressant treatment. *PsychiatrClin North Am*; 26:581–594
- 45) Spitzer, R.;Skodol, A.; Cibbon, M.;& Williams, J. 1981: *DSM-III Diagnostic And Statistical Manual of Mental Disorders (3rd ed ) Case Book*. American Psychiatric Association. New York .

- 46) Straus, M.A.: Stress and child abuse. Kempe C.H., Heifer R.E. (1980). The battered child. Chicago: Chicago Univ. Press,. P. 86—103
- 47) The Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders 1980 (DSM - III, American Psychiatric Association. (
- 48) Utian, W.H; Serr, D.M. 1976: Consensus on Menopause Research. Eds. P.A. van Keep, R.B.Greenblatt, M.A.Albeaux-Fernet. Lancaster; p. 1—4.
- 49) Walsin, L.R.: Depressive disorders, In J.L. Jacobson, & A. H. Jacobson 1996: ( Eds.), Psychiatric Secrets Philadelphia, PA: Mosby.
- 50) Webb, L.; & Allen, R. 1979: Sex differences in mental health. Journal of Psychology, S-Petersburg , 101, 89-96 .
- 51) Weissman, M. & Klerman, G. (1979) Sex differences and the epidemiology of depression. In Edith Gomberg, & Violet Franks (Eds. ) Gender and Disordered Behavior, Sex Differences in Psychopathology. New York : Brunner / Mazel. .
- 52) Weissman, M.M.; Bland, R.C; Canino, G.J; Faravelli, C.; Greenwald, S.; Hwu, H.G.; Joyce, P.R.; Karam, E.G.; Lee, C.K.; Lellouch, J.; Lepine, J.P.; Newman, S.C.; Rubin-Stiper, M.; Wells, J.E.; Wickramaratne, P.J.; Wittchen, H.; and Yeh, E.K. ( 1996): Cross-national epidemiology of major depression and bipolar disorder. Journal of the American Medical Association,; 9- 276:293 .
- 53) БазЛ.Л.2005, Послеродовая депрессия. Эмпирические исследования психологических феноменов / "Хрестоматия по перинатальной психологии. Психология беременности, родов и послеродового периода" составитель - А.Н. Васина, М.: Издательство УРАО, с. 235-245

- 54)БазЛ.Л., Скоблог.В.1996 г.  
Особенностиобщениямладенцевотматерейпослеродов  
ымидепрессиямисовзрослым // Психологиясегодня:  
ТезисыIВсерос. конф. попсихологии (31 января—2  
февраля., Москва). М., Т. 2. Вып. 3. С. 133.
- 55)БазЛ.Л., Скоблог.В. 1999. Психотерапияматеринско-  
детскихотношенийприпослеродовыхдепрессияхуженци  
н //  
Современныенаправленияпсихотерапииииихклиническое  
применение: МатериалыПервойвсерос. учебно-практич.  
конф. попсихотерапии. М., С. 104.
- 56)ДокладВОЗ 2001 «Психическоездоровье:  
новоепонимание, новаянадежда.—.»
- 57)Международнаяклассификацияболезней (10-  
гопересмотра)1999. /  
Классификацияпсихическихиповеденческихрасстройств.  
— К.: Факт ,
- 58)Скоблог.В., БазЛ.Л.,  
БаландинаТ.А.1996:Вопросыисследованияпослеродовых  
материнскихдепрессийваспектеихвлияниянапсихическо  
ездоровьедетей //  
Актуальныевопросыпограничныхсостоянийиаддиктолог  
ии. Томск., С. 64.
- 59)Скоблог.В., БаландинаТ.А.1999.  
Послеродовыедепрессииуматерейииихсвязьспсихически  
мздоровьеммладенца // Проблемымладенчества:  
нейро-психолого-  
педагогическаяоценкаразвитияиранняякоррекциюткло  
нений: Научно-практич. конф. (15— 16 марта 1999 г.,  
Москва). М., С. 125—128.

- 60) Сметник В.П., Кулаков В.И. 2001: Руководство по климатерии. М.: Медицинское информационное агентство.
- 61) Сметник В.П., Ткаченко Н.М., Глезер Г.А., Москаленко Н.П. 1988 Климатерический синдром. М.
- 62) Тювина Н.А. 1991. Психически нарушения у женщин в период климактерия (клиника, лечение, прогноз). Дис. ... д-р мед. наук. М.
- 63) Тювина Н.А. 1996. Психически нарушения у женщин в период климактерия. М.: Крон-пресс.
- 64) Тювина Н.А. 2008; Особенности лечения депрессивных расстройств у женщин. Психiatr. и психофармакотер. 10 (3): 12–6.

#### مواقع الانترنت

- ١) <http://lossofsoul.com/DEPRESSION/statistic.htm> موقع منظمة الصحة العالمية. آخر زيارة ٧ سبتمبر ٢٠١٣
- ٢) <http://woman.health-ua.com/article/178.html> موقع الصحة النسوية باللغة الروسية. آخر مراجعة في ١٠ سبتمبر ٢٠١٣
- ٣) <http://www.sulayyil.com/vb/showthread.php?p=6613>

# الدروس المستفادة من الهجرة النبوية

الدكتور/ داوود المندي

---

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك  
كلية التربية - جامعة صنعاء



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## الدروس المستفادة من الهجرة النبوية

أخرج الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وسلم الناس من الظلمات إلى النور وغير محمد صلى الله عليه وسلم وجه التاريخ البشري كله إلى اليوم، وإلى ما شاء الله في ثلاث وعشرين سنة، فقد أقام ديناً جديداً (دين الإسلام)، وربى عليه جيلاً فريداً (جيل المؤمنين الأوائل)، وأنشأ أمة (الأمة العربية الإسلامية الأولى)، وأسس دولةً عالمية (الدولة العربية الإسلامية الأولى)، وأسس حضارةً عالمية إنسانية وسامية (الحضارة العربية الإسلامية) في هذا الزمن اليسير برغم كل الصعوبات والمعوقات التي اعترضت سبيله من أول يوم<sup>(١)</sup>.

وتظل شخصية رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإسلام على توالي الزمان زاداً لطالبي القيادة الرشيدة، ومدداً لمن أراد أن يبني دولة على الحق، والحق لا يزول، وسيظل صلى الله عليه وسلم نبياً يهتدي به كل من رام الصلاح والفلاح، فإنه صلى الله عليه وسلم مدرسة في القيادة، والريادة، والتنظيم، والتخطيط، والتفكير، والتدبير الذي يحمل عناصر النجاح، فإن عناية الله دائماً معه تسدد خطاه وتبارك مسعاه. فحري بنا - نحن المسلمين - أن نأخذ العبرة، فقد أصبحنا في أمس الحاجة إلى الأخذ بتعاليمه في هذا الزمان.

وإذا كان عظمة الشخصية التاريخية في الحضارة الإنسانية تقاس بالتأثيرات التي تحدثها في مسار الحياة - حياة الناس وأفكارهم - وفي النتائج التي تتركها في تطور المجتمع البشري. إذا كانت عظمة الشخصية تقاس بهذه التأثيرات والنتائج، فشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم شخصية في تاريخ البشرية<sup>(٢)</sup>. إن من يقرأ سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم منذ مولده إلى بعثته، وهجرته، وتأسيسه الدولة الإسلامية في المدينة، وغزواته، وجهاده في سبيل الله حتى وفاته، لا شك في أنه سينبهر بتلك الشخصية الفذة العظيمة التي غيرت وجه التاريخ

(١) القرضاوي، يوسف: الوقت في حياة المسلم، دار الصحوة، القاهرة، د.ت، ص ٥٩.

(٢) العمران، عبد الرزاق علي: بدايات دراسة السيرة النبوية مصادر دراسة السيرة النبوية، مجلة الفيصل، الرياض، العدد (٢٦٥)،

وزينته، وكان لها شأن عظيم في انتشار الإسلام في الإنسان من وهدة الحضيض والتسيب والامتهان إلى قمة الكرامة والعزة، وأنه لم يوحد شبه الجزيرة العربية فحسب، بل كوّن من قبائلها - بفضل الله تعالى - أمة متماسكة حملت نور الإسلام إلى أمم المشرق والمغرب، وإلى العالم الوسيط برمته، فأعاد بذلك رسم خارطة العالم من جديد<sup>(٣)</sup>.

إن دراسة شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هي دراسة للشخصية المختارة التي تكاملت فيها جوانب العظمة أمثل ما يكون الكمال والتكامل في الإنسان، واختارها الله لتكون منارة الهداية الهامة لجميع الأمم، الشاملة لكافة جوانب الإنسان والحضارة، والخالدة على مدى الأزمان<sup>(٤)</sup>.

لا تقاس سير العظماء بالأحداث التي مرت بهم في حياتهم، أو بما كان منهم من تصرفات إزاء هذه الأحداث، وإنما تقدر سيرتهم بما تركوا من آثار في تاريخ الإنسانية، وبما يكون لمبادئهم وأعمالهم من توجيه وتطوير لحياة الأجيال التي تأتي بعدهم، من هنا يبرز الفرق الواسع بين عظماء الملوك وعظماء الأفكار والمبادئ<sup>(٥)</sup>.

وندرس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن إهمال دراستها سبب من أسباب تخلف المسلمين؛ فهم لم يستوعبوا حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وتعاملوا مع سيرته تعاملًا جافاً دون فقه حقيقي بجوانب العظمة فيها<sup>(٦)</sup>.

إن الهجرة النبوية الخالدة، هي على الحقيقة وثبة تاريخية إلى الأمام نتج عنها رسم ملامح حضارية جديدة للوجود الإسلامي الحق في دنيا الواقع المحسوس فضلاً عن أنها كانت أيضاً حركة انفتاحية، على المستوى الإيماني والحضاري الشامل، بكل ما تعني الكلمة من معنى<sup>(٧)</sup>.

(٣) العمران: بدايات دراسة السيرة النبوية، ص ٣٠.

(٤) عتر نور الدين: صفحات من العظمة في شخصية الرسول (ﷺ)، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد (٢٥٣)، محرم ١٤٠٦هـ، ص ٢٢.

(٥) شلبي، عبد الجليل عبده: دعوة الإسلام هي مرآة السير النبوية، المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية والمؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية، السيرة النبوية، ١٨ - ٢٤ صفر ١٤٠٦هـ - ١/ ٧ نوفمبر ١٩٨٥م، مجمع البحوث الإسلامية، الأزهر، القاهرة، ص ١٩٢.

(٦) الغزالي، محمد: فقه السيرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص ٤ - ٧.

(٧) طه، مصطفى محمد: حول مظاهر الانفتاح الحضاري في الهجرة النبوية، مجلة منار الإسلام، وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (٢٨)، محرم ١٤٢٣هـ/ مارس - أبريل ٢٠٠٢م، ص ٢٦.

ويستخلص المتتبع لأحداث الهجرة النبوية<sup>(٨)</sup> - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- بتأمل وتدبر الدروس تلو الدروس، والعبر بعد العبر، وذلك لما امتاز به هذا الحدث العظيم من مزايا من حيث التخطيط والهدف والامتحان والكشف، والتضحية والفداء<sup>(٩)</sup>.

إن الهجرة النبوية لها جوانب كثيرة ومتعددة تناولها كثير من الكتاب والباحثين والعلماء بالشرح والتحليل، وكل منهم أدلى بدلوه في إبراز هذا الحدث العظيم الذي كان له أعظم الأثر في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، وسأهتم بإبراز بعض الجوانب والمضامين التربوية في الهجرة النبوية الإسلامية، لأن القيم التربوية الإسلامية عامل أساسي في تنشئة الإنسان المسلم تنشئة إيمانية، ونحن في حاجة ماسة إلى قراءة تربوية جديدة في الهجرة النبوية، تتناسب مع طبيعة العصر الذي نعيشه، وقد انعكست آثاره السلبية على الفرد والمجتمع معاً، وبهذا نستطيع من خلال هذه القراءة التربوية المتواضعة أن نستوعب العبر والعظات والدروس المستفادة التي نأمل أن يستفيد منها الآباء والمربون والأبناء<sup>(١٠)</sup>.

لا نكون مبالغين إذا قلنا إن أظهر حدث في الإسلام منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى هو حادث الهجرة. الذي غير مجرى التاريخ، فقد

(٨) للاستزادة عن الهجرة النبوية انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق: محمد عويصة، الجزء الثاني، دار العنان، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٨٤ - ٩٩. خليل، عماد الدين: دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، بيروت - دار النفائس، بيروت، ط١١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٢٧ - ١٤٤. أبو خليل، شوقي: في التاريخ الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت - دار الفكر، دمشق، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص ٤٤ - ٥٠. العمري، أكرم ضياء: السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج١، ص ٢٠١ - ٢٢٣. أمحزون، محمد: منهج النبي (ﷺ) في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة المعرفة - التربية - التخطيط - التنظيم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٥١ - ٧٦. الشجاع، عبد الرحمن: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة (رؤية جديدة لتاريخ صدر الإسلام)، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ١١١ - ١١٨. المباركفوري، صفى الرحمن (إعداد وإشراف): نبأ عظيم إلى جميع البشر (إنك لعلى خلق عظيم)، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ج١، الرسالة النبوية والبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم، شركة كندة للإعلام والنشر، د.م، د.ت، ص ص ١٣٥ - ١٥١.

(٩) الرمحموني، عبد الرحيم: الهجرة النبوية إلى المدينة والنماذج الإنسانية التي قدمتها، مجلة منار الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٤)، محرم ١٤٠٩هـ / أغسطس ١٩٨٨م، ص ٦.

(١٠) حسانين، أحمد جمعة: دروس من الهجرة النبوية، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، الرياض، العدد (١٩٩)، محرم ١٤١٤هـ / يوليو ١٩٩٣م، ص ٩.

كان مرحلة انتقال من أرض عبدت فيها الأصنام، وقتل فيها الأبرياء، وشربت فيها الخمر وهئتي لأهلها أن هذا هو السؤدد بعينه، إلى أرض سطع فيها شمس الإسلام، وظهر فيها نوره الوضاء لقد فرق هذا الحادث العظيم بين الضعف والقوة والخير والشر، والأولياء والأعداء.

وبذلك بات واضحاً أن حادث الهجرة من نصيب كبير من الاهتمام قديماً وحاضراً وقبل أن نذكر أهم الدروس المستفادة من الهجرة يحسن أن نشير إلى أن الدعوة ظلت في بدايتها سرية ولمدة ثلاث سنوات، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجهر بالدعوة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ (١) قُوفَانِزِر (٢)﴾ المدثر: ١ - ٢ ، وما أن صعد على جبل الصفا، ونادى قريشاً وأخبرهم بأمر دعوته قائلاً: ( يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب ويذل لكم بها العجم، فإذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة)<sup>(١١)</sup>، حتى وجد كفار مكة يناصبونه العدا، ويستخدمون مختلف الأساليب في إيذائه - صلى الله عليه وسلم - .

وبدأت سلسلة طويلة من استخفافهم بشأنه وبشأن دعوته، فبعضهم يقول: إنه ساحر، وبعضهم يقول: إنه مجنون، وهناك من قال: إنه يأتي بأساطير الأولين!! واشتد الأذى بعد وفاة عمه أبي طالب الذي كان يدافع عنه، وبعد وفاة زوجته التي كانت تخفف عنه همومه وأحزانه لما يلقاه من عدااء قريش<sup>(١٢)</sup>، فما كان منه إلا أن توجه إلى الطائف علّه يجد أذاناً صاغية لدعوته، غير أنهم أغروا به صبيانهم، فخذفوه بالحجارة حتى سال الدم من قدميه الطاهرتين، فلجأ إلى بستان بالطائف ودعا الله تعالى أن يخرجهم من هذه القرية الظالمة أهلها، فكانت الهجرة إلى المدينة، ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٠<sup>(١٣)</sup>.

(١١) ضيف، نشأة عبد الجواد: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، مجلة منار الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٧)، المحرم ١٤١٢هـ/ يوليو ١٩٩١م، ص ١٥.

(١٢) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٥ - ١٦.

(١٣) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٨٠، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٦.

إن حدثاً يُؤرخ به لبداية أمة الإسلام ولقيام دولتها، فهو حدث عظيم في حياة العالم الإسلامي كله، وفي حياة المسلمين جميعاً، إنه نقطة التحول والخروج من الفتن والبلاء والمحن التي طال ليلها بمكة، حتى وصل إلى ثلاثة عشر عاماً، كلها شدائد وآلام، إن المسلمين جعلوا الهجرة بداية تأريخهم في هذه الحياة، وهذا الاختيار والتصرف منهم دليل على فقههم في دينهم ونظرهم النافذ لمعرفة حقيقته، فالهجرة من مكة إلى المدينة حدث عظيم جليل، لا يقدره إلا أصحاب الدعوات من الرجال الأبرار.

إن الهجرة أهم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية؛ إذ بالهجرة تأسس الكيان السياسي للأمة الإسلامية لنشر الإسلام، والدفاع عن حرمانه، ولأهميتها كان التاريخ الهجري، ولم يكن غيرها من الأحداث الهامة كالميلاد والبعثة، أو وقعة بدر أو ما شابهها، ولم يؤرخ المسلمون بتاريخ غيرهم حفاظاً على استقلالية الأمة وتميزها، وتعلمنا الهجرة كيف أن على الدعاة أن يبحثوا دائماً عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انطلاق، ونواة تأسيس.

فروعة الهجرة أنها جهاد وعقيدة وفداء وكفاح، أنها إعلان على إصرار حملة الحق، المؤمنين على الوفاء لدينهم والتمسك برسالة الحق، فإما موت كريم، وإما نصر عظيم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ التوبة: ٥٢ ويقول الحق سبحانه في الرجال الذين تخطوا المعوقات والعقبات ﴿إِنَّ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْلِيَّكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة: ٢١٨، إن المهاجرين هم الرجال الذين صنعهم الإسلام، ورباهم على التحمل والصبر والثبات والتضحية بلا حدود<sup>(١٤)</sup>.

إن استخراج الدروس والعبر والأحكام من حوادث السيرة النبوية من أهم أهداف الدراسة التاريخية لها وأعظم فوائدها؛ لكن هذا الأمر لا يستطيعه كل باحث أو قارئ للسيرة؛ لأنه يحتاج إلى مرجعية شرعية، وإلى ضوابط تضبط طريقة الاستنتاج،

(١٤) الخطيب، محمد عبد الله: الهجرة النبوية .. مواقف ودروس لرجال الدعوات، مجلة الدعوة، القاهرة، العدد (١٢١)،

المحرم، ١٤٢٣هـ/مارس - أبريل ٢٠٠٢م، ص ٦.

ويالنظر إلى مناهج الاستدلال والاستنباط عند علماء المسلمين؛ فإنه يمكن معرفة بعض ضوابط استخراج الدروس والفوائد التربوية من خلال طريقتهم في البحث والاستدلال ووفقاً للخطوات الآتية<sup>(١٥)</sup>:-

- ١) التأكد من صحة الحدث أو الواقعة التاريخية حتى يصح الاستدلال بها.
  - ٢) بذل الجهد في جمع الأخبار الواردة في الموضوع الواحد.
  - ٣) معرفة حدود العقل في نقد الأخبار.
  - ٤) أحكام الدعوة خاضعة للنصوص الشرعية في الكتاب والسنة وليست خاضعة للتجارب.
  - ٥) ملاحظة المراحل التي مرت بها السيرة النبوية ونزول التشريع.
  - ٦) ملاحظة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ بعض المواقف وعقد بعض المعاهدات ما أوحى الله إليه.
  - ٧) هناك أمور في السيرة النبوية وقع تحديدها قدراً واتفاقاً فلا يقاس عليها.
- إن الهجرة النبوية في مفهومها الثقافي درس قبل أن تكون تاريخاً.. ففيها من العبر والوقفات ما يسهم في تنمية الروح والعقل، وبناء اليقين الإيماني والإلهام الفكري. وفي حادثة الهجرة الكثير من الفوائد التي تعود على المسلمين ديناً وديناً، قولاً وعملاً، نفعاً وسعادة<sup>(١٦)</sup>.
- وأهم الدروس التي يمكننا الانتفاع بها من أحداث الهجرة، وهي التي غيرت مجرى التاريخ كله لأهميتها ومكانتها في تاريخ الدعوة تتمثل في الآتي:-

(١٥) السلمي، محمد بن صامل: ضوابط استخراج الدروس والفوائد التربوية من السيرة، مجلة البيان، العدد (١٥٩)، ص ص ٨٧ - ٩٠.

(١٦) القراوي، مطلق راشد: دروس من الهجرة النبوية، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، العدد (٤٩٧)، السنة (٤٤)، محرم ١٤٢٨هـ/ يناير ٢٠٠٧م، ص ٩٨.

**الدرس الأول: التخطيط والتنفيذ والأخذ بالأسباب وحسن التوكل على الله :-**

التوكل على الله ضرورة وشرط.. ضرورة لاكتمال الإيمان، وشرط لحفظ الله ونصره .. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الأنفال: ٢. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ الطلاق: ٣ (١٧).

من المعلوم أن نجاح كل عمل يتوقف على حسن تخطيطه وتنفيذه وخاصة إذا كان هذا التخطيط من قائد عظيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم توجهه العناية الإلهية ويرعاه العلم الرباني.

إن التخطيط الدقيق والأهداف الواضحة في سير حركة الرسول صلى الله عليه وسلم يُعد في استنفاد كل جوانب التخطيط، ثم يأتي التسديد الرباني عند الحاجة، بما يوحي بمشروعية ووجوب التخطيط عند كل مسلم، بل هو سمة من سمات المنهج الرباني، وليس من نافلة الأمور (١٨).

لم تخل حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الأخذ بالأسباب قط، ولم تعدم في الوقت نفسه التوكل فهو القائل (أعقلها وتوكل)، ومن هذا المنطلق نجده يعد الجيوش ويأمر المسلمين بالتدرب. وحدث الهجرة مليء بالمواقف التي تشهد بأنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الحيطة والحذر (١٩)، ويخطط تخطيطاً جيداً محكماً لكل أمر صغراً أو كبير، ومن بين الأسباب والاحتياطات التي فعلها في الهجرة ليستطيع التكتم على الهجرة ما يأتي:-

(١٧) القراوي: دروس من الهجرة النبوية، ص ٩٨.

(١٨) الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، رؤية جديدة لتاريخ صدر الإسلام، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ط٥، ٢٠٠٥/٢٠٠٦م، ص ١١٨.

(١٩) أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، العدد (٥٤)، السنة (١٦)، رجب ١٤١٧هـ / تشرين الثاني (نوفمبر). كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٦م.

- أ- تكليف النبي صلى الله عليه وسلم علياً - رضي الله عنه - بالنوم مكانه تمويهاً على كفار قريش وليقوم بأداء الأمانات ورد الودائع التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لأهل مكة الذين كانوا يأتونونه على أماناتهم وودائعهم ولا يأتونونه على عقيدتهم<sup>(٢٠)</sup>.
- ب- ذهابه صلى إلى أبي بكر في حر الظهيرة - وقت القيلولة حالة كونه مقنعاً حرصاً على التكتّم والسرية وحين دخل على أبي بكر قال له أخرج من عندك، فقال له إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله<sup>(٢١)</sup>.
- ج- خروجه ليلاً من بيت أبي بكر ومن باب خلفي.
- د- اختياره صلى الله عليه وسلم غار ثور لتضليل كفار قريش، وبقاؤه فيه لمدة ثلاثة أيام.
- هـ- تأمين معرفة ما يدبره الكفرة ليتسنى للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه تلافي ما قد يستجد في الموقف. وهذا الدور قام به عبد الله بن أبي بكر الصديق. رضي الله عنهما فكان ينقل إليهما أخبار القوم ويعود إلى مكة قبل الفجر ليشعر الكفرة من قريش أنه يبيت معهم في مكة<sup>(٢٢)</sup>.
- و- إخفاء أثر - عبد الله - بغنم عامر بن فهيرة وإراحة الأغنام حول الغار ليطعما من لبنها.
- ز- قيام أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - بمهمة توصيل الطعام وقد سميت بذات النطاقين.
- ح- اتجاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة من طريق خفي يختلف عن الطريق المعتاد مستعيناً بآبن أريقط للتمويه على القوم. بعد أن واعداه على الإتيان بالراحلتين عند الغار إلى غير ذلك من المواقف التي تجعلنا نقول: إن ديننا الحنيف يدعونا إلى الأخذ بالأسباب وعدم التواكل، ومن يتهم المسلمين

(٢٠) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٧.

(٢١) الغزالي: فقه السيرة، ص ١٧٢، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٧.

(٢٢) الغزالي: فقه السيرة، البوطي: فقه السيرة، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٧ - ١٨.

لتعطيلهم العقل فعليه أن يعيد النظر في اتهامه، وليعلم أن ديننا دين سعي وعمل وتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب<sup>(٢٣)</sup>.

أما حسن التوكل على الله، فقد صاحبه صلى الله عليه وسلم وهو يخرج من بين صفوف من يتربصونه ليقتلوه، ولا يفعل من الأسباب إلا أن يقرأ سورة يس إلى قوله تعالى: ﴿فَأَعْيَبْنَاهُمْ فِيهِمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ يس، من الآية: ٩. ثم يحثوا فوق رؤوسهم التراب. وكذلك من حسن توكله صلى الله عليه وسلم على الله تعالى ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة، من الآية: ٤٠. وقد علم أن ربه لن يتخلى عنه ولن يضيعه.

إن الجهد البشري الذي يُبذل ويُبْتَغَى به وجه الله تعالى يحالفة دائماً التوفيق الرباني، فكلاهما يسيران معاً ليحققا الهدف المرسوم من عند الله تعالى، فمحمد صلى الله عليه وسلم رغم يقينه بأنه يسير وفق رعاية الله تعالى وكنفه، فقد جاهد في الله حق جهاده في سبيل إيجاد أرض ودار للإسلام، وأنه صلى الله عليه وسلم ما كان يركن، أو يساوره الشك في طريقه، وكلما مضى في طريق واعترضته الصعوبات سلك طريقاً آخر، وهكذا حتى كتب له النجاح صلى الله عليه وسلم<sup>(٢٤)</sup>.

### الدرس الثاني: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب:-

لو نظرنا في المهام التي قام بها كل واحد من الذين شاركوا في الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم حدد المهام التي تتفق وقدرات كل إنسان وإمكاناته ومن هنا نتعلم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فكل إنسان ميسر لما خلق له وبالتالي فعلى كل مسئول أن يُحسن اختيار من يُسند إليهم الوظائف المهمة، فيختار الأكفاء ويستبعد الضعفاء، ويلغي من قاموس تعامله ما يسمى بالمجاملات والهدايا والرشاوى وما يشبهها. نتعلم كل هذه من أدوار المشاركين في حدث الهجرة من المسلمين أو غيرهم<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٣) الغزالي: فقه السيرة، البوطي: فقه السيرة، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٨.

(٢٤) الشجاع: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص ١١٨.

(٢٥) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٨.

## الدرس الثالث: درس في سياسة الأمور:-

يلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كتم أسرار مسيره، فلم يطلع عليها إلا من لهم صلة ماسة، ولم يتوسع في إطلاعهم إلا بقدر العمل المنوط بهم.

واستأجر الرسول صلى الله عليه وسلم دليلاً خبيراً بطريق الصحراء ليستعين بخبرته على مغالبة المطاردين ونظر في هذا الاختيار إلى الكفاية وحدها، فإذا اكتملت في أحد، ولو مشركاً، استخدمه وانتفع بموهبته.

ومع هذه المرونة في وضع الخطة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أصر أن يدفع ثمن راحلته. وأبى أن يتطوع أبو بكر الصديق به، لأن البذل في هذه الهجرة ضرب من العبادة ينبغي الحرص عليه وتستبعد النيابة فيه.

واتفق الرسول صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر على تفاصيل الخروج، وتخبروا الغار الذي يأوون إليه، وتخبروه جنوباً في اتجاه اليمن لتضليل المطاردين، وحددوا الأشخاص الذين يتصلون بهم في أثناء اللجوء إليه، ومهمة كل شخص. ثم عاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته، فوجد قريشاً بدأت تضرب الحصار حوله، وبعثت بالفتيان الذين وكل إليهم اغتيال محمد صلى الله عليه وسلم وتفريق دمه بين القبائل.

وأوعز الرسول صلى الله عليه وسلم إلى علي بن أبي طالب في هذه الليلة الرهيبة أن يرتدي برده الذي ينام فيه، وأن يتسجى به على سرير، وفي هجعة من الليل وغفلة من الحرس انسل الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته إلى دار أبي بكر الصديق، ثم خرج الرجلان من خوخة في ظهرها إلى غار ثور. إلى الغار الذي استودعته العناية مصير الرسالة الخاتمة، ومستقبل حضارة كاملة، وتركته في حراسة الصمت والوحشة والانتطاق<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٦) الغزالي، فقه السيرة، ص ١٧١ - ١٧٢.

## الدرس الرابع: في معرفة الرجال (الأشخاص):-

المتأمل للتحركات التي قام بها الأشخاص (النماذج الإنسانية) للذين شاركوا في صنع حدث الهجرة إيجاباً أو سلباً، يدرك الفارق الكبير بين النفس الإنسانية المسلمة المجاهدة، والنفس الإنسانية الكافرة التي يمكن أن تكون خيرة، كما يمكن أن تكون ماكراً شريرة، مما يقدم نماذج متباينة يمكن أن يوجد ما يماثلها أو يقاربها على مدار التاريخ الإنساني.

وحيثما نقول "الأشخاص" فإننا لا نقصد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو عليه الصلاة والسلام القدوة والأسوة في كل شيء، لأنه مصطفى مختار، فلقد أحكم خطة الهجرة ودبرها أحسن تدبير، حتى أنه كان من روعتها ودقتها أنه لم يعلم: (بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر<sup>(٢٧)</sup>)، وإنما نقصد شخصيات أخرى ساهمت في تطبيق الخطة، فضربت بذلك أروع الصور في التضحية والفداء، ومن هذه الشخصيات تلك التي علمت بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

١) شخصية علي بن أبي طالب: إنه نموذج الشاب<sup>(٢٨)</sup> المضحي بنفسه في سبيل مساعدة الرسول صلى الله عليه وسلم على الخروج من مكة، فلقد قال له الرسول الكريم: (نَمَّ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجَّ بِيَرْدِي هَذَا الْحَضْرَمِي الْأَخْضَرُ، فَنَمَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ.)<sup>(٢٩)</sup> فنام رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم آمناً مطمئناً واثقاً من قوله: (إنه لن يخلص إليك شيء تكرهه)، فلم يخف وقع السيوف، ولا طعن الرماح، ولا رضخ الحجارة، ولم يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِأَنْ يُتْرَكَ فَوْقَ الْفِرَاشِ وَدُونَ الْبَرْدِ شَيْئاً ذَا حِجْمٍ يَشْبَهُ حِجْمَ الْإِنْسَانِ، بَلْ نَامَ فِيهِ كَمَا كَانَ يَنَامُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ نَوْمَهُ هُنَاكَ إِيْهَامًا لِلْمَشْرُوكِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَطَّلَعُونَ، فَيَرُونَهُ عَلَى الْفِرَاشِ مَتَسَجِياً بِبَرْدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

(٢٧) ابن هشام: السيرة النبوية، دار الجيل بيروت، ج: ٢، ص: ٩٣، الرحموني: الهجرة النبوية، ص: ٦- ٧.

(٢٨) أسلم علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وهو ابن عشر سنين، كما يذكر ابن إسحاق، وتذكر روايات أخرى أنه أسلم وهو ابن تسع، وقيل ابن سبع، وبما أن الهجرة وقعت في السنة الثالثة عشرة من البعثة فمعنى ذلك أن عمر علي حينذاك كان عشرين سنة أو يزيد عليها بقليل. (الرحموني: الهجرة النبوية، ص: ٧).

(٢٩) ابن هشام: السيرة النبوية، ج: ٢، ص: ٩١، الرحموني: الهجرة النبوية، ص: ٧.

فلا يشكون أنه رسول الله، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي رضي الله عنه عن الفراش<sup>(٣٠)</sup>.

ولم يقتصر دور علي رضي الله عنه على النوم على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، بل إن الرسول الكريم: (أمره أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم)<sup>(٣١)</sup>. وفي هذا التكليف ثلاثة أمور :-

أ- أمانة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل الظروف والأحوال مهما كانت حرجة "فَرُبَّ قَائِلٍ يَقُولُ : إن وراء الهجرة هدفاً أكبر بكثير من التمسك بجزيئات أخلاقية قد يسمح الظرف الخطير بتجاوزها، لكن منطلق رسول الإسلام شيء آخر، ما الفرق بين الإسلام وبين المبادئ الأخرى إذا كان هو متأسياً بها في تخليه عن أخلاقياته في ساعات المحنة والخطر؟ وماذا سيقول المشركون لو غادر (الأمين) مكة دون أن يرد إليهم أماناتهم؟ ما أسرع ما يمكن أن يتهمؤه، حيث يأكلهم الغيظ: (الأمين تحول إلى سارق، وضاعت الأمانة.. وحاشاه)<sup>(٣٢)</sup>.

ب- أمانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه - حيث أن (الأمين) صلى الله عليه وسلم لن يكلف برداً الأمانات إلى أهلها إلا أميناً.

ج- أن عملية رد الودائع إلى أصحابها في حد ذاتها تضحية وجهاد، فمن يدري فلعن قريشاً تأخذ علياً رضي الله عنه وتنتقم لَمَّا فاتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم لا تفعل ذلك وهي التي عرضت عمارة بن الوليد على أبي طالب حتى يدفع إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه.

(٣٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩٢، الرحموني: الهجرة النبوية، ص٧.

(٣١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩٣، الرحموني: الهجرة النبوية، ص٧.

(٣٢) خليل: دراسة في السيرة، ص ١٣٥ الرحموني: الهجرة النبوية، ص٧.

(٢) **شخصية أبي بكر الصديق - رضي الله عنه** : إنه أنموذج المؤمن الصادق الصديق، أول الرجال إيماناً والمصدق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأحرجها<sup>(٣٣)</sup>، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقال له لا تعجل لعل الله يجد لك صاحباً، فطمع أن يصطحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشرع في الإعداد لها، فكان أن ضحى بماله وبنفسه وبأهله في سبيل ذلك:-

- تضحيته بالمال : كان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً ذا مال، فلما طمع في الصحبة ابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، بل إن أبا بكر لم يكتف بذلك، فلقد أخذ معه ماله كله بعد خروجه مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أن أباه أبا قحافة - وكان لا يزال مشركاً، وكان قد ذهب بصره - دخل على آل أبي بكر بعد خروج أبي بكر، فقال : ( والله إنني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه)، فقالت أسماء: (كلا يا أبت! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً)، قالت: (فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوباً، ثم أخذت بيده فقلت: (يا أبت، ضع يدك على هذا المال)، قالت: (فوضع يده عليه)، قال: (لا بأس، إذا كان ترك لكم بهذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنني أردت أن أسكن الشيخ بذلك)<sup>(٣٤)</sup>.

- تضحيته بنفسه : جئد أبو بكر رضي الله عنه نفسه فداءً للرسول الكريم، (فلقد انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلاً، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه)<sup>(٣٥)</sup>، ولقد رأى فيه جحراً فألقمه عقبه لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣٦)</sup>، بل إنه رضي الله عنه

(٣٣) نقصد بذلك ما حدث بعد الإسراء حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث قريشاً بحادثة الإسراء، فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر وخبروه بالخبر، فقال لهم: (والله لئن كان قاله لقد صدق). (الرحموني: الهجرة النبوية ص:٨).

(٣٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩٦، الرحموني: الهجرة النبوية ص:٨.

(٣٥) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩٤، الرحموني: الهجرة النبوية ص:٨.

(٣٦) السهيلي: الروض الأنف، المطبعة الجمالية بمصر، ج ٢، ص٤، (الرحموني: الهجرة النبوية ص:٨).

نتيجة تضحيتِهِ بنفسه " اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: (إن) قتلت فإنما أنا رجل واحد، وإن قُتلت هلكت الأمة)، فعندما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا تحزن إن الله معنا، ألا ترى كيف قال: لا تحزن ولم يقل لا تخف؛ لأن حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه؛ ولأنه أيضاً رأى ما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النصب وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ووحشة الغربة)<sup>(٣٧)</sup>.

- أما تضحيتِهِ بأهله، فتبدو في أنه لما هاجر ترك بناته وزوجته بمكة<sup>(٣٨)</sup>.

(٣) شخصية عبد الله بن أبي بكر: إنها شخصية أمينة على السر، كتومة للخبر، مبلغة له بكل أمانة، فلقد أمره والده أبو بكر أن يتسمع لهما ما يقوله الناس فيهما، فكان يكون في قريش نهاره معهم يسمع ما يأترون به وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى، فيخبرهما بما يكون في ذلك اليوم من الخبر<sup>(٣٩)</sup>، فكان بذلك مثلاً للرجل الأمين للسر الكتوم للخبر الذي لا يستفز بالحديث ولا بالحدث.

(٤) شخصية عامر بن فهيرة: كان عامر مولدًا من مؤلدي الأزدي، وكان أخا عائشة بنت أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر لأمههما، فأسلم عامر وهو مملوك لهما فاشتراه أبو بكر فاعتقه، وكان حسن الإسلام<sup>(٤٠)</sup>، ونتيجة لحسن إسلامه أمره أبو بكر أن يرعى غنمه نهاراً في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما، فاحتلبا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، أتبع عامر أثره بالغنم حتى يعضي أثره، فيصبح في رعيان الناس ولا يفطن له<sup>(٤١)</sup>، فكان بذلك نموذج الخادم الصالح الأمين.

(٣٧) السهيلي: الروض الأنف، ج ٢، ص ٤، الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٨.

(٣٨) يستفاد من خبر رواه ابن إسحاق ونقله السهيلي في كتابه، أن زوجة أبي بكر أم رومان بنت عامر كانت مسلمة وهاجرت مع ابنتها عائشة رضي الله عنهما بعد هجرة أبي بكر الصديق. (الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٩).

(٣٩) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٩٤ - ٩٥، والطبري: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٤٦. الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٩.

(٤٠) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٤٥ - ٢٤٦. الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٩.

(٤١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ٩٤، وتاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٤٦. الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٩.

(٥) شخصية أسماء بنت أبي بكر الصديق: إنها نموذج المرأة الصالحة الصابرة المجاهدة المحتسبة، لم يهلها مغادرة أبيها، ولم تجزع على فراقه بل قامت بدور الأبطال، فلقد كانت إذا أمسّت تأتي الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر بما يصلحهما من الطعام، ولما سكن الناس عن الطلب، وخرجا من الغار أتتهما أسماء بسفرتها ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفارة، فإذا ليس لها عصام، فحلت نطاقها وشقته باثنين، فعلقت السفارة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت بذات النطاقين<sup>(٤٢)</sup>، كما كان من صبرها وذكائها وقدرتها على مواجهة الطوارئ موقفها من جدها أبي قحافة الذي أشرنا إليه سابقاً، وموقفها من أبي جهل حينما سألها عن أبيها، فقالت: لا أدري، فلطم خدها لطمه طرح منها قرطها<sup>(٤٣)</sup>.

تلك كانت مواقف آل أبي بكر رضي الله عنهم، وهي مواقف تقدم نموذجاً مثالياً لأفراد الأسرة المسلمة الثابتة أيام المحن والصابرة أيام الشدائد، كما تقدم النموذج الأمثل لتربية الأبناء ذكوراً وإناثاً تربية تعودهم مجاهدة النفس ومجابهة المصاعب. وفي مقابل هذه الشخصيات المسلمة المجاهدة تقف شخصيتان أخريان كإبراهيم، إحداهما تناقض الأخرى في السلوك والتفكير وإن اشتركت معها في المعتقد، إنهما شخصية عبد الله بن أريقط، وشخصية سراقه بن مالك.

أما عبد الله بن أريقط، فرغم أنه كان على دين الشرك، فإنه كان متصفاً بصفات حميدة، فقد أستأجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر عبد الله ليدلّهما على الطريق، ودفعاً إليه راحلتيهما قبل الخروج إلى الغار وبعير له وخرج معهما. ورغم شركه فإنه لم يكشف أمرهما إطلاقاً رغم أن قريشاً قد جعلت مائة ناقة لمن يرده عليهم حياً أو ميتاً. فكان عبد الله بذلك الرجل الخير الذي لا يبيع كرامته بالمال مهما غلا الثمن. ولو أسلم فلن يزيده الإسلام إلا خيراً طبقاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه: ( خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا )، ويبدو أن أبا بكر رضي الله عنه تبين أثناء الطريق إلى المدينة صفاء سريرته عبد

(٤٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٩٤، الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٩.

(٤٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص ٩٥، الرحموني: الهجرة النبوية، ص ٩.

الله بن أريقط، فكلفه ثانية مع نضر آخرين باستقدام أهله وأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة<sup>(٤٤)</sup>.

وأما سراقه بن مالك فإنه يمثل أنموذج الرجل الماكر<sup>(٤٥)</sup> الذي يضرب بكل القيم عرض الحائط في سبيل الحصول على المال والاستئثار به دون الآخرين، فلقد كان جالساً في نادي قومه حتى وقف عليهم رجل منهم فقال: (والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروراً عليّ أنفاً، إني لأراهم محمداً وأصحابه)، قال سراقه: ( فأومأت إليه بعيني أن اسكت)، ثم قلت: (إنما هم بنو فلان يبتغون ضالّة) ومكثت قليلاً لهم، قال: لعله ثم سكت. قال سراقه: ثم قمت فدخلت بيتي ثم أمرت بفرسي، فقيد لي إلى بطن الوادي، وأمرت بسلاحي، فأخرج لي من دبر حجرتي ثم انطلقت، وكنت أرجو أن أردّه على قريش فأخذ المائة الناقه<sup>(٤٦)</sup>).

وبذلك يكون سراقه قبل أن يهذبه الإسلام ويجلو معدنه ( كألوف من الأعراب، بل كألوف من الناس نلتقي بهم في كل مكان وزمان، أولئك الذين ما أن تبرق أمام أعينهم قطع النقود وتطرق أسماعهم أصوات الذهب والفضة وهي ترن، حتى يصبحوا على استعداد لأن يبيعوا مبادئهم وضمانهم وعرضهم، من أجل أن يصلوا إلى قطع النقود، ويضعوا أيديهم على أكوام الذهب والفضة .. إنهم موجودون في كل مكان وزمان<sup>(٤٧)</sup>).

وفي تخلف علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في أداء الودائع التي كانت عنده إلى أصحابها دلالة باهرة على التناقض العجيب الذي كان المشركون واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويرونه ساحراً أو مخادعاً لم يكونوا يجدون من حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً، فكانوا لا يضعون حوائجهم وأموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب شك لديهم

(٤٤) السهيلي: الروض الأنف، ج٢، ص٢، الرحموني: الهجرة النبوية، ص١٠.

(٤٥) لقد أسلم سراقه يوم فتح مكة، ويبدو أن إسلامه كان نتيجة لما رأى من المعجزات وهو يقتضي أثر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق أثناء المعجزة ويبدو من خلال الخبر الذي رواه ابن إسحاق أن الإسلام طهر كبد سراقه ومكره الذي كان نتيجة أدران الجاهلية، ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩٦ - ٩٧ وانظر الشعر الذي قاله بعد أن لأمه أبو جهل حين رجع بلا شيء في (السهيلي: الروض الأنف، ج٢، ص٦. الرحموني: الهجرة النبوية، ص١٠).

(٤٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٩٦. الرحموني: الهجرة النبوية، ص١٠ - ١١.

(٤٧) خليل: دراسة في السيرة، ص١٣٨، الرحموني: الهجرة النبوية، ص١١.

في صدقه، وإنما هو بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم<sup>(٤٨)</sup>.

من أبرز ما يظهر من قصة هجرته صلى الله عليه وسلم، استبقاؤه لأبي بكر رضي الله عنه دون غيره من الصحابة كي يكون رفيقه في هذه الرحلة.

وقد استنبط العلماء من ذلك مدى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وأنه أقرب أصحابه إليه وأولاهم بالخلافة من بعده، ولقد عززت هذه الأدلة أموراً كثيرة أخرى مثل استخلافه صلى الله عليه وسلم له في الصلاة بالناس عند مرضه وإصراره على أن لا يصلي عنه غيره، ومثل قوله في الحديث الصحيح: ( لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً)<sup>(٤٩)</sup>.

ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه - كما رأيناه - على مستوى هذه المزية التي أكرمه الله بها، فقد كان مثال الصاحب الصادق بل والمضحي بروحه وكل ما يملك من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد رأينا كيف أبقى إلا أن يسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دخول الغار كي يجعل نفسه فداء له صلى الله عليه وسلم فيما إذا كان فيه سبع أو حية أو أي مكروه ينال الإنسان منه الأذى، ورأينا كيف جند أمواله وابنه وبنته ومولاه وراعي أغنامه في سبيل خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الرحلة الشاقة الطويلة.

هذا هو الذي يجب أن يكون عليه حال كل مسلم آمن بالله ورسوله، ولذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين )<sup>(٥٠)</sup>.

ثم إننا نلمح في النشاط الذي كان يبذله عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه، ذاهباً آيباً بين الغار ومكة، يتحسس الأخبار وينقلها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبيه. وفيما بدا على أخته أسماء رضي الله عنها من مظاهر الاهتمام والجد في تهيين الزاد والراحلة واشتراكها في إعداد العدة لتلك الرحلة، نلمح في ذلك صورة مما يجب أن

(٤٨) البوطي، محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٨، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١٨٦.

(٤٩) مسلم: صحيح الجامع، ج:٧، ص:١٠٥.

(٥٠) متفق عليه، البوطي: فقه السيرة، ص ١٨٤ - ١٨٥.

يكون عليه الشباب المسلم ذكوراً ونساءً في سبيل الله عز وجل ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع الإسلامي، فلا يكفي أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصراً على عباداته، بل عليه أن يستنفد طاقاته وأوجه نشاطه كلها سعيًا في سبيل الإسلام، وتلك هي مزية الشباب في حياة الإسلام والمسلمين في كل زمن وعصر. وإذا تأملت فيمن كان حول النبي صلى الله عليه وسلم إبان دعوته وجهاده، وجدت أن أغليبتهم العظمى كانوا شباناً لم يتجاوزوا المرحلة الأولى في عمر شبابهم، ولم يألوا جهداً في تجنيد طاقاتهم وقوتهم من أجل نصرته الإسلام وإقامته مجتمعه<sup>(٥١)</sup>.

### الدرس الخامس: التضحية :-

من المعلوم أن التضحية تعتمد على دعامتين رئيسيتين هما: التضحية بالنفس، والتضحية بالمال. ولقد أظهرت الهجرة النبوية العديد من أمثلة التضحية بالنفس والمال لنصرة دين الله تعالى، فالتضحية بالنفس ليست مقصورة على تحمل الأذى، فإن الذي يتعرض لمواطن الأذى - وهو يعلم مخاطرها، ويتربص الأذى في أية لحظة من اللحظات، ويوطن نفسه عليه - إنما يمثل روح التضحية والفداء. فأولئك الصحابة الذين كانوا عوناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الهجرة عرضوا أنفسهم للهلاك، فإن قريشاً لو كشفت أمرهم لأذتهم إيذاءً بليغاً، ومن أمثلة هؤلاء عبد الله بن أبي بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وعبدالله ابن أريقط، وغيرهم كثيرون. ونعرض بعض الأمثلة للتضحية والفداء لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة النبوية لتكون المثل والقُدوة لهذا الجيل الذي ضعفت فيه جوانب التضحية وافتقدت فيه روح الفداء كقيمة، وانتهج في حياته - للأسف - سلوك الأثرة، ومن هذه الأمثلة :

(١) حينما يتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه أبو بكر - رضي الله عنه - من فتحة الغار، هنا يسبق الصديق صديقه في دخول الغار مفتشاً ومنقباً جوانبه، خشية أن يكون في داخله ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعندما يجد أبو بكر جحوراً وشقوقاً بالغار يخلع جلبابه ويقطعه قطعاً قطعاً، يسد بها جحور

(٥١) البوطي: فقه السيرة، ص ١٨٦ - ١٨٧.

الغار خوفاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى أبي بكر، فلم يجد عليه جلباباً، فقال له: (أين جلبابك يا أبا بكر)، قال: (قطعتها لأستر بها جحور الغار، مخافة عليك من حية أو عقرب تؤذيك)، فرفع الرسول صلى الله عليه وسلم يده إلى السماء ودعا ربه فقال: (اللهم اجعل أبا بكر في درجتي في الجنة)، فنزل جبريل في التو والحال وقال: (لقد استجيب لك).

(٢) وتظهر التضحية بالنفس - أيضاً - حينما يسمع أبو بكر - رضي الله عنه وقع أقدام المشركين عند الغار، فيضطرب قلبه ويهمس في أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: (إن قتلت أنا فإنما أنا رجل واحد، وإن قتلت أنت هلكت الأمة)، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبقى ثابت الجنان واثقاً بنصر الله تعالى، فيقول لصاحبه: (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما، لا تحزن إن الله معنا) وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا ثَانِثَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا

اللَّهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيْدِيَهُمْ يَجُودُ لَمْ تَرَوْهَا ﴿التوبة: ٤٠

(٣) وهنا يقول الشاعر:

يا ثاني اثنين في غار يضمكما هل أشرقت قبل شمس الله في غار

(٤) وموقف ثالث للتضحية بالنفس من أبي بكر - رضي الله عنه - يدال على حبه وتضحيته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، فبعد خروجهما من الغار وقد اتجها إلى المدينة كان أبو بكر يتقدم الرسول صلى الله عليه وسلم مرة ويتأخر عنه أخرى، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (لم تفعل ذلك يا أبا بكر) فقال له: (أتأخر عنك مخافة أن يطلبك عدو من خلفك، فأتصدى له فداءً لك يا رسول الله، وأسير أمامك مخافة أن يترصدك عدو، فأدفعه عنك)، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالخير.

لذلك يجب أن نذكر أبناءنا بقيمة الصداقة المخلصة الوفية التي تجلت في أحسن صورها مع الصحاب والصدیق أبي بكر - رضي الله عنه - الذي ضحى بنفسه وماله من

أجل الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم، فلتكن هذه الأمثلة من أبي بكر رضي الله عنه القدوة الحسنة والنموذج المقتدى به للصدقة المخلصة الوفية.

(٥) ومثال آخر للتضحية بالنفس حين كلف الرسول صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب - وكان لا يتجاوز العشرين من عمره - بأن يتسجى ببردته للتمويه على الأعداء، وينام مكانه. حتى يظن المشركون أن الرسول لا يزال نائماً، ولقد نفذ عليّ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ونام مكانه مضحياً بنفسه، فداء لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين، ولم يبال أن يدخل عليه المشركون ويقتلوه؛ فداء وتضحية بالنفس من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم من بين حصار فتیان مكة الأقوياء الأشداء سالماً بعد أن رماهم بالتراب وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [١] يس: ٩.

ويعد أن أتم علي بن أبي طالب رضي الله عنه مهمته ولم يصل إليه الأعداء بسوء قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بخ بخ وربك بيأهي بك الملائكة في السماء). هذه بعض النماذج والأمثلة للتضحية والفداء بالنفس في أسمى معانيها، والتي تعد القدوة والمثل للشباب ليضحوا بأنفسهم في سبيل دينهم ووطنهم.

أما التضحية بالمال في الهجرة النبوية، فهي عديدة ومتنوعة، فإذا كان المهاجرون قد ضحوا بأعلى ما يملكون وهي التضحية بالنفس، فأهون عليهم التضحية بالمال، فلقد تركوا خلفهم تجارتهم وأموالهم فداء للدعوة، واستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد أظهرت الهجرة أمثلة عديدة لتضحية المهاجرين بأموالهم، فلئن كانت الهجرة قد أدت إلى أن يدع المهاجرين ما لا يخف حمله من أموالهم في مكة، فإن أفراداً منهم قد أكرهوا على أن يتخلوا عن كل ما يملكون، ومن أمثلة هؤلاء:-

صهيب الرومي - رضي الله عنه - كان على رأس من ضحوا بأموالهم، فحين أراد صهيب الهجرة قال له كفار قريش: (أتيتنا صعلوكاً فقيراً فكثراً مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لن يكون ذلك)، فقال لهم

صهيب: (أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟) قالوا: (نعم)، قال: (فإني جعلت لكم مالي)، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: (ريح صهيب ربح صهيب)، لذلك أثنى القرآن الكريم على الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أطيب الثناء، يقول تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر: ٨.

وتتضح صورة أخرى للتضحية بالمال من الأنصار للمهاجرين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وأهلهم ابتغاء فضل الله ورضوانه، فكانوا خير عون لهم، لذلك زكاهم الله بقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: ٩.

ولعنا الآن في حاجة إلى التضحية بالمال لما يعاني منه المجتمع العربي والإسلامي من خلل في وضعه الاقتصادي، فلعل في إحيانا ذكرى الهجرة النبوية منطلقاً للتضحية بالمال لدول عربية وإسلامية في أمس الحاجة لمساعدتها، حيث الجوع يقتلهم، والمرض يفتسهم، وأعداء الإسلام يبيدونهم، لذلك يجب علينا أن نهاجر في سبيل الله بأموالنا، ونسارع فيه بإخراج الزكاة، وأن نكثر من الصدقات للمسلمين في الداخل والخارج، وبهذا نكون قد استوعبنا دروس الهجرة النبوية من التضحية بالنفس والمال<sup>(٥٢)</sup>.

(٥٢) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ص ١١ - ١٢.

**الدرس السادس: التصرف في حدود القدرة:-**

من البديهي أن الواجبات الكفائية تختلف من إنسان لآخر ذلك لأن عطاءات الله للناس مختلفة. ومن ثمة، فالمسئولية ليست واحدة بل هي الأخرى مختلفة. فإذا كان عمر بن الخطاب قد هاجر علانية وتحدى كفار مكة دون خوف أو وجل فإن هذا لا يعني أنه أشد شجاعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هاجر مستخفياً بالحال الذي وصفناه سابقاً من نحو الاحتياط والحذر. ذلك لأن تصرف عمر رضي الله عنه يعد تصرفاً شخصياً فليس فيه حجة تشريعية فله أن يتخير من الطرق والأساليب ما يتفق مع رغبته بخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يُعد مشرعاً ومسؤولاً عن رسالة، وربما لو فعل مثل ما فعل - عمر رضي الله عنه - لظن معظم الناس أنه لا يجوز الأخذ بالأسباب والحيطة والحذر مع أن الشريعة الإسلامية طلبت الأخذ بالأسباب.

وفي ضوء ما سبق نفهم أن مسؤولية الحاكم تختلف عن مسؤولية المحكوم، وواجبات كل إنسان تتحدد من منطلق إمكاناته وقدراته وعطاء الله له. وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً من أن الدعوة الإسلامية ليتسنى نشرها لا بد لها من قوى تقف وراءها بلا تفرقة بين عنصر وآخر من عناصر القوى المعروفة المادية أو الخلقية أو البشرية أو الاجتماعية، أو العلمية<sup>(٥٣)</sup>.

قد يخطر في بال المسلم أن يقارن بين هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ويتساءل: لماذا هاجر عمر علانية متحدياً المشركين دون أي خوف ووجل، على حين هاجر رسول الله مستخفياً محتاطاً لنفسه؟ أيكون عمر بن الخطاب أشد جرأة من النبي صلى الله عليه وسلم؟!؟

والجواب: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو أي مسلم آخر غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يعدّ تصرفاً شخصياً لا حجة تشريعية فيه، فله أن يتخير من الطرق والوسائل والأساليب ما يحلو له وما يتفق مع قوة جرائته وإيمانه بالله تعالى.

(٥٣) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٧، ص١٨٠، البوطي: فقه السيرة، ص٩٩١٦٤، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص٢٠.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مُشَرِّع، أي أن جميع تصرفاته المتعلقة بالدين هي تشريع لنا، ولذلك كانت سنته هي المصدر الثاني من مصادر التشريع مجموع أقواله وأفعاله وصفاته وتقريره، فلو أنه فعل كما فعل عمر لحسب الناس أن هذا واجب!، وأنه لا يجوز أخذ الحيطة والحذر، والتخفي عند الخوف، مع أن الله عز وجل أقام شريعته في هذه الدنيا على مقتضى الأسباب ومسبباتها، وإن كان الواقع الذي لا شك فيه أن ذلك بتسبب الله تعالى وإرادته .

لأجل ذلك، استعمل الرسول صلى الله عليه وسلم كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتدَّ بها واستعملها، فترك علي بن أبي طالب ينام في فراشه ويتغطى ببرده، واستعان بأحد المشركين - بعد أن أمنه - ليدله على الطرق الفرعية التي قد لا تخطر في بال الأعداء، وأقام في الغار ثلاثة أيام متخفياً إلى آخر ما عبأه من الاحتياطات المادية التي قد يفكر بها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافي استعمال الأسباب المادية التي أراد الله عز وجل بعظيم حكمة أن يجعلها أسباباً .

وليس قيامه بذلك بسبب خوف في نفسه، أو شك في إمكان وقوعه في قبضة المشركين قبل وصوله المدينة، والدليل على ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بعدما استنفذ الأسباب المادية كلها، وتحلق المشركون حول الغار الذي يختبئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه - بحيث لو نظر أحدهم عند قدمه لأبصر الرسول صلى الله عليه وسلم - استبد الخوف بقلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين كان يطمئنه صلى الله عليه وسلم قائلاً: (يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟) ولقد كان من مقتضى اعتماده على كل تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع في تلك الحال .

لقد كان كل ما فعله من تلك الاحتياطات إذاً وظيفة تشريعية قام بها، فلما انتهى من أدائها، عاد قلبه مرتبطاً بالله عز وجل معتمداً على حمايته وتوفيقه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله عز وجل، ولكن لا ينافي ذلك احترام الأسباب التي جعلها الله في هذا الكون أسباباً .

ومن أبرز الأدلة على هذا الذي نقوله أيضاً، حالته صلى الله عليه وسلم عندما لحق به سراقا يريد قتله وأصبح على مقربة منه، لقد كان من مقتضى كل تلك الاحتياطات الهائلة التي قام بها أن يشعر بشيء من الخوف من هذا العدو الذي يجد في اللحاق به، ولكنه لم يشعر بشيء من ذلك بل كان مستغرقاً في قراءته ومناجاته لربه لأنه يعلم أن الله عز وجل الذي أمره بالهجرة سيمنعه من الناس ويعصمه من شرهم كما بين في كتابه المبين<sup>(٥٤)</sup>.

### الدرس السابع: قوة الإرادة والتصميم على إنجاح الدعوة:-

وإذا ما نظرنا إلى الهجرة لوجدنا أنها تمخضت عن معان نفسية وروحية، فهي حقيقية تاريخية ورمز روعي جميل يبرز الإرادة القوية على إنجاح الدعوة والتضامن في نشر رسالة الحق والجهاد، وتعبير خير تعبير عما يجب أن يكون عليه المسلم الحق في كل فترات حياته، ولا شك أنه قد تخلفت عن حادث الهجرة آثار نفسية جسيمة من أظهرها قوة الإرادة والتصميم على إنجاح الدعوة في ذلك لأن الهجرة كانت فراراً إلى الله والضرار إلى الله انتصار حتى ولو انتهى بالموت: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَى اللَّهِ لَهَوَ خَيْرٌ لِلرَّزِقِينَ﴾ الحج: ٥٨.

وبذلك فنحن مأمورون بالضرار إلى الله لأنه من صفات المؤمنين الصادقين وها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿فَأَمَّنَ لَهُ، لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العنكبوت: ٢٦.

(٥٤) البوطي: فقه السيرة، ص ١٨٥ - ١٨٦.

**الدرس الثامن : الهجرة عن المعاصي :-**

ما أحوجنا إلى هجرة غير الهجرة المصطلح عليها، هجرة عن المعاصي والتزام بالطاعات، إن المؤمنين يفرّون إلى الله ويهاجرون إليه يومياً، فهو هدفهم وغايتهم في جميع أعمالهم ومن كان كذلك فإن الله ينزل عليه السكينة وتطمئن نفسه ويسعد بالرضا حيث يؤيده الله بجنود لا تراها الأعين وأول مرحلة في سبيل الهجرة إلى الله سبحانه إنما هي النية الخالصة لوجهه الكريم، فإذا ما توجهت النية بالأعمال إلى الله تعالى كانت الأعمال هجرة إليه، فالعبادات الإسلامية على تعددها واختلافها إنما هي تسمو بالمؤمن إلى الصلة بالله وإلى النعيم في رضوانه وإلى السعادة في رحابه، فالصلاة بين يدي الله ومناجاته لحظة من الزمن، فهي هجرة إلى الله.

والزكاة انفصال عن جزء معلوم مما آتاك الله وصرفه حيث أمرك في مصارفها، فهي ذهاب إليه.

والصوم ابتعاد عن المادة فترة من الزمن تزكية للنفس وقربى إلى الله، فهو ذهاب إليه، أما منسك الحج، فإنها صورة من التجرد لله بلغت الذروة والسنام وتبلورت في النداء الروحي الكريم: (لبيك اللهم لبيك)، بل منذ أن يعقد المؤمن النية، فيتترك الأهل والأحباب ويهاجر إلى الله ليرى مهبط الوحي وأرض الرسالات ويتذكر الأحداث الجسام التي غيرت مجرى التاريخ.

أما الهجرة الشاملة لكل شؤون المرء، فإنما تتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

وَسُكُوتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ الأنعام: ١٦٢،

ويقول الرسول الكريم: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)، جهاد كل ميادين الجهاد، ونية خالصة وطاهرة متمحضة لله ورسوله. (٥٥)

(٥٥) الفيومي، محمد محمد عيسوي: من المعاني النفسية للهجرة النبوية، مجلة منار الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٧)، المحرم ١٤١٢هـ/يوليو ١٩٩١م، ص ٧٤ - ٧٥.

**الدرس التاسع: حب الوطن والانتماء له :-**

عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة ثلاثة وخمسين عاماً حتى ألقى وألفته، ففيها مسقط رأسه، وفيها أهله وذووه، وفي جنباتها عاش طفولته وشبابه مع أصدقائه ومحبيه، وفيها اختاره الله تعالى ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين إلى العالمين.

وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى أن يحتضن أهله وعشيرته دين الإسلام، فتكون لهم العزة والسيادة، ويفتح الله لهم أبواب الجنة، ولكن أهل مكة - إلا نضراً قليلاً - كانوا حمقى، أغراهم ضلال آبائهم وأجدادهم، فأعرضوا عن الدعوة المحمدية وناصبوها العدا من أول وهلة، فكان الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ومن آمن بدعوته.

وكانت مكة المكرمة - رغم الإيذاء والتعذيب - حبيبة إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هنا عز عليه فراقها يوم هجرته. وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى والقُدوة الحسنة في الانتماء للوطن - موطن رأسه - حينما نظر إلى مكة المكرمة وهو مهاجر منها، وقال قوله المشهورة التي يجب أن يقتدي بها الشباب المسلم في هذا الزمان الذي ضعف فيه حب الوطن والانتماء إليه، يقول الرسول المعلم: ( والله إنك لأحب أرض الله إليّ، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت ).

ويتضح الانتماء للوطن من الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً عندما ذهب وزوجه خديجة إلى ورقة بن نوفل عمها، فقص عليه ما رآه من خبر الوحي، فقال له ورقة: (لتقاتلن ولتخرجنّ)، قال: (أو مخرجي هم؟) قال: (نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي) وسؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة بن نوفل (أو مخرجي هم) سؤال استنكار من محب لبلده منتم إليها، وكيف لا يحبها ولا ينتمي إليها وهي أحب بلاد الله إلى الله!؟

لذلك ما أحوجنا الآن إلى غرس قيمة الانتماء إلى أمتنا العربية والإسلامية وإلى وطننا الذي نعيش فيه، فنشرب من مائه، ونأكل من خيراته، ونتعلم في مؤسساته، وننعم بعدالة شرعه، وأن نهجر سلبيات استشرت بين شبابنا، وعبارات هدّامة تعمقت بلا

وعى أو إدراك في سلوك أبنائنا. فإن ذكرى الهجرة يجب أن تجدد في أقوالنا وأفعالنا تعميق وتأسيس قيمة تربوية مهمة، وهي قيمة الولاء لله ولرسوله، والانتماء للوطن والمجتمع والمدرسة والأسرة، وهذا هو دور التربية من خلال قنواتها الكثيرة والمتعددة وأدواتها وأساليبها المتنوعة<sup>(٥٦)</sup>.

### الدرس العاشر: التعاون :-

كان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه المهاجرين بعد أن تركوا وطنهم مكة وخرجوا من ديارهم وأموالهم، موقفاً دقيقاً يتطلب التعاون والتضامن والتآخي والتألف، ويقتضي أن يسود التآخي بين المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩، ولا غرو فقد شعر الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين، وقدروا ظروفهم العسبية، لذلك كانت قيمة التعاون سمة غالية، اتسم بها الأنصار عن يقين واقتناع وإيمان، فتحوّلت من قول إلى فعل، ومن فكرة إلى سلوك، فأوَّوهم ونصروهم، وضربوا في الإخلاص لهم والتعاون والتفاني في خدمتهم أروع الأمثلة التي لا يتسع المجال لذكرها، حتى لقد وصفهم الله عز وجل بذلك الوصف الرائع: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ الحشر: ٩.

لذلك علنا نستفيد ونعي الدروس المستفادة من إحياء ذكرى الهجرة النبوية، ونغرس في نفوسنا ونطبق في سلوكنا قيمة التعاون التي تجلت في أحسن صورها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، وخصوصاً أن الأمة العربية والإسلامية في أمس الحاجة الآن إلى تطبيق قيمة التعاون بين شعوبها التي يعاني كثير منها الجوع والتشريد والبطش والقتل والظلم<sup>(٥٧)</sup>.

(٥٦) حسائين: دروس من الهجرة النبوية، ص ٩- ١٠.

(٥٧) حسائين: دروس من الهجرة النبوية، ص ١٠.

**الدرس الحادي عشر: الطاعة :-**

ضربت المرأة المسلمة - في الهجرة - المثل الأعلى والقُدوة الحسنة للمرأة المطيعة لزوجها في سبيل الله تعالى، فهاجرت النساء مع أزواجهن ورفضن البقاء في مكة مع أهلهن وأقاربهن.

فها هي ذي رقية بنت الرسول صلى الله عليه وسلم تهاجر مع زوجها عثمان بن عفان ولم تتركه يهاجر وحده ويعاني الغربة وشداؤها، وإنما آثرت أن تشاركه في الضراء كما شاركته في السراء، وأن تقاسمه آلام الغربة كما قاسمته أنس العيش. ولم تكن السيدة رقية - رضي الله عنها - هي وحدها التي هاجرت إلى الحبشة، ولكن هناك الكثيرات من زوجات الصحابة رافقن أزواجهن، بل وكان بعضهن حوامل ولم يخشين على حملهن وما في بطونهن، وإنما كن يخشين غضب الله عليهن بسبب عصيان أزواجهن؛ ومن هؤلاء النسوة اللاتي هاجرن مع أزواجهن إلى الحبشة سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة بن عقبة، وقد وضعت ابنها محمداً في الحبشة، وكذلك أم سلمة التي صارت فيما بعد من أمهات المؤمنين، فقد هاجرت مع زوجها وولدت بنتاً سميتها زينب، وأيضاً هجرت أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب وولدت هناك ابنها، عبد الله، وأمينة بنت خلف التي هاجرت أيضاً مع زوجها خالد بن سعيد بن العاص وولدت ابنها سعيداً، وغيرهن كثيرات.

ولو قارنا بين ما فعلته النساء المهاجرات وبين ما تفعله نساء بعض هذا العصر لوجدنا العجب العجاب، فمنهن من يرفضن السفر مع أزواجهن إذ كان عمله في مكان بعيد عن أهلها وذويها، وكم فشلت زيجات لهذا السبب ومن ثم تحطمت حياة زوجية، لذلك يجب أن تقتدي فتاة هذا العصر بأمهات المؤمنين في طاعتهم لأزواجهن.

ونستطيع أن نضرب مثلاً آخر لطاعة الزوجة لزوجها لعله يكون قدوة لبنات هذا الجيل، فها هي ذي أم سلمة أول مهاجرة من المسلمات تخرج مع زوجها، يحملها على بعيره ومعه ابنه سلمة، فلما رآته رجال بني المغيرة قاموا إليه وقالوا: (هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟) قالت أم سلمة: ( فنزعوا خظام البعير من يده فأخذوني منه، وغضب عند ذلك أهله)، فقالوا: (لا والله لا نترك ابنتنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا)، وهنا تقول أم سلمة: (فتجاذبوا

ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي مهاجراً إلى المدينة)، إن موقفا كهذا يدل على مدى طاعة الزوجة لزوجها لولا أن أهلها أجبروها على تركه ما عصت زوجها.

فالتحفة درس مستفاد من الهجرة النبوية، وطاعة الزوجة لزوجها لا في الهجرة أو السفر فقط، وإنما الطاعة بمفهومها الشامل حرصاً على كيان الأسرة، وطاعة الأبناء لأبائهم، وطاعة التلميذ لأستاذه، وطاعة أولي الأمر، كل ذلك وغيره قيمة يجب أن تؤصل وتتعمق في سلوكنا خاصة. وإن ما يُسمع ويُقرأ ويُشاهد من معصية يجعلنا في أمس الحاجة إلى غرس قيمة الطاعة في نفوس أبنائنا، وهذا هو دور التربية الإسلامية ومؤسساتها، وهذه مسؤولية تحتاج إلى الترابط والتكامل والتماسك بين الأسرة والمدرسة على وجه الخصوص، حتى ينشأ أبنائنا على طاعة الله ورسوله وأولي الأمر<sup>(٥٨)</sup>.

#### الدرس الثاني عشر: الاستعانة بالشباب :-

تكشف مراحل الهجرة فيما بين مكة ويثرب (المدينة) بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعان إلى أقصى حد ممكن بقوة الشباب الفتية، وذلك عندما أمر علي بن أبي طالب - ؓ - وكان لا يزال بعد شاباً يافعاً، بالنوم في فراشه وتدثره ببردته الشريفة، وذلك من أجل تضليل الكفار المتربصين برسول الله صلى الله عليه وسلم، أمام داره الذي خرج منها مهاجراً إلى يثرب، كذلك استعان موكب الهجرة الخالد بالعديد من الشباب، منهم على سبيل المثال بعض أبناء أبي بكر الصديق - ؓ - سواء الذكور منهم أو الإناث، بل إن كل من أسهم في إنجاح حركة الهجرة بهذا المستوى الحضاري المنقطع النظير، كانوا من الشباب، وفي هذا دلالة أكيدة، على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤمن إيماناً جازماً، بأن الشباب هم عدة الأمم. لذا يجب على الأمة الإسلامية الاستفادة قدر الإمكان من الطاقات الهائلة للشباب في تحقيق البناء الحضاري الأمثل لأمتهم. ومع ذلك فإن ما نراه الآن في واقعنا المعاصر، هو عكس ذلك التصور تماماً، فالشباب - وللأسف الشديد - في معظم الدول الإسلامية، التي لم تنج

(٥٨) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ص ١٠ - ١١.

من هذا الداء الخطير، أصبحوا يشكلون عبئاً اقتصادياً على دولهم، ومن ثم فإنه لا بد من إعادة تأهيل الشباب اجتماعياً وثقافياً، وذلك لكي يسهموا وبحيوية في جعل أمتهم الإسلامية قادرة على استئناف دورها الحضاري من جديد، عبر دورة حضارية، قوامها الإيمان بالله، والاستيعاب الموضوعي لمعطيات العصر، أو بمعنى آخر التناغم التام بين قطبي (الأصالة والمعاصرة)<sup>(٥٩)</sup>.

### الدرس الثالث عشر: الاستعانة بالأعداء :-

يتضح من حركة الهجرة المباركة بصورة عملية مدى استفادة الرسول صلى الله عليه وسلم بخبرة الأعداء على اختلاف مشاربهم العقديّة، وفي هذا دلالة أكيدة على أن الإسلام لا يعادي الاستفادة من الآخرين المتفوقين علينا حضارياً، حتى ولو كانوا أعداء لنا في العقيدة. وهذا من منطلق أن (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها) فهو أحق الناس بها ويتجلى هذا المفهوم بأوسع معانيه في حركة الهجرة، ومن خلال استعانة موكب الهجرة الخالدة، بخبرة عبد الله بن أريقط، الذي أدى دور الدليل على الطريق وبين مسارب الصحراء، حيث اتفق معه أبو بكر - رضي الله عنه - على أن يقوم بهذه المهمة وهو الخبير بدروب الصحراء، ومواطن الراحة وأماكن الماء، مقابل دراهم معدودة.

إن عبد الله بن أريقط هذا كان يومذاك، مشركاً على دين قومه، ومع ذلك قام بالمهمة كما ينبغي على الوجه الأكمل، وفي هذا وفاء نادر وذلك لأنه كان بين يديه مائة ناقّة، لو عرّف القوم بمن معه لكنه الوفاء النادر أحد القيم التي عُرِفَتْ بها هذه الأمة، ومن أجلها اجتباها الله للرسالة الخاتمة.

يحضر عبد الله في الموعد الذي ضُرب له بعد ثلاث ليالٍ عند غار ثور، ويقود الركب الكريم إلى المهاجر الطيب، في رشد تحرسهم عناية الله ورعايته<sup>(٦٠)</sup>.

وفي ضوء هذا الموقف الحضاري الواعي من الآخر نستنتج وبكل الموضوعية، بأننا ينبغي ألا نأخذ من الآخرين المخالفين في التصور العقدي، إلا الجوانب الحضارية، في الإطار المادي من الحضارة (المدنية)، التي تساعدنا على النهوض والارتقاء الشامل، في

(٥٩) طه: حول مظاهر، ص ٢٣.

(٦٠) طه: حول مظاهر، ص ٢٤.

جميع مناحي الحياة وساعتها فقط نكون جديرين بالانتساب الحق لهذا المهاجر العظيم صلى الله عليه وسلم في يوم هجرته الأغر: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب: ٢١ (١١).

#### الدرس الرابع عشر: الاستعانة بأهل الكتاب:-

لم يقف حد الاستعانة بالآخرين في موكب الهجرة، عند الأعداء فقط، بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعان بخبرة عامر بن فهيرة (الكتابي) مولى أبي بكر - ﷺ - الذي كان مكلفاً بأمرين:-

أولهما: أن يحضر الأغنام إلى الغار، كي يشرب منها الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ما يشاءان من اللبن.

ثانيهما: أن يعفي بهذه الأغنام على آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما - الذي كان يبلغ أخبار قريش لموكب الهجرة أولاً بأول (١٢).

ونستشف من هذا السلوك الراقي، الذي لم يخش من التعامل مع المخالفين في الدين، ضرورة أن يكون موقفنا نحن المسلمين، الذين نقف قبالة بوابة الربيع الثاني من القرن الخامس عشر الهجري/القرن الحادي والعشرين الميلادي- قرن التحولات الكونية- من الحضارة الغربية المعاصرة، التي هي بطبيعة الحال من صناع بشر، ينتمون في أغلبيتهم إلى الديانة المسيحية، هو الموقف التعاملي نفسه، الذي اعتمده رسولنا الأعظم صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الآخرين، فنميز بين الغث والسمين، من معطيات هذه الحضارة وهذا الموقف ينبغي أن يكون هو موقفنا الواضح من حضارة الأجناس الأخرى، كاليابان والصين والهند، وما إلى ذلك، رغم أن ديانة أغلبية هذه الشعوب هي الوثنية، إلا أن معطيات الحضارة المادية لا وطن لها وبالتالي لا نقتبس منها إلا ما ينفعنا في الحياة الدنيا، ونترك جانب ما يضرنا من سلوكياتها العابثة، التي لا صلة لها من قريب أو بعيد بالتقدم الحضاري الشامل وليس هذا هو المطلوب فحسب، بل ينبغي أن نكون فاعلين لا منفعلين، فلا نعيش عالة على المعطيات الحضارية

(١١) طه: حول مظاهر، ص:٢٤.

(١٢) طه: حول مظاهر، ص:٢٤- ٢٥.

للعصر، بل لا بد أن نسهم إسهاماً حيويًا في تشكيل الوجه الحضاري للعصر، ولا سيما في الشق المادي (المادية) ونعمل جاهدين على تغيير الشق المعنوي (الثقافة) وفقاً للنسق الإسلامي، وفي هذا الإطار فليس ثمة أخير من سلوكيات الرسول صلى الله عليه وسلم نتأسى بها ونقتدي بهديها الوضياء: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ الحشر: من الآية ٧<sup>(١٣)</sup>.

### الدرس الخامس عشر: الاستعانة بالمرأة:-

لم يفت موكب الهجرة المبارك، وهو في طريقه من مكة إلى يثرب (المدينة) أن يستفيد إلى أقصى حد ممكن، من إمكانيات المرأة الديناميكية (الحركية) ويتضح ذلك من خلال الدور الفاعل الذي قامت به أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما- التي كان عليها إذا ما دجى الليل أن تحمل من الزاد ما يصلحهما- أي الرسول صلى الله عليه وسلم وأبيها - ﷺ -<sup>(١٤)</sup>.

وبهذا تكون مهمة نقل الغذاء لموكب الهجرة الخالد، قد تكفل بها جندي آخر هو أسماء التي لم تكن تقل فعالية عن الجندي الأول (عامر بن فهيرة)، ولكن تقوم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما- بهذه المهمة خير قيام لا يقل عن الرجال في هذا الإطار شقت نطاقها لتستعين به على حمل الطعام للنبى وأبيها، فمنحها التاريخ الأغر وسام ذات الناطقين، وأكرم بهذا من وسام<sup>(١٥)</sup>.

وفي هذا المظهر الانفتاحي الرائد للمرأة المسلمة، في عصر التوحيد الأول، نرى كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعيش أخطر لحظات حياته، وحياة الأمة المصيرية لم ينس أن يؤكد لهذه الأمة، التي كان يرنو بثاقب بصره إلى تكوين دولتها الوليدة وحضارتها الباسقة، هنالك على أرض طيبة الطيبة، بأن المرأة التي صاغها الإسلام، كأحسن ما تكون الصياغة هي شقيقة للرجل في أداء كل المهام، التي من شأنها تغيير مسار حياة الأمة نحو الأفضل دائماً.

(١٣) طه: حول مظاهر، ص ص ٢٤ - ٢٥.

(١٤) طه: حول مظاهر، ص ٢٥.

(١٥) طه: حول مظاهر، ص ٢٥.

ومن هنا يمكن القول: إن هذا الموقف يعتبر ولا ريب بمثابة مؤشر حيوي، يدل على أن دور المرأة المسلمة في صياغة التحولات الحضارية الكبرى، في تاريخ أمتها، لا يقل بأي حال من الأحوال، عن دور الرجل المسلم، إن لم يكن يتفوق عليه في بعض المناحي، التي يتسم بها تكوين المرأة بيولوجياً ونفسياً وذلك بما للمرأة من خصائص متميزة حباها الله عز وجل بها دون الرجل. أليست هي صانعة الرجال؟ والحضن الحاني لتكوينهم التكويني الأمثل؟ ومن ثم لا يمكن للرجل -أي رجل- أن يكون رجلاً راشد ذا فعالية في بناء صرح أمته الحضاري على الوجه الأكمل، إلا إذا كانت تربيته تربية راشدة مبنية على أسس إيمانية، تستلهم الهدى الإلهي في الإطار وفي هذا رد مضخم على بعض دعاة التغريب في واقعنا الثقافي المعاصر، من هؤلاء الذين يحاولون جاهدين التقليل من أهمية دور المرأة البارز في بناء الحضارة الإسلامية ويستندون إلى حجج واهية ما أنزل الله بها من سلطان، وذلك بغرض الإيعاز إلى الناس بأن الإسلام لم ينصف المرأة، وهو بالتالي سبب ما تعانيه في بعض المجتمعات الإسلامية.

فها هو الدليل الناصع، نقدمه لهم من خلال ذلك الدور الحيوي لأسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - حيث ساعدت وبفعالية في إنجاح مسيرة الهجرة المباركة سواء على المستوى الغذائي، أم الأمني، وهما مستويان ضروريان للبناء الحضاري في كل زمان ومكان كما أن أسماء بنت أبي بكر، قد ضربت المثل الأعلى للمسلمة في الشجاعة والإقدام وذلك من خلال تصديها لجبروت أبي جهل - فرعون هذه الأمة - فرضت إفشاء سر المهاجرين العظيمين وتحملت الإهانة منه عندما لطمها على خدها الأنور.

وفي هذا درس عملي للمسلمة المعاصرة، وذلك لكي تثبت على مبادئ الإسلام الخالدة، ولا تميل كل الميل مع التيارات الضالة التي تريد تشويه الوجه الحضاري المشرق لهذا الدين من خلال بلبله مفاهيمه سواء أكانت شرقية أم غربية وذلك بحجة اللحاق بالعصر، ومن قال إن اللحاق بالعصر، لا بد وأن يتم على حساب الثوابت الإيمانية والحضارية لهذه الأمة<sup>(١٦)</sup>.

(١٦) طه: حول مظاهر، ص ص ٢٥ - ٢٦.

**الدرس السادس عشر: دور المسجد :-**

بناء المسجد، فبناء المسجد وعنوان وحدة الأمة.. يقف فيه المسلمون أمام ربهم كل يوم خمس مرات في الصلوات الخمس، والمسجد في الإسلام هو دار الإيمان وخلو العباد، وديوان الصالحين، وجامعة الدارسين، ووجهة القاصدين، ومورد السائلين.. يحب الله من سار إليه ويكتب له في كل خطوة حسنة ويضع عنه فيها سيئة.. لذا فقد أصل المصطفى صلى الله عليه وسلم دور المسجد في مسيرة هجرته الشريفة ليكون أساساً في عقيدة المسلمين وحياتهم الدنيوية<sup>(٦٧)</sup>.

لما كان للمساجد أهميتها ودورها الذي لا ينكر في مجال الدعوة إلى العقيدة والالتزام بالأخلاق الفاضلة، وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم، يهتم بها ولذلك كان أول شيء فعله بالمدينة هو بناء المسجد، ومن هنا وجب علينا الاهتمام بالمساجد والاعتناء بها لأنها تحقق ارتباط الأجيال العديدة من الشباب به لحمايتهم من أي انحراف وتعريفهم بحقائق الدين السمحة وأصوله السامية ومبادئه التي تهدف لخير الفرد والأسرة والمجتمع.

كما أن المسجد يؤدي دوراً عظيماً في بناء العلاقات الاجتماعية بين الناس وتقويتها ونرجو الله أن يعود للمسجد دوره الريادي في مختلف المجالات الاجتماعية والتربوية والعسكرية وغيرها من سائر مجالات الحياة.

ونتمنى أن يكون للمسجد الدور المؤثر في إيجاد الصلوات القوية وتحقيق المحبة بين الناس والتعاون على الخير والتعويد على كل عمل صالح مفيد.

ومن الممكن أن يتحقق كل هذا كما كان المسجد في القديم إذا أعدنا النظر في الاهتمام بالمساجد والاعتناء بها وبيان مكانتها ومنزلتها في نفوس الناس<sup>(٦٨)</sup>.

إن المؤاخاة التي طبقتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار حري بها أن تكون وثيقة مهمة نسير عليها في حياتنا اليومية لنقترب على الأقل من منهج المسلمين الأوائل الذين كانوا يؤثر على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

(٦٧) القراوي: دروس من الهجرة النبوية، ص ٩٨.

(٦٨) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ٢١.

ولو فعل الغني مع الفقير مثل ما فعل سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف لانتصرنا على مشاكلنا كلها واجتزنا العقبات التي تواجهنا بحيث نصبح كالجسد الواحد والبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً، فلنغرس في نفوسنا ونفوس أبنائنا حب الفضيلة والتخلي عن الرذيلة ولنندعم صلاتنا ليتحقق التكافل فيما بيننا ولنعلم أن الأخوة الإيمانية مقدمة على أخوة النسب<sup>(٦٩)</sup>.

### الدرس السابع عشر: مواقف مشرفة :-

استطاعت المدرسة التي أسسها النبي صلى الله عليه وسلم في مكة خلال ثلاث عشرة سنة أن تقوم بمهامها على أكمل وجه، بحيث كانت بحق هي القاعدة الأساسية في بناء الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

وعلى سبيل المثال لو نظرنا إلى فرد من أفراد هذه المدرسة وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإننا نجد سر سروراً عظيماً حين علم نبأ صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة، فقد قالت السيدة عائشة رضي الله عنه: (فو الله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ)<sup>(٧٠)</sup>، وهذا يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم في شأنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح إيمان أبي بكر.

وكيف لا؟ وقد حاول شراء الراحلتين على نفقته الخاصة لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم أصر على أن يدفع ثمن إحدهما ليحظى بأجر المساهمة بالمال مع التضحية بالجهد<sup>(٧١)</sup> لتكون كلمة الله هي العليا وليعلم الدعاة أنهم لا ينبغي أن يكونوا عالة على غيرهم فهم مصدر العطاء وجزت العادة أن الناس يتأثرون بلغة الحال أكثر من لغة المقال.

وأخذ أبو بكر كل ماله لينفقه على الدعوة وليكون سبباً في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة. ثم انظر إلى موقف أبنائه وعامر بن فهيرة، وسير أبي بكر أمام

(٦٩) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ٢٠ - ٢١.

(٧٠) ابن هشام: السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٠، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٩.

(٧١) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٩.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يذكر الرصد . وسيره خلفه حين يذكر الطلب، وتضحيته بنفسه، ودخوله الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستكشف ما بداخله من هوام أو حشرات، وتقطيع ثوبه لسد الفتحات الموجودة في الغار ونهش الحية لكعبه وبكائه دون أن يزعج رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يشعره بشيء .

كل هذا وغيره حريٌّ به أن يكون سبباً في خلود ذاكره الطيبة، وأن يكون الخليفة الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لا نعجب حين نقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً )<sup>(٧٢)</sup> .

وكذلك لو نظرنا إلى موقف علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - استعداداً للتضحية بنفسه ومبيته مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم للتصديه على كفار مكة ورده الأمانات والودائع لهم كل هذا يعلمنا أن الدين يحتاج إلى الرجال بقدر ما يحتاج إلى المال والحاكم القوي وكم يكون انتشار الإسلام سريعاً حين يكون هناك قوة تحميه وتؤيده<sup>(٧٣)</sup> .

### الدرس الثامن عشر: الهجرة عزة ونجاة:

إذا كانت الهجرة تعني الانتقال من أرض مكة إلى المدينة المنورة قبل فتح مكة<sup>(٧٤)</sup>، وهذا قد انتهى بفتح مكة، فإن هذا لا يعني أن الهجرة بالمعنى اللغوي لم يعد لها وجود، والهجرة أقرت معاني قديمة ومضاهيم حديثة كلها تتصل بالمادة اللغوية لكلمة الهجرة. فهجرة المعاصي والاشتغال بالطاعات يعد هجرة فالمهاجر من هجر ما نهى الله عنه وحين يغضب الإنسان لأمر فعلية أن يهجر المكان الذي تلبس به الشيطان فيه ويغير من وضعه لحالته، والهجر نوع من العلاج للزوجة.

حين تلجأ إلى التمرد والنشوز قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ ﴾<sup>٥</sup> وَأَهْجُرُوهُمْ فِي الْمَصَاحِبِ ﴿ النساء: ٣٤ ، فهجرها نوع من الإصلاح شريطة ألا يطول

(٧٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٧، ص١٨٠، البوطي: فقه السيرة، ص١٦٤، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص١٩.

(٧٣) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص١٨ - ١٩.

(٧٤) ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص١٦ - ١٧.

الهجر حرصاً على بقاء الصلة بينهما، يقول ابن عباس رضي الله عنهما ( يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها) <sup>(٧٥)</sup>، وقيل: يعتزل عنها إلى فراش آخر، بل جعل الإسلام فرصة هجر الصديق لصديقه لسبب من الأسباب محدودة قال عليه الصلاة والسلام: ( لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) <sup>(٧٦)</sup>.

وهذا الإنسان الذي لا يتمكن من إقامة شعائر الله تعد الدار التي يعيش فيها كدار الحرب بحيث إن بقي فيها عدو عاصياً قال تعالى في شأن المستضعفين في الأرض ﴿ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَنُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ النساء: ٩٧، وهذا الإنسان الذي لم يتسن له القيام بمهمته وأداء واجبه نحو دينه عليه أن يهجر هذا المكان إلى مكان آخر ليستطيع أداء رسالته والقيام بواجبه وتحقيق خلافة الله في أرضه <sup>(٧٧)</sup>، وهؤلاء الذين لم يتيسر لهم سعة الرزق في بلادهم يلجأون إلى الهجرة والترحال، ففي الحركة بركة. كل هذه المفاهيم تؤخذ من مادة الكلمة (الهجرة) التي فيها النجاة والسلامة وتحقيق الذات <sup>(٧٨)</sup>.

### الدرس التاسع عشر: محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم :-

تكشف الصورة التي استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً. لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة ينتظرون تحت لفق الشمس وصول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم. حتى إذا ذهب النهار ليدبر عادوا أدراجهم ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم الثاني. فلما طلع الرسول عليهم جاشت العواطف في صدورهم وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمراه عليه الصلاة والسلام ومقدمه عليهم. ولقد بادلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة

<sup>(٧٥)</sup> ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٧.

<sup>(٧٦)</sup> البوطي: فقه السيرة، ص ١٥٥، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٧.

<sup>(٧٧)</sup> ابن القيم: زاد المعاد، ج ٣، ص ٥١، ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٧.

<sup>(٧٨)</sup> ضيف: دروس مستفادة من الهجرة النبوية، ص ١٦ - ١٧.

ذاتها، حتى إنه جعل ينظر إلى ولأند بني النجار من حوله، وهن ينشدن ويتغنن بمقدمه قائلاً: أتحببني؟ والله إن قلبي ليحبكن.

يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست في مجرد الاتباع له، بل المحبة له هي أساس الاتباع وبعثه، فلولا المحبة العاطفية في القلب لما وجد وازع يحمل على الاتباع في العمل.

ولقد ضلّ قوم حسبوا أن محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لها معنى إلا الاتباع والاقتراء، وفاتهم أن الاقتراء لا يأتي إلا بوازع ودافع. ولن تجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية التي تهز المشاعر وتستبد بالعواطف، ولذلك جعل الرسول صلى الله عليه وسلم مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته صلى الله عليه وسلم بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين. وهذا يدل على أن محبة الرسول من جنس المحبة الوالد والولد أي مصدر كل منهما العاطفة والقلب وإلا لم تصح المقارنة والمفاضلة بينهما<sup>(٧٩)</sup>.

#### الدرس العشرون: تقدير عظمة الثبات على المبدأ :-

تقدير عظمة الثبات على المبدأ وتشيد بفوز الحق الذي كتب له الخلود مع الدنيا، الحق الصابر على المحن والخطوب، الحق الممثل في محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٤٠<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٩) البوطي: فقه السيرة، ص ١٨٨.

(<sup>٨٠</sup>) البنهاوي، محمد زكي: الهجرة المحمدية ومزاياها الخالدة في الإسلام، مجلة منار الإسلام، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٤)، محرم ١٤٠٩هـ/ أغسطس ١٩٨٨م، ص ٢٣.

## الدرس الحادي والعشرون : وعي قيمة تصميم أهل الهجرة، ويقين أهل الهجرة، وأمل أهل الهجرة، وثبات أهل الهجرة :-

وعى قيمة تصميم أهل الهجرة، ويقين أهل الهجرة، وأمل أهل الهجرة، وثبات أهل الهجرة إن الشعوب الإسلامية اليوم وقد تباعد ما بينها وبين حقيقة دينها لأبد لها من عودة مبصرة إلى حقائق هذا الدين حتى تستطيع أن تواجه الموجة الكاسحة التي تبرز اليوم من خلال الأحداث تواجه الصراع المصيري وترد الغزو<sup>(٨١)</sup>.

## الدرس الثاني والعشرون : إن الله تعالى أرحم بنبيه وصاحبه، وأرحم بالمؤمنين في كل زمان ومكان :-

إن الله تعالى أرحم بنبيه وصاحبه، وأرحم بالمؤمنين في كل زمان ومكان من أن يجعلهم في قبضة عدوه وعدوهم، فقد أكد سبحانه حمايته لنبيه حين تخلت عنه قوى الأرض، فالملائكة تظلمهم بأجنحتها، وسكينته تحيط بهم، وعنايته ترعاهم، وأن الدعاة إلى الله بحاجة دائماً وأبداً أن يكون راسخاً لديهم وفي أعماقهم عون الله لهم وعنايته بهم، حين تعجز قوتهم البشرية عن إدراك ما يخطط له العدو بعد استنفاد الطاقة واستفراغ الجهد والوسع وأن يكون لديهم اليقين التام والقناعة الدائمة كذلك أن النصر أولاً وأخيراً بيد الله وحده.

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ

كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَمْرُنْ إِنَّ اللَّهَ

مَعَنَا فَنَزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿التوبة:

٤٠، فلا بد للمسلمين اليوم وغداً إن أرادوا أن يخرجوا من هذا المأزق الخطير الذي يعيشون فيه اليوم أن يبذلوا طاقتهم في التخطيط البشري، وأن يستفرغوا وسعهم كما فعل رسول الله صلى الله وسلم وأصحابه. وبعد ذلك يكون حسن توكلهم على الله بعد أخذهم لجميع الأسباب، ولا بد بعد ذلك من القبول التام لقضاء الله وقدره،

(٨١) الخطيب: الهجرة النبوية .. مواقف ودروس لرجال الدعوات، ص.٧.

وتطمئن إلى أنه الخير كله للإسلام والمسلمين. ووعد الله لعباده المؤمنين هو الحق كله يقول سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ غافر: ٥١ (٨٢).

### الدرس الثالث والعشرون: مقاومة اليأس في نفوس بعض المسلمين اليوم:

دب اليأس في نفوس بعض المسلمين اليوم لضعف المسلمين ولكن بالنظر إلى حال الأمة المسلمة قبل الهجرة وهي متمثلة في النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وكيف كان حال الصحابة ما بين قتيل أو طريد أو حبيس، والنبي الكريم يؤدي وتم محاولة قتله ومع ذلك لم ييأس النبي ولا أحد من المؤمنين.. ولكن لما حققوا شرط: ﴿ إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾ محمد، من الآية: ٧. تحقق وعد الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعِقَادَ ﴾ آل عمران، من الآية: ٩. ويمكن الاستفاضة في تلك النقاط، ومطابقة الحال بالحال وبيان عودة النبي بعد ذلك في فتح مكة فاتحاً ظافراً، وحوله عشرة آلاف من الصحابة، جُند الإسلام، فقارن بين خروج النبي من مكة وعودته بعد ثمان سنين (٨٣).

### دروس أخرى منها :-

- ١) من يجاهد من أجل دينه يعطيه الله أجر الدنيا والآخرة أما من يعمل لدنياه، فلن يبقى له منها شيء، وسيكون في الآخرة من الخاسرين.
- ٢) عدم إفشاء السر حتى تسنح الفرصة ويأتي الوقت المناسب، فلا تتسرب الأسرار إلى العدو بذلك تكون فرصة النصر أكبر، وقد ضرب الرسول مثلاً رائعاً في كتمان السر من خلال تخطيطه للهجرة.

(٨٢) الخطيب: الهجرة النبوية .. مواقف ودروس لرجال الدعوات، ص٧.

(٨٣) غنيم، محمد عبد الرحمن: كيف نتعامل مع السيرة النبوية الهجرة النبوية نموذجاً، مجلة المنتدى، العدد (٧١)، محرم

١٤٢٣هـ/مارس ٢٠٠٢م، ص ٤٧.

- (٣) لزوم التخطيط السليم والإعداد الجيد في الأمور الهامة والتوكل على الله والاستعانة به في هذه الأمور كما قال تعالى على لسان رسوله لصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة، من الآية: ٤٠ .
- (٤) تقوية عزائم الجند ورفع معنوياتهم مما يدعوهم إلى الثبات وعدم الردة عن القائد وقد أشرنا إلى موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من آل ياسر.
- (٥) على الجند حماية القائد لأن القائد هو السلاح الأقوى في المعركة ولو ذهب لتفككت الروابط وضاعت الفرصة وانهمز الجند، وقد ضرب أبو بكر مثلاً رائعاً في حماية القائد.
- (٦) جاءت الهجرة انتصاراً لصاحب الحق على أصحاب الباطل مهما كان عنادهم وكثرتهم لأن قوة الحق هي القوة الباقية وقوة الباطل مؤقتة زائلة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الحج: من الآية ٤٠<sup>(٨٤)</sup>.
- (٧) الحزم البالغ، والحس الأمني العالي لدى النبي صلى الله عليه وسلم حيث تحرك في الوقت المناسب، ودونما تأخير، وذلك حين علم بعزم قريش على تبييته، واختياره صلى الله عليه وسلم الوقت المناسب للذهاب إلى بيت أبي بكر، وهو وقت القيلولة، وسؤاله حين دخل إلى البيت: من عندك.
- (٨) السرية التي أحاطت الخطة حتى النجاح دليل على أهميتها في كل عمل يكتنفه الصراع من الكفار أو المنافقين.
- (٩) بيان فضل أبي بكر باختيار النبي صلى الله عليه وسلم له دون غيره، فكان هذا الاختيار من أعظم التوفيق للنبي الكريم، كما كان فيه الإشارة إلى تأييد الله عز وجل لنبيه وحسن رعايته سبحانه لتلك الخطوات المباركة في رحلة الهجرة، وهي منقبة عظيمة لأبي بكر سجلها القرآن الكريم منوها بما كان عليه - ﷺ - من الحب للنبي والخوف عليه وتقديته بنفسه، ولقد علمت أمة الإسلام أنه أفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم.

(٨٤) محمد بن، نعيم: دروس من الهجرة، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد (٢٥٣)، ص

- ١٠) فدائية علي - ﷺ - بمبيته في فراش النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعلم بالأمر تدل على أن التربية الإيمانية هي وحدها الجديرة بتقديم مثل هذه النماذج الرفيعة في الجندية والشهامة والرجولة.
- ١١) في تكليف النبي صلى الله عليه وسلم عليا برد الأمانات التي عنده للمشركين دليل على أن القيم الأخلاقية لا تهتز في منظور الإسلام تحت أي ظرف من الظروف مهما كانت شدته وقسوته.
- ١٢) في انتمان المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم على أمانتهم رغم جحودهم لدعوته ما يؤكد أن الداعية والمصلح بإمكانه أن يؤسس أرضية طيبة من الثقة والاحترام لدى المدعو تهيئة فيما بعد لتقبل الدعوة، وهو ما كان من قريش حيث دخلوا جميعا في الإسلام.
- ١٣) إذا تمكن الإيمان من النفس وخالطت بشاشته القلوب أرخص المؤمن كل شيء في سبيل عقيدته، فهذا أبو بكر لم يقل: أجنب أبنائي الأخطار، لاسيما البنات، بل تجلى صدق إيمانه في كل خطوة من خطوات الرحلة، فكانت نصره الدين أعلى وأعلى عنده من النفس والولد والمال، ويمثل هذا الصدق تنجح الدعوات وتنتصر.
- ١٤) ومن دروس الهجرة أن نصره الدين يجب أن تكون أعلى من كل اعتبار، فالوطن العزيز على النفس جبلة، يتركه المؤمن حين يعتقد أن في تركه نصره لعقيدته ورفعاً لرايته، فقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم مكة وهي أحب البقاع إليه لما خشي على أصحابه الفتنة، ولما أراد أن يؤسس للإسلام دولة.
- ١٥) توقيف أبي أيوب للرسول صلى الله عليه وسلم ورعاية حقه حيث شق عليه أن يسكن في الدور العلوي من البيت والنبي صلى الله عليه وسلم في الدور الأرضي فضيه منقبة لأبي أيوب ودليل على وفور عقله وصدق إيمانه.
- ١٦) وجوب الهجرة للقادر عليها ممن يخشى على دينه في أرضه، وقد نعى الله تعالى على من فرطوا في الدين وتعللوا بالاستضعاف قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَاؤَلَتِكَ مَاؤُنْهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ٩٧. أما قوله صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح) فمعناه أنه لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة

بعد فتح مكة، ولكن جهاد ونية، وذلك أن الأسباب التي كانت موجبة للهجرة وهي الفتنة قد انتفت.

(١٧) وفي الهجرة مشروعية فرار المسلم بدينه والاختباء من الطغاة والظالمين، وأن ذلك لا ينافي الإيمان، وقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه سراً واختبأ في الغار، وهاجر عمر سراً، وقد فر موسى عليه السلام - وهو من أولي العزم - من فرعون وقومه، وفر أهل الكهف من ملكهم الكافر، واختبأ الإمام أحمد لما طلب في أول الأمر أيام المحنة.

(١٨) أن الأدب مقدم على الامتثال فقد بقي النبي صلى الله عليه وسلم في الدور الأرضي من بيت أبي أيوب، فثبت بإقراره صلى الله عليه وسلم أن يسكن أحد فوكه مشروعية ذلك، ولو كان ذلك لا يجوز لبين لأبي أيوب إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة كما هو مقرر في علم الأصول، فكان هذا يكفي أبا أيوب إلا أن عظيم توقيره للنبي صلى الله عليه وسلم وصدق إيمانه ورهافة حسه أبت عليه إلا أن ينزل هو وزوجه لينتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدور الأعلى، فقدم الأدب على الامتثال للحكم الثابت بإقراره صلى الله عليه وسلم.

(١٩) مشروعية المعارض عند الحاجة إليها، ففيها مندوحة عن الكذب وسائر ألوان التمويه والتعمية بقدر الحاجة فحسب، إذ الضرورة بقدرها كما تقرر في الأصول، فقد قال أبو بكر لمن سأله عن الرجل الذي معه: هذا يهديني الطريق يقصد الهداية إلى الحق، ويفهم السائل أنه خبير بالطرق والدروب في السفر، وكان ذلك في مثل تلك الحال<sup>(٨٥)</sup>.

(٢٠) تغيير البيئة فهو مفهوم تخطيطي للوصول إلى النجاح، وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢١) صلة الرحم: يؤكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدرسة الهجرة في إقامته عند أقربائه من بني النجار.. وذلك لعظم مكانة صلة الرحم كما جاء في الحديث القدسي قال صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: ( أنا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسماً من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته).

(٨٥) العدوي: من دروس الهجرة، مجلة السنة، العدد (١١٤)، محرم ١٤٢٣، ص ٩٨ - ١٠٢.

٢٢) الأخوة في الإسلام من الأصول المهمة في جمع شمل المسلمين وتربط صفوفهم وقد أكد الرسول صلى الله عليه وسلم عليها في هجرته ليتخذها المسلمون عبرة ودرساً يستفاد منه. فقد قال صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)<sup>(٨٦)</sup>.

كانت تلك الدروس المستفادة من الهجرة النبوية التي اشتملت على قيم تربوية إسلامية يجب أن يغرسها الأباء والمربون في أبنائهم لتصبح سلوكاً اجتماعياً وأخلاقياً في حياتهم، لينعكس ذلك على الفرد والمجتمع، ولنعيد للأمة العربية الإسلامية حضارة اندثرت آثارها، ووحدة تفرقت أوصالها، وقوة ضعفت أجزاءها، وتلك مسؤولية مؤسسات التربية في المجتمع العربي والإسلامي الذي يجب أن يكون القرآن الكريم منهجه، والسنة النبوية مصدره، وسيرة صحابته قدوته، وتاريخه العربي الإسلامي دراسته ومبحثه، وبهذا يكون احتفالنا بذكرى الهجرة النبوية قد أدى مغزاه، وحقق أهدافه، ونفذ نتائجه وغايته<sup>(٨٧)</sup>. وتلك لمحات عما تمخضت عنه الهجرة النبوية المطهرة والتي ينبغي أن يلتزم بها المسلم في كل شؤون حياته حتى ينعكس أثرها الطيب على سلوكياته في المجتمع، فتسود روح الألفة والمحبة بين المجتمع.

(٨٦) القراوي: دروس من الهجرة النبوية، ص ٩٨.

(٨٧) حسانين: دروس من الهجرة النبوية، ص ١٢.

**العلاقات اليمنية البريطانية  
بعد أحداث ١٩٢٨م  
وحتى معاهدة صنعاء ١٩٣٤م**

**الدكتور/ ثابت صالح اليزيدي**

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة حضرموت

**الدكتور/ علي محمد باسعد**

قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة حضرموت



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## العلاقات اليمنية البريطانية بعد أحداث ١٩٢٨م وحتى معاهدة صنعاء ١٩٣٤م

### الملخص:-

استقر الوضع السياسي الخارجي لليمن بعض الشيء بعد عام ١٩٢٨م، وحاول الإمام يحيى المضي قدماً نحو تسوية المشاكل الحدودية مع محمية عدن البريطانية عن طريق التفاوض، ولكن المفاوضات التي جرت بعد ذلك لم تفض إلى نتيجة مرضية لأي من الطرفين، وعاد التوتر من جديد على الحدود بين الجانبين بعد أن دخلت قوات الإمام إلى قسم من أراضي المحمية. وحاول الإمام الحصول على دعم خارجي يعضده في نزاعه مع البريطانيين من خلال المعاهدة التي وقعها مع الاتحاد السوفيتي عام ١٩٢٨م. ولكنه لم يحصل على هذا الدعم. وكذلك فشلت محاولاته مع ألمانيا لإقامة علاقات سياسية معها.

ومع أن الوضع ظل متوتراً على الحدود بين اليمن والمحميات الجنوبية، إلا أن محاولات التسوية والبحث عن حلول للمشكلات الحدودية استمرت بين الطرفين. واستغل البريطانيون التوتر في العلاقات بين الإمام وابن سعود حول عسير ونجران فأخذوا يضغطون على الإمام بهدف إخراج قواته من أراضي المحميات وذلك مع بداية عام ١٩٣٣م. فأدرك الإمام أن عليه أن يختار بين السلام أو الحرب مع بريطانيا خاصة أن بوادر الحرب بينه وبين ابن سعود باتت وشيكة، فأرسلت بريطانيا وفداً جديداً إلى صنعاء للتفاوض مع الإمام يحيى في ديسمبر عام ١٩٣٣م برئاسة برنارد رايلي .

وفي فبراير من عام ١٩٣٤م وقع الطرفان معاهدة صنعاء التي تضمنت عدداً من البنود منها انسحاب قوات الإمام من المناطق الحدودية التي استولت عليها. والحفاظ على الوضع القائم في الجنوب كما هو عليه أثناء توقيع المعاهدة لمدة أربعين عاماً. واحتفظت بريطانيا بموجب المعاهدة بالمحميات طيلة هذه المدة، وقد تناول الباحثان في هذه الدراسة الأحداث التي جرت على الحدود، ومحاولات التسوية عن طريق المفاوضات بين ١٩٢٩ - ١٩٣٣م والتي توجت بمعاهدة صنعاء عام ١٩٣٤م.

**المقدمة :-**

يتناول البحث العلاقات اليمينية البريطانية بعد عام ١٩٢٨م وحتى معاهدة صنعاء بين اليمن وبريطانيا عام ١٩٣٤م . حيث شهدت هذه الحقبة توتراً في العلاقات بين الجانبين .وقامت قوات الإمام بمهاجمة القرى والمناطق الحدودية في الجنوب. ومع ذلك ظلت محاولات التسوية قائمة بين الطرفين حتى التوقيع على معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤م. التي أنهت حقبة من النزاع المسلح على الحدود بين بريطانيا والإمام يحيى .

قُسم البحث إلى مبحثين. يتناول المبحث الأول محاولات التسوية والتوتر على الحدود بين ١٩٢٩- ١٩٣٣م . وفيه يستعرض الباحثان الخطوات التي تمت لتسوية المشكلات الحدودية بين محمية عدن البريطانية واليمن، والصعوبات التي واجهت المفاوضات وحالت دون نجاحها، وأثرت على العلاقات بينهما. وزادت من حدة التوتر على الحدود واستمرار العمليات العسكرية حتى عام ١٩٣٣م الذي شهد انفراجاً في العلاقات بين بريطانيا واليمن حيث أبدى الجانبين رغبة مشتركة نحو حل المشاكل الحدودية عن طريق المفاوضات.

أما المبحث الثاني فيتناول معاهدة عام ١٩٣٤م بين اليمن وبريطانيا. والتي تم التمهيد لها في ديسمبر عام ١٩٣٣م. وجرى التوقيع عليها في صنعاء في فبراير عام ١٩٣٤م. وسميت بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادلة. وأخيراً أهم النتائج التي خلص إليها الباحثان.

**أولاً : محاولات التسوية والتوتر على الحدود بين ١٩٢٩-١٩٣٣م :-**

كانت العمليات العسكرية التي جرت على مناطق الحدود بين المملكة المتوكلية اليمينية ومحمية عدن في عام ١٩٢٨م نهاية حقبة من الصراع المسلح بين الإمام يحيى وبريطانيا، وبداية مرحلة جديدة بينهما، أبدى فيها الإمام رغبته في تسوية مشكلاته مع بريطانيا، بعد أن عجزت قواته عن تحقيق أهدافه في استعادة المحميات الجنوبية، في حين نجحت بريطانيا بواسطة طائراتها الحربية في إعادة حدود المحميات إلى ما كانت عليه أثناء الحكم العثماني لليمن<sup>(١)</sup>. فاضطر الإمام إلى طلب المفاوضات مع الحكومة

البريطانية في أواخر عام ١٩٢٨م لتسوية المشاكل معها، ولكنه لم يرسل ممثليه إلى عدن للتفاوض مع البريطانيين عندما طلبوا منه ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد خبر هذه المفاوضات في التقرير الذي بعثت به السفارة الألمانية في لندن إلى وزارة الخارجية الألمانية في الثاني عشر من فبراير عام ١٩٢٩م قالت فيه أن سكرتير الدولة البريطاني لشؤون المستعمرات قد أجاب على سؤال النائب البريطاني المستر والون أثناء مناقشة مجلس النواب موضوع المفاوضات بين الإمام وبريطانيا. إذا كانت هذه المفاوضات تهدف إلى عقد معاهدة بين البلدين؟ قائلاً: ((طبقاً لمعلوماتي الحالية فإن الإجابة بالنفي. فالوضع الحالي هو على النحو التالي. في سبتمبر الماضي اتصل إمام اليمن بالمعتمد البريطاني في عدن وأبدى استعداداه لفتح باب المفاوضات من جديد. وفي رد المعتمد على الإمام دعا الإمام إلى إرسال مندوب عنه إلى عدن للتفاوض حول بنود الاتفاقية الأولية. واقترح عليه أن تشمل هذه الاتفاقية اعتراف حكومة صاحبة الجلالة بالاستقلال التام لليمن، وبسلطة الإمام. كما تشمل بنداً يتضمن تحديد حدود محميات عدن. وقد كان المؤمل لو تم التوصل إلى اتفاقية أولية تشمل تلك النقطتين، أن تصاغ فيما بعد معاهدة أكثر شمولاً يتم بمقتضاها حل المسائل المتنازع عليها والتي ما زالت معلقة. وقد تم إعداد تفويض، أرسل إلى المعتمد البريطاني يخوله التفاوض وإبرام اتفاقية أولية، على أساس هذه الخطوط المقترحة. ولكن كما أعرف لم يرسل الإمام أي مندوب إلى عدن))<sup>(٣)</sup>.

ويبدو أن السفارة الألمانية في لندن كانت تتابع باهتمام التطورات الجارية بين اليمن وبريطانيا وتطلع وزارة الخارجية الألمانية بما يجري على الحدود بين المملكة المتوكلية اليمنية ومحمية عدن، وآخر المستجدات حول تسوية النزاع بينهما. ويأتي هذا الاهتمام الألماني بالأحداث بين اليمن وبريطانيا بعد أن طلبت الحكومة اليمنية من ألمانيا إقامة علاقات سياسية معها<sup>(٤)</sup>. ولكن ألمانيا لم ترد على الطلب اليمني حينها. وفضلت التريث في الأمر قبل اتخاذ القرار. وأخذت تراقب الأوضاع على الأرض بين الجانبين وخاصة العمليات العسكرية الجارية، فضلاً عن رغبتها في استيضاح الموقف البريطاني من هذه التطورات حتى لا تغضب الحكومة البريطانية إذا وافقت على إقامة علاقات مع الإمام. واستمرت السفارة الألمانية في لندن وقسم من العواصم الأخرى في

تقصي الحقائق حول الأحداث في المنطقة وترسل تقاريرها ورسائلها إلى وزارة الخارجية في ألمانيا حتى تتخذ الموقف المناسب<sup>(٥)</sup>.

وكان الإمام يحيى في هذا الوقت يسعى إلى إقامة علاقات سياسية مع ألمانيا للاستفادة منها في نزاعه مع بريطانيا بعد سلسلة الهزائم التي تعرض لها جيشه، وأدت إلى انسحابه من المحميات. وكتب السفير الألماني في القاهرة إلى حكومته في ٢٥ يوليو ١٩٢٩م بهذا الخصوص موضحاً أن هدف الإمام من هذه العلاقات هو تعزيز موقفه بها أمام بريطانيا. وحول مفاوضات الإمام مع بريطانيا، ذكر السفير الألماني أنه اجتمع في القاهرة مع السفير اليمني السيد محمد بن محمد زيارة. واتضح له من خلال اللقاء أن الإمام كان يهدف من هذه المفاوضات أن تعترف له بريطانيا باستقلال بلاده الكامل، وأن عدن هي أرض يمنية، والوجود البريطاني فيها مؤقت. فضلاً عن الاعتراف له بحق اليمن في عسير، وإقناع الملك ابن سعود أن يعترف له بهذا الحق<sup>(٦)</sup>. ولكن جهود الإمام لم تنجح في إقامة هذه العلاقات مع ألمانيا التي كان يعول عليها في نزاعه مع بريطانيا.

قامت بريطانيا بعد أن استعادة المحميات، وفشل الإمام في إقامة علاقات سياسية مع ألمانيا. بالتصدي لمحاولات الإمام التطلع مرة أخرى نحو المحميات فوسعت سياستها نحو الداخل في الجنوب والمعروفة بسياسة ((التقدم نحو الأمام)) فأنشأت العديد من المطارات العسكرية لطائراتها الحربية في مناطق مختلفة من المحميات لدعم سياستها الجديدة، وتعزيز وجودها فيها، ومنع الإمام من العودة إليها مرة أخرى، وإضعاف مطالبته بها. وعقدت مؤتمرين في سلطنة لحج بين عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠م تحت إشراف المقيم السياسي البريطاني في عدن، دعت إليه الأمراء والسلاطين والمشايخ في المحميات، وترأسه سلطان لحج وناقشوا فيه العديد من الموضوعات منها تكثيف الجهود وتوحيدها لمواجهة الإمام، والتصدي لمحاولاته التدخل في المحميات. وناقشوا أيضاً فكرة إنشاء اتحاد بينهم، ولكنهم فشلوا<sup>(٧)</sup>.

حاولت بريطانيا في عام ١٩٣٠م استئناف المفاوضات مع الإمام يحيى بعد أن شعرت أن الإمام قد حصل على دعم سياسي جديد إلى جانب إيطاليا<sup>(٨)</sup>، وهو الاتحاد السوفيتي الذي اعترف باستقلاله<sup>(٩)</sup>، فأرسلت إليه هارولد جيكونب<sup>(١٠)</sup>، للتفاوض معه<sup>(١١)</sup>.

وقيل حينها أن قدوم جيكوب إلى صنعاء كان بتكليف من قسم من الشركات والمؤسسات الاقتصادية البريطانية للحصول على امتيازات لها في اليمن . ولكن مهمة جيكوب لا تخلو من الهدف السياسي إلى جانب الهدف الاقتصادي المعلن، فالالاقتصاد والسياسة وجهان لعملة واحدة في السياسة البريطانية لتحقيق الأهداف والمصالح البريطانية في المنطقة. ويتضح ذلك من خلال نص الحديث الذي دار بين البروفسور شتروثمن<sup>(١٢)</sup> والدكتور جروبا من القسم السياسي بوزارة الخارجية الألمانية حول مهمة جيكوب السياسية في صنعاء والذي ورد في تقرير الأخير إلى وزارة الخارجية الألمانية<sup>(١٣)</sup>. حيث قال: (( يبدو أن له مهمة أخرى تفصح عنها أسئلته، حول كيفية إنهاء الخلاف اليميني البريطاني القائم))<sup>(١٤)</sup>.

وفي المفاوضات اقترح الإمام على جيكوب أن يعترف بالوضع الراهن في المحميات مقابل اعتراف بريطانيا له بأحقية في عدن، وحقه في امتلاكها في المستقبل وبقية مناطق المحميات، وتعيين القضاة الشرعيين للحكم بمقتضى الشريعة الإسلامية في القضايا الدينية في هذه المناطق<sup>(١٥)</sup>. ولكن جيكوب اقترح عليه أن تلتزم بريطانيا بعدم تسليم عدن عند الانسحاب منها إلا لليمن. وبالتالي فشلت المفاوضات لعدم تطابق وجهات نظرهما حول القضايا التي ناقشوها<sup>(١٦)</sup>.

ألقت الحكومة اليمنية بالمسئولية على بريطانيا في فشل المفاوضات ، وسارعت إلى توضيح موقفها أمام الدول الأجنبية بأنها قدمت كل ما تستطيع في سبيل نجاحها ، ولكن البريطانيين كانوا غير جادين فيها. وجاء ذلك في الرسالة التي بعث بها محمد راغب بك<sup>(١٧)</sup> وزير خارجية اليمن إلى نظيره وزير الخارجية الألماني. ومضى يقول ((بالنسبة لعلاقتنا مع جيراننا ، نحن مستعدون للتوقيع على كل ما يريدون ، ويأمرون به. ومستعدون لقبول الوضع بكامله كما هو عليه الآن، وعلى المدى الطويل. ولكن بشرط واحد، وهو أن يعترفوا لنا بالأراضي والجزر المحتلة هي أجزاء من الأراضي اليمنية جغرافياً وتاريخياً وطبيعياً. وهل نستطيع أن نفعل أكثر من هذا؟ إن الشيء المفقود حتى الآن هو النية الطيبة، والرغبة الصادقة))<sup>(١٨)</sup>.

يفهم من رسالة وزير الخارجية اليمني أن حكومته كانت على استعداد أن تعترف بالوضع القائم كما هو عليه. أي أنها ستقبل بالوجود البريطاني في عدن والمحميات لفترة طويلة جداً. مقابل اعتراف بريطانيا بأن هذه المناطق يمنية من حيث الجغرافيا والتاريخ ، وجزء من اليمن الطبيعية التي يحكمها الإمام ، وهو ما ترفضه بريطانيا ولا تقره. فضلاً عن أن الرسالة توضح غياب النوايا الطيبة والرغبة الصادقة لدى البريطانيين في إنجاح المفاوضات. وتحملهم في الوقت نفسه فشلها وبقاء الوضع متأزماً بين الجانبين . وأرادت أن توضح أيضاً للدول الأوروبية ومنها ألمانيا على وجه الخصوص سلامة نيتها ورغبتها الصادقة في تسوية المشاكل مع بريطانيا عن طريق المفاوضات ، ولكن البريطانيين كانوا غير جادين في ذلك ، وهم وحدهم الذين يقع عليهم اللوم .

أدى فشل المفاوضات إلى عودة التوتر من جديد إلى المناطق الحدودية بين الجانبين . ففي مارس عام ١٩٣٠م أخذت القوات الإمامية تحتشد في منطقة رداغ للهجوم على بيحان. ولكن الطائرات الحربية البريطانية أجبرتها على العودة إلى مواقعها السابقة. وفي مايو من نفس السنة ذكرت جريدة الإيمان اليمنية أن أهالي الجوبة في منطقة مراد اشتكوا إلى الإمام من عدم استقرار الأوضاع في منطقتهم ، وانعدام الأمن الداخلي فيها. فأرسل إليهم الشريف عبدالله الضمين ليعيد الاستقرار والأمان إلى مناطقهم ، وتأسيس إدارة حكومية فيها. فاعتقدت قبائل بيحان أن هدف الإمام هو احتلال أراضيهم. فأرسلت السلطات البريطانية في عدن المقدم موريس ليك إلى المنطقة. وقام بطلعات جوية استطلاعية لمدة ثلاثة أيام، ودون ملاحظاته من خلال الصور الفوتوغرافية التي تم التقاطها من الجو ، والتي يمكن أن تستخدم في العمليات العسكرية القادمة<sup>(١٩)</sup>.

وفي عام ١٩٣١م عاود الإمام الهجوم على المناطق الحدودية مع المحميات ، فاحتلت قواته قرية العين التابعة لمشيخة المصعبي لأنها تحالفت مع شريف بيحان. ولم تكن حدود تلك المنطقة قد حددت بعد، إلا أنه نتيجة لعملية استطلاعية تمت في مارس عام ١٩٣١م تقرر أن تتبع العين بيحان جغرافياً وسياسياً . وفي ٢٥ سبتمبر من نفس السنة وجهت السلطات البريطانية في عدن إلى الإمام إنذاراً بسحب جميع قواته من أراضي المصعبي، وصاحب الإنذار تهديداً باستخدام سلاح الطيران ، الذي قام بدورة بعدة

طلعات جوية فوق مناطق رداع والجوية وغيرها من المناطق اليمنية. وألقت خلالها المنشورات التي تحذر السكان من احتمال القيام بالقصف الجوي ،فانسحبت القوات اليمنية من العين في ٤ أكتوبر عام ١٩٣١م ،بعد أن دمرت عدداً من القرى <sup>(٢٠)</sup>.

وفي ظل هذه الأوضاع غير المستقرة على الحدود بين الجانبين ، حدث تغيير مفاجئ في موقف الإمام يحيى تجاه بريطانيا . حيث أعلن عن رغبته في تسوية مشاكل الحدود مع بريطانيا من خلال المفاوضات . ويعزى هذا التبدل في موقف الإمام إلى تعاضم سطوة ابن سعود في الجهات الشمالية من حدوده، وإلى تخوفه من قيام البريطانيين باستغلال خلافاته مع القبائل القاطنة في سهل تهامة، وإقناعها بإضرام نار الثورة العلنية في وجهه <sup>(٢١)</sup>. وأدت المفاوضات إلى اقتراح عقد معاهدة ، وعهد إلى بريطانيا بأن تضع الأسس المناسبة للتعاقد بشأنها ،وذلك في أكتوبر عام ١٩٣١م. ولكن الإمام قام باحتلال جزء من إقليم العوذلي مرة أخرى بعد أن كان قد خرج منه <sup>(٢٢)</sup>. وقبض على حوالي أربعين رهيناً. إلا أن هذا لم يمنع من استمرار المفاوضات بين الجانبين <sup>(٢٣)</sup>. فضلاً عن سيطرته على أجزاء من بيحان ولاسيما جهاتها الوسطى والشرقية ،مما أقلق البريطانيين كثيراً، لأن بيحان كانت تحتل موقعاً استراتيجياً وسط الطريق البري الذي يربط المحميات الغربية ومملكة الإمام بحضرموت <sup>(٢٤)</sup>.

وأما بالنسبة لسلطنة العواذل ، فلأن الكثيرين من رعاياها كانوا منخرطين في القوات المحلية كجيش الليفي <sup>(٢٥)</sup> أو قوات الشرطه المحلية. إذ كان الاحتكاك اليومي لهؤلاء الجنود بضباطهم البريطانيين أبرز الأثر في عرض تحركات قوات الإمام على الأراضي المحمية أمام أنظار الحاكم العام في عدن الذي أتخذ الإجراءات الحربية لإجبار قوات الحاميه الإمامية على الانسحاب من مناطق حدود المحميات الجنوبية <sup>(٢٦)</sup>.

وحدث تطور آخر ساعد على تخفيف حده التوتر بين الجانبين . وذلك عندما طلب ولي العهد سيف الإسلام أحمد في ٨ مايو عام ١٩٣٢م من السلطات البريطانية في عدن إرسال طبيب بريطاني متخصص إلى الحديدة لمعالجته. فأرسلت إليه الطبيب الذي أشرف على علاجه . وبعد أن تحسنت حالته الصحية بعث سيف الإسلام أحمد رسالة شكر إلى المقيم السياسي البريطاني في عدن . وقد نُقل عن الأمير أنه عبر عن رغبته

الجادة في تسوية الخلافات بين عدن واليمن بأسرع وقت ممكن. ولكن هذه الدعوة لم تتحقق في جانبها العملي، وبقيت منطقة الحدود يشوبها الحذر والترقب<sup>(٢٧)</sup>.

عاود الإمام محاولاته الهجومية مرة أخرى على المناطق الحدودية الجنوبية. فهاجمت قواته معززة بقوة من رجال القبائل في يونيو عام ١٩٣٢م قرية أم نبيه في مشيخة الصبيحة، وواصلت تقدمها حتى منطقة الساحل. ولكن الإمام سحب قواته بعد تدخل سلاح الجو الملكي البريطاني الذي أُنذرها بضرورة الانسحاب من الأراضي التي احتلتها<sup>(٢٨)</sup>. وأدرك الإمام أن عليه أن يختار عاجلاً أم آجلاً السلام أو الحرب مع بريطانيا، في الوقت الذي رافق ذلك حالة من التوتر على الحدود الشمالية، بحصول مناوشات مع القوات السعودية في مناطق نجران وعسير. وزاد الوضع تأزماً هروب الأدارسة وعلى رأسهم السيد عبد الوهاب الإدريسي ولجؤتهم إلى المحميات. ويعتقد أن الإمام يحيى هو من سهل عملية الهروب<sup>(٢٩)</sup>.

عادت بريطانيا مرة أخرى إلى اتباع سياسة اللين مع الإمام يحيى بغية التوصل إلى حل نهائي معه لمشكلة الحدود. فأرسلت إليه العديد من الرسائل والوفود والمبعوثين من التجار وكبار الأعيان في عدن لتحقيق ما يضمن السكينة والهدوء. إذ تقدم تجار عدن وكبار رؤساء الشركات برجاء إلى الإمام يطلبون منه اللجوء إلى التفاهم، وإنهاء تلك الأوضاع القلقة التي ألحقت أضراراً جسيمة بالمصالح التجارية للطرفين. إلا أن تلك الجهود لم تسفر عن أية نتيجة مرضية<sup>(٣٠)</sup>.

وكرر المعتمد البريطاني في عدن السير برنارد رايلي<sup>(٣١)</sup> المحاولة ثانية، بعد أن طرأت متغيرات جديدة في طبيعة العلاقات بين الإمام يحيى والملك ابن سعود بشأن المناطق الحدودية الشمالية. وتوقع رايلي نشوب الحرب بين الطرفين في أي وقت، والتي هي مسألة وقت فقط. وكانت الخطوة الأولى في هذا الاتجاه قد تمت في الثاني من ديسمبر عام ١٩٣٣م عندما أرسل السكرتير الثاني المستر ريجنالد شامبيون<sup>(٣٢)</sup> جواً إلى لودر، الذي حث السلطان العوذلي على ضرورة المحافظه على علاقاته السلمية مع الإمام في هضبة الظاهر أعلى لودر. أي الإبقاء على الأوضاع هادئة مع الإمام الذي احتلت قواته الهضبة، توقعاً لإجلائه عنها<sup>(٣٣)</sup>.

وفي أعقاب تلك الخطوة أرسلت بعثة بريطانية جديدة إلى صنعاء في ١٥ ديسمبر عام ١٩٣٣م برئاسة برنارد رايلي وعضوية النقيب أ. ب. هاملتون<sup>(٣٤)</sup>، والمستر ريجنالد شامبيون، لإجراء مفاوضات مع الإمام، حيث استقبلت بحفاوة<sup>(٣٥)</sup>. مما يدل على رغبة الإمام في التوصل إلى تسوية سلمية للمشاكل مع بريطانيا. فقد كانت الأوضاع الدولية السياسية والعسكرية مضطربة بسبب الاستعدادات العسكرية التي أظهرتها إيطاليا نحو احتلال الحبشة. وعلى صعيد آخر شجع هذا الوضع على المضي في طريق التفاهم بين رايلي والإمام يحيى، فضلاً عن أن أوضاع اليمن السياسية كانت تستدعي الهدوء والاستقرار<sup>(٣٦)</sup>.

### ثانياً : معاهدة صنعاء بين الإمام يحيى وبريطانيا ١٩٣٤م :-

ساعدت الظروف رايلي على نجاح مهمته في صنعاء. فاقترح على الإمام أثناء المفاوضات معه ثلاثة شروط أساسية لعقد المعاهدة، وهي جلاء القوات اليمنية عن جميع أراضي المحميات، وإطلاق سراح رجال القبائل والشيوخ المحتجزين في صنعاء، وإزالة القيود المفروضة على التجارة بين المملكة المتوكلية اليمنية ومحمية عدن<sup>(٣٧)</sup>. وأعقب ذلك تشكيل لجنة يمنية - بريطانية مشتركة، اجتمعت في يناير ١٩٣٤م في منطقة مأوية بين تعز والمسيمير للتمهيد لوضع الضوابط لإنهاء المشاكل على الحدود الجنوبية<sup>(٣٨)</sup>.

وكان الإمام قد رفض في السابق اقتراحاً بريطانياً بتعيين ممثل لها في صنعاء لمراقبة تنفيذ بنود المعاهدة، والتشاور مع الإمام في المسائل الحدودية التي لم تفصل فيها المعاهدة. واقترح من جانبه تعيين موظفين من الجانبين لمعالجة المشاكل التي تنشأ على الحدود دون الحاجة إلى ممثلين دبلوماسيين دائمين في صنعاء. وهذا الموقف من جانب الإمام يؤكد سياسة العزلة التي كان ينتهجها في علاقاته مع الدول الأجنبية<sup>(٣٩)</sup>.

من العرض السابق يبدو أن الجانبين وخاصة الإمام يحيى كانا يرغبان في التوصل إلى تسوية للمشاكل بينهما. وهو ما أكدته وزارة الخارجية الألمانية، التي ذكرت أنها تلقت تقريراً من شركة هانزن الألمانية ومقرها مدينة هامبورغ الألمانية يفيد بان ممثلها في صنعاء السيد ويترش بعث إليها برسالة حول سير المفاوضات اليمنية-

البريطانية. ذكر فيها أن الحكومة اليمنية في طريقها الآن للتوصل إلى اتفاق مع بريطانيا حول الحدود. وعودة النشاط التجاري بين اليمن ومحمية عدن<sup>(٤٠)</sup>.

وبعد مفاوضات مطولة تمت بين رايلي وشامبيون من جهة ومحمد راغب بك وزير خارجية اليمن من جهة أخرى تم التوصل إلى معاهدة بين الإمام وبريطانيا في صنعاء في ١١ فبراير ١٩٣٤م، وقعها عن الحكومة البريطانية رايلي، وعن الحكومة اليمنية محمد راغب<sup>(٤١)</sup>. وصادقت عليها الحكومة البريطانية في ٤ سبتمبر من نفس السنة، بعد جلاء قوات الإمام عن جميع القرى التابعة لسلطنة العوذلي وإمارة الضالع، والإفراج عن الأسرى من سكان المحميات، وإعادة فتح طريق التجارة بين المملكة المتوكلية اليمنية ومحمية عدن<sup>(٤٢)</sup>. وسميت المعاهدة بمعاهدة الصداقة والتعاون المتبادلة بين البلدين<sup>(٤٣)</sup>. واعترفت الحكومة البريطانية رسمياً بالإمام يحيى ملكاً على اليمن<sup>(٤٤)</sup>.

ولكن الإمام لم يسحب قواته من البيضاء الواقعة في خط حدود محمية عدن طبقاً لاتفاقية الحدود البريطانية - العثمانية بحجة إنها لم ترتبط بمعاهدة حماية مع بريطانيا<sup>(٤٥)</sup>. وهو الإقليم الوحيد الذي تمكن الإمام من ضمه إلى مملكته في كل منازعاته مع بريطانيا. والتعديل الوحيد الذي أدخل على خط الحدود البريطانية - العثمانية على الرغم من الحروب الطويلة بين الطرفين<sup>(٤٦)</sup>.

كان للمعاهدة أثر كبير على العلاقات بين الإمام يحيى وبريطانيا. وقد نصت في قسم من بنودها<sup>(٤٧)</sup>، على اعتراف بريطانيا باستقلال اليمن. وتأجيل البت في مسألة الحدود إلى أن تجرى مفاوضات بينهما قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة<sup>(٤٨)</sup>. والإبقاء على الوضع الراهن على الحدود كما هي عليه عند تاريخ توقيع هذه المعاهدة لمدة أربعين سنة<sup>(٤٩)</sup>.

من خلال استعراض بنود المعاهدة والعودة إلى مقتضيات إبرامها يلاحظ أن الحكومة اليمنية قد اضطرت إلى الموافقة عليها للتخلص من المناورات السياسية البريطانية، وانتظار فرص أخرى تشير فيها قضية المحميات من جديد<sup>(٥٠)</sup>. وأظهرت حاجة البلدين إلى السلام والصداقة<sup>(٥١)</sup>. فالإمام يحيى يحتاج إلى السلام لمواجهة

مشكلاته العديدة، وخاصة مع ابن سعود التي وصلت في فبراير ١٩٣٤م عند عقد المعاهدة إلى حد التحركات والتحرشات على الحدود<sup>(٥٢)</sup>. فاستغلت بريطانيا أوضاعه تلك وعرضت عليه السلام والهدوء من ناحية حدوده الجنوبية، فقبل الإمام عرضها السلمي حتى يتفرغ لمشكلة حدوده الشمالية، ثم يعود مرة أخرى لإنهاء مشكلته مع بريطانيا، وقد أصبح أكثر تفرغاً وأكثر قوة. فهو من ناحية قبل العرض البريطاني لأنه سيمنحه السلام، ومن ناحية أخرى سيؤجل له البت في مسألة الحدود، وهو ما كان يتمناه في هذه اللحظة<sup>(٥٣)</sup>. أما بريطانيا فيهما أن يبقى الإمام بعيداً عن المحميات، والتخلي عن المطالبة بها، وفتح طريق التجارة بينها وبين مملكته. وهذا كله في جو يسوده السلام وحسن الجوار بين الجانبين<sup>(٥٤)</sup>.

لقد حصلت اليمن على الاعتراف الرسمي بها من جانب الحكومة البريطانية، وهو ما كان الإمام يرغب فيه سواء من بريطانيا أو غيرها من الدول الأجنبية التي عقد معها معاهدات سابقة. وكان يعدها تعزيزاً لمركزه في الداخل. وقد نصت المادة الأولى من المعاهدة على هذا الاعتراف البريطاني لليمن<sup>(٥٥)</sup>. وأقرت بريطانيا بأن أمر البلاد التي تدعي حمايتها قابل للمناقشة. وفي ذلك دلالة واضحة على أن بريطانيا لا تستطيع أن تدعي مشروعية سيطرتها على شيء منها<sup>(٥٦)</sup>. فالمادة الثالثة للمعاهدة تشير إلى ذلك حيث نصت على الآتي "يؤجل البت في مسألة الحدود اليمينية إلى أن تتم مفاوضات تجرى قبل انتهاء مدة هذه المعاهدة بما يتراضى الفريقان المتعاهدان الساميان عليه بصورة واتفاق كامل بدون إحداث أي منازعة أو مخالفة. والى أن تتم المفاوضات ... فالفريقان المتعاهدان يعتبران أن تبقى الحالة الحاضرة فيما يتعلق بالحدود من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة" <sup>(٥٧)</sup>.

وهذه المادة تشير إلى أن الطرفين قد وافقا على تأجيل البت في مسألة الحدود حتى يتم التفاوض بشأنها خلال مدة المعاهدة وقبل انتهائها. وأن يظل الوضع على الحدود كما هو عليه عند تاريخ التوقيع على المعاهدة. ولكنهما اختلفا فيما بعد حول تفسيرهما للمصطلحين الواردين فيها، وهما بقاء الوضع الراهن على الحدود، ومسألة الحدود اليمينية. فقد اعتبرت الحكومة اليمينية أن الأوضاع داخل المحميات يجب أن لا يتغير خلال مدة المعاهدة. في حين أصر البريطانيون أن بقاء الوضع الراهن يتعلق

فقط بالحد الفاصل بين اليمن المستقلة والمحميات. فالنص العربي للمعاهدة تحدث عن الحدود ، أما النص الإنجليزي فقد تكلم عن الحد. وحسب الاتفاق فالنص العربي هو الملزم للطرفين. وكيفما كان الأمر فإن مثل هذه الصياغة الغامضة أدت إلى أن يقوم كل طرف بتفسير تلك المادة كما يحلو له ، ثم يبني فيما بعد مواقفه وسياساته عليها<sup>(٥٨)</sup>.

إن قبول الإمام واعترافه بالوضع القائم على الحدود يماثل في حقيقته ما تم الاتفاق عليه في المعاهدة البريطانية - العثمانية قبل حوالي ثلاثين عاماً. وأن المعاهدة لم تشر للجنة الحدود البريطانية - العثمانية التي خططت الحدود بين شمال اليمن وجنوبه عام ١٩٠٤م. فضلاً عن أن بريطانيا لم تصر على مطلبها الخاص بالبيضاء ، والإمام لم يصصر على مطلبه الخاص بعدن والمحميات. ولم تتطرق المعاهدة عن قصد إلى التخلي عن المطالب الخاصة بالأراضي لأي من الطرفين. ولكنها وضعت لتكفل بقاء الحدود لمدة أربعين سنة على ما هي عليه وقت التوقيع على المعاهدة<sup>(٥٩)</sup>.

وكانت نصراً سياسياً لبريطانيا لأن ذلك يعني اعتراف الحكومة اليمنية بصورة غير مباشرة بسيطرة بريطانيا على المحميات الجنوبية على المدى البعيد<sup>(٦٠)</sup>. وتقسيماً لليمن على الصورة التي انتهت إليها الحرب فيما يتعلق بالحدود بين الجانبين<sup>(٦١)</sup>. وبذلك ضمنت بريطانيا عدم مطالبة الإمام وادعاءاته بالمحميات. أو القيام بعمليات عسكرية لاحتلالها<sup>(٦٢)</sup>. وبقيت مسألة الحدود مجمدة أربعين عاماً. وهذه المدة الطويلة تخالف في الحقيقة طبيعة الإمام في تحديد مدة معاهداته مع الدول الأجنبية بعشر سنوات فقط<sup>(٦٣)</sup>.

وبنظرة إجمالية الى النتائج التي تمخضت عن المعاهدة فإنها إيجابية للجانب البريطاني. إذ تعهد الإمام يحيى بعدم المساس بالوجود البريطاني في المحميات، والإبقاء على العلاقات القائمة بين حكام هذه المحميات والبريطانيين. وعلى العكس من ذلك أثقل الإمام نفسه بالتزامات كان مضطراً لقبولها<sup>(٦٤)</sup>.

اختلف اليمينيون في تقييمهم للمعاهدة. فقسم منهم يرى أن الإمام قد تنازل في المعاهدة عن المحميات لبريطانيا. وعدوا ذلك دليلاً على زيف ادعاءاته باستعادته للمحميات من بريطانيا. وأن هدفه كان المحافظة على ما تحت سلطته من المناطق التي ورثها عن العثمانيين<sup>(٦٥)</sup>. ويذكر آخرون أن موقف الإمام من قضية المحميات كان سلبياً منذ البداية، وعاجزاً عن القيام بأي عمل نحوها. فجمد القضية، حتى أنه توصل مع بريطانيا إلى تقسيم اليمن بينه وبينها<sup>(٦٦)</sup>. وعلق فريق آخر على المعاهدة قائلاً إن أقل ما يقال عنها إنها أوجدت شكوكاً حول قدرة الإمام يحيى على تحرير واستعادة المحميات من بريطانيا<sup>(٦٧)</sup>.

وعلى أية حال فإن بقاء المناطق المتنازع عليها تحت النفوذ البريطاني طوال المدة التي حددتها المعاهدة حتى ينظر في أمرها، يعطيها الفرصة لتثبيت أقدامها في المحميات، وتنظيم وتدعيم الداخل حتى يبقى بعيداً عن مطالب الإمام بضمها إلى مملكته. والعمل على كسب حكام ومشايخ هذه المناطق إلى جانبها من خلال الدعاية المغرضة الطويلة الهادئة، دون أن يكون للإمام حق الاتصال بها من الناحية الرسمية وفقاً لشروط المعاهدة<sup>(٦٨)</sup>.

وبالمحصلة فإن المعاهدة أعطت الحكومة البريطانية حق الاستمرار في إدارة المحمية ومستعمرة عدن<sup>(٦٩)</sup> وزيادة تدخلها، وفرض سياستها في شؤونها الداخلية بما يخدم سياستها في المنطقة ويحقق مصالحها ولمدة قادمة<sup>(٧٠)</sup>. وبالتالي لم يكن الكسب متوازناً في هذه المعاهدة، إذ أصبح لبريطانيا حق فرض وجودها بصورة قوية في المحميات، في حين أنها لم تعط للإمام شيئاً فيها، وحرمتها من التدخل في شؤونها<sup>(٧١)</sup>. وعدها البريطانيون أهم حدث في المنطقة بعد الاستيلاء على عدن<sup>(٧٢)</sup>. وتركت ردود أفعال إيجابية في الأوساط السياسية البريطانية. فقد صرح السير "جون سيمون" وزير خارجية بريطانيا قائلاً ((إن حكومتنا تنظر إلى نتائج معاهدة صنعاء بأنها ذات نتائج إيجابية))<sup>(٧٣)</sup>.

عملت المعاهدة على تهدئة الأوضاع نسبياً بين الإمام وبريطانيا في المحميات ، ولم تشهد وقوع حوادث عسكرية كما كانت تحدث في السابق. وفي السابع عشر من فبراير عام ١٩٣٤م وصل النقيب سيجر إلى لودر عن طريق الجو مبعوثاً من حكومة عدن البريطانية لمتابعة الإجراءات التي توصل إليها الطرفان في معاهدة صنعاء ، والإشراف المباشر على تسليم هضبة الظاهر، ثم عاد إلى عدن يوم ٧ ديسمبر عام ١٩٣٤م<sup>(٧٤)</sup>.

وهكذا كانت معاهدة صنعاء نهاية لمرحلة من الصراع الدامي بين الإمام يحيى وبريطانيا وبداية مرحلة جديدة من العلاقات بينهما. وإذا كانت المعاهدة قد هدفت إلى الحفاظ على الأوضاع الحالية حتى يتم تسوية النزاع حول مستقبل المحميات الجنوبية<sup>(٧٥)</sup>. فإن الجانبين قد اختلفا في تفسيرها وفقاً لمصالحهما ، والنتائج التي سيحصلان عليها من المعاهدة. فالإمام الذي يطالب ببسط نفوذه على المحميات عدها إجراء مؤقت<sup>(٧٦)</sup>. وأخذ يستعد في نفس الوقت لتصحيح الوضع لصالحه في المستقبل<sup>(٧٧)</sup>. في حين فسرها البريطانيون من جانبهم بأنها اعتراف من الإمام بسيطرتهم على المحميات<sup>(٧٨)</sup>. واعترافاً رسمياً بالأمر الواقع الذي دعموه بقوتهم العسكرية وخصوصاً سلاح الطيران<sup>(٧٩)</sup>.

### الاستنتاجات :

أوضحت الدراسة أن مسألة المحميات الجنوبية كانت حلقة مهمة في العلاقات اليمينية البريطانية . وحتى تاريخ هذه الدراسة كان الإمام يحيى يحاول السيطرة على المحميات وضمها إلى مملكته سواء عن طريق الحرب أو المفاوضات ولكنه فشل في ذلك . وأمام التهديدات الداخلية والخارجية وقع مع بريطانيا معاهدة صنعاء عام ١٩٣٤م . ويمكن تلخيص النتائج التالية المستفادة من هذه الدراسة :-

أولاً: لم ينجح الإمام يحيى في جميع محاولاته العسكرية للسيطرة على المحميات الجنوبية وضمها لمملكته . وهذا يعود للضعف العام الذي يعاني منه جيشه أمام القوة العسكرية البريطانية المتفوقة عليه؛ ولذلك تعرض جيشه لسلسلة من الهزائم .

**ثانياً :** استطاعت بريطانيا بواسطة سلاح الجو الملكي البريطاني أن تجبر الإمام على سحب قواته من مناطق المحميات التي استولت عليها. وإدخال الرعب والخوف بين جنوده ، وقبوله بالمعاهدة التي فرضت عليه .

**ثالثاً :** لم يعمل الإمام يحيى على بناء علاقات واسعة مع قبائل المحميات التي كان يطالب بعودتها إلى مملكته ، أو مد جسور التواصل معها حتى يكسبها إلى جانبه نحو هذا الهدف. بل كانت سياسته التي طبقها في قسم من المحميات التي احتلتها قواته تقوم على فرض الضرائب المرهقة ، وأخذ الرهائن وغيرها من الممارسات الخاطئة التي نفرتهم من حكمه ، ودفعت بهم إلى طلب المساعدة من بريطانيا. فضلاً عن نظرتهم الضيقة تجاه المحميات بأنها ملكاً له ولأسلافه من قبله.

**رابعاً :** نجحت بريطانيا خلال مدة خلافها مع الإمام يحيى حتى عقد المعاهدة معه عام ١٩٣٤م إلى جعله نزاع على الحدود. في حين فشلت سياسة الإمام في جعل الخلاف مع بريطانيا على أنه نزاع حول جزء من اليمن احتلته بريطانيا بالقوة العسكرية عام ١٨٣٩م ، وعليه استعادته منها.

**خامساً :** لم يكن الإمام يحيى مصيباً عندما فرض على اليمن سياسة العزلة ، إلى جانب أخذ الرهائن من القبائل وفرض الضرائب على الأهالي. فالأولى حالت دون اتصاله بالعالم الخارجي ، والاستفادة منه في تطوير بلاده. مما أبقى عليها متخلفة وضعيفة. أما الثانية فقد نفرت القبائل من حكمه ، وأدت بالكثيرين منهم إلى إعلان العصيان والتمرد عليه ، أو طلب المساعدة من البريطانيين. سواء في مملكته ، أو في المحميات التي كانت قواته قد استولت عليها.

**سادساً :** فشلت جميع محاولات الإمام لإقامة علاقات سياسية مع ألمانيا ، بسبب معرفة الألمان برغبة الإمام الاستفادة من هذه العلاقات في نزاعة مع البريطانيين ، وبالتالي تريث الألمان في تلبية مطالب الإمام في إقامة هذه العلاقات حتى لا تغضب بريطانيا في هذا الطرف الحرج في العلاقات بين الإمام يحيى وبريطانيا ونزاعهما حول المحميات الجنوبية.

**سابعاً :** أظهرت المفاوضات بين الإمام يحيى وبريطانيا حتى عقد المعاهدة عام ١٩٣٤م غياب المفاوضات اليمني البارع والفاهم بالأساليب والمناورات السياسية البريطانية أمام المفاوضات البريطاني المتمكن منها ، ولذلك اختلف الجانبين حول تفسير مصطلح الحدود في المعاهدة ، وفسره كل منهما كما يريد. فالإمام فسره بأنه يعني المحميات. في حين فسره البريطانيون بأنه الحد الفاصل بين المحميات ومملكة الإمام ، أي الحدود بينهما. وهنا أخطأ الإمام عندما اعتقد أن البريطانيين قد فهموا ذلك كما فهمه هو بأنه يعني المحميات. وعلى أية حال أظهرت هذه المفاوضات افتقار اليمن للمفاوض الماهر والحاذق والمناور وهو ما استغله المفاوض البريطاني فراح يفرض شروطه في المفاوضات وساعده في ذلك أن المفاوض الذي أمامه كان من أصل تركيا وليس يمينياً وهو محمد راغب بيك. ولذلك نجحت بريطانيا في فرض شروطها في المعاهدة وإجبار الإمام على التوقيع عليها.

### الهوامش :-

- (١) استطاعت بريطانيا بواسطة طائراتها الحربية أن تجبر الإمام يحيى على سحب قواته من المناطق التي احتلتها في المحميات عام ١٩٢٨م. ينظر تفاصيل ذلك عند البيزدي ، ثابت صالح ، التطورات السياسية والعسكرية بين المملكة المتوكلية اليمنية وبريطانيا بعد استعادة الحديدية من الإديسي ١٩٢٦ - ١٩٢٨م ، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، يونيو ٢٠١١م ، ص ١٦٣ - ١٨٨.
- (٢) اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٢٧ - ١٩٤١م ، المجلد الأول رقم (٣) ، الأهرام ١٢/٢/١٩٢٩م ، ص ٧٣ .
- (٣) الصائدي ، احمد قائد ، العلاقات اليمنية الألمانية ١٩٢٧ - ١٩٤٠م دراسة وثائقية ، منشورات الرابطة الثقافية ، صنعاء ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.
- (٤) كان الإمام يحيى يطلب من المانيا أن تقيم علاقات سياسية معه. وبعث وزير خارجيته محمد راغب بيك بعدة رسائل الى وزارة الخارجية الألمانية حول الموضوع. ولكن تجدد العمليات العسكرية على مناطق الحدود بين اليمن ومحمية عدن دفع المانيا الى التريث في الأمر وتركيز اهتمامها الخاص الى الموقف

البريطاني تجاه اليمن. وتعاملت مع اليمن بحذر شديد، وحرص دائم على معرفة الموقف البريطاني. وقد شكلت قضية الحدود بين مناطق المحميات وبين مملكة الإمام مؤشراً من المؤشرات الأساسية التي وضعها الألمان في اعتبارهم في تحديد سياستهم تجاه الإمام إلى درجة إن ألمانيا كانت تحدد خطواتها المستقبلية على ضوء توتر الموقف على الحدود بين الجانبين أو انفراجه، في الوقت الذي كان الإمام فيه يعول على هذه العلاقة مع ألمانيا للوقوف بوجه البريطانيين. ويتضح هذا الموقف الألماني من خلال المذكرات والرسائل والتقارير التي تسلمتها الخارجية الألمانية من سفاراتها في الخارج وخاصة في لندن. ولذلك كانت ألمانيا تحاول معرفة الموقف البريطاني حتى تستطيع تحديد موقفها. الصائدي، المصدر نفسه، ص ٣٤٨ - ٣٥٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٣.

(٧) بعد أن استعادة بريطانيا المحميات من الإمام عام ١٩٢٨م. عقدت مؤتمرين بين عامي ١٩٢٩ - ١٩٣٠م حضرهما السلاطين والأمراء والمشايخ في المحميات. تحت إشراف حاكم عدن البريطاني الكولونيل سيمنس. وترأسه سلطان لحج السلطان عبد الكريم فضل العبدلي. وتم الاتفاق على وضع ميثاق تضامن وتعاون مشترك يهدف الى إنشاء مجلس تكون مهمته حل المشاكل التي تقع بين السلطنات بالطرق السلمية. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتقوية التعاون بين سلاطين وأمراء ومشايخ الجنوب من أجل وضع حد لتدخلات الإمام يحيى في شؤونهم. وناقشوا أيضاً فكرة انشاء إتحاد بينهم. ولكن ذلك لم يتحقق بسبب التدخل البريطاني وتحكمه في قرارات سلاطين وأمراء الجنوب، فضلاً عن النزاعات والخلافات بين السلاطين أنفسهم. الهاشمي، سعيد شخير السوادي، إتحاد الجنوب العربي ١٩٥٩ - ١٩٦٧م دراسة تاريخية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، العراق، ١٩٩٩م، ص ٢٧ - ٢٨. ناجي، سلطان، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩ - ١٩٦٧م، عدن، ١٩٧٦م، ص ١١٩ - ١٢٠. سالم، سيد مصطفى،

تكوين اليمن الحديث- الإمام يحيى ١٩٠٤- ١٩٤٨م، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٣٤٧.

(٨) سعى الإمام يحيى الى البحث عن حليف قوي يعضده في نزاعه مع بريطانيا بعد فشل محاولات التسوية مع البريطانيين. فاتجه نحو إيطاليا لعقد معاهدة معها عام ١٩٢٦م . ثم عززها بمعاهدة سرية عام ١٩٢٧م ملحقة بها. وكان لهذا التقارب اليمني الإيطالي أثره في توتر العلاقات مع بريطانيا ،وتخوفها من الأهداف الإيطالية في اليمن والمنطقة وعلى المصالح البريطانية .

للمزيد ينظر، يونغ ،أوجين ،الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوروبية ،مطبعة النهضة، مصر ،١٩٢٨م، ص ١٨٨ . مكنون ،صادق عمر ،سياسة بريطانيا تجاه حضرموت ١٩١٤- ١٩٤٥م ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة بغداد ،العراق ،١٩٩٩م ، ص ٦٧، المحامي ، محمود كامل ،الدولة العربية الكبرى ،دار المعارف ،مصر ،القاهرة، ط ٢ ، د . ت ، ص ٤٥٥ ، سالم ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨ . لوبو فسكايا ، إيلينا جو، ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن ، ترجمة قائد محمد طربوش ، دار ابن خلدون ،بيروت ،لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٢٣- ٢٥ ، الخترش ،فتوح عبد المحسن ،تاريخ العلاقات السعودية اليمنية ١٩٢٦- ١٩٣٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٨٣م، ص ١٢٥- ١٢٦م ، ماكرو ، إريك ،اليمن والغرب ١٥٧١- ١٩٦٢م ، ترجمة عبد الله حسين العمري ، دار الفكر ، دمشق ،سورية ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ص ١٣٤ . اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٢٥- ١٩٢٧م ، المجلد الأول رقم (٢) ، الأهرام ١٩٢٧/٩/٢٠م ، ص ١٩٠- ١٩٢ .

Confidential .U.S.A. Diplomatic post records . The Middle East , Aden (1925-1941) film(1) , dispatch N.O 118 of February 10/1926 . From American Consulate , Aden To The Secretary Of State Washington , p. 684 . Scott . Hugh . In the high Yemen . London , 1942 . p. 230 .

- (٩) عقد الإمام يحيى معاهدة مع الإتحاد السوفيتي عام ١٩٢٨م بعد مفاوضات تمت بينهما . وقد حاولت بريطانيا عرقلت هذا التقارب بين الإمام والإتحاد السوفيتي لأنها ترى فيه دعماً معنوياً له وتشجيعاً له على تشدده في مطالبه تجاه بريطانيا . بن للمس ، عبدالله سالم ، تاريخ العلاقات الثقافية اليمنية -الروسية ١٩٢٨- ١٩٩٠م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص ٢٤ .
- الميتي ، محمد عبدالواحد ، ستة عقود على مرور العلاقات اليمنية السوفيتية، مجلة دراسات يمنية ، العدد الرابع والثلاثون ، ربيع الأول ، ربيع الآخر ، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ، ديسمبر ١٩٨٨م ، صنعاء ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
- (١٠) هارولد جيكوب ضابط في الجيش البريطاني وحائز على وسام جوقة الشرف الفرنسي ، مستشرق يُحسن اللغة العربية . وخبيراً في السياسة بوجه عام وفي الشؤون العربية بوجه خاص . مكث سنيماً عديدة في البلاد العربية وأسهم في أحداثها . وعمل اكثر من عشرين عاماً في عدن ومحمياتها الشرقية والغربية؛ وشغل فيها منصب المساعد الأول للمندوب السامي البريطاني . ثم معتمد بريطانيا السياسي في المحميات . وألف العديد من المؤلفات عن الجزيرة العربية منها كتاب "The King of Arabia" عام ١٩٢٣م الذي ترجمه الى اللغة العربية أحمد المضواحي ونشر عام ١٩٨٣م .
- (١١) ناجي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .
- (١٢) قام البروفيسور شتروثمن رئيس قسم تاريخ وثقافة الشرق الأوسط بجامعة هامبورغ الألمانية بزيارة الى اليمن في أواخر فبراير وحتى أبريل عام ١٩٣٠م . وقدم عقب عودته تقريراً مفصلاً عن رحلته الى الدكتور جروبا .
- (١٣) الصائدي ، المصدر السابق ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .
- (١٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٥ .
- (١٥) ناجي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .
- (١٦) الصائدي ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ .

١٧) وزير الخارجية والأمين الأول للإمام يحيى . وهو من اصل تركي . وكان متصرفاً في الحديده أثناء الحرب العالمية الأولى ، ولما انتهى الحكم العثماني . وضع نفسه مع بعض من زملائه الأتراك تحت تصرف دولة اليمن الجديدة . وقدم هؤلاء بفضل كفاءاتهم وخبراتهم خدمات كبيره للحكومة اليمنية كموظفين وضباط . هو لفريتز ، هانز ، اليمن من الباب الخلفي ، ترجمة خيرى حماد ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ط ٣ ، ١٩٨٥م ، ص ١٤٠ .

١٨) الصائدي، المصدر نفسه، ص ٣٥٤ .

١٩) ماكرو، المصدر السابق، ص ١٢٠ - ١٢١ .

٢٠) ماكرو ، المصدر السابق ، ١٢٢ ، الأموي ، صباح مهدي وميض ، التطورات السياسية في جنوب اليمن ١٩١٨ - ١٩٤٥م ، اطروحة دكتوراه غير منشوره ، جامعة بغداد ، العراق ، ١٩٩٧م ، ص ١١٠ - ١١١ .

٢١) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

٢٢) تمكنت قوات الإمام في عام ١٩٢٠م من احتلال أجزاء من أراضي العوذلي فضلاً عن مناطق اخرى من المحميات الجنوبية . غير إنها انسحبت من معظم هذه المناطق عام ١٩٢٨م بفعل ضربات طيران سلاح الجو الملكي البريطاني ، وأبقت على سيطرتها على أجزاء من إقليم العوذلي . للمزيد ينظر ، الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٤م ، ص ١٨٠ . الحداد ، محمد يحيى ، التاريخ العام لليمن ، منشورات المدينة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٧٨ . ناجي ، المصدر السابق ، ص ٨٨ . سالم ، المصدر السابق ، ص ٣١٢ .

٢٣) سالم ، المصدر السابق ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ .

٢٤) ناجي ، المصدر السابق ، ص ٩٠ ، الأموي ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٢٥) جيش الليفي ،ويسمى أيضاً جيش اللويي. أسسه الإنجليز عام ١٩٢٨م في محمية عدن. وتولى قيادته الكولونيل أم. سي. ليك. وعناصره من مختلف قبائل المحمية. ولفظة اللويي تحريف هندي للكلمة الإنجليزية ليفيز وتعني القوات المجندة. ومنذ بدايته كان جيش اللويي جزءاً من سلاح الطيران الملكي البريطاني. وكان ضباطه منتدبين من فرقة الطيران الجوية البريطانية في لندن.

(٢٦) الأموي ،المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٢٧) ماكرو ،المصدر السابق ، ص ١٢٣ ، الأموي ،المصدر السابق ، ص ١١٢ .

(٢٨) ماكرو ،المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٢٩) الأموي ،المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٣٠) مجهول المؤلف ، مستعمرة عدن وجارتها التي تدعي بريطانيا حمايتها ، د . م ، ١٩٤٩م ، ص ٢١٥ .

(٣١) برنارد رايلي ، المقيم السياسي والحاكم العام في عدن والمحميات للمدة من ١٩٣٠ - ١٩٤٠م .

(٣٢) ريجنالد شامبيون ، كان يشغل منصب السكرتير الثاني في حكومة عدن البريطانية .

(٣٣) ماكرو ،المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣٤) الأموي ،المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٣٥) الصائدي ،المصدر السابق ، ص ٣٦١ .

(٣٦) مجهول المؤلف ،المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٣٧) سالم ،المصدر السابق ، ص ٣٤٨ .

(٣٨) الأموي ،المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٣٩) سالم ،المصدر السابق ، ص ٤٢٠ .

(٤٠) الصائدي ،المصدر السابق ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

(٤١) ماكرو ،المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

(٤٢) سالم ،المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

٤٣) فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، ترجمة خيري الضامن ، جلال الماشطة، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦م ، ص ٣٤٥ .

#### 44) Scott . OP.Cit,P.230.

٤٥) المحامي ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧ .

٤٦) سالم ، المصدر السابق ، ص ٣٧٢ .

٤٧) ينظر بنود المعاهدة عند مجهول المؤلف ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ - ٢١٨ .

٤٨) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

٤٩) سالم ، سيد مصطفى ، أبو الرجال ، علي أحمد ، مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح في اليمن ١٩٣٨ - ١٩٤١ م ، مطبعة الجبلأوي ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٦م ، ١٦٧ - ١٦٨ .

٥٠) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

٥١) الهاشمي ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

٥٢) تناولت الصحافة العربية في مصر النزاع بين اليمن والسعودية ، وأفردت له العديد من صفحاتها . مستعرضه اسبابه وبواعثه وتطوراته . انظر التفاصيل في اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٢٧ - ١٩٤١ م ، المجلد الاول رقم (٣) ، الاهرام .

٥٣) سالم ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٥٤) المصدر نفسه ، ص ٣٧٣ .

٥٥) مجهول المؤلف ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

٥٦) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

٥٧) الشعبي ، قحطان محمد ، الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن، عدن والإمارات، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ١٨٧ .

٥٨) ناجي ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

٥٩) ماكرو ، المصدر السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٦٠) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٦١) ابو العلاء ، محمود طه ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٧٢م ، ص ٧٣ . الصراف ، علي ، اليمن الجنوبي - الحياة

- السياسية من الاستعمار الى الوحدة ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص، ط ١ ، ١٩٩٢م . ص ٣٩ - ٤٠ .
- (٦٢) الصراف ، المصدر السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .
- (٦٣) ابو العلاء ، المصدر السابق ، ص ٧٣ .
- (٦٤) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
- (٦٥) مجموعة من ضباط رؤساء خلايا القيادة العسكرية لثورة ١٩٤٨م ، ثورة اليمن الدستورية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٣٢ .
- (٦٦) الشعبي ، المصدر السابق ، ص ١٩١ - ١٩٤ .
- (٦٧) شجاب ، محمد سالم ، ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وما سبقها من ثورات ضد حكم الأئمة الديكتاتوري الأوتوقراطي ، مجلة اليمن الجديد ، صنعاء ، العدد التاسع ، السنة السابعة عشر ، صفر ١٤٠٩هـ - سبتمبر ١٩٨٨م ، ص ١١٠ .
- (٦٨) المصري ، أحمد عطية ، النجم الاحمر فوق اليمن ، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان ، ط ٢ ، ١٩٨٦م ، ص ٥٣ .
- (٦٩) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
- (٧٠) سلام ، محمد عبد الجبار ، الوحدة اليمنية عبر مسيرة النضال الوطني وأفاق المستقبل ، صنعاء ، ١٩٩٢م ، ص ١٧ .
- (٧١) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
- (٧٢) المحامي ، المصدر السابق ، ص ٤٥٧ .
- (٧٣) الأموي ، المصدر السابق ، ص ١٤١ .
- (٧٤) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .
- 75) Abir , Mordechai , Oil , Power and Politics Conflict In Arabia , The Red Sea and The Gulf , London . 1974 . p.78 .**
- 76) Ibid . p.78 .**
- (٧٧) المصري ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .
- 78) Abir .OP .Cit , p.78 .**

(٧٩) المصري ، المصدر السابق ، ص ٥٤ . كان للمعاهدة أثر في توجيه السياسة البريطانية نحو المحميات بعد أن اطمأنت لموقفها من الإمام الذي حسمته معاهدة صنعاء . فرسخت أقدامها عبر رسم وتنفيذ قسم من المشاريع السياسية والعسكرية والاقتصادية وغيرها كتأسيس جيش البادية الحضرمي. وإنشاء العديد من المطارات العسكرية في قسم من المحميات. والتصدي للسياسة الإيطالية المعادية لها في عدن والمحميات الجنوبية وخطوط مواصلاتها مع الهند بعد حالة التقارب التي حصلت بين إيطاليا والإمام يحيى بعد تجديد المعاهدة بينهما عام ١٩٣٧م. وإقامة مشاريع زراعية ،وسن بعض القوانين والأنظمة ،وإدخال نظام الاستشارة عام ١٩٣٧م ،وتوسيع حكم السلاطين والأمراء والمشايخ على المناطق التي لا تخضع لحكمهم ،والتمهيد لمشروع الاتحاد الفيدرالي بين المحميات الجنوبية. وغيرها من السياسات التي انتهجتها بعد عقد المعاهدة. للمزيد ينظر، المصري ،المصدر السابق ، ص ١٨ - ١٩ ، ٥٣ - ٥٤ . سلام ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

الصراف ، المصدر السابق ، ص ٤٠ - ٤١ . ناجي ، المصدر السابق ، ص ٩٢ - ٩٣

Little, Tom. South Arabia, Arena Of Conflict, London, 1968.

p.29.الأموي ،المصدر السابق ، ص ١٤٥ - ١٤٨ . هاليداي ، فرد ، المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية ، ترجمة محمد الرميحي ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٦م ، ص ٨٠ .

## المصادر والمراجع :-

- (١) أبو العلاء ، محمود طه ، جغرافية شبه جزيرة العرب ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٢م .
- (٢) الأموي ، صباح مهدي وميض ، التطورات السياسية في جنوب اليمن ١٩١٨ - ١٩٤٥م ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، العراق ، ١٩٩٧م .
- (٣) بن للمس ، عبدالله سالم ، تاريخ العلاقات الثقافية اليمنية - الروسية ١٩٢٨ - ١٩٩٠م ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- (٤) الحداد ، محمد يحيى ، التاريخ العام لليمن ، منشورات المدينة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٦م .
- (٥) الخترش ، فتوح عبدالمحسن ، تاريخ العلاقات السعودية اليمنية ، ١٩٢٦ - ١٩٣٤م ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط١ ، ١٩٨٣م .
- (٦) الريحاني ، أمين ، ملوك العرب ، الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٢٤م .
- (٧) سالم ، سيد مصطفى ، تكون اليمن الحديث - الإمام يحيى ١٩٠٤ - ١٩٤٨م ، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- (٨) سالم ، سيد مصطفى ، أبو الرجال ، علي أحمد ، مجلة الحكمة اليمانية وحركة الإصلاح في اليمن ١٩٣٨ - ١٩٤١م ، مطبعة الجبلاوي ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٦م .
- (٩) سلام ، محمد عبدالجبار ، الوحدة اليمنية عبر مسيرة النضال الوطني وأفاق المستقبل ، صنعاء ، ١٩٩٢م .
- (١٠) شجاب ، محمد سالم ، ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م وما سبقها من ثورات ضد حكم الأئمة الديكتاتوري الأوتوقراطي ، مجلة اليمن الجديد ، صنعاء ، العدد التاسع ، السنة السابعة عشر ، صفر ١٤٠٩هـ - سبتمبر ١٩٨٨م .
- (١١) الشعبي ، قحطان محمد ، الاستعمار البريطاني ومعركتنا في جنوب اليمن ، عدن والأمارات ، دار النصر للطباعة والنشر والإعلان ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

- ١٢) الصائدي ، أحمد قائد ، العلاقات اليمنية الألمانية ، ١٩٢٧ - ١٩٤٠م دراسة وثائقية ، منشورات الرابطة الثقافية ، صنعاء ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- ١٣) الصراف ، علي ، اليمن الجنوبي - الحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، ط١ ، ١٩٩٢م .
- ١٤) فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، ترجمة خيرى الضامن ، جلال المشاطة ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦م .
- ١٥) لوبو فسكايا ، إيليتاجو ، ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن ، ترجمة قائد محمد طربوش ، دار ابن خلدون ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٢م .
- ١٦) ماكرو ، إريك ، اليمن والغرب ١٥٧١ - ١٩٦٢م ترجمة عبدالله حسين العمري ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط٢ ، ١٩٨٧م .
- ١٧) مجهول المؤلف ، مستعمرة عدن وجاراتها التي تدعى بريطانيا حمايتها ، د.م ، ١٩٤٩م .
- ١٨) مجموعة من ضباط رؤساء خلايا القيادة العسكرية لثورة ١٩٤٨م ، ثورة اليمن الدستورية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ط٢ ، ١٩٨٥م .
- ١٩) المحامي ، محمود كامل ، الدولة العربية الكبرى ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، ط٢ ، د.ت .
- ٢٠) المصري ، أحمد عطية ، النجم الأحمر فوق اليمن ، مؤسسة الأبحاث العربية ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٦م .
- ٢١) مكنون ، صادق عمر ، سياسة بريطانية تجاه حضرموت ١٩١٤ - ١٩٤٥م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، العراق ، ١٩٩٩م .
- ٢٢) الميثمي ، محمد عبد الواحد ، ستة عقود على مرور العلاقات اليمنية السوفيتية ، مجلة دراسات يمنية ، العدد الرابع والثلاثون ، ربيع الأول ، ربيع الآخر ، جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ، أكتوبر ، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٨م ، صنعاء .
- ٢٣) ناجي ، سلطان ، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩ - ١٩٦٧م ، عدن ، ١٩٧٦م .
- ٢٤) الهاشمي ، سعيد شخير سوادى ، إتحاد الجنوب العربي ، ١٩٥٩ - ١٩٦٧م دراسة تاريخية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، العراق ، ١٩٩٩م .

- (٢٥) هاليداي ، فرد ، المجتمع والسياسة في الجزيرة العربية ، ترجمة محمد الرميحي ، الكويت ، ط ١ ، ١٩٧٦ م .
- (٢٦) هولفريتز ، هانز ، اليمن من الباب الخلفي ، ترجمة خيرى حماد ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ط ٣ ، ١٩٨٥ م .
- (٢٧) اليزيدي ، ثابت صالح ، التطورات السياسية والعسكرية بين المملكة المتوكلية اليمنية وبريطانيا بعد استعادة الحديد من الإديسي ١٩٢٦ - ١٩٢٨ م ، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، يونيو ٢٠١١ م .
- (٢٨) اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٢٧ - ١٩٤١ م ، المجلد الأول رقم (٣) ، الأهرام ١٢/٢/١٩٢٩ م .
- (٢٩) اليمن في الصحافة العربية في القرن العشرين ١٩٢٥ - ١٩٢٧ م ، المجلد الأول رقم (٢) الأهرام ٩/٢٠/١٩٢٧ م .
- (٣٠) يونغ ، أوجين ، الإسلام وآسيا أمام المطاعم الأوربية ، مطبعة النهضة ، مصر ، ١٩٢٨ م .

- 31) Confidential .U.S.A. Diplomatic Post records .The Middle East .Aden(1925-1941) Film (1) .dispatch n.o118 of February 10/1926 .From American Consulate .Aden To the Secretary of State .Washington .
- 32) Scott .Hugh .In The High Yemen .London .1942 .
- 33) Abir ,Mordechai ,Oil ,Power and Politics Conflict In Arabia ,The Red Sea and The Gulf ,London .1974 .
- 34) Little .Tom .South Arabia ,Arena of Conflict ,London ,1968 .

## ABSTRAC

### *The Yemen-British Relations After 1928 until Signing the 1934 Treaty*

*The Yemen political situation was to some extent stabilized after the year 1928. Imam Yahya tried to settle the border problems with Aden British Protectorate through negotiation. However, these negotiations did not lead to any satisfactory results for both Britain and Imam. When the Imam troops occupied some territories of Aden Protectorate tension returned again between Britain and the Imam who tried in vain to get external help to support him in this dispute through signing a treaty with the Soviet Union in 1928. The Imam also failed in his attempt establishing relations with Germany. Although the political situation remained tense, the attempts of solving border problems through negotiation continued. At the beginning of the year 1933, Britain exploited the tension in the relations between the Imam and Ibin Saud over Asir and Najran pressuring him in withdrawing his troops from the territories of Aden Protectorate. The Imam had realized that he had to choose either peace or war with Britain since signs of war between him and Ibin Saud were clear at that time and he chose peace with Britain. Britain sent a new delegation to Sana'a headed by Bernard Riley in 1933 to negotiate the border problem. In February 1934 the Imam and Britain signed the Treaty of Sana'a which included a lot of issues such as the withdrawal of the Imam's troops from the border territories of the south they occupied and this helped Britain to keep the protectorate under its control during all this time. The researcher in this study investigated the events that occurred in the borders within the years 1929-1933 and the attempts to settle the border problem peacefully through negotiations which culminated in signing Sana'a Treaty in 1934.*

## المسائل الملقبات في الفرائض

الدكتورة/ هدى علي يحيى العماد



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## المسائل الملقبات في الفرائض

الحمد لله رب العالمين، المتفرد بالبقاء، الذي علمنا شرائعه في الأحياء والأموات،  
وصلى الله على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فقد اهتم علماء الفرائض بالمسائل الملقبات؛ حتى أفرد لها بعض العلماء  
بالتأليف: كأبي عبد الله الحسين بن محمد الوني<sup>(١)</sup>، وغيره.

وهناك من نظمها: كابن الوردي<sup>(٢)</sup>، والخريفي<sup>(٣)</sup>، وغيرهما.

وقد شرح منظومة ابن الوردي الشنشوري في كتابه: «الفوائد المرضية، في شرح  
الملقبات الوردية»، منه نسخة بدار الكتب المصرية.

وكتب المواريث لا تخلو من هذه المسائل؛ فقد ذكر أكثرها العصفري<sup>(٤)</sup>،  
والشنشوري<sup>(٥)</sup>، وغيرهما.

وقد أحببت أن أجمعها في بحثي، وتقريبها؛ خدمة للباحثين؛ ومن الله أستمد  
التوفيق.

(١) فرضي، حاسب . له تصانيف في الفرائض والحساب. توفي سنة ٤٥١هـ. من كتبه الكافي في الفرائض. ينظر سير أعلام النبلاء ٩٩/١٨، والأعلام ٢٥٤/٢.

(٢) عمر بن المظفر بن عمر الوردي. فقيه، شافعي، مؤرخ، مشارك في أكثر الفنون. توفي سنة ٧٤٩هـ. له مؤلفات منها: البهجة الوردية في نظم الحاوي في فروع الشافعي، وشرح ألفية ابن معطي، والوسائل المهدية في المسائل الملقبة. ينظر الأعلام ٦٧/٥.

(٣) أحمد بن المبارك بن نوفل الخريزي الحرثي نسبة إلى خرفة من قُرَى نصيبين: أبو عباس. فقيه، لغوي. توفي سنة ٦٦٤هـ. له منظومة في المسائل الملقبات، وشرح ملحمة الإعراب، وغيرهما. ينظر الأعلام ٢٠١/١.

(٤) الفضل بن أبي السعد العصفري، علامة فرضي، مشهور في علم الفرائض في اليمن، مصنف مكثّر في هذا العلم. توفي بعد سنة ٦١٤هـ. له الفرائض في علم الفرائض (مفقود)، وعقد الأحاديث في الفرائض، مختصر من كتابه السابق، ومفتاح الفرائض (طبع)، وشرح على المفتاح وغيرها. ينظر مطلع البدر ٢٧/٧، وأعلام المؤلفين الزيدية ٧٢٣، ومقدمة جوهرة الفرائض.

(٥) عبدالله بن محمد بن عبدالله العجمي الشنشوري، فرضي، من فقهاء الشافعية، خطيب. توفي ٩٩٩هـ. له فتح القريب المجيب شرح الترتيب، والفوائد الشنشورية شرح الرحبية، وغيرهما. الأعلام ١٢٨/٤.

**خطة البحث:**

سرت في بحثي هذا على نسق واحد: وهو أن أذكر المسألة أولاً، وأسماءها، والأقوال التي ذكرت في المسألة، أو خُرِّجَتْ على أصول أصحاب تلك الأقوال، ولم أتوسع في الأدلة حتى لا يطول البحث.

**المسائل الملقبات :**

الملقبات: جمع ملقبة: وهي ماله لقب، وجمعه ألقاب: وهي الأبنان؛ قال تعالى: (وَلَا تَنَابَرُوا بِالْألقَابِ) [الحجرات: ١١].

واللقب في الأصل: ما أشعر بمدح أو ذم<sup>(٦)</sup>.

لكن المراد بالملقبات في هذا الفن «المسميات»، وبالألقاب الأسماء.

وقد يكون سبب تلقيب المسألة شهرتها، أو مخالفتها لأصل أو حكم لفقيه كبير، أو مذهبه فيها، أو سؤاله عنها؛ فأصاب أو أخطأ فيها، أو غير ذلك.

ثم من المسائل ماله لقب واحد، ومنها ما له أكثر من لقب: كالخرقاء؛ فلها عشرة<sup>(٧)</sup>.

وقد أكثر الفرضيون من الملقبات؛ ولا نهاية لها، ولا حسم لأبوابها: يعني من المشهور وغيره<sup>(٨)</sup>.

**١- الخرقاء**

المسألة: أم، وأخت، وجد.

ولها عدة ألقاب: الخرقاء؛ لكثرة اختلاف الصحابة فيها. وليس في الفرائض ولا في غيرها مسألة اختلفت الصحابة فيها أكثر من اختلافهم في هذه المسألة؛ ولذلك سميت الخرقاء.

والعثمانية؛ وسميت بذلك؛ لوجهين: أحدهما: أنها حدثت في زمان عثمان. والثاني:

(٦) لسان العرب ٧٤٣/١، وتاج العروس ٤٠٩/٢، وفتح القريب المغيب ٦٠/١.

(٧) فتح القريب المغيب شرح الترتيب ٦٠/١.

(٨) ذكر ذلك في فتح القريب ٦٣/١ عن الجويني في النهاية.

ما ذكر اللؤلؤي في كتابه: بلغنا أن عثمان رضي الله عنه لم يقل في غيرها من الفرائض.

قال الوني: إن أراد أنه لم يأت في مسألة من الفرائض عنه قول مشهور انضرد كما جاء عنه في هذه؛ فالذي قاله قريب، ومن أراد أنه لم يقض في غيرها من الفرائض فقد وهم؛ لأنه قضى للأُم بثلث الباقي في: امرأة، وأبوين، وقضى بالتشريك في الحمارية، وبأن الجدة لا ترث مع ابنها، وغير ذلك<sup>(٩)</sup>

وعبارة العصفري أدق إذ قال: لأن عثمان لا يعرف له قول يختص به إلا في هذه المسألة. والمروانية، والمربعة، والخمسة، والمسدسة، والمسبعة، والمتسعة، وفيها سبعة أقوال مختلفة في العبارة، ويرجع معناها إلى ستة مذاهب.

وسميت المربعة؛ لأن عبد الله بن مسعود قسمها من أربعة؛ فهي إحدى مربعاته<sup>(١٠)</sup>. وسميت الخمسة؛ لأن الجد اختلف في ميراثه فيها على خمسة أقوال. وقيل: لأنه قضى فيها خمسة من أصحاب النبي، وحكي هذا عن الشعبي. وقال الشعبي: دعاني الحجاج فقال: ما قيل في الخمسة؟ فذكرت له قول ابن عباس وقول ابن مسعود رضي الله عنه، وزيد رضي الله عنه، وقول عثمان رضي الله عنه، قول علي رضي الله عنه فأعجبه قول علي. وقيل: الخمسة تكلموا فيها في وقت واحد؛ فاختلفت أقوالهم.

وسميت المسدسة؛ لأن علياً قسمها من ستة؛ ولأن فيها ستة مذاهب مختلفة.

وسميت المسبعة؛ لأن فيها سبعة أقوال .

وسميت المتسعة؛ لأن زيادا رضي الله عنه قسمها من تسعة.

وسميت الحجاجية والشعبية؛ لأن الحجاج امتحن بها الشعبي حين ظفر به، وعفا عنه لما أصاب، وقال له: قضى فيها خمسة من الصحابة، كما تقدم.

الأقوال في المسألة: في هذه المسألة عدة مذاهب:

**الأول:** قول علي: فعنده للأخت النصف، وللأم الثلث، وللجد السدس<sup>(١١)</sup>، فالأخت ذات سهم مع الجد، كما في الشكل رقم (١)

(٩) فتح القريب المحجب بشرح الترتيب ٥١/١.

(١٠) عد بعضهم مربعات ابن مسعود خمسا، وعددها بعضهم سبعا، وستأتي.

(١١) ينظر جوهرة الفرائض ٢٣١.

٦		
٣	أخت	٢/١
٢	أم	٣/١
١	جد	٦/١

الشكل رقم (١)

روى الإمام زيد في المجموع: عن علي أنه كان يعطي الأخت النصف، وما بقي فللجد، وكان يعطي الأختين الثلثين، وما بقي فللجد<sup>(١٢)</sup>. وروي عن علي من طرق أخرى<sup>(١٣)</sup>. وبه أخذ أئمة الزيدية<sup>(١٤)</sup> وتصحح من ستة، ولذلك سميت المسدسة.

**القول الثاني:** ذهب أبو بكر رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنه: إلى أن للأُم الثلث، والباقي للجد؛ بناء على أصلهما أن الجد بمنزلة الأب يسقط الإخوة والأخوات<sup>(١٥)</sup>، وهو قول عبد الله بن الزبير، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وجابر بن عبد الله، وأبي موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبي الطفيل، وأبي الدرداء، والحسن البصري، وطاووس، وداود الظاهري، وبه قال أبو حنيفة، ومحمد بن جرير الطبري<sup>(١٦)</sup>.

**القول الثالث:** ذهب زيد بن ثابت إلى أن: للأُم الثلث، والباقي بين الأخت والجد: للذكر مثل حظ الأنثيين بناء على أصله أن الجد يقاسم الأخوات؛ فزيد بن ثابت يقاسم بين الأخوات منفردات، والجد إلى الثلث، ثم يعود إلى نصيبه؛ فلا يفرض للأخوات منفردات مع الجد إلا في الأكدرية<sup>(١٧)</sup>، وتصحح الخرقاء من تسعة: للأُم ثلاثة، وللجد أربعة، وللأخت سهمان، ولذلك سميت المتسعة، وإلى ذلك ذهب مالك، والشافعي، وأبو

(١٢) مجموع الإمام زيد ٣٦٧.

(١٣) ينظر سنن سعيد بن منصور ٥٤/١ رقم ٧٧، وسنن البيهقي ٢٥٠/٦. قلت: إلى قول علي ذهب ابن مسعود، وعلقمة، ومسروق. مصنف

عبدالرزاق ٢٧٢/١٠ رقم ١٩٠٧٦، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٦٣/٦-٢٦٤.

(١٤) التحرير، ص ٤١٦، جوهرة الفرائض، ص ٢٢٩.

(١٥) مصنف عبد الرزاق ٢١٣/١٠ رقم ١٩٠٤٩-١٩٠٥٧، وسنن سعيد بن منصور ٤٥/١ رقم ٤٠-٥٢، وابن أبي شيبة ٢٥٩/٦.

(١٦) جوهرة الفرائض ص ٢٢٩، ومختصر الطحاوي ١٤٧، وعيون المجالس ١٩٣٠/٤، والخلاف للطوسي ٢٦/٤، والناصرات ٤١١، والمغني ٦٥/٧.

(١٧) ينظر عبدالرزاق ٢٧١/١٠ رقم ١٩٠٧٣، والبيهقي ٢٥٠/٦، وابن أبي شيبة ٢٦٢/٦.

يوسف، ومحمد، والثوري<sup>(١٨)</sup>.

**القول الرابع:** لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى عنه فيها قولان:

أحدهما: أنه جعل للأخت النصف، وللأم ثلث الباقي، وما بقي فللجد.

والقول الثاني: أنه فرض للأم السدس؛ فالعبارة مختلفة، والمعنى واحد،

**القول الخامس:** لعبد الله بن مسعود وله فيه قولان:

أحدهما: أنه يجعل للأخت النصف، وللأم السدس، والباقي للجد؛ بناء على أصله

أن الأم لا تفضل على الجد، وهو الآخر من قولي عمر رضي الله عنه .

والقول الثاني: للأخت النصف والباقي بين الأم والجد نصفين؛ لأن كل من الأم والجد

له ولادة على الميت، وللأم قوة القرب، وللجد قوة الذكورة؛ فاستويا فتصح من أربعة؛

ولذلك سميت مربعة ابن مسعود.

**القول السادس:** لعثمان بن عفان رضي الله عنه : إلى أن للأم الثلث، والباقي بين الجد

والأخت؛ فيقسم المال بينهم أثلاثاً؛ والرواية عنه في هذه المسألة لم تأت إلا من رواية

النخعي، والشعبي، ولذلك سميت مثلثة عثمان<sup>(١٩)</sup>.

وأما أهل المدينة فلا يعرفونها عنه، ولكنهم يروون أن عمر رضي الله عنه وعثمان رضي

الله عنه كانا يقضيان في هذه المسألة بقضاء زيد<sup>(٢٠)</sup>، ولما كان فيها سبعة أجوبة

سميت المسبعة.

**القول السابع:** للحنفية، وللإمام الناصر الأطروشي من الزيدية، للأم الثلث،

ولللجد الباقي، وتسقط الأخت<sup>(٢١)</sup>

(١٨) ينظر الحاوي ٣٠٨/١٠، وعيون المجالس ١٩٣١/٤، ومختصر الطحاوي ١٤٧.

(١٩) فتح القريب المجيب ٥١/١، والاستذكار ٥٩٨/٥.

(٢٠) فتح القريب المجيب ٥١/١، والاستذكار ٥٩٨/٥.

(٢١) جوهرة الفرائض، ص ٢٢٩. الناصريات، ص ٤١١.

## ٢- مسألة الغراوين

المسألة : زوج وأبوان، أو زوجة وأبوان.

سميت بذلك؛ لشهرتها، أو لأنهما يگران الفرضي، ويسميان بالعمريتين؛ لقضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيهما. وأيضا تلقبا بالغرابتين<sup>(٢٢)</sup>.

الأقوال في هذه المسألة:

(١) زوج، وأب، وأم: ذهب الجمهور إلى أن للزوج النصف، والباقي سهم بين الأبوين أثلاث؛ فضرب ثلاثة مخرج الكسر في المسألة؛ تصح من ستة: للزوج النصف ثلاثة، وللأم ثلث الباقي واحد، وهو سدس المال، وللأب ثلثا الباقي اثنان، وهو ثلث المال<sup>(٢٣)</sup>. كما في الشكل (٢)

٤		
١	زوجة	٤/١
٣	أم	
	أب	٣/١ الباقي

الشكل رقم (٢)

وذهب ابن عباس إلى أن للأم ثلث جميع هذه المسألة، وكذلك في مسألة زوجة، وأبوين<sup>(٢٤)</sup>. وتابعه على ذلك سائر الإمامية<sup>(٢٥)</sup>.

وروي أن ابن عباس رجع إلى قول سائر الصحابة<sup>(٢٦)</sup>.

(٢٢) فتح القريب الخيب ٦٠/١.

(٢٣) المجموع الفقهي والحديث ص ٣٦٤، ومصنف عبدالرزاق ٢٢٥/١٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٤٠/٦ - ٢٤٢، وسنن سعيد بن منصور ٣٧/١ رقم ٦-١٧، وسنن الدارمي ٣٤٤/٢-٣٤٥.

(٢٤) عبدالرزاق ٢٢٥/١٠ رقم ١٩٠١٤ - ١٩٢١، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٤٠/٦.

(٢٥) اللعة الدمشقية ١٠١/٨، والمبسوط في فقه الإمامية ٧٦/٤.

(٢٦) جوهرة الفرائض ١٩٤.

٢) زوجة، وأب، وأم: ذهب الجمهور إلى أن للزوجة الربع، وللأم ثلث ما يبقى، والباقي للأب. وبه أخذ القانون اليمني<sup>(٢٧)</sup> كما في الشكل رقم (٣)

٦	٦		
٣	٣	زوج	٢/١
١	٣	أم	
٢		أب	٣/١ الباقي

الشكل رقم (٣)

وذهب ابن عباس إلى أن للأم ثلث جميع المال، ووافقته في هذه المسألة ابن سيرين؛ فذهب فيها إلى أن للأم ثلث الجميع<sup>(٢٨)</sup>.

والمسألة على قول الجمهور من أربعة: للزوجة الربع سهم، والباقي ثلاثة بين الأبوين أثلاثاً.

وعلى قول ابن عباس ومن وافقه من اثني عشر؛ لأن في المسألة ثلثا ومخرجه من ثلاثة، وربعا ومخرجه من أربعة، والمخرجان متباينان؛ فاضرب أحدهما في الآخر يكن اثني عشر: للأم الثلث أربعة، وللزوجة الربع ثلاثة، والباقي خمسة للأب<sup>(٢٩)</sup>.

### ٣) مسألة المباهلة :

والمباهلة لغة: الملاعنة، والبُهْلَةُ: اللعنة. ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه، وإن لم يكن التعاناً<sup>(٣٠)</sup>.

سميت بذلك؛ لقول ابن عباس: «وددت أني وهو الذين يخالفوني في الفريضة نجتمع فنضع أيدينا على الركن ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبي ما حكم الله بما قالوا»<sup>(٣١)</sup>.

(٢٧) قانون الأحوال الشخصية المادة رقم (٣١٠).

(٢٨) عيون المجالس ١٩١٨/٤، ومختصر الطحاوي ١٤٣، والمجلد ٢٤٧/٨، وينظر المصادر السابقة.

(٢٩) جوهرة الفرائض ١٨٣، والاستنكار ٥٧٣/٥، ٥٧٦، عقد الأحاديث (خ)، فتح القريب المجيب، ج ١ ص ٦٠، المغني ٢٠/٧.

(٣٠) لسان العرب ٧٢/١١، وتاج العروس ٧٣/١٤.

(٣١) سنن سعيد بن منصور ٦١/١ رقم ٣٧، ومصنف عبدالرزاق ٢٥٥/١٠ رقم ٣٧.

المسألة: امرأة خلفت زوجاً، وأمّاً، وأُختاً لأب وأم أو لأب.

الأقوال في هذه المسألة:

اختلف في هذه المسألة على قولين:

**القول الأول:** ذهب الجمهور إلى أن للزوج النصف، وللأم الثلث، وللأخت النصف.

فمسألتهم أصلها من ستة: للزوج النصف ثلاثة، والأم الثلث اثنان، للأخت النصف

ثلاثة، وعالت إلى ثمانية: للزوج ثلاثة أثمان، وللأخت ثلاثة أثمان، وللأم الربع اثنان.

كما في الشكل رقم (٤)

٨/٦		
٣	زوج	٢/١
٢	أم	٣/١
٣	أخت	٢/١

الشكل رقم (٤)

**القول الثاني:** لابن عباس قال: للزوج النصف، وللأم الثلث، والباقي للأخت: أصلها من

سنة: للزوج النصف ثلاثة، وللأم الثلث اثنان، والباقي واحد للأخت. وعن ابن عباس

قول آخر: للزوج النصف، والباقي بين الأم والأخت .

قال زفر بن أوس بن الحدّان<sup>(٣٢)</sup>: دَخَلْتُ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ بَعْدَ مَا ذَهَبَ بَصْرَةَ؛

فَتَدَاكَرْنَا فَرَائِضَ الْمِيرَاثِ؛ فَقَالَ: تَرَوْنَ الَّذِي أَحْصَى رَمْلَ عَالِجٍ عَدَدًا لَمْ يُحْصِ فِي مَالٍ

نِصْفًا وَنِصْفًا وَثُلُثًا، إِذَا ذَهَبَ نِصْفٌ وَنِصْفٌ فَأَيْنَ مَوْضِعِ الثُّلُثِ؟ فَقَالَ لَهُ زُفَرٌ: يَا أَبَا

عَبَّاسٍ مَنْ أَوْلُ مَنْ أَعَالَ الْفَرَائِضَ؟ قَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قَالَ: وَلِمَ؟

قَالَ: لَمَّا تَدَافَعَتْ عَلَيْهِ وَرَكِبَ بَعْضُهَا بَعْضًا قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِكُمْ، وَاللَّهِ

مَا أَدْرِي أَيُّكُمْ قَدَّمَ اللَّهُ، وَلَا أَيُّكُمْ آخَرَ! قَالَ: وَمَا أَجِدُ فِي هَذَا الْمَالِ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ أَنْ

أَقْسِمَهُ عَلَيْكُمْ بِالْحِصَصِ، ثُمَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ قَدَّمَ مَنْ قَدَّمَ اللَّهُ وَأَخَّرَ مَنْ

آخَرَ اللَّهُ مَا عَالَتْ فَرِيضَةٌ! فَقَالَ لَهُ زُفَرٌ: وَأَيْهَمْ قَدَّمَ وَأَيْهَمْ آخَرَ؟ فَقَالَ: كُلُّ فَرِيضَةٍ لَّا

(٣٢) زفر بن أوس بن الحدّان النصري أخو مالك قال بن منده أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له صحبة قلت كان أبوه من مشاهير

الصحابة فإن كان لأبيه إدراك فهو من أهل القسم. الإصابة، ج ٢ ص ٦٢٨. تحذيب الكمال، ج ٩ ص ٣٥٢.

تَزُولُ إِلَّا إِلَى فَرِيضَةٍ فَلَيْكَ الَّتِي قَدَّمَ اللَّهُ وَتِلْكَ فَرِيضَةُ الزَّوْجِ: لَهُ النِّصْفُ، فَإِنْ زَالَ فَإِلَى الرَّبْعِ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَالْمَرْأَةُ لَهَا الرَّبْعُ فَإِنْ زَالَتْ عَنْهُ صَارَتْ إِلَى الثُّمَنِ لَا تَنْقُصُ مِنْهُ، وَالْأَخَوَاتُ لَهُنَّ الثُّلُثَانُ وَالْوَالِدَةُ لَهَا النِّصْفُ، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ الْبَنَاتُ كَانَ لَهُنَّ مَا بَقِيَ؛ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَحْرَأَ اللَّهُ: فَلَوْ أُعْطِيَ مَنْ قَدَّمَ اللَّهُ فَرِيضَتَهُ كَامِلَةً، ثُمَّ قَسَمَ مَا يَبْقَى بَيْنَ مَنْ أَحْرَأَ اللَّهُ بِالْحِصَصِ مَا عَالَتْ فَرِيضَةٌ؛ فَقَالَ لَهُ زُفَرٌ: فَمَا مَنَعَكَ أَنْ تُشِيرَ بِهَذَا الرَّأْيِ عَلَى عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: هِبْتُهُ وَاللَّهِ<sup>(٣٣)</sup>.

وقيل: تسمى مسائل العول مسائل المباهلة<sup>(٣٤)</sup>.

#### ٤ - المشتركة

وهي كل مسألة اجتمع فيها: زوج، وأم أو جدة، وأخوان لأم فصاعداً، أو أختان أو أخ وأخت، أو عصابة أخ شقيق، أو إخوة أشقاء، أو إخوة وأخوات لأب وأم. ولا تكون مشتركة حتى يجتمع فيها هؤلاء الورثة؛ فإذا لم يكن فيها هؤلاء لم تكن مشتركة.

#### أسماء للمسألة:

المُشْرِكَةُ: بفتح الراء: أي المُشْرِكُ فيها؛ فحذف الجار، وبالكسر المُشْرِكَةُ على نسبة التشريك إليها مجازاً.

الحمارية: لأنه يروى أن أحد الإخوة الأشقاء قال لعمر رضي الله عنه: هب أبانا كان حماراً. أو أن زيداً قال: هبوا أن أباهم كان حماراً؛ ما زادهم الأب إلا قريبا.

الحجرية أو اليمية: لقول أحد الأشقاء: هب أن أبانا حجراً ملقى في اليم.

الأقوال في هذه المسألة:

الصحابة فيها على قولين:

**القول الأول:** أسقط الإخوة لأب وأم ولم يشرك: فروي عن علي وابن عباس أنهما كانا يدفعا للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوين من الأم الثلث، وسقط الإخوة لأب وأم؛

(٣٣) فتح القريب المريب، شرح الترتيب ٣٨/١، والمغني ٣٥/٧، وعقد الأحاديث للعصيفري (خ)، والموسوعة الفقهية ٥٦/٣٦، و ٣٧/٣.

(٣٤) فتح القريب المريب، شرح الترتيب ٣٨/١، والمغني ٣٥/٧، وعقد الأحاديث للعصيفري (خ)، والموسوعة الفقهية ٥٦/٣٦، و ٣٧/٣.

لأنهم عسبة، ولم يبق لهم شيء، وتابعهما أبي بن كعب، وأبو موسى الأشعري، وبه قال الشعبي، وشريك، ونعيم بن حماد، وأبو ثور، وابن أبي ليلى، وابن المنذر، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وأحمد، والزيدي، وداود الظاهري<sup>(٣٥)</sup>. انظر الشكل رقم (٥)

٨/٦		
٣	زوج	٢/١
٢	أم	٦/١
٣	أخوين لام	٣/١
٠	إخوة لأب	ع

الشكل رقم (٥)

**القول الثاني:** يشرك الثلث بين الإخوة لأم والإخوة لأب وأم الذكور، أو الذكور والإناث بين الجميع على سواء للأنتى مثل حظ الذكر، وبه قال عمر رضي الله عنه ؛ فروي عنه أنه سئل فيها ففضى للزوج بالنصف، وللأم بالسدس، وللأخوة من الأم بالثلث، وأسقط ولد الأب والأم، فلما كان في العام الثاني حدثت مسألة أخرى مثلها، ففضى فيها بمثل تلك؛ فقال له الأخ من الأب والأم: يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حمارا، ما زادنا ذلك إلا بعدا؛ فردداهم وشرك بينهم في الثلث، ثم قال: ذلك على ما قضينا، وهذه على ما قضينا: يعني لا ينقض أحد الاجتهادين بالآخر.

وروي أيضا ذلك عن عثمان، والمالكية، والشافعية. وإسحاق ابن راهويه والنخعي<sup>(٣٦)</sup>

وروي عن ابن عباس، وابن مسعود القولان جميعا. قال الشعبي: اختلف فيها عن جميع الصحابة إلا عن علي؛ فإنه لم يختلف عنه أنه أسقط الإخوة لأب وأم، وجعل للزوج النصف، وللأم السدس، وجعل الثلث للإخوة من الأم ذكورا كانوا أو إناثا.

والحجة لمذهب من يشرك الثلث بين الإخوة والأخوات لأب وأم وبين الإخوة لأم للذكر والأنتى على سواء أنهم بنو أم واحدة، ما زادهم أبوهم إلا قريبا.

(٣٥) التحرير، ج ٤ ص ٤٤، سنن سعيد بن منصور، > ١ ص ٤٠، المجموع الفقهي والحديثي، ص ٣٦٥، الخليلي، لابن حزم الظاهري، ج ٨ ص

٣١٤، مختصر الطحاوي، ص ١٤٥-١٤٦، المغني، ج ٧ ص ٢٢، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ٢٤٨.

(٣٦) الحاوي، ج ١ ص ٣٣٩، عيون المجالس، ج ٤ ص ١٩٢٢.

شروط المشتركة: لا يشركون إلا بمجموع أربعة شروط:

الأول: أن يكون في المسألة زوج.

الثاني: أن يكون فيها اثنان من ولد الأم فصاعداً .

الثالث: أن يكون فيها أم أو جدة.

الرابع: أن يكون فيها إخوة لأب وأم ذكور أو ذكور وإناث. فإذا اجتمعت هذه الشروط فهي المشتركة. ويقتسمون الثلث بين الذكر والأنثى على سواء: للذكر مثل حظ الأنثى؛ لأنهم كلهم بنو أم واحدة، وورث الإخوة لأب وأم هاهنا بالفرض لا بالتعصيب، ولذلك ورث الذكر والأنثى على سواء، ولا يرث الإخوة لأب وأم بالفرض إلا في هذه المسألة فقط، ولو كان مكان الزوج زوجة لم تكن مشتركة، ولو كان مكان الإخوة لأب وأم إخوة لأب لم تكن مشتركة، ولو كانت أخوات لأب وأم لا أخ معهن لم تكن مشتركة، ولو كان أخ لأم واحد لم تكن مشتركة، ولو كان مكان الأم جدة أو جدات فهي مشتركة.

واحتج من لا يشرك بأن الإخوة لأب وأم عصبية، فإن فضل شيء بعد السهام فهو لهم وإن لم يفضل شيء سقطوا، ولم يفضلها هنا شيء؛ فسقطوا؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فالأولى رجل ذكر»<sup>(٣٧)</sup>؛ فدل على أن الإخوة لأب وأم يسقطون؛ لأنهم عصبية، ولم يبق لهم شيء، وأهل السهام لهم فروض مقدرة.

ودليل آخر: وهو أن الله تعالى جعل للإخوة لأم الثلث، ويقسم بينهم بالسوية، ولم يفضل ذكر على أنثى، وجعل لأولاد الأب والأم للذكر مثل حظ الأنثيين، فإذا شرك بينهم جعل ذكور الإخوة من الأب والأم وإناثهم على سواء، وذلك خلاف ما حكم الله به.

دليل آخر: وهو أن الإخوة لأم سببهم الأم، ولهم الثلث والإخوة لأب وأم سببهم الأب وهو أولى بهم، وأغلب عليهم، ولا سبب بين الإخوة من الأم وبين الأب.

(٣٧) صحيح البخاري، ج ٦ ص ٢٤٧٦، رقم: ٦٣٥١، صحيح مسلم، ج ٣ ص ٢٣، رقم: ١٦١٥، سنن الترمذي، ج ٤ ص ٣٦٥، رقم:

**دليل آخر:** أن امرأة لو هلكت وخلفت زوجها وأخويها لأمها ومائة أخ لأب وأم: فللزوجة النصف، وللأخوين من الأم الثلث، وما بقي وهو السدس للإخوة لأب وأم، ولم يشرك أحد بين الجميع من الإخوة على أنهم كلهم لأم، وجعلوا للأخوين من الأم أكثر مما جعلوا للمائة الأخ من الأب والأم؛ وذلك لأنهم عسبة أبدا، فلم يحكم لهم بحكم الإخوة من الأم الذين ليسوا بعسبة، بل هم أصحاب فرائض مسماة، ولو لم يسلكوا بالإخوة لأب وأم طريق التعصيب في هذه المسألة وسلكوا بهم طريق الأخوة من الأم لكان النصف الباقي بين الإخوة والأخوات لأم وبين الإخوة والأخوات لأب وأم بالسوية، ولم يفضل أحد على أحد؛ فقد علمت أن بين الموضوعين فرقا ظاهرا.

وهناك قول ثالث: يروى عن الإمام الناصر الأطروش من الزيدية<sup>(٣٨)</sup> فهو لا يقول بالتشريك ولا يورث الإخوة مع الأم من أي جهة كانوا؛ لأنهم كلاله، والكلالة عنده هم الإخوة والأخوات والأجداد والجدات؛ وسموا كلاله لأنهم متكلمون بالوالدين كالإكليل حولهم؛ فلا يرث أحد من الإخوة والأخوات مع الأم شيئا.

قلت: والأدلة على القول الأول أرجح؛ ومن أخذ بالقول الثاني فهو من باب الاستحسان<sup>(٣٩)</sup>؛ وبه أخذ القانون اليمني<sup>(٤٠)</sup>.

## ٥- الأكدرية

وهي مسألة اجتمع فيها: زوج، وجد، وأم، وأخت شقية أو لأب.  
أسماء المسألة:

(١) الأكدرية: لأنها كدرت على زيد بن ثابت مذهبه؛ لأنه كان لا يفرض للأخوات مع الجد، وقد فرض في هذه المسألة، وكان لا يعيل المسائل مع الجد، ويسقط الإخوة إذا لم يبق بعد الفروض غير السدس؛ وقد أعال في هذه المسألة. وقيل: سميت الأكدرية؛ لأن عبد الملك بن مروان ألقاها على رجل يسمى أكدر؛ فأخطأ

(٣٨) أبو محمد الحسن بن علي الحسيني. ولد سنة ٢٣٠هـ. من أئمة الزيدية في الجيل والديلم. توفي سنة ٣٠٤هـ. له البساط (طبع)، وكتاب المغني، وكتاب في التفسير. ينظر أعلام المؤلفين الزيدية ٣٣٤.

(٣٩) المغني ٢١/٧، وفتح القريب ٦١/١، وعقد الأحاديث (خ)، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ١٣٩، والنبع الفاضل في أصول الفرائض ٣٧. (٤٠) نص المادة (٣١٣) والثلث كذا للأخوات لأم فأكثر إذا لم يكن للميت فرع وارث ولا أصل ذكر مع مراعاة أنه في حالة إذا استغرقت السهام التركية، وكان مع الأخوة لأم أخ شقيق أو أكثر فإنه يشاركهم في الثلث. قانون الأحوال الشخصية المادة رقم (٣١٣).

فيها فنسبت إليه . وقيل: سميت بذلك لأن الميتة فيها من بني أكر . وقيل: سميت بذلك؛ لأن امرأة من أكر يقال لها: أكرية توفيت عن هؤلاء . وقيل: باسم الميتة كدرء أو أكرية؛ فنسبت إليها . وقيل: سميت بذلك؛ لأن الجد كدر على الأخت ميراثها .

(٢) تسمى هذه المسألة في كتب المالكية بالغراء؛ لأنه ليس في مسائل الجد مسألة يفرض للأخت فيها سواها؛ فهي ظاهر كغرة الفرس؛ وهناك أسباب أخرى لتسميتها بهذا الاسم<sup>(٤١)</sup> .

وللصحابة فيها خمسة أقوال مختلفة :

**القول الأول:** لعلي كرم الله وجهه: للأم الثلث، وللزوج النصف، وللجد السدس، وللأخت النصف<sup>(٤٢)</sup>، وبه أخذت الزيدية<sup>(٤٣)</sup> فأصلها من ستة وتعول إلى تسعة: للجد تسع المال واحد، وللأم تسعان اثنان، وللزوج الثلث ثلاثة، وللأخت الثلث ثلاثة، كما في الشكل رقم (٦)

٩/٦		
٢	أم	٣/١
٣	زوج	٢/١
٣	أخت	٢/١
١	جد	٦/١

الشكل رقم (٦)

**القول الثاني:** لأبي بكر رضي الله عنه ومن تابعه في القول بأن الجد بمنزلة الأب: للزوج النصف، وللأم الثلث، والباقي للجد، وتسقط الأخت؛ بناء على أصله أن الجد بمنزلة الأب؛ فتصح من ستة: للزوج ثلاثة، وللأم اثنان، والباقي واحد للجد .

**القول الثالث:** لابن مسعود، وعمر؛ فعند ابن مسعود: للزوج النصف، وللأم ثلث الباقي

(٤١) ينظر مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٥/٧ .

(٤٢) سنن البيهقي، ج ٦ ص ٢١٥ ، مصنف عبدالرزاق، ج ١٠ ص ٢٧١ .

(٤٣) البحر الزخار، ج ٦ ص ٣٥٠ .

وهو السدس، وللأخت النصف، وللجد السدس<sup>(٤٤)</sup>؛ بناء على أصله أن الأم لا تفضل على الجد، وتعول إلى ثمانية: للأم الثمن، وللجد الثمن، وللزوج ثلاثة أثمان، وللأخت ثلاثة أثمان.

وعند عمر: للأخت النصف، وللزوج النصف، وللأم السدس، وللجد السدس مثل قول ابن مسعود في المعنى؛ وإنما فرض للأم السدس فرضاً منفرداً.

**القول الرابع:** ذهب زيد بن ثابت في رواية في أشهر الروايتين عنه: رواه عنه ابنه خارجة بن زيد الأنصاري: للزوج النصف، وللأخت النصف، وللأم الثلث، وللجد السدس، ثم يجمع نصيب الأخت ونصيب الجد ويقسمه بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين؛ بناء على أصله أن الجد يقاسم الأخوات؛ أصلها من ستة، وتعول إلى تسعة، ثم يجمع نصيب الأخت والجد وذلك أربعة فيقسمه بينهما للذكر مثل حظ الأنثيين؛ فلا يصح؛ فتضرب ثلاثة رؤوس المنكسر في تسعة أصل المسألة بعد العول؛ ويصح من سبعة وعشرين: للزوج ثلاثة في ثلاثة تسعة، وللأم سهمان في ثلاثة تكن ستة، وللأخت والجد أربعة في ثلاثة تكن اثني عشر للأخت أربعة، وللجد ثمانية<sup>(٤٥)</sup>؛ وبه قال أبو يوسف، ومحمد، وسفيان الثوري، والأوزاعي، ومالك، والشافعي.<sup>(٤٦)</sup>

وقياس قول زيد: أن يكون للزوج النصف، وللأم الثلث، وللجد السدس، وتسقط الأخت كما لو كان بدلها أخت؛ لأن الأخ والأخت سببهما واحد مع الجد في قوله، ولو كان مكان الأخت أختاً لم يرث الأخ؛ لأن العصباء لا يرثون في مسائل العول، والأخ لا يرث بالفرض؛ فلم يبق إلا أنه يسقط. وهذا هو القول الخامس، وهو رواية عن زيد بن ثابت. وهناك قول سادس: للإمام الناصر الأطروش من الزيدية: للأم الثلث، وللزوج النصف، والباقي يرد على الأم، وليس للجد ولا للأخت شيء بناء على أصله أن الأم تسقط الجد والإخوة والأخوات.<sup>(٤٧)</sup>

(٤٤) ينظر مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ٢٦٢، رقم: ٣١٤.

(٤٥) مصنف ابن أبي شيبة، ج ٦ ص ٢٦٢، سنن الدارمي، ج ٢ ص ٣٥٧، سنن البيهقي، ج ٦ ص ٢٥٠، مصنف عبد الرزاق، ج ١٠ ص ٢٧١.

(٤٦) الحاوي، ج ١٠ ص ٣٠٨.

(٤٧) عقد الأحاديث (خ)، والمغني ٧/٧٥، وشرح فتح القريب ١/٥٣، والإنصاف ٧/٣٠٦، والاستنكار ٥/٥٩٦.

## ٦- مسألة الغراء

المسألة: يذكر الفرضيون لهذه المسألة صورتين:

الصورة الأولى: زوج، وأم، وثلاث أخوات متفرقات: (أخت شقيقة، وأخت لأب، وأخت لأم).  
الصورة الثانية: زوج، وست أخوات متفرقات: (أختان شقيقتان، وأختان لأب، وأختان لأم).

سميت بالغراء؛ لاشتغالها؛ لأنها حدثت في زمن بني أمية؛ فأراد الزوج أن يستبد بنصف المال كاملاً؛ فسألوا عنها فقهاء الحجاز؛ فقالوا: له النصف عائلاً «ثلث المال»؛ فشاع ذكرها؛ فسميت الغراء؛ تشبيهاً لها بالكوكب الأغر، وقيل: إن الميتة كان اسمها الغراء؛ فسميت بذلك.

وتسمى أيضاً بالمروانية؛ لأن الزوج كان من بني مروان. وقيل: لأنها حدثت في زمان عبد الملك بن مروان. وقيل: الغراء لقب لكل مسألة عالت إلى تسعة.  
الأقوال في الغراء في الصورة الأولى:

القول الأول: ذهب علي إلى أن للزوج النصف، وللأخت من الأب والأم النصف، وللأم السدس، وللأخت من الأب السدس، وللأخت من الأم السدس؛ وأصلها من ستة وتعول إلى تسعة: للأم تسع المال واحد، وللزوج الثلث ثلاثة، وللأخت من الأب والأم الثلث ثلاثة، وللأخت من الأب التسع واحد، وللأخت من الأم التسع، كما في الشكل رقم (٧)

٩/٦		
٣	زوج	٢/١
٣	أخت ش	٢/١
١	أم	٦/١
١	أخت لأب	٦/١
١	أخت لأم	٦/١

الشكل رقم (٧)

القول الثاني: ذهب ابن عباس إلى أن للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخت من الأم السدس، وللأخت من الأب والأم الباقي، وهو السدس، ودخل النقص على الأخت من

الأب والأم؛ بناء على أصله أن المسائل لا تعول، ويدخل النقص على الأخوات لأب، ثم على الأخوات لأب وأم، ثم على الأخوات لأم.

**القول الثالث:** للإمام الناصر الأطروش من الزيدية: ذهب إلى أن للزوج النصف، والباقي للأم، وتسقط الأخوات؛ بناء على أصله أن الأم تسقط جميع الإخوة والأخوات<sup>(٤٨)</sup>.

الأقوال في الغراء في الصورة الثانية:

القول الأول: ذهب الجمهور إلى أن للزوج النصف، وللأختين من الأم الثلث، وللأختين الشقيقتين الثلثين، ولا شيء للأختين لأب؛ تصح المسألة من ستة: للزوج ثلاثة، وللأختين لأم اثنان، وللشقيقتين أربعة؛ عالت المسألة إلى تسعة. كما في الشكل رقم (٨)

٩/٦		
٣	زوج	٢/١
٢	أختان لأم	٣/١
٤	أختان شقيقتان	٣/٢
	أختان لأب	.

الشكل رقم (٨)

**القول الثاني:** ذهب ابن عباس إلى أن للزوج النصف، وللأختين لأم الثلث، وللأختين الشقيقتين الباقي: المسألة من ستة، وتصح من اثني عشر: للزوج ستة، وللأختين لأم أربعة، وللأختين الباقي اثنان.

**القول الثالث:** وهو ما قاسه الفرضيون على قول ابن عباس: للزوج النصف، والباقي بين الأخوات على قدر سهامهن لو انفردن؛ وتصح من اثني عشر: للزوج النصف ستة، والباقي ستة بين الأختين لأم، والأختين الشقيقتين: للشقيقتين أربعة، وللأختين لأم اثنان<sup>(٤٩)</sup>.

(٤٨) عقد الأحاديث للعضيفي (خ)، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ٤٣، وإرشاد الفاضل إلى كشف الغوامض ٩٤، وفتح القريب شرح الترتيب

٤١/١، وجوهرة الفرائض ٢٦٨، وروضة الطالبين ١٠٣٦.

(٤٩) فتح القريب الجيب، شرح الترتيب ٤١/١، والمغني ٣٣/٧.

## ٧- مسألة أم الفروج

المسألة: قيل: هي كل مسألة تعول إلى عشرة: وهو الذي ذهب إليه العيصيري في عقد الأحاديث، وابن الهائم<sup>(٥٠)</sup> في الكفاية، وصححه في الفصول. وذكر صورتها العيصيري وغيره، وهي: زوج، وست أخوات مختلفات: (أختان لأب وأم، وأختان لأب، وأختان لأم). ولها أسماء: تسمى أم الفروج بالخاء المعجمة؛ لكثرة السهام العائلة، وهي أكثر ما تعول إليه المسائل؛ لأنها تعول بمثل ثلثيها، وتعول شفعاً ووتراً؛ فصارت كأم حولها فروج، وهم أولادها. وتسمى أم الفروج بالجيم؛ لأن الورثة أكثر من فيها نساء، والميت لا يكون فيها إلا امرأة.

وتسمى أم الفروج بالعين غير معجمة؛ لكثرة فروعها بالعول.

وتسمى الشريحية؛ لأنها حدثت في زمان القاضي شريح؛ فقضى فيها بأن يقسم المال على عشرة أسهم. قيل: فكان الزوج يلقي الفقيه فيستفتيه فيقول: رجل ماتت امرأته ولم تترك ولداً ولا والدين؛ فيقال: له النصف؛ فيقول: والله ما أعطيت نصفاً ولا ثلثاً؛ فيقال: من أعطاك ذلك؟ فيقول: شريح، فيلقى الرجل شريحاً فيسأله عن ذلك فيخبره الخبر، وكان شريح إذا لقي الرجل قال له: إذا رأيتني ذكرت لي حكماً جائراً، وإذا رأيتك ذكرتك رجلاً فاجراً؛ فسميت الشريحية؛ لقضاء شريح فيها.

الأقوال في المسألة: اختلف في هذه المسألة على أقوال:

الأول: ذهب الجمهور إلى أن: للأُم السدس، وللزوج النصف، وللأختين من الأب والأم الثلثين، وللأختين من الأم الثلث، وتسقط الأختان من الأب؛ وأصل المسألة من ستة، وتعول إلى عشرة: للأُم العشر واحد، وللزوج ثلاثة أعشار ثلاثة، وللأختين من الأب والأم الخمسان أربعة، وللأختين من الأم الخمس واحد، كما في الشكل رقم (٩)

(٥٠) أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي المعروف بابن الهائم المصري. من كبار العلماء في الرياضيات، اعتنى بالفرائض والحساب. توفي سنة ٨١٥هـ. له مؤلفات منها: الفصول في الفرائض، والكفاية في الفرائض، والتحفة القدسية في اختصار الرحيبة، وغيرها. ينظر الأعلام ٢٢٦/٢.

١٠/٦		
٣	زوج	٢/١
١	أم	٦/١
٤	أختان ش	٣/٢
٢	أختان لأم	٣/١
	أختان لأم	.

الشكل رقم (٩)

**القول الثاني:** ذهب ابن عباس إلى أن للزوج النصف، وللأم السدس، وللأختين من الأم الثلث، ويسقط الباقيون: الأختان لأبوين، والأختان لأب؛ وهذا هو القول المشهور عنه.

**القول الثالث:** للزوج النصف، وللأم السدس، والثلث بين الأختين من الأم، والأختين من الأبوين على قدر سهامهن لو انفردن؛ وهذا القول هو تخريج علي قول ابن عباس، وعلى هذا فتصح من ثمانية عشر: للزوج تسعة، وللأم ثلاثة، وللأختين لأم اثنان، لكل واحدة منهما واحد، وللأختين لأبوين أربعة، لكل أخت اثنان.

**القول الرابع:** ما قاسه الفرضيون على قول ابن عباس أيضا: وهو أن يكون الثلث بين الأختين من الأبوين والأختين من الأم بالسوية؛ وتصح على هذا من اثني عشر، ونزع في هذا الوصي.

**القول الخامس:** ذهب معاذ بن جبل إلى أن للزوج النصف ثلاثة، وللأم الثلث اثنان؛ لأنه لا يحجب الأم بالأخوات، وللأختين لأم الثلث اثنان، وللأختين لأبوين الثلثين أربعة؛ فتعول إلى أحد عشر.

**القول السادس:** ذهب الإمام الناصر من الزيدية إلى أن الأخوات يسقطن في هذه المسألة<sup>(٥١)</sup>.

(٥١) جوهرة الفرائض ٢٦٩-٢٧٠، وفتح القريب شرح الترتيب ٤١/١-٤٢، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ص ٤٣.

## ٨- مسألة أم الأرامل

المسألة هي : ثلاث زوجات، وجدتان، وأربع أخوات لأم، وثمان أخوات شقيقات.

ألقابها: سميت أم الأرامل؛ لأن جميع الورثة نساء لا ذكر معهن. وذكر في فتح القريب أن من ألقابها أيضا: أم الفروج؛ لأن جميع ما فيها نساء. وأيضا: السبعة عشرية؛ لنسبتها إلى سبعة عشر. والدينارية الصغرى؛ لأنه يعاها بها؛ فيقال: خلف سبعة عشر امرأة من أصناف مختلفة، وسبعة عشر ديناراً؛ فورثت كل امرأة منهن ديناراً. أو يقال أيضا: رجل خلف سبع عشرة امرأة من أصناف مختلفة فورثن المال بالسوية.

أقوال العلماء فيها:

**القول الأول:** وهو لمن ذهب إلى القول باليعول وهم الجمهور: فلزوجات الربع، وللجدتين السدس، وللأخوات من الأم الثلث، وللأخوات الشقيقات الثلثان؛ وأصلها من اثني عشر: للزوجات ثلاثة أسهم، وللجدتين سهمان لكل واحدة منهما سهم، وللأخوات من الأم أربعة، وللشقيقات ثمانية لكل واحدة سهم، وتعول إلى سبعة عشر، وهو أكثر ما يعول إليه هذا الأصل، وتنسبه فتقول: لكل واحد من الورثة سهم من سبعة عشر في المال. كما في الشكل رقم (١٠)

١٧/١٢		
٣	ثلاث زوجات	٤/١
٢	جدتان	٦/١
٤	أربع أخوات لأم	٣/١
٨	ثماني أخوات شقيقات	٣/٢

الشكل رقم (١٠)

**القول الثاني:** لابن عباس : للزوجات الربع، وللجدتين السدس، وللأخوات من الأم الثلث، والباقي وهو الربع للأخوات من الأب والأم<sup>(٥٢)</sup>.

(٥٢) التهذيب في علم الفرائض والوصايا ٤٤، وعقد الأحاديث (خ)، وفتح القريب ٤٢/١، وإرشاد الفاراض ١٨٦، وجوهرة الفرائض شرح مفتاح الفاضل ٢٧٧.

## ٩- المسألة العشرينية

المسألة هي : أخت شقيقة، وأختان لأب، وجد.

وسميت بذلك لأن زياداً قسمها من عشرين.

الأقوال في المسألة: في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

**الأول:** لزيد بن ثابت؛ جعلها من خمسة مبلغ رؤوسهم؛ فالجد بعد بسطه باثنين برأسين، والأخوات ثلاثة رؤوس؛ فيكون للجد سهمان، ولكل أخت سهم، وترد الأختان لأب على الأخت من الأب والأم تمام النصف؛ فيصير لها سهمان ونصف سهم، فضل نصف سهم يقسم بين الأختين من الأب: لكل أخت ربع سهم؛ فانكسر السهم على اثنين؛ فاضرب المسألة في مخرج النصف والربع؛ ليذهب الكسران؛ وذلك أربعة في خمسة تصح من عشرين، وضرب جزء المسألة<sup>(٥٣)</sup> (الأربعة) في كل نصيب يحصل للجد ثمانية، وللشقيقة عشرة، وللأختين لأب سهمان لكل أخت سهم هو نصف عشر.

**القول الثاني:** لأبي بكر رضي الله عنه ومن وافقه: المال للجد، وتسقط الأخوات.

**القول الثالث:** لعلي كرم الله وجهه، وعبدالله: للأخت الشقيقة النصف، وللأختين من الأب السدس، والباقي للجد؛ أصل المسألة من ستة: للأخت الشقيقة النصف ثلاثة، وللأختين لأب السدس واحد لا ينقسم عليها؛ فتصح من اثني عشر: للأخت الشقيقة النصف، وللأختين لأب سهمان، وللجد الباقي أربعة<sup>(٥٤)</sup>.

(٥٣) يسمى العصفري جزء مسألة الحال .

(٥٤) فتح القريب بشرح كتاب الترتيب ٥٧/١، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ١٠١، وعقد الأحاديث للعصفري (خ)، وإرشاد الفرائض على كشف الغوامض ١١٣.

١٠ - المسألة المنبرية<sup>(٥٥)</sup>

المسألة: زوجة، وأبوان، وابنتان.

وسميت المنبرية لأن عليا سئل عنها وهو يخطب على منبر الكوفة؛ فقال السائل متعنتا: أليس للزوجة الثمن؛ فقال: صار ثمنها تسعا، ومضى في خطبته<sup>(٥٦)</sup>. وتسمى بالبخيلة؛ لقلّة عولها، وأيضا الحيدرية نسبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه.

الأقوال في هذه المسألة:

**القول الأول:** قول علي كرم الله وجهه ومن وافقه في القول بالعول، وهم الصحابة إلا ابن عباس، ووافقه سائر الفقهاء<sup>(٥٧)</sup>: للبنتين الثلثان، وللأبوين السدسان، وللزوجة الثمن؛ وأصلها من أربعة وعشرين، وتعول إلى سبعة وعشرين؛ ونسبة ذلك: للبنتين خمسة أتسع وثلث تسع؛ لكل واحدة تسعان وثلثا تسع، ولكل أب تسع وثلث تسع، وللزوجة تسع. كما في الشكل رقم (١١)

٢٧/٢٤		
١٦	بنتان	٣/٢
٤	أب	٦/١
٤	أم	٦/١
٣	زوجة	٨/١

الشكل رقم (١١)

**القول الثاني:** ذهب ابن عباس إلى نفي العول، وقال في هذه المسألة: للزوجة الثمن، وللأبوين السدسان، والباقي للبنتين؛ أصل المسألة من أربعة وعشرين؛ للزوجة الثمن ثلاثة، وللأب السدس أربعة، وللأم السدس أربعة، والباقي للبنتين ثلاثة عشر غير منقسم؛ فتضرب رؤوس المنكسر في أصل المسألة، وتصح من ثمانية وأربعين. وبه أخذ

(٥٥) فتح القريب بشرح كتاب الترتيب ٤٣/١، وإرشاد الفارض في علم الفرائض ٩٧، والتهديب في علم الفرائض والوصايا ٤٠، ٤٥.

(٥٦) المجموع الفقهي والحديثي ٣١٥، وسنن سعيد بن منصور ٤٣/١، والبيهقي ٢٥٣/٦.

(٥٧) التحرير ٤٢٣، وسنن سعيد بن منصور ٤٤/١ رقم ٣٥، ومصنف ابن أبي شيبة ٢٥٦/٦، وسنن البيهقي ٢٥٦/٦، وسنن الدارمي ٣٩٩/٢، والمسبوط للسرخسي ١٦٣/٢٩، والحلوي ٣١٢/١٠، وعمون المجالس ١٩٣٧/٤، والإنصاف ٣١٦/٧.

الناصر من الزيدية، والإمامية، وابن حزم الظاهري، وتأول الناصر قول علي: «صار ثمنها تسعا» أنه قال ذلك على سبيل التبيكيت لأهل الخلاف<sup>(٥٨)</sup>.

## ١١ - عَشْرِيَّةُ زَيْدٍ

وهي: بفتح الشين؛ نسبة إلى عشرة .

المسألة: وهي جد، وأخت شقيقة، وأخ لأب؛ وسميت عشريّة: لأن زيّداً قسمها من عشرة.

### الأقوال في المسألة:

**القول الأول:** مذهب زيد فيها: للجد سهمان مقاسمة؛ لأنها خير له من الثلث، وللأخ سهمان، وللأخت سهم، ثم يرد الأخ لأب على الأخت الشقيقة تمام النصف، ولا نصف للمسألة وهي خمسة؛ فتضرب اثنين في خمسة فذلك عشرة، ومنه تصح القسمة، ثم تقسم العشرة بينهم أخماساً؛ للجد خمسان أربعة، وللأخ من الأب خمسان أربعة، وللأخت من الأب والأم الخمس اثنان، ثم يرد الأخ من الأب على الأخت الشقيقة تمام النصف وهو ثلاثة، يبقى له سهم وهو عشر المال. وللأخت النصف خمسة، وللجد خمسان أربعة؛ فلذلك سميت عشريّة زيد.

**القول الثاني:** لعلي بن أبي طالب: للأخت الشقيقة النصف؛ لأنها من أهل الفروض، والباقي بين الجد والأخ من الأب نصفان بناء على أصله أن الجد يقاسم الإخوة ما كانت المقاسمة أصلح له من السدس، وتصح من أربعة. القول الثالث: ذهب أبو بكر رضي الله عنه أن المال للجد، ويسقط الأخ والأخت؛ بناء على أصله أن الجد بمنزلة الأب<sup>(٥٩)</sup>.

## ١٢ - المروانية

المسألة: أربع زوجات، وأختان لأم، وأختان شقيقتان.

سميت بذلك؛ لأن عبد الملك بن مروان سئل عن زوجة ترك زوجها عشرين ديناراً وعشرين درهماً؛ فورثت ديناراً ودرهماً؛ فقال: إن صورتها أربع زوجات... إلخ.

(٥٨) أصول الأحكام ٢/٢٢٣، والناصرات ٤٠٣، والخلّى ٨/٢٧٩، والمغني ٧/٣٥.

(٥٩) عقد الأحاديث (خ)، وفتح القريب شرح الترتيب ١/٥٧.

للزوجات الربع، وللشقيقتين الثلثان، وللأختين لأم الثلث؛ أصل المسألة من اثني عشر: للزوجات ثلاثة، وللأختين الشقيقتين ثمانية، وللأختين لأم أربعة - عالت إلى خمسة عشر؛ فصار للزوجات خمس المال للعول، وهو أربعة دنائير وأربعة دراهم لكل زوجة دينار ودرهم، كما في الشكل رقم (١٢)

١٥/١٢		
٣	أربع زوجات	٤/١
٤	أختان لأم	٣/١
٨	أختان شقيقتان	٣/٢

الشكل رقم (١٢)

أما على قول ابن عباس من عدم القول بالعول: للزوجات الربع، وللأختين لأم الثلث، والباقي للأختين الشقيقتين؛ المسألة من اثني عشر، وتصح من ثمانية وأربعين<sup>(٦٠)</sup>.

### ١٣ - مسألة المعادة

وهي رجل خلف جداً، وأخاً لأب وأم، وأخاً لأب؛ سميت مسألة المعادة عند زيد؛ لأن الأخ لأب وأم يعاد الجد بالأخ لأب، ثم يأخذ منه ما حصل له؛ لأنهم يقولون للجد: منزلتنا ومنزلتك معهم واحدة؛ فيدخلون معنا في المقاسمة، ثم يقولون لأولاد الأب: أنتم لا ترثون معنا؛ وإنما دخلتم في المقاسمة؛ لحجب الجد؛ فنأخذ حقنا معكم كأن لم يكن جد.

صورة المعادة: لا تكون معادة إلا إذا كان الإخوة لأبوين أقل من مثلي الجد، وبقي بعد الفرض أكثر من الربع، فإن كانوا مثليه فأكثر فلا داعي للمعادة.

الأقوال في هذه المسألة:

**القول الأول:** مذهب زيد: أنه يقسم المال بينهم أثلاثاً: للجد الثلث، ولكل أخ ثلث، ثم يرد الأخ من الأب سهمه للأخ من الأب والأم؛ لأنه لا يرث معه فلم يشاركه فيما منعا عنه الجد، كما لا يشارك الأخ من الأب الأخ من الأب والأم فيما حجبها عنه الأم؛ فيكون

(٦٠) عقد الأحاديث (خ)، وفتح القريب شرح الترتيب ٣٦/١، وروضة الطالبين ١٣٦.

للجد الثلث، وللأخ من الأب والأم الثلثان.

**القول الثاني:** ذهب علي، وعمر، وعبدالله إلى أن المال بين الجد والأخ الشقيق مناصفة، ويسقط الأخ لأب، ولو لم يكن أخ لأب وأم كان المال بين الجد والأخ من الأب مناصفة كذلك.

**القول الثالث:** ذهب أبو بكر وابن عباس ومن وافقهما، كابن الزبير، وعائشة، وأبي هريرة، وأبي بن كعب، ومعاذ، وجابر بن عبدالله، والحسن البصري، وطاووس، وداود، وإليه ذهب أبو حنيفة، والإباضية: إلى أن المال للجد، ويسقط الأخوة مطلقاً<sup>(٦١)</sup>؛ لأن الجد كالأب عندهم<sup>(٦٢)</sup>.

#### ١٤ - عشر: المأمونية

المسألة هي: أبوان، وابنتان، لم يقتسما التركة حتى ماتت إحدى الابنتين وخلفت باقي الورثة. سميت بذلك؛ لأن المأمون أراد أن يولي رجلاً على قضاء البصرة، وكان الخلفاء لا يعقدون القضاء لأحد حتى يختبروه في الفرائض والفقه، وقيل: كانوا يسألون عن الجد ومتشابه النسب كثيراً، فأدخل على المأمون يحيى بن أكثم؛ فاحتقره ولم يسأله؛ فقال: سل يا أمير المؤمنين إن كان المقصود علمي لا خلقي؛ فقال: ما تقول في أبوين، وابنتين لم يقتسما التركة حتى ماتت إحدى الابنتين وخلفت من خلفت؛ فقال يحيى بن أكثم: والميت الذي خلف الأبوين والابنتين يا أمير المؤمنين كان رجلاً أو امرأة؟ فعلم أنه قد عرف المسألة وحكمها؛ وكتب له عهده، وهذا السؤال مبهم؛ لأنه يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون الميت الأول رجلاً؛ فتكون المسألة رجل مات وخلف أباً، وأماً، وابنتين؛ ففريضته من ستة: للأب السدس واحد، وللأم كذلك، ولكل من البنيتين اثنان، ولم تقسم تركته حتى ماتت إحدى الابنتين وخلفت جدتها أم أبيها، وجدها أبا أبيها، وأختاً لأب وأم؛ وفي هذه المسألة أقوال:

**الأول:** للإمام علي، وابن مسعود: لجدتها السدس، ولأختها النصف، والباقي للجد،

(٦١) ينظر مصنف عبدالرزاق ٢٦٥/١٠ رقم ١٩٠٥٨، وعيون المجالس ١٩٣١/٤، ومختصر الطحاوي ١٤٧، والحاوي ٣٠٦/١٠، والمغني ٦٥/٧،

وجوهرة الفرائض ٢٢٩، والنبع الفاضل في أصول الفرائض ٤٣.

(٦٢) فتح القريب المريب شرح الترتيب ٤٥٠-٤٥١، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ٩٠، وعقد الأحاديث (خ)، وجوهرة الفرائض ١٩٥.

وتصح مسألتها من ستة، وفي يدها سهمان يوافقان بالأنصاف؛ فاضرب نصف مسألتها وهو ثلاثة في مسألة أبيها ستة تكن ثمانية عشر، ومنه تصح المسألة: للأم ثلاثة، وللأب ثلاثة، ولكل بنت ستة. مات إحدى الابنتين وفي يدها ستة: لأختها النصف ثلاثة إلى ستة يصح معها نصف المال، ولجدها السدس سهم إلى ثلاثة فذلك أربعة، والباقي للجد اثنان إلى ما في يديه ثلاثة فذلك خمسة.

كما في الشكل (١٣) والشكل (١٤)

الصورة الأولى: إذا كان الميت الأول ذكراً .

٥٤		١٨	٣*٦			٦		
١٩	١٠+٩					١	أب	٦/١
١٢	٣+٩					١	أم	٦/١
٢٣	٥+١٨					٢	بنت	٣/٢
						٢	بنت	
					ماتت			
		١٠	٥	جد	ع			
		٥		أخت ش				
			٣	١	جدة	٦/١		

الشكل (١٣)

الصورة الثانية: إذا كان الميت الثاني أنثى

	١٢	٢*٦				٦		
٢	٢					١	أب	٦/١
٣	١+٢					١	أم	٦/١
٧	٣+٤					٢	بنت	٣/٢
						٢	بنت	
					ماتت			
		.	جد لأم (لا يرث)	ع				
		٣	أخت ش	٢/١				
		١	جدة	٦/١				

الشكل رقم (١٤)

**القول الثاني:** قول أبي بكر رضي الله عنه : للجدة السدس، والباقي للجد، ولا شيء للأخت؛ فمسألتها من ستة، ومات عن سهمين يوافقان مسألتها بالإنصاف؛ فاضرب نصف مسألتها في المسألة الأولى مسألة الأب وهي ستة تكن ثمانية عشر؛ للجد من الأولى ثلاثة، ومن الثانية خمسة، وللأم من الأولى ثلاثة، ومن الثانية سهم يكن للأم أربعة.

**القول الثالث:** يزيد رضي الله عنه : للجدة السدس، والباقي بين الأخت والجد؛ أصل المسألة من ستة : للجد سهم، والباقي خمسة بين الأخت والجد لا ينقسم على ثلاثة؛ فاضرب ثلاثة في ستة تكن ثمانية عشر، وسهامها (البنت) توافق مسألتها بالإنصاف؛ فاضرب نصف مسألتها وهو تسعة في المسألة الأولى ستة تكن أربعة وخمسين؛ فللأب من الأولى واحد في تسعة - جزء المسألة أو الحال - بتسعة، وله من الثانية بالجدودة عشرة في واحد بعشرة؛ نجمع الحصتين، صار له تسعة عشر وللأم من الأولى واحد في تسعة بتسعة، ولها من الثانية بالجدودة ثلاثة صار له ثلاثة في واحد بثلاثة؛ نجمع الحصتين يكون لها اثنا عشر، وللبنت من الأولى اثنان في تسعة بثمانية عشر، ومن الثانية خمسة بالأخوة في واحد بخمسة مضافة إلى ثمانية عشر صار لها ثلاثة وعشرون.

وإن كان الميتة الأولى امرأة؛ فإن الميتة الثانية قد خلفت جدتها أم أمها، وجدها أب أمها، وهو من ذوي الأرحام؛ فلا شيء له، وأختها لأب وأم؛ فالذي في يد البنت بين أختها وجدتها؛ فعلى قول علي ومن تابعه في القول بالرد وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وأحمد، وأئمة الزيدية<sup>(٦٣)</sup> المال بينهما؛ للجدة سهم، وللأخت ثلاثة، وسهامها توافق مسألتها بالإنصاف؛ فاضرب اثنين في المسألة الأولى على أربعة بالفرض والرد؛ وتصح المسألة من اثني عشر؛ للأب من الأول سهم في اثنين تكن اثنين، ولا شيء له من الثانية، وللأم من الأولى سهم في اثنين يكن اثنين، ومن الثانية سهم في سهم بسهم يكن لها ثلاثة، وللأخت من الأولى سهمان في سهمين تكن أربعة، ومن الثانية ثلاثة في سهم ثلاثة؛ فيكون لها سبعة. وأما على قول ابن مسعود، والمشهور عن ابن عباس : للجدة

(٦٣) عيون المجالس، ج ٤ ص ١٨٩٩، المجموع الفقهي، ص ٣٣٨، مختصر الطحاوي، ١٥١، المغني، ج ٧ ص ٤٦.

السدس، والباقي للأخت بالفرض والرد؛ لأنه لا يرد على الجدة مع ذي فرض؛ فتكون المسألة من ستة؛ فتضرب نصف المسألة في الأولى تكن ثمانية عشر؛ لأب من الأولى ثلاثة ولأم كذلك، ولها من الثانية سهم في سهم يجتمع لها أربعة، وللأخت من الأولى ثلاث في اثنين ستة، ولها من خمسة في واحد بخمسة؛ فيجتمع لها أحد عشر<sup>(٦٤)</sup>.

### ١٥ - الثلاثينية

المسألة: وهي أن يخلف الميت امرأة، وأما، وأخوين لأم، وأختين لأب وأم، وولدا لا يرث؛ لعدة: من كفر، أو رق، أو قتل.

الأقوال في المسألة:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يعتبر في الحجب أن يرث من يحجب؛ وإنما يعتبر سلامة حاله من إحدى العلل المانعة من الإرث.

وذهب ابن مسعود إلى أن من لا يرث بحال يحجب؛ فلو ترك ابناً ذمياً أو قاتلاً: فلأم عنده السدس.

وعند الجمهور للأم الثلث، لأن الممنوع وجوده كالعدم.

وقال الحسن بن صالح، والأوزاعي: المملوك والكافر لا يرثان ولا يحجبان، والقاتل لا يرث ويحجب<sup>(٦٥)</sup>؛ وإليه ذهب الإباضية؛ وبناء على ذلك في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: لابن مسعود على رواية النخعي وغيره عنه: للزوجة الثمن، وللأم السدس، وللأخوين لأم الثلث، وللأختين الثلثان؛ أصلها من أربعة وعشرين، وتعود إلى واحد وثلاثين. ولهذا سميت الثلاثينية، كما في الشكل (١٥)

(٦٤) التهذيب في علم الفرائض والوصايا ٣٦١، وجوهرة الفرائض ٣٩٣، وعقد الأحاديث (خ)، وفتح القريب الجيب بشرح كتاب الترتيب ١٢٦/١ - ١٢٧، وروضة الطالبين ١٠٣٦.

(٦٥) سنن سعيد بن منصور ٧٦/١، وعيون المجالس ١٩١٤/٤، والبحر الزخار ٣٧٠/٦، ومختصر اختلاف العلماء ٤٣٩/٤، والبيع الفاضل في أصول الفرائض ٤٩.

٣١/٢٤		
٣	زوجة	٨/١
٤	أم	٦/١
٨	أخوان لأم	٣/١
١٦	أختان شقيقتان	٣/٢

الشكل (١٥)

القول الثاني: ذهب عامة الصحابة والفقهاء إلى أن للزوجة الربع، وللأم السدس، وللأخوين لأم الثلث، وللأختين الشقيقتين الثلثان؛ أصل المسألة من اثني عشر للزوجة الربع ثلاثة، وللأخوين الثلث أربعة، وللأختين الثلثان ثمانية عالت إلى سبعة عشر.

القول الثالث: لابن عباس ومن وافقه في نفي العول: للزوجة الربع، وللأم السدس، وللأخوين من الأم الثلث، والباقي للأختين؛ أصل المسألة من اثني عشر، وتصح من أربعة وعشرين: للزوجة الربع ستة، وللأخوين لأم الثلث ثمانية، وللأم السدس أربعة، والباقي ستة: لكل واحد من الأختين ثلاثة.

القول الرابع: للإمام الناصر من الزيدية: للزوجة الربع، وللأم الثلث، ولا شيء للأخوات لأم، وكذلك الأختين لأبوين؛ لأنه لا يورث الإخوة مع الأم من أي جهة كانوا؛ لأنهم كلاله؛ والكلاله عنده تعم الإخوة والأخوات والأجداد والجندات؛ وسموا كلاله؛ لأنهم متكلمون بالوالدين كالإكليل حولهم.

وقد يكون هناك قول خامس على تفصيل الحسن بن صالح والأوزاعي؛ وإليه ذهب الإباضية<sup>(٦٦)</sup>.

(٦٦) جومرة الفرائض ٢٠٠٥، وعقد الأحاديث (خ).

## ١٦ - الدينارية

المسألة: أم، وبنتان، واثنا عشر أختاً، وأخت لأبوين أو لأب، وترك ستمائة دينار؛ فورثت الأخت ديناراً واحداً.

وتسمى بالشريحية؛ لأن شريحا قضى فيها بذلك. وتسمى أيضاً بالركابية؛ لأن الأخت لم ترض بذلك؛ فمضت إلى علي بن أبي طالب فوجدته راكباً؛ فأمسكت بركابه، وقالت: يا أمير؛ إن أخي ترك ستمائة دينار فأعطاني شريح منها ديناراً واحداً؛ فقال لها: لعل أخاك ترك زوجة، وأما وبنتين، واثني عشر أختاً، وأنت، قالت: نعم؛ فقال لها: ذاك حقك ولم يظلمك شيئاً.

وتسمى العامرية؛ لأن المرأة سألت عامر الشعبي؛ فأجابها بما قاله شريح. وسميت بالشاكية؛ لشكوى المرأة<sup>(٦٧)</sup>.

## ١٧ - الدينارية الصغرى

المسألة: رجل خلف أربع أخوات لأبوين أو لأب، وأختين لأم، وستة دنانير؛ أصلها من ثلاثة، وتصح من ستة؛ فيكون للأخوات لأبوين أربعة، وللأختين لأم اثنتان، ويقال فيها: خلف ست نسوة وستة دنانير؛ فورثت كل امرأة ديناراً؛ وهذه الدينارية الصغرى غير مشهورة<sup>(٦٨)</sup>.

## ١٨ - الأولى من مربعات ابن مسعود

المسألة: بنت، وأخت، وجد. سميت بذلك؛ لأن ابن مسعود قسمها من أربعة. الأقوال في هذه المسألة:

القول الأول: ذهب ابن مسعود إلى أن للبنت النصف، والباقي بين الأخت والجد نصفين؛ بناء على أصله أن الجد يقاسم الأخت مع البنت، الذكر والأنثى على سواء، ومع الأختين؛ للذكر مثل حظ الأنثيين، وتصح من أربعة.

(٦٧) فتح القريب المريب ١/٦٣، وعقد الأحاديث (خ)، وروضة الطالبين ١٠٣٦. فتح القريب المريب، ج ١ ص ٤٣.

(٦٨) فتح القريب شرح الترتيب ١/٤٣.

**القول الثاني:** ذهب علي كرم الله وجهه إلى أن للبننت النصف، وللجد السدس، والباقي للأخت؛ بناء على أصله أن الأخت مع البننت عسبة، وأن الجد معها ذو سهم. وبه قالت الزيدية<sup>(٦٩)</sup>.

**القول الثالث:** لأبي بكر ومن وافقه أن للبننت النصف، والباقي للجد، وتسقط الأخت. وهو مذهب أبي حنيفة.

**القول الرابع:** لزيد بن ثابت ومن وافقه: للبننت النصف، والباقي بين الجد والأخت للذكر مثل حظ الأنثيين بناء على أصله أن للجد الأصلح من ثلاثة: جميع المال، أو المقاسمة، أو ثلث ما يبقى بعد فرض من له الفرائض والمقاسمة له هاهنا أصلح؛ لأن له ثلث المال، وللأخت السدس وبه أخذ الشافعي<sup>(٧٠)</sup>.

#### ١٩ - الثانية من مربعات ابن مسعود

**المسألة:** رجل خلف زوجة، وأما، وأخا، وجدا. سميت بذلك لأن ابن مسعود جعلها من أربعة.

**الأقوال في المسألة :**

اختلف في هذه المسألة على خمسة أقوال:

**الأول:** ذهب ابن مسعود في هذه المسألة إلى أن للزوجة الربع، وللأم ثلث ما بقي وهو الربع، والباقي بين الجد والأخ نصفين، وتصح من أربعة؛ بناء على أصل عبد الله أن الأم لا تفضل على الجد.

**القول الثاني:** لعلي وزيد بن ثابت: للزوجة الربع، وللأم الثلث، والباقي بين الجد والأخ نصفان، وتصح من أربعة وعشرين؛ لأن الجد يقاسم الأخوة إذا كانت المقاسمة أصلح له من السدس عند علي، أو أصلح من الثلث عند زيد.

**القول الثالث:** لعمر ورواية لابن مسعود: للزوجة الربع، وللأم السدس، والباقي بين الجد

(٦٩) التحرير، ص ٤١٦.

(٧٠) عقد الأحاديث (خ)، وفتح القريب الجيب شرح الترتيب ج ١ ص ٥١، وروضة الطالبين ص ١٠٣٥، وجوهرة الفرائض ٢٣١، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ٧٦، ٧٧.

والأخ؛ فتصح من أربعة وعشرين.

**القول الرابع:** قول أبي بكر، وابن عباس ومن تابعهما: للزوجة الربع، وللأم الثلث، والباقي للجد، ويسقط الأخ؛ فتصح من اثني عشر.

**القول الخامس:** للزوجة الربع، وللأم ثلث الباقي، والباقي للجد وهو قول أبي ثور<sup>(٧١)</sup>.

٢٠- الثالثة من مربعات ابن مسعود<sup>(٧٢)</sup>

المسألة: رجل خلف زوجة وجدا وأختا.

أقوال العلماء فيها: اختلف الصحابة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

**الأول:** قول علي، وعبد الله بن مسعود: للزوجة الربع، وللأخت النصف، والباقي للجد بناء على أصلهما أن الجد عصبية مع الأخت، وأن الأخت ذو فرض، أصلها من أربعة؛ وروي عن عمر مثل قولهما؛ فلذلك سميت مربعة الجماعة.

**القول الثاني:** لزيد والجمهور: للزوجة الربع، والباقي بين الجد والأخت للذكر مثل حظ الأنثيين؛ بناء على أصله أن الجد يقاسم الأخوات؛ لأن المقاسمة أصلح له من السدس، وثلث ما يبقى.

**القول الثالث:** لأبي بكر: للزوجة الربع، والباقي للجد، وتسقط الأخت؛ أصلها من أربعة. فاتفقوا على القسمة من أربعة، واختلفوا على ثلاثة مذاهب<sup>(٧٣)</sup>.

(٧١) فتح القريب الجيب ٥١/١.

(٧٢) لم يعد هذه بعض أهل الفرائض من مربعاته؛ لأنه وافق الجماعة. ينظر فتح القريب الجيب ٥٢/١.

(٧٣) فتح القريب الجيب شرح الترتيب في علم الفرائض ج ١ ص ٤٣، والتهديب في علم الفرائض ٤٥٣، وعقد الأحاديث (خ).

## ٢١ - الرابعة من مربعات ابن مسعود

المسألة هي : زوج، وأم وجد .

الأقوال في هذه المسألة: اختلف في هذه المسألة على أقوال:

**الأول:** ذهب ابن مسعود إلى أن للزوج النصف، والباقي بين الأم والجد نصفين؛ تصح من أربعة، ولذلك سميت مربعة، ونسبت إلى ابن مسعود؛ لأنها مبنية على أصله أن الأم لا تفضل على الجد .

**القول الثاني:** ذهب زيد بن ثابت، وعلي إلى أن للزوج النصف، وللأم الثلث، والباقي للجد بالتعصيب، وهو قول الجمهور .

**القول الثالث:** للزوج النصف، وللأم ثلث الباقي، والباقي للجد؛ تصح من ستة: للزوج ثلاثة، وللأم واحد، وللجد اثنان. وروي ذلك عن عمر، ورواية عن ابن مسعود، وهو قول أبي ثور .

**القول الرابع:** للزوج النصف، وللأم السدس، والباقي للجد، وهو مروى عن عمر، وابن مسعود أيضا .

**القول الخامس:** للناصر الأطروش من الزيدية: للزوج النصف، والباقي للأم، ويسقط الجد<sup>(٧٤)</sup> .

## ٢٢ - تسعينية زيد

المسألة: هي رجل خلف: أما، وجدا، وأختا لأب وأم، وأخوين لأب، وأختا لأب. وسميت بذلك؛ لأن زيدا قسمها من تسعين .

الأقوال في هذه المسألة:

**الأول:** قول علي: للأم السدس، وللأخت من الأب والأم النصف، وللجد السدس، والسدس للأخوين لأب ولأخت لأب، أصل المسئلة من ستة للأم السدس واحد، وللأخت لأبوين النصف ثلاثة، وللجد السدس واحد، وبقي سدس المال بين ولد الأب على خمسة لا ينقسم؛ فاضرب خمسة في ستة تكن ثلاثين، ومنه تصح .

(٧٤) عقد الأحاديث (خ)، والتهذيب في الفرائض ٨٦، وروضة الطالبين ١٠٣٥، وفتح القريب المريب شرح الترتيب ٥١/١ .

**القول الثاني:** لابن مسعود: للأم السدس، وللأخت النصف، والباقي للجد، ويسقط ولد الأب؛ لأن الجد عسبة.

**القول الثالث:** يزيد: للأم السدس، وللجد ثلث الباقي أصلح له من سدس المال، ومن المقاسمة، وللأخت من الأب والأم النصف تسعة، ويبقى سهم لولد الأب على خمسة لا ينقسم؛ فاضرب في ثمانية عشر فذلك تسعون، ومنه تصح المسألة؛ فيكون للأم خمسة عشر، وللجد خمسة وعشرون، وللأخت من الأب والأم خمسة وأربعون، ولكل أخ من ولد الأب سهمان، وللأخت لأب سهم<sup>(٧٥)</sup>.

### ٢٣- مسائل إضرار ابن مسعود

وهي تشتمل على خمس مسائل:

**المسألة الأولى:** رجل خلف بنتا واحدة من الصلب وبنات ابن، وابني ابن؛ فإن عامة الصحابة جعلوا للبنت النصف، والباقي بين ولد الابن للذكر مثل حظ الأنثيين، إلا ابن مسعود فإنه كان ينظر: فإن كان ما ينوب بنات الابن بالمقاسمة مع إخوتهن سدس المال أو أقل من السدس قاسمهم بهن كسائر الصحابة، وإن كان ما ينوبهن أكثر من السدس أعطاهن السدس وجعل الباقي كله لبني الابن، وبهذا أخذ علقمة، وأبو ثور، وداود الظاهري.

وكذلك إذا خلف أختا واحدة لأب وأم وإخوة وأخوات لأب نظر: فإن كان الذي نصيب الأخوات لأب بالمقاسمة السدس أو أقل من السدس قاسمهم بهن كسائر الصحابة، وإن كان نصيبهن أكثر من السدس أعطاهن السدس وجعل الباقي للإخوة لأب.

وجعل سائر الصحابة للأخت من الأب والأم النصف، والباقي لولد الأب للذكر مثل حظ الأنثيين.<sup>(٧٦)</sup>

ومسائل الإضرار الباقية نحو هذا، والعملية حسابية، ولذلك نذكرها باختصار.

(٧٥) فتح القريب المجيب ١/٥٩، والتهذيب في علم الفرائض والوصايا ٩٨.

(٧٦) عقد الأحاديث (خ)، وأخلى لابن حزم ٩/٢٦٩.

المسألة الثانية من مسائل الإضرار: أن يكون نصفاً وسدساً وما بقي مثل: أم، وبنات، وست بنات ابن، وابنا ابن.

### الأقوال في المسألة:

الأول: لعلي وزيد: للأُم السدس، وللبنت النصف، والباقي بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، وتصح من ثلاثين.

القول الثاني: قول ابن مسعود: للبنت النصف، وللأم السدس، ولبنات الابن السدس؛ لأنه أضر بهن، والباقي لابني الابن وهو السدس؛ وتصح من ستة وثلاثين.

المسألة الثالثة من مسائل الإضرار: أن يكون ربعاً ونصفاً وما بقي مثل: زوج، وبنات، وثلاثة بني ابن، وثلاث عشرة بنت ابن: في قول علي وزيد: للزوج الربع، وللبنت النصف، والباقي بين ولد الابن للذكر مثل حظ الأنثيين. وفي قول عبدالله: لبنات الابن السدس؛ لأنه أضر بهن.

المسألة الرابعة من مسائل الإضرار: أن يكون ثماناً ونصفاً وما بقي مثل زوجة، وبنات، وست عشرة بنت ابن، وعشرة بني ابن: للزوجة الثمن، وللبنت النصف، والباقي بين ولد الابن للذكر مثل حظ الأنثيين في قول الجميع؛ لأن السدس والمقاسمة سواء، وإن كانت بنات الابن سبع عشرة فلهن السدس في قول عبدالله؛ لأنه أضر بهن، فإن كن خمس عشرة فالمقاسمة أضر بهن؛ فيقاسم في قول الجميع.

المسألة الخامسة من مسائل الإضرار: أن يكون نصفاً وسدساً وثماناً وما بقي، مثل: امرأة، وبنات، وأم، وأربع وعشرين ابن بنت ابن، وابن ابن: للزوجة الثمن، وللأم السدس، وللبنت النصف، والباقي بين ولد الابن للذكر مثل حظ الأنثيين: في قول علي وزيد، وفي قول ابن مسعود: لبنات الابن السدس؛ لأنه أضر بهن، فإن كان بنو الابن ثلاثة فالمقاسمة والسدس سواء، وإن كانوا أربعة فصاعداً فالمقاسمة أضر؛ فيقاسم في قول الجميع<sup>(٧٧)</sup> كما في الشكل رقم (١٦)

(٧٧) هذه الصورة منقولة بصورة مختصرة من عقد الأحاديث (خ).

		٦٢٤=٢٦×٢٤	٢٤		
		٧٨	٣	زوجة	٨/١
		٣١٢	١٢	بنت	٢/١
		١٠٤	٤	أم	٦/١
٥ لكل بنت	١٢٠	١٠٣	٥	٢٤ بنت ابن	ع
	١٠			ابن ابن	

الشكل رقم (١٦)

## ٢٤- الدَّفَانَةُ

المسألة هي : امرأة ورثت أربعة أزواج واحداً بعد واحد؛ فحصل لها نصف أموالهم، وكان لهم ثمانية عشر ديناراً، للأول ثمانية دنانير، وللثاني ستة، وللثالث ثلاثة، وللرابع دينار؛ فلما مات عنها زوجها وتركها مع إخوته كان لها الربع اثنان، وكل لكل أخ ديناران، وحصل في يد صاحب الستة ثمانية؛ ثم تزوجها بعد ذلك ومات عنها وإخوته؛ فللمرأة الربع ديناران، والباقي بين الإخوة وهو ستة دنانير بين ثلاثة إخوة، لكل واحد منهم ديناران؛ حصل في يد الأخ صاحب الستة ثمانية دنانير، ثم تزوجها بعد ذلك ومات وتركها وأخوين وترك ثمانية دنانير؛ فلها الربع ديناران، والباقي ستة دنانير بين الأخوين؛ لكل واحد ثلاثة؛ فحصل في يد صاحب الثلاثة ثمانية دنانير، ثم تزوج بها ومات عنها. وعن الأخ الرابع فلها الربع من ثمانية ديناران، ثم تزوج بها الرابع ومات عنها؛ فلها الربع ثلاثة دنانير؛ فحصل لها تسعة، وهي نصف أموالهم، وهذه المسألة ذكرها وسمّاها أبو طالب<sup>(٧٨)</sup> وفي التحرير ولم يسمها<sup>(٧٩)</sup>.

(٧٨) يحيى بن الحسين الهاروني، من أئمة الزيدية توفي سنة ٤٢٤هـ، وله مؤلفات منها: التحرير وشرحه في الفقه، والجزري في أصول الفقه وغيرها. ينظر

أعلام المؤلفين الزيدية ١١٢١.

(٧٩) فتح القريب الجيب شرح الترتيب ١٠٤/٢، والتحرير ٤١٩.

## ٢٥ - المناقضة

المسألة: زوج، وأم، وأخوان لأم. سميت بذلك؛ لأنها تنقض أحد أصلي ابن عباس: إن أعطاهما الثلث لزم العول، وإن أعطاهما السدس لزم الحجب للأم بأخوين؛ وهو يمنع الحكمين.

وأيضاً إن نقص الأم نقص قوله: إنما يدخل النقص على من ينتقل للعصوبة؛ وقد قيل: أوجب على هذا الإلزام بعدة أقوال: منها: المقدم من لا يحجب عن الإرث، والمؤخر من قد يحجب، لكن روي عنه أنه قال: لا يدخل النقص على ولد الأم؛ فلا مخلص له من الإلزام، وقيل: إعطاء ولد الأم الباقي هو الأشبه على قول ابن عباس.

الأقوال في هذه المسألة:

القول الأول: ذهب جمهور الصحابة والفقهاء إلى أن للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوة لأم الثلث؛ أصلها من ستة: للزوج ثلاثة، وللأخوين لأم سهمان، وللأم السدس سهم.

القول الثاني: ذهب الناصر من الزيدية على أن للزوج النصف، والباقي للأم بالفرض والرد.

القول الثالث: ما ذكر عن ابن عباس (تقدم) <sup>(٨٠)</sup>.

## ٢٦ - الحمزية

المسألة: ثلاثة جدات: أم أم أم، وأم أم أب، وأم أب أب، وثلاث أخوات متفرقات: أخت شقيقة، وأخت لأب، وأخت لأم، وجد أبو أب.

سميت بذلك لأن حمزة بن حبيب الزيات سئل عنها فأجاب بهذه الأجوبة:

الأول: لأبي بكر وابن عباس رضي الله عنهما أن للجدات السدس، والباقي للجد؛ أصلها من ستة، وتصح من ثمانية عشر؛ باعتبار أن أجد كالأب يحجب الإخوة.

(٨٠) عقد الأحاديث (خ)، وفتح القريب ١/٤٠، وروضة الطالبين ١٠٣٦، وجوهرة الفرائض ٢٩١.

**الثاني:** ذهب علي إلى أن للأخت لأبوين النصف، وللأخت من الأب السدس تكملة الثلثين، وللجدات السدس، وللجد السدس، وهو قول ابن مسعود، وبه أخذ الزيدية.

**الثالث:** ذكر عن ابن عباس في رواية شاذة عنه على أن للجددة أم الأم السدس؛ لأن الجدة أم الأم تحجب الجدات الأخريات وإن كن في درجاتها، والباقي للجد، لأنه يحجب الإخوة عند من يقول بذلك .

**الرابع:** ذهب زيد إلى أن للجدات السدس، والباقي بين الجد والأخت لأبوين، والأخت لأب على أربعة: ثم ترد الأخت من الأب ما أخذت للأخت من الأبوين؛ أصلها من ستة، وتصح من اثنين وسبعين، وتعود بالاختصار إلى ستة وثلاثين: للجدات ستة، وللأخت من الأبوين نصيبها ونصيب أختها خمسة عشر، وللجد خمسة عشر<sup>(٨١)</sup> .

(٨١) فتح القريب المجيب شرح الترتيب ٦٣/١، والموسوعة الفقهية الكويتية ٧٩/٣.

## المصادر والمراجع

- (١) أصول الأحكام الجامع لمسائل الحلال والحرام: للإمام أحمد بن سليمان، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - مكتبة بدر- الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٢) أعلام المؤلفين الزيدية: عبدالسلام الوجيه - مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - الطبعة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- (٣) الإصابة في تمييز الصحابة - لابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار الجيل، بيروت : لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٢م.
- (٤) الأعلام: لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة السادسة - بيروت .
- (٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب أحمد بن حنبل: لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي - دار إحياء التراث ١٣٧١هـ - ١٩٥٨م . تحقيق: محمد حامد الفقي .
- (٦) البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار: الأمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى - مؤسسة الرسالة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م.
- (٧) تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي.
- (٨) تهذيب الكمال، ليوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، مؤسسة الرسالة، بيروت : لبنان، الطبعة الأولى : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- (٩) جوهرة الفرائض شرح مفتاح الفائض، للعلامة محمد بن أحمد الناظري، تحقيق: د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني - مكتبة بدر للطباعة والنشر- ط١- ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- (١٠) الكبير: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي - دار الفكر ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (١١) روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م - دار ابن حزم.
- (١٢) سنن البيهقي: أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار المعرفة - بيروت - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ .

- ١٣) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، المتوفى سنة ٢٩٧هـ، تحقيق :  
كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان، الطبعة الجديدة، ١٤٠٨هـ -  
١٩٨٧م.
- ١٤) سنن الدارمي: أبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي - دار الكتب العلمية.
- ١٥) سنن سعيد بن منصور - دار الكتب العلمية - بيروت. تحقيق: حبيب الرحمن  
الأعظمي.
- ١٦) سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي - مؤسسة الرسالة -  
الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١٧) صحيح البخاري، وهو الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، الجعفي،  
المتوفى سنة : ٢٥٦هـ، دار ابن كثير، دمشق: سوريا، الطبعة الثالثة : ١٤٠٧هـ -  
١٩٨٧م.
- ١٨) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار  
الجيل، بيروت : لبنان
- ١٩) شرح الرحبية في الفرائض: للشيخ محمد بن محمد سبط المارديني - مؤسسة  
الكتب الثقافية- الطبعة الثانية- ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٢٠) عَقْدُ الْأَحَادِيثِ، فِي عِلْمِ الْمَوَارِيثِ: لِلْعُصَيْفِرِيِّ، مخطوط، نسخة مكتبة الجامع  
الكبير- مكتبة الأوقاف رقم (١٣٨٩).
- ٢١) عيون المجالس: للقاضي عبدالوهاب بن علي البغدادي المالكي- مكتبة الرشد  
١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م. تحقيق: امباي بن كيباه.
- ٢٢) فتح القريب المجيب بشرح كتاب الترتيب، للشيخ محمد بن عبدالله الجمعي  
الشنشوري- مكتبة جدة- بدون تاريخ.
- ٢٣) الفوائد الشنشورية في شرح المنظومة الرحبية، للشيخ محمد بن عبدالله الجمعي  
الشنشوري، تحقيق: وليد عبدالرحمن الربيعي- دار التيسير- الطبعة  
الأولى- ٢٠٠٨م.

- (٢٤) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي- مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٢٥) قانون الأحوال الشخصية رقم ٢٠ لسنة ١٩٩٢م وتعديلاته أقرها رقم (٣٤) لسنة ٢٠٠٣م
- (٢٦) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي: لأبي عمريوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي- دار الكتب العلمية - الطبعة الثانية ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٧) لسان العرب: محمد بن مكرم المشهور بابن منظور- دار الفكر- الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (٢٨) اللمعة الدمشقية: للشهيد الأول محمد بن جمال الدين العاملي- منشورات مكتبة الداوري- قم - إيران ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
- (٢٩) المبسوط في فقه الإمامية: لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: محمد باقر البهبودي- المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
- (٣٠) المجموع الفقهي والحديثي: للإمام زيد بن علي - مؤسسة الإمام زيد- اليمن- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (٣١) المحلى بالآثار: لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي. تحقيق: د.عبد الغفار النداري - دار الكتب العلمية - ١٤٠٨ - ١٩٨٨م.
- (٣٢) مختصر الطحاوي: أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي - دار إحياء العلوم - الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- (٣٣) مسائل الناصريات : تأليف علي بن الحسين بن موسى الشريف المرتضى - مركز البحوث والدراسات العلمية - إيران - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٣٤) المصابيح: لأبي العباس الحسني- مؤسسة الإمام زيد بن علي - الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٣٥) المصنف: لابن أبي شيبة- دار التاج- الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٣٦) المصنف: للحافظ أبي بكر عبد الرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م . تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي .

- ٣٧) مطلع البدور: أحمد بن صالح بن أبي الرجال - مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية - صعدة - الطبعة الأولى - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٣٨) المغني: لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة وبهامشه: الشرح الكبير لشمس الدين ابن قدامة - دار الكتب العلمية.
- ٣٩) الموسوعة الفقهية - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٤٠) النبع الفاضل في أصول الفرائض، للشيخ سيف بن عبدالعزيز بن محمد ابن سالم الرواحي - سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة - ١٤٠٣هـ - ١٩٩٣م.

جهود محمد بن عبد الرحمن الديسي في  
تعليم النحو العربي من خلال  
"المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي"

الدكتور / لعبيدي بو عبد الله

كلية الآداب واللغات.

جامعة سعد دحلب، البليدة، الجزائر



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## جهود محمد بن عبد الرحمن الديسي في تعليم النحو العربي من خلال "المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي"

لا شك في أنّ الجزائر ظلت محافظة من خلال علمائها على الثقافة العربيّة الإسلاميّة التي تقبلتها وانصهرت في بوتقتها منذ الفتح الإسلاميّ، وعبر القرون التّالية له، فحافظت على هذه اللّغة بصلابة نادرة المثل. أسهمت في إثراء التّراث العربيّ الإسلاميّ بكثير من المؤلّفات والمصنّفات والشّروح والتّعليقات الهامّة.

ومن هؤلاء العلماء الذين تخرّجوا من زاوية "الهامل" ببوسعادة بالجَنوب الجزائريّ الشّيخ "محمد بن عبد الرحمن الديسي"، الذي أحاول أن أقدمه في هذا المقال من خلال قراءة في كتابه المخطوط في النحو التّعليميّ بعنوان: "المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي".

وأما الهدف فهو معرفة مكانته في مجال الدّراسات النّحويّة\_ وهو الفقيه والشّاعر والنّاقِد\_ وطريقته في تعليم النّحو وتيسيره، على الرّغم من قلة انتشار مؤلّفاته بين المتعلّمين اليوم.

**أولاً : ترجمة المؤلف :****١- نسبه :**

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الطيب بن عبد القادر بن أبي القاسم بن محمد بن سيدي إبراهيم الغول<sup>(١)</sup> الديسي، نسبة إلى قرية "الديس" بـ "بوسعادة".

**٢- مولده ونشأته :**

لقد أجمعت جميع المصادر على أن تاريخ ميلاده كان عام ١٢٧٠هـ الموافق عام ١٨٥٤م، بالديس<sup>(٢)</sup>. وقد أجمعت أيضاً على أنه نشأ يتيماً<sup>(٣)</sup>. إذ مات والده بعد أيام قليلة من ميلاده، فتربى في حجر والدته السيدة خديجة بنت محمد الخرخشي وعمته السيدة عائشة وجدته.

ولقد أدخلته والدته إلى الكتاب في قريته، ولما وصل إلى سورة المدثر أصيب بالجدي فكف بصره، وكان ذلك في السنة السابعة أو الثامنة من عمره<sup>(١)</sup>. فأتّم حفظ القرآن سماعاً، وأتقن أحكامه بقراءة السبعة ومخارج الحروف<sup>(٢)</sup>.

ثمّ انتقل إلى زاوية "ابن أبي داود" بجبل "زواوة" (تيزي وزو). وأجيز من مشايخها، وأذن له بالتدريس. ثمّ انتقل إلى "قسطنطينة" فحضر دروساً لبعض المشايخ هناك. ثمّ رجع إلى بلده معتكفاً على حفظ المتن العلمية<sup>(٣)</sup>.

(١) \_ هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية، استانبول، ١٩٥٥م: ٢ / ٣٩٩.

(٢) \_ تعريف الخلف برجال السلف: أبو القاسم محمد الحفناوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م: ٢ / ٤٠٧. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت: ١٠ / ١٣٣. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م: ١٥٦. الديسي، حياته وآثاره وأدبه: عمر بن قينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ت: ١٣.

(٣) \_ المصادر السابقة الصفحات نفسها.

(١) \_ الديسي: ١٦، ٢٥.

(٢) \_ تعريف الخلف: ٢ / ٤٠٧.

(٣) \_ الديسي: ١٦.

وبعد ذلك انتقل إلى زاوية "الهامل"، وسنّه ٣٣ عامًا، وأخذ عن مؤسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم<sup>(٤)</sup> (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م)، ولازمها بحكم عاهة فقد البصر تلميذًا ثمّ أستاذًا<sup>(٥)</sup>.

### ٣- علمه وعمله:

لقد كان "الديسي" أنبغ تلاميذ الزاوية. فنال إعجاب شيخه، فقربه واستعان به للتدريس في المعهد مثلما استعان بابن أخيه "محمد الحاج" و"عاشور الخنقي"<sup>(٦)</sup>. وكان ينبوه وينهض بالأعباء معه إلى أن توفّي فتولّى هو مشيخة الزاوية<sup>(٧)</sup>.

وقد عرف "الديسي" برزاقته واتساع علمه، ممّا أدّى إلى انتشار مؤلفاته بين تلاميذه ومعاصريه<sup>(٨)</sup>.

وقد أورد "أبو القاسم سعد الله" في تاريخه الثّقائيّ بأنّ دروس "الديسي" وشيخه كانت من الدروس العالية<sup>(٩)</sup>. وليس أدلّ على نبوغه وتمكّنه حفظه<sup>(١٠)</sup> من المتون نحو الخمسين متناً منها:

(٤) ترجمته في تعريف الخلف: ١/ ٣٤٥ - ٣٥٢. نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: محمد عليّ دبور، المطبعة العربية، الجزائر، ط١، ١٩٦٩م. ١/ ٥٦ - ٧٨. معجم اعلام الجزائر: ١٧٦. تاريخ الجزائر الثّقائيّ: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٨م. ٢١٨/٣ - ٢٢٢، ٤/ ١٥٩ - ١٦٧.

(٥) تاريخ الجزائر الثّقائيّ: ٧/ ٧٣.

(٦) كان "الديسي" على خلاف مع "عاشور"، ترجع أسبابه إلى تفضيل "عاشور" الأشراف\_ولو عصاة\_ على غيرهم في كتابه "منار الأشراف"، وقد ردّ عليه "الديسي" بكتاب "هدم المنار وكشف العوار"، وهجاه بأشعار ضاعت. ينظر: الديسي: ٥٠ - ٥٦، ٢٣٩ - ٢٤٣. تاريخ الجزائر الثّقائيّ: ٨/ ٢١٢، ٧/ ٧٣.

(٧) ينظر: نهضة الجزائر: ١/ ٤٣.

(٨) تاريخ الجزائر الثّقائيّ: ٣/ ٢٢٠ - ٢٢١.

(٩) المصدر نفسه: ٣/ ٢٢٢.

(١٠) قال "الديسي" في إجازة "محمد بن الحاج محمد": لرجزاً

وقد أجزته بما رويت	وما حفظته وما قرأت
من العلوم والفنون النافعة	ذات الفوائد الغزار الساطعة
في الفقه والحديث والتفسير	وفي فنون الأدب الشهير
وفي الأصول والكلام الشافي	والمنطق، العروض والقوافي
وفنّ تجويد وعلوم القوم	ودعوات ليلها واليــــوم

ينظر: أشعار: محمد بن عبد الرحمن الديسي، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: ٣٢٣٣، ٤٥ أو.

الشيخ خليل، وبعض متن الرسالة، والعاصمية، والتلمسانية والرحبية، وجمع الجوامع في الأصول، والأجرومية، والأزهرية والقطر والشذور والألفية، و متن الجواهر المكنون في الثلاث فنون، ومختص السعد، ومنظومة ابن الشحنا، ورسالة الدردير، والسمرقندية في الاستعارات، والسنوسية في التوحيد والجوهرة، و متن بدء الأمالي و متن الخريدة، والجزائرية. وفي المصطلح متن غرامي صحيح، والبيقونية ومنظومة الصبان، وألفية العراقي. وفي الصرف متن البناء و متن لامية الأفعال. وفي المنطق السلم و متن إيساغوجي. وفي الوضع رسالة الوضع للعضد. وفي الحكمة المقولات العشر. و متن آداب البحث للشيخ زين المرصفي. وفي العروض متن الكافي و متن الخزرجية و متن الصبان، وفي التجويد متن الجزرية وتحفة الأطفال والشاطبية، وفي المديح النبوي متن بانة سعاد والبردة والهمزية والبغدادية و منظومة البرزنجي في المولد، ودلائل الخيرات في الصلوات وغير ذلك. ومن العلوم الشرعية: الصحاح الست وبعض تفاسير القرآن الكريم، والقسطلاني ومختصر خليل وشرحه للدردير، مع استحضار ما في الشروح الأخرى وحواشيها<sup>(١)</sup>.

وقد كان "الديسي" متخلفاً بالأخلاق الرائقة علماء وعملاً.<sup>(٢)</sup>

#### ٤- شيوخه :

من بين ما وقفت عليه من شيوخ "الديسي": الشيخ محمد الصديق، بن بلقاسم بن عروس، حمدان لونيبي، دحمان بن السنوسي، محمد ابن أبي القاسم الهاملي، عبد الحي الكتاني.

#### ٥- تلاميذه :

إضافة إلى مؤلفاته التي تلقاها الكثير بتقدير كبير وسيأتي بيانها\_ فقد تخرّجت على يديه أجيال من العلماء، خلال ٣٠ عاماً قضّاها في التدريس. وكان لهؤلاء

(١) \_ تعريف الخلف: ٤٠٧/٢ - ٤٠٨.

(٢) \_ المصدر نفسه: ٤٠٧/٢.

المتخرجين دور في ميادين منها: الإمامة والقضاء والإفتاء والتدريس منهم: محمد العاصمي (ت ١٨٨٨هـ)، أبو القاسم الحفناوي بن الشيخ (ت ١٩٤٢هـ) ... وغيرهم<sup>(٣)</sup>.

٦- وفاته :

قضى "الديسي" حياته متعلماً ومدرّساً وأديباً وشاعراً وناقداً إلى أن توفي فجر يوم ٢٢ من ذي الحجة سنة ١٣٣٩ هـ، الموافق يوم ٢٧ أوت سنة ١٩٢١م، تاركاً آثاراً طبع القليل منها، وبقي المخطوط منها عند الأفراد والمكتبات.

٧- مصنفاته :

لقد خلف "الديسي" عدّة مؤلّفات في مختلف المعارف والتخصّصات: في الفقه واللغة والأدب والنحو والبلاغة والنقد والعقائد والفلسفة والمنطق وعلم الكلام والتصوّف والتاريخ، وديوان شعر، وبعض الرسائل والمقامات. وقد تميّزت بلون خاص في التأليف والشرح وتناول المادة العلمية ومعالجتها من ناحية، وبأنها تحمل سمة عصر اصطبلت فيه مؤلّفات العلماء بصيغة التنوع والتعدد. وقد يساعد هذا الأمر على تهيئة فرصة ملائمة للباحثين والدّارسين في جميع التخصّصات - في تأمل منهج كلّ عالم من هؤلاء، و"الديسي" على الخصوص، من حيث عرضه للمادة العلمية، ومنهجه في التأليف، وفكره الاستمولوجي، ونظريّاته الفلسفية والدينية والتربوية، والاستفادة من كلّ هذه الجوانب في سبيل الوصول إلى دراسة تحقّق مطالب العصر، وتلبّي حاجة من يهتمّ بالعلم. وهذا بيان لما أمكنني حصره من مصنّفاته مرتّبة على حروف الهجاء:

(أ) التّأليف والشّروح:

- (١) "إفحام الطّاعن بردّ المطاعن"<sup>(١)</sup>: ردّ على بعض أصحاب الرّوايا والتصوّف.
- (٢) "بذل الكرامة لقرّاء المقامة"<sup>(٢)</sup>: شرح لرسالة "المناظرة بين العلم والجهل".
- (٣) "تحفة المحبّين بشرح أبيات القطب الأكبر محي الدّين"<sup>(٣)</sup>: شرح لأربعة أبيات شعريّة.

(٣) لم تذكر المصادر التي وقفت عليها قوائم شيوخه وتلاميذه على حدة، وما ذكرته هنا فهو ممّا وجدته مبيّناً فيها. ينظر

مثلاً: تعريف الخلف: ٢/ ٣٣٩. تاريخ الجزائر الثّقافي: ٣/ ١٠٠. الديسي: ٢١.

(١) \_ الديسي: ٤٣.

(٢) \_ المرجع نفسه: ٧٤.

(٣) \_ المرجع نفسه: ٧٧.

- (٤) "تفضيل البادية بالأدلة الواضحة البادية"<sup>(٤)</sup>: مقامة قام هو نفسه بشرحها، تصيد فيها مفردات لغوية وتلميحات أدبية وتاريخية.
- (٥) "تنوير الألباب بمعاني الشهاب"<sup>(٥)</sup>: شرح ٨٩٠ حديثاً شريفاً.
- (٦) "توهين القول المتين"<sup>(٦)</sup>: ردّ على كتاب "القول المتين" لقاسم بن سعيد الشماخي الذي ادعى ضعف المذاهب الأربعة.
- (٧) "جواهر الفوائد وزواهر الفرائد"<sup>(٧)</sup>: مختارات في النحو والفقه والأدب والبلاغة والنقد والتاريخ والفلسفة والتصوف والشعر.
- (٨) "الحديقة المزخرقة في حواشي القهوة المرتشفة". في نحو الجمل.
- (٩) "درة عقد الجيد في عقائد علم التوحيد"<sup>(٨)</sup>: منظومة في التوحيد تقع في ٦٢ بيتاً.
- (١٠) "الزهرة المقتطفة"<sup>(٩)</sup>: منظومة في الجمل النحوية، تقع في ٤٥ بيتاً.
- (١١) "الساجور للعادي العقور عاشور"<sup>(١٠)</sup>: ردّ على الشيخ عاشور عندما عاب طريقته في التدريس، ولم يهتمّ "الديسي" به بعد أن قال رأيه في عاشور في كتابه "هدم المنار".
- (١٢) "سلم الوصول إلى علم الأصول"<sup>(١١)</sup>: منظومة في النحو، تقع في ٩٩ بيتاً.
- (١٣) "شرح البديعية"<sup>(١٢)</sup>: شرح لقصيدة "البديعية" في مدح محمد بن أبي القاسم الحسني.
- (١٤) "شرح الرجز الكفيل بذكر عقائد أهل الدليل"<sup>(١٣)</sup>: شرح لمنظومة في التوحيد لشعيب بن عليّ الجليلي التلمساني (ت ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م)، وتقع في ٥٥ بيتاً.
- (١٥) "العقيدة الفريدة"<sup>(١٤)</sup>: منظومة في التوحيد، تقع في ٣٥ بيتاً، تضمّنّها ديوانه.

(٤) \_ معجم أعلام الجزائر: ١٥٦. الديسي: ٢٧.

(٥) \_ المرجع نفسه: ٧٧.

(٦) \_ المرجع نفسه: ٦١.

(٧) \_ المرجع نفسه: ٢٩.

(٨) \_ المرجع نفسه: ٧١. وينظر: معجم أعلام الجزائر: ١٥٦.

(٩) \_ الديسي: ٤٨. وينظر: معجم أعلام الجزائر: ١٥٦.

(١٠) \_ الديسي: ٤٩.

(١١) \_ المرجع نفسه: ٧٢. معجم أعلام الجزائر: ١٥٦.

(١٢) \_ الديسي: ٧٧. ووردت في تعريف الخلف: ٢ / ٤٠٨. ومعجم أعلام الجزائر: ١٥٦. بعنوان: "تحفة الإخوان".

(١٤) \_ الديسي: ٧٨. وذكره في تاريخ الجزائر الثقائي: ٧ / ١٥٢ بعنوان: "شرح الكلمات الشافية في شرح العقيدة الشعبية الجليلة الكافية".

- (١٦) "فتح العلام في شرح صلوات القطب عبد السلام"<sup>(٦)</sup>: شرح لنصّ دعاء.
- (١٧) "فوز الغانم في شرح ورد سيدي بلقاسم"<sup>(٧)</sup>.
- (١٨) "القصد في الفصد"<sup>(٨)</sup>: رسالة أجاب فيها عن سؤال حول التلّيح.
- (١٩) "القهوة المرتشفة في الزهرة المقتطفة"<sup>(٩)</sup>: شرح منظومة الزهرة المقتطفة في النحو.
- (٢٠) "المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي"<sup>(١٠)</sup>: شرح منظومة الشبراوي في النحو، وتقع في ٥١ بيتاً.
- (٢١) "المنظرة بين العلم والجهل"<sup>(١١)</sup>: عبارة عن جدل تصوّر الكاتب حدوثه بين العلم والجهل.
- (٢٢) "مئة الحنّان المنان"<sup>(١٢)</sup>: ديوان يشتمل على مائتي قصيدة ومقطوعة.
- (٢٣) "الموجز المفيد في شرح درّة عقد الجيد"<sup>(١٣)</sup>: شرح على منظومته "درّة عقد الجيد" في العقائد.
- (٢٤) "النصح المبذول لقراء سلّم الوصول"<sup>(١٤)</sup>: شرح منظومة "سلّم الوصول" في الفقه.
- (٢٥) "هدم المنار وكشف العوار"<sup>(١٥)</sup>: ردّ على كتاب "منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف".
- (٢٦) ٢٦ - "الوردة الجنيّة في النظم للخصائص الفقيهيّة"<sup>(١٦)</sup>: منظومة في خصائص الرّسول ﷺ، تقع في ١٤ بيتاً.

(5) \_ الديسي: ٧٢. معجم أعلام الجزائر: ١٥٦.

(6) \_ الديسي: ٨٢.

(7) \_ المرجع نفسه: ٨٠.

(8) \_ المرجع نفسه: ٧١.

(9) \_ تعريف الخلف: ٤٠٨ / ٢. معجم المؤلّفين: ١٠ / ١٣٣. أعلام الجزائر: ١٥٦. الديسي: ٨٠.

(10) \_ تعريف الخلف: ٤٠٨ / ٢. أعلام الجزائر: ١٥٦. الديسي: ٨٠.

(11) \_ الديسي: ٣٨ - ٣٩.

(12) \_ المرجع نفسه: ٣٢. تاريخ الجزائر الثّقافي: ٢١١ / ٨.

(13) \_ تعريف الخلف: ٤٠٨ / ٢. الديسي: ٧٩. تاريخ الجزائر الثّقافي: ١٥٣ / ٧.

(14) \_ الديسي: ٧٩. أعلام الجزائر: ١٥٦.

(1) \_ الديسي: ٤٩.

(2) \_ المرجع نفسه: ٧٣.

ب ( الرسائل:

- رسالة لابن باديس<sup>(٣)</sup>: أجابه بها عن رأيه في الشهادة بواسطة التليفون.
- أربع رسائل للحفناوي<sup>(٤)</sup>:

الأولى: أجاب بها عن سؤال حول تراجم لبعض علماء النّاحية.

الثّانية: في الموضوع نفسه حول تراجم بعض علماء الجنوب.

الثّالثة: أجاب عن مسائل فقهية.

الرّابعة: عبارة عن تهنئة لأبي القاسم محمد الحفناوي بمناسبة صدور الجزء الأوّل من

كتابه "تعريف الخلف برجال السلف" مقرّظاً له بقصيدة.

- رسالتان لعبد القادر بن إبراهيم المسعدي<sup>(٥)</sup>:

الأولى: يذكر فيها تراجعها عن دعوته إلى حبّ المدينة وتفضيلها، ويبيد شوقه وحنينه إلى البادية.

والثّانية: ردّ على جواب "المسعدي"، وهي أطول من الأولى، ناقش فيها آراء صاحبه

مداعباً إيّاه من خلال العبارة والتلميح.

- رسالة في سيدي نايل<sup>(٦)</sup>: في تاريخ ومناقب رئيس "أولاد نايل" وأماكنهم وفروعهم.

(3) \_ المرجع نفسه: ٢١٩، ٤١.

(4) \_ المرجع نفسه: ٢١٩، ٤٢، تعريف الخلف: ٢ / ٤٠١ - ٤٠٩.

(5) \_ الديسي: ٤٠، ٢١٢.

(6) \_ تاريخ الجزائر الثّقافي: ٧ / ٤٤٨ - ٤٤٩.

## ثانياً : كتاب المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي :

### ١- الضمة العلمية للكتاب :

إن هذا الكتاب من أهم مصنفات "الديسي" النحوية<sup>(٧)</sup>؛ ولعل ذلك يعود إلى سهولة مادته العلمية، وطرافة أسلوب تناولها وحسن سبكها وصياغتها. إلى جانب اهتمام المؤلف بمسائل لطيفة، قلما يلفت إليها أصحاب المطولات الانتباه فضلاً عن أصحاب المختصرات، إضافة إلى أنه شرح أجاد الشبراوي نظمها بشهادة "الديسي" نفسه، ولا أدل على ذلك من كثرة شروحاها، على أن كثرة الشروح لا تدل على الصعوبة بقدر ما تدل على أهميّة المشروح؛ بل كثيراً ما رفعت الشروح المتون إلى مراتب عالية. وهذا كله جعل "الديسي" يشرحها ويقدمها في أوضح صورة وأبسط وجه؛ لتكون في متناول المبتدئين للفهم والحفظ، والمتمرسين للتبصر والاستئناس.

هذا التلاقح المشرقي المغربي كشف لنا عن فكر منهجي ضارب في أصول النظريات الحديثة، مبنياً في أساسه على تحديد المفاهيم والمصطلحات كلها بدون استثناء لأنها مفاتيح العلوم، وعلى نقد الآراء وتمحيصها والتعقيب عليها بشكل منهجي دقيق.

ولم يجد "الديسي" ضرورة في أن يضع عليه شرحاً آخر، وهو المعروف بوضع الحواشي على مصنفاته كما فعل في "الزهرة المقتطفة" التي شرحها بـ"القهوة المرتشفة" ثم وضع عليها حاشية "الحديقة المزخرفة".

لهذا أظن أنه لولا تلك المسحة من السهولة والبساطة والوضوح التي تبدو على ملامح كتاب "المشرب الراوي" لكان له شأن آخر عند "الديسي" وعند تلاميذه من بعده، وفي مجال الدرس النحوي التعليمي على العموم. مما يظهر لنا في غير إبهام أن الشرح قد بلغ أهدافه التي حددها "الديسي" في بداية الكتاب، حيث قال: «...يتم فوائدها، ويوضح مقاصدها؛ لينتفع بها من عني بها من صغار أولاد المؤمنين<sup>(٨)</sup>».

(7) قال "الديسي" في إجازة الشيخ محمد بن الحاج محمد: لرجزا

وما لنا من منح القيوم من سائر المنثور والمنظوم

كالفوز والموجز والمقتطف والمشرب التحفة والمزخرفة الأشعار: ٤٥، أو

(٨) المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي: محمد بن عبد الرحمن الديسي، مكتبة زاوية الهامل، ونسخة في مكتبة عامر

محفوظي، الجلسة: ٣.

ولا شك في أنه وصف كتابه بهذه الأوصاف حتى يتفادى خطر التقليد، أو قد يكون ذلك مدحاً لنفسه خرج مخرج التحدث بالنعمة والنصح لقارئ الكتاب.

٢- منهج الديسي في شرحه:

### ١ - المنهج الفني:

لا يمكننا القول بأن "الديسي" كانت له الحرية المطلقة في اختيار طريقة عرض عناصر المادة النحوية، بل إن تقسيم عناصرها جاء مطابقاً لما رسمه المصنّف سابقاً، فهو يتتبع ما جاء في المنظومة باباً باباً وبيتاً بيتاً.

ولم يمنعه العقد المبرم مع الشبراوي في بداية شرحه من أن يطوّف بقارئه دون تطويل ولا تمحل، أو يقطف له من روض النحو زهوراً، عطرها اللّحة الدّالة والمنهل القريب والشّاهد الواضح.

فكان له فضل توضيح المصطلحات كلّها، وبيان الأوجه النحوية والنكت البلاغية، والتمثيل لما يستوجب ذلك، والفوائد التي يحيل عليها متى دعاه إلى ذلك داعي الإحساس بملل القارئ من دسامة المادة المعروضة. فجاء شرحه على نحو ما يلي:

أ ( عنوان الكتاب: المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي<sup>(١)</sup> . وقد أورده بهذا العنوان الحفناوي في "تعريف الخلف"<sup>(٢)</sup> وعادل نويهض في "معجم أعلام الجزائر"<sup>(٣)</sup> .

ب ( خطبة الشرح: أبان فيه الغرض من وضعه هذا الشرح مرجعاً ذلك إلى سببين رئيسين هما:

- قيمة منظومة الشبراوي الفنيّة والعلميّة.

- عدم وصول شروحها إليه وإلى تلاميذه.

وأما الأهداف التي رسمها فهي:

▪ أهداف تعليميّة: تتمثّل في "تتميم الفوائد"، و "توضيح المقاصد" ليتمّ استيعابها وحفظها.

(1) \_ قال في خطبة الشرح: «...وسمّيته بالمشرب الراوي في شرح منظومة/ الشبراوي...».

(2) \_ تعريف الخلف: ٢ / ٤٠٨.

(3) \_ أعلام الجزائر: ١٥٦.

▪ انتشارها بين النّاشئة على غرار انتشار "المقدّمة الأجروميّة".

ج) مقدّمة: شرح فيها البسملة وأعرّبها ثمّ بيّن أهمّيّتها في بداية النّصوص.

وقد قسّم كتابه إلى خمسة أبواب:

الباب الأوّل : في الكلام وما يتألّف منه:

عرّف فيه علم النّحو لغةً واصطلاحاً، وذكر موضوعه وفائدته وواضعه وفضله

ونسبته واسمه وحكمه.

ثمّ عرّف الشّارح الكلام عند النّحاة واللّغويّين والفقهاء والمتكلّمين، وبين أجزاء

وعلامات كلّ جزء. وفي الحديث عن العلامات وقف عند تعريف الاسم والفعل والحرف

لغة واصطلاحاً، وصور تركيب هذه الكلمات، وكذلك توقّف عند علامات كلّ جزء

حسبما ذكره النّاطم.

الباب الثّاني: في الإعراب اصطلاحاً:

عرّف الإعراب لغةً و اصطلاحاً، ثمّ تحدّث عن أنواعه وما ينوب عنه، ومواضع كلّ

نوع على حدة.

الباب الثّالث : في مرفوعات الأسماء:

وهذا الباب أكبر أبواب الكتاب، فقد تناول فيه الشّارح تعريف المرفوعات وسبب

تقديمها على المخفوضات والمنصوبات. وبدأها بالفاعل، وثنى بنائب الفاعل، ثمّ المبتدأ.

ثمّ بحث التّواسخ.

الباب الرّابع : في منصوبات الأسماء:

لقد اشتمل هذا الباب على شرح منصوبات الأسماء السّبعة عشر:

بدأها بالمفعول المطلق، ثمّ المفعول فيه (ظرف الزّمان والمكان)، والمفعول معه والمفعول

له واسم لا النّافية للجنس. والماندى، والحال (المفرد والجملة)، والتّمميز وأقسامه،

الاستثناء، وأتمّ شرح بقيّة المنصوبات بذكر كان واسم إنّ والتّوابع الخمسة.

وعلى الرّغم من تشعّب هذه المباحث في الكتب النّحويّة وغزارة مادّتها إلاّ أنّ

"الديسي" في هذا الباب استطاع في شرحه أبيات المنظومة أن يسقي تلاميذه بالقدر

الذي يرويههم تطبيقاً للهدف المرسوم والعهد المأخوذ.

**الباب الخامس: في مخفوضات الأسماء:**

شرح في هذا الباب المخفوض لغة واصطلاحاً، وذكر عوامل الخفض وأقسامه.

• **تقويم المنهج :**

بعد أن عرضت منهج "الديسي" في هذا الجانب نريد أن نتلمّس بعضاً من البواعث التي حدثت به لانتهاج مثل هذا الأسلوب في شرح عناصر المادة النحويّة، وطريقة ربطه لها مع بعضها بعضاً، بحيث جاءت خالية من العناوين إلاّ عناوين الأبواب أو التنبهات. وذكر خصائصه الفكرية التعليميّة أثناء الشرح.

لقد سبق أن "الديسي" لم تكن له الحرّية المطلقة في تفريع المادة إلى أبواب خمسة أو اختيار مواضيعها الأساسيّة، إلاّ أنّ له ذلك وهو أمام الأبيات الخمسين في أن يشرحها حسب الأهداف التي يراها مناسبة. كأن يقف عند أيّ نقطة يكشف من خلالها الغامض من المسائل والعويص من الألفاظ.

ويمكن القول بأنّ ما يميّز "الديسي" أثناء الشرح هي الذهنية الرياضيّة. وتتمظهر في تقسيمه بعض المسائل إلى عناصر وكلّ عنصر إلى لأقسام فرعيّة.

أو من خلال ما يضعه من تنبيهات وفوائد وخواتم عقب انتهائه من كلّ مسألة. وقد بلغ تعداد ذلك ٣٥ تنبيهاً و٤ خواتم وخلاصة وفائدة. حتّى ولو طال ذلك منه، ثمّ يعود ليكمل ما بدأ شرحه. بالإضافة إلى استحضر ألفاظ المنظومة واستدكار ما أشار إليه أو ما سيوضّحه.

وكذا اعتماده على الاحتمالات الواردة في شرح ألفاظ المنظومة بشرط أن تخدم المادة النحويّة، كما في قوله عن "وزيد بالوشاة بلي": «يحتمل عندي أن يقرأ: وزيد\_ بكسر الزاء... والتقدير وزيد على ما تقدم... ويحتمل أن يقرأ: وزيد\_ بفتح الزاء وسكون الياء\_ فيكون اسماً مرفوعاً...». وقوله: «والجدل\_ بالدال المهملة\_ الخصام، ويصحّ أن يقرأ بالمعجمة ومعناه الفرح». أو قوله: «ويحتمل أن تكون على بابها إشارة إلى انحطاط رتبة الحرف».

هذا وإن تأثره بالفكر الرياضي والمنطقي يتجلى في استخدام مصطلحات العلمين مثل: «الاستغراق\_ الاستقراء\_ حاصل ما يمنع\_ حاصل المقام\_ ويجمعها\_ واحتزنا\_ اشتمال\_ وبالجملة\_ والأربعة من العشرة...».

وأما طريقته في الشرح فإنها وإن كانت موافقة لبعض شروح الألفية والأجرومية والأزهرية مثل: "شرح الأزهرى للأجرومية" أو "تمرين الطلاب في صناعة الإعراب" المعتمد على الإعراب فقط. أو موصل الطلاب "شرح قواعد الإعراب" لابن هشام المعتمد على شرح الألفاظ شرحاً لغوياً أو اصطلاحياً. فلم تكن غرضاً لالتزام كل شارح من هؤلاء بالمتن.

وأما "الديسي" فقد تميّز بشرح كل الألفاظ الهامة (الكلمات المفاتيح) في البيت شرحاً معجمياً ثم اصطلاحياً عند النحاة والفقهاء والمتكلمين بلغت خمسين لفظة، فضلاً عن شرح باقي الكلمات وإعراب ما اقتضى إعرابه، والتعقيب على المسائل النحوية واستدراك ما أغفله الناظم... إلخ، دون أن يتوانى عن التطرق للجانب البلاغي والفقهي مثلما سبق ذكره.

لذلك يمكن اعتبار كتاب "المشرب الراوي" نموذجاً يكشف لنا عن فكر "الديسي" وطريقته في تعليم النحو، لم يكن فيه التجديد الشكلي أو الهيكلية في نموذج شرح المادة النحوية بقدر ما كان يريد توصيل المادة إلى الراغبين في معرفة أبواب النحو الأساسية على غرار صاحب النظم.

في حين بقي منهج الدراسة النحوية عند "الديسي" على ما كان عليه عند سابقيه. وهو ما سيأتي بيانه.

## ٢ - المنهج العلمي:

### (أ) المصطلح:

لقد استخدم "الديسي" في شرحه مصطلحات عديدة للبصريين، ولم يكن يلزم نفسه بذلك، فقد استعمل في بعض الأحيان المصطلحات الكوفية.

فقد استعمل مصطلح الخفض والجرّ وفرّق بينهما في قوله: «ويتميز الاسم أيضاً ما عداه بالجر وهو والخفض واحد، إلا أنّ الجرّ عبارة البصريين والخفض عبارة

الكوفيّين». كما استعمل مصطلح "الأسماء الخمسة" و"الأسماء الستة"، و"لا النافية للجنس" و"لا التبرئة"... إلخ.

كما استخدم العديد من المصطلحات البلاغية ناهزت ٣٨ مصطلحاً<sup>(١)</sup>، والمصطلحات الدينية ربت عن ٢٦ مصطلحاً.

#### ب) الاستشهاد:

##### ■ القرآن الكريم :

كثر الاستشهاد بالآيات القرآنية، فقد بلغت مواضع الاستشهاد بها نحواً من ستّ وثلاثين موضعاً، وهذا العدد ليس بالقليل إذا ما قيس بحجم الكتاب؛ وهذا ناتج عن الثقافة الدينية المتشعب بها صاحبه، واهتمامه بالقرآن أفصح كلام عربيّ، وهو أمر يعطي الكتاب أهمية خاصة. وقد أخلّ "الديسي" بذكر أصحاب القراءات.

##### ■ الحديث الشريف :

ندر الاستشهاد بالحديث النبويّ لدى "الديسي" في كتابه، وأتبع في ذلك سلف النحاة الذين قلّموا يستشهدون بالأحاديث متذرعين بأن كثيراً من الأحاديث رويت بالمعنى.

والجدير بالذكر أنّ الأحاديث التي ذكرها وهي خمسة\_ لم يستدل بها على صحة القاعدة النحوية، وإنّما ذكرها تماشياً مع منهجه في شرح المفردات، ودعم الفكرة الرامي إليها عند استطراده. قال في حديثه عن البسمة: «وعملاً بقوله ﷺ: «كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع»<sup>(٢)</sup>، وقال في حديثه عن النّظر: «... والسّلامة للعرض والدين في التّباعد عن الحمى، وفي الحديث الصّحيح: ... كالرّاعي يرمى حول الحمى...»<sup>(٣)</sup>.

(١) \_ يفتد هذا ما ذهب إليه "بن قينة" من أنّ الطلبة المبتدئين لا يتاح لهم فرصة الكشف عن المسائل البلاغية. وأنّ البلاغة

\_ بزعمه\_ شيء كماليّ أو ترف عقليّ. ينظر: الديسي: ٨٤.

(٢) \_ المشرب: ٥.

(٣) \_ المصدر نفسه: ١١٢.

## ■ الأمثال :

لم يول "الديسي" الأمثال اهتماماً في مجال الاستشهاد، وأمّا استشهاده بمثلين فيبدو أنّه على سبيل التنويع من النصوص ليس غير، بدليل أنّه أوردهما في موضع واحد متتابعين، إضافة إلى أنّ لهما نفس المضرب.

ويبدو أنّ "الديسي" أراد أن يكون شرحه معتمداً في مجال الاستدلال بالشواهد القرآنية والشعرية بحكم ثقافته الدينية والتكوينية كما هو منتشر عند الشراح في وقته.

## ■ الشعر :

لقد حفل "المشرب الراوي" بشواهد شعرية بلغت ٥٩ شاهداً بما فيها الأراجيز التعليمية. والشراح لا ينسب الأبيات إلى قائلها إلا إذا تعلق الأمر بنظم نحوّي، كما لا يتقيد بذكر البيت كاملاً، فقد يكتفي بشرط حيث موضع الشاهد، بل قد يكتفي بكلمة، قال بعد تعريف الكلام: «قول المصنّف: (قال علي) من تتمة التعريف؛ لأننا أخذنا منه الإفادة والقصد، وليس تمثيلاً بعد تمام التعريف كما قيل في قول ابن مالك: "كاستقم"<sup>(١)</sup>. وقال في حديثه عن حروف الجرّ: «ووارب كقوله: "وليل كموج البحر"<sup>(٢)</sup>».

## ج) طريقة التمثيل:

إنّ اهتمام "الديسي" بالتمثيل في شرحه واضح في كتابه؛ لأهميته في توضيح القاعدة النحوية؛ إذ له من تسهيل الاستيعاب أثناء العملية التعليمية والاسترجاع فيما بعد ما لا يخفى.. ويظهر اهتمامه بها جلياً من خلال تعليقه على أمثلة المنظومة، في قوله: «... وأشار إلى أمثلتها مرتباً لها على ترتيب اللّف، فله درّه فقد أجاد...». ولذاهبه\_ كما سبقت الإشارة\_ مذهب القائلين بأنّ المثال جزء من التعريف، ورغم اعتماده على أمثلة المنظومة وشرحها كما هي، وعلى الأمثلة الواردة في النصوص المستشهد بها فإنّ ما أورده من أمثلة ليس بالعدد اليسير، فلقد بلغ تعدادها ٣٢٢ مثلاً، وهي موزّعة حسب الجدول التالي:

(١) \_ المصدر نفسه: ٢١.

(٢) \_ المصدر نفسه: ١١٥.

رقم الباب	١	٢	٣	٤	٥
عدد الأمثلة	٥٩	٩٨	٨٤	٦٥	١٧

وأما عن طريقته في التمثيل: فقد اعتمد في توضيح القواعد على عدة طرق:

منها ذكر القاعدة ويمثل لها مباشرة وهي الغالبة مثل حديثه عن روابط الخبر في قوله: « وهو واحد من الأربعة: الأول الضمير نحو: زيد قام أبوه، والثاني: اسم الإشارة نحو: ( وَكَبَّاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ <sup>(3)</sup> ) <sup>(4)</sup> ».

وقد تنعكس العملية فيستنتج القواعد بعد عرض الأمثلة كما في قوله: «... واستفيد من هذا المثال والمثالين السابقين أن الخبر يأتي مفرداً وظرفاً ومجروراً ».

أو يذكر عدة عناصر ثم يأتي بالأمثلة على طريقة اللف والنشر المرتب نحو قوله: « فللكسرة ثلاثة مواضع: الاسم المفرد المنصرف أي المنون، وجمع التفسير المنصرف، وجمع المؤنث السالم... نحو: مررت بزيد ورجال ومسلمات ».

وقد يجمع بين أسلوب اللف والنشر المرتب وبين الدمج بغية الاختصار، قال بعد تقسيم الضمائر إلى قسمين: قسم للحاضر وقسم للغائب: «... ويجب مطابقة أخبار هذه المبتدآت أفراداً وجمعاً وتذكيراً وتأنياً، نحو: أنا مؤمن ونحن مؤمنون وأنت مؤمن... وهو مسلم وهي مسلمة وهما مسلمان...» فواضح أن الأمثلة متعلقة بكلا القسمين. ومثل هذا التمثيل لا يحتاج إلى مزيد تمعن لدى المتعلم، بل تتفق مع ما يتميز به الشرح من التوضيح والتبسيط.

ويمكن تصنيف هذه الأمثلة بحسب وضعها إلى ثلاثة أقسام:

أ ( أمثلة منقولة من الكتب النحوية، مثل:

- ضرب زيد عمراً.
- بحسبك درهم.
- لا تأكل السمك وتشرب اللبن... إلخ.

(3) \_ الأعراف: ٢٦.

(4) \_ المصدر نفسه: ٦٩.

ب) أمثلة دالة على الثقافة الدينيّة، مثل:

- جلست فوق المنبر .
- صمت يوم الخميس .
- صلّيت وسلّمت على أحمد... إلخ .

ج) أمثلة دالة على الحالة النفسيّة والاقتصاديّة، مثل:

- قول الأعمى: "يا رجل خذ بيدي".
- أمسى الفقير في إطمار.
- كان الشيخ شاباً... إلخ .

د) التعليل :

لقد اهتمّ "الديسي" بتعليل القواعد والآراء التي اعتمدها والمصطلحات التي وظّفها اهتماماً كبيراً. والتعليل عنده يعتمد على الواقع اللغوي، والأصول التي توصل إليها عن طريق استقراء بعض العلل النحوية، كما في قوله: «وسميت أفعال القلوب لقيام معانيها بالقلب؛ لأنها ترجع إلى معنيين: الظنّ والعلم، وكلّ منهما محلّه القلب»، وقوله: «وسمي مفرغاً؛ لأنّ ما قبل "إلا" تفرغ للعمل فيما بعدها...».

وقد يعتمد أحياناً على الإجماع والعقل، كما في قوله: «ولا رابع لها بإجماع من يعتدّ به ودليل الحصر».

وكذا اعتماده على المنطق في تعليله الفرق بين مصطلحي "الجزء" و"القسم"، بقوله: «لأنّ الشّيء يتركّب من أجزاء وينقسم إلى أقسام». وإنّ اعتماده على مثل هذه التعليلات نابعٌ مثلما سبقت الإشارة إليه من تصوّره المنطقيّ وذهنيّته الرّياضيّة، ولا أدلّ على ذلك من تعليله عدم دخول الجزم والجرّ على الفعل بذكر صورة من المعادلات الرّياضيّة، وذلك في قوله: «وإنّما كان الفاعل ثقيلاً لأنّ مدلوله مركّب وهو الحدث والزّمن، وكان الجرّ ثقيلاً لأنّه حركة، فأعطوا الخفيف للتّخفيف والتّخفيف للتّخفيف [للتعادل]».

وكثيراً ما يعلّل مخالفة النّاطم لقاعدة نحويّة أو قياس صريح، فيرجعها إلى الضّرورة الشّعريّة، كقوله: «والقياس خمسةٌ بالتّاء وحذفها ضرورة».

ولا يجد "الديسي" حرجاً من التصريح بعدم وجود العلل، قال في حذف ياء (يدي): «فحذفت الياء اعتباطاً أي تخفيفاً لا لعلّة»، وأشار في موضع آخر: «فلا تطل في البحث عن علّة بنائها لأنّه الأصل فلا يسأل عنها».

#### هـ) عرض الأقوال وشرحها:

زخر كتاب المشرب الراوي بأقوال كثيرة، نسب الشارح قسماً منها إلى أصحابها، مشيراً في البداية كقوله: «قال في المختصر:...»، و«كما عرفه السيّد السنوسي في مقدماته...»، أو محيلاً في الأخير، مثل: «أفاد في الإتقان...» و«انتهى قطر الندى بزيادة»، و«أفاده العلامة خالد».

وترك الباقي دون نسبة إيجازاً واختصاراً، أو اكتفاءً واستغناءً، من ذلك قوله في باب المنصوبات: «ولا التّافية للجنس وتسمّى لا التّبرئة»، وهذه تسمية ابن هشام في المغني.

ويذكر المشهور من الآراء دون ترجيح واضح، قال في "سوى": «المشهور في "سوى" أنّها اسم ك"غير" ومذهب سيبويه ومن تبعه أنّها منصوبة على الظرفية ولا تخرج عنها إلاّ للضرورة».

أو يذكر ترجيح من سبقوه من النّحاة كقوله: «يجوز في نحو "هند" و"دعد" من التّلاثي المؤنّث ساكن الوسط المنع وعدمه، والمنع أحسن كما في الخلاصة».

والجدير بالملاحظة أنّ أقوال ابن هشام قد أخذت الحظّ الأوفى من "المشرب الراوي"، فقد بلغت المواضع التي أشار فيها إلى تعارضه أو آرائه وأقواله أو لم يشر وقد ضمنها شرحه ما يناهز ٣٤ موضعاً، وذلك اهتمام واضح يبيّن منزلة ابن هشام عند "الديسي" ومعاصريه.

دون أن نغفل الإشارة إلى عرضه للآراء الدينيّة والبلاغيّة، فقد درج "الديسي" عند تعريف مصطلح بلاغيّ إلى آراء صاحب المختصر (سعد الدين التّفّازانيّ) على استعمال عبارة: "جاء في المختصر"، أو "كما في المختصر"، وقد أغفل ذلك في ثلاث مواضع:

الأول: عند تعريف مصطلح التّطويل ، والثّاني: تعريف مصطلح "الحشو"، والثّالث: مصطلح "الإيجاز". وأمّا الأقوال الدّينيّة فيوردها استطراداً عند شرح الكلمات كإيراده قولاً من "الحكم العطائيّة" أو من "السّنوسيّة" في التّوحيد أو من "مقدّمات السّنوسيّ" أو شرحهما .

هذا ولم يكن هدف "الديسيّ" في كتابه الإكثار من الاستشهاد بالأقوال والآراء، ناهيك عن الأشعار والأرجاز، وإنّما انصبّ هدفه في شرحه المنظومة على القدر الذي يتمّ به الكشف عن غامض المسائل، وينقل به أقصى فائدة إلى المتعلّمين بأسلوب علميّ وفق البرامج التّعليميّة المتبّعة آنذاك. ولا بدّ هنا من بيان جوانب من خصائص أسلوبه. (و) أسلوبه :

لا يمكننا إدراك أسلوب "الديسيّ" اللّغويّ في كتابه "المشرب الرّاوي" حتّى وإن انفلت من بين يدي بيت النّأظم، ليعلق ويدقق، مرسلًا العبارات تلو العبارات.

وربّما كانت خطبة الكتاب الوجيزة بمثابة لوحة مصغّرة عن أسلوبه اللّغويّ أو بمثابة التّرحيب في أوّل الطّريق بكلّ متعطّش لمعرفة أبواب النّحو الأساسيّة، يقول للقارئ: مسلّكي واضح، ومائي عذب، فإن عقدت العزم على المعرفة المبسّطة فعليك بـ "المشرب"، فإنّك لا تظلماً فيه ولا تضحى، لأنّ أسلوبه علميّ ولغته ميسورة.

ويمكن أن نلاحظ أنّ الاستطراد سمة عامّة في الكتاب، لا يكاد "الديسيّ" يتركه إلاّ لحاجة داعية، وغالباً ما تكون هذه الحاجة وضوح عبارة، أو سبق إشارة، وإلاّ فإنّه يستطرّد لذكر ما لم يذكره النّأظم، وذلك مثلما فعل حين ساق أقسام الفعل، أو عندما ذكر الممنوع من الصرف، أو ذكر الأوجه الصّرفيّة لبعض الكلمات، أو الاختلاف النّحويّ لبعض القراءات، أو توضيح معنى بلاغيّ، أو استحضار شاهد شعريّ أو نكتة دينيّة أو دعاء للابتهال. ويعترف هو نفسه بذلك، ويرجع سببه إلى توصيل الفائدة كما في قوله: «وذكرنا هذا الطّرف اليسير وإن كان مخرجاً عن غرض الاختصار؛ حرصاً على إيصال الخير لقلوب أولاد المؤمنين».

ولم يكن هذا مخللاً بعناصر الموضوع لامتلاكه ذاكرة تساعده على الرّجوع إلى البيت المشروح مهما طوّف بقارئه، مثلما يحدث عند إعرابه العبارات البالغ عددها 65

عبارة إعراباً تاماً. وهذا ما يجعله يستعمل في كثير من الأحيان أسلوب الاعتراض، مثل قوله: «والقسم الثالث\_ وهو الباقي من الأفعال...»، وقوله: «ومثال المصدر\_ ويجب أن يكون مضافاً إلى الاسم\_ كونك عاملاً بعلمك سعادة...»، وهو المعروف في نثره الفني بقصر الجمل وتوازن العبارات<sup>(1)</sup>.

أو اعتماده على أسلوب المناظرة والجدل كقوله: «فإن قلت لا يبدأ بالبسملة، قلت: نهى السلف عن ابتداء الشّعر بها محمول عند العلماء على شعر غير العلم...».

ونجده أحياناً يكبح جماح الشّرح إذا علم أنّ الموضوع ثقيل على كاهل المتعلم، مشكل عليه، أو سبقت الإشارة إليه، كما في قوله: «وتمثيلها ظاهر للمتعلم فلا نطيل به»، وقوله: «والإعراب بيّن فلا نطيل به» وقوله: «وهذا ما أمكن جلبه من حروف الجرّ والأفهي كثيرة تبلغ عشرين كما في الخلاصة» و«ولهذا الباب أحكام تُطلب من المطوّلات». و«إعرابه على نحو ما تقدّم...» وقد بيّن لنا سبب ذلك بقوله: «...خوف السّامة، ولئلا يطول الشّرح».

وهذا ما أدى إلى وضوح عباراته وبلوغ مراده وهجومه على المعنى، وإيفائه الحدّ الأدنى من المعنى المطالب بتوصيله إلى دارس النحو على أكثر تقدير، مستعملاً في ربطه بين العبارات من بيت إلى آخر لفظ "أي" في ١١٦ موضعاً، ولفظ "وأشار" في ٧٦ موضعاً، ولفظ "يعني" \_ وما في معناه\_ في ٤٠ موضعاً؛ ممّا يشدّ السّامع لتتبّع باقي أبيات المنظومة.

هذا ما يمكن لي إيرادَه حول تحديد بعض خصائص أسلوب الشّارح اللّغوي. والكتاب بشكل عامّ حسن الدّلالة، سهل المادّة، جيّد التّوضيح، لم يتكلّف فيه صاحبه، وهو المعروف في نثره الفنيّ باستخدام المحسّنات البديعيّة، وإنّما ترك فيه العنان لرحمه المعرفيّ، فشرح المنظومة بعفويّة دونما اعتناء بالغ، فجاء شديد التّبسيط، بعيد الفائدة. ويمكنني في الأخير أن أسوق جملة من التّنائج، وهي كما يلي:

(1) \_ الديسي: ٢٤٨.

- (١) يعدّ "الديسي" واحداً من العلماء الذين كرّسوا جهودهم لطلب العلم وبثّه بين الطلاب، رغم صعوبة الفترة التي عاش فيها (نهاية القرن ١٩ وبداية القرن ٢٠)، التي شهدت فيه الجزائر أحداثاً عظيمة واضطرابات كثيرة، بدءاً بالاحتلال الفرنسي سنة ١٨٣٠م، ثمّ بالمقاومات التي حدثت هنا وهناك، وما انجرّ عنها من تغييرات أثرت على الواقع الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري سياسياً واقتصادياً واجتماعياً في ذلك الوقت.
- (٢) إنّ ارتباط الجزائر بالشرق ثقافياً تمثّل في هجرة الطلبة إلى تونس ومصر والشام، إثر تجميد الاحتلال الحياة الثقافيّة، فعرف التّعليم تدهوراً وانحطاطاً في المستوى وتقلّصاً في عدد المراكز التّعليميّة، ولم يبق إلاّ الرّوايا مركزاً يهرع نحوه المتعطّشون إلى الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، ومن بين هذه الرّوايا زاوية الهامل ببوسعادة جنوب الجزائر، التي كان لها بالغ الأثر في تنوير عقل "الديسي" وأمثاله من طلبة العلم.
- (٣) إنّ برامج التّعليم التي كانت سائدة هي نفسها البرامج القديمة للدراسات العربيّة الإسلاميّة، المرتكزة على حفظ القرآن الكريم ومتون الحديث ومختلف المنظومات التّعليميّة، ومنها منظومة الشّبراويّ في النّحو.
- (٤) لقد اتّبع "الديسي" في شرحه طريقة تعليميّة فعّالة، ومنهجاً متميّزاً من حيث تبسيط المادّة التي حوتها مختلف كتب النّحاة الأوّل وكذلك المتأخّرين، وذلك بحسن التّعليل والتّمثيل وتحديد مفاهيم المصطلحات ودلالات الألفاظ.
- (٥) إنّ العديد من مؤلّفات الجمّ الغفير من العلماء اللّغويّين المغاربة الأوّلين والمتأخّرين تدلّ على أنّه كان لهم باعٌ طويلٌ في علوم اللّغة لا سيما علم النّحو، فقد كانوا أهل اعتناءٍ شديدٍ به. واحتفاؤهم بالنّحو شديد، وكثرت تصانيفهم فيه، وزاحموا المشاركة في هذه الصّناعة.

## المصادر والمراجع:

## أ) المطبوعة:

- تاريخ الجزائر الثقائي: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٨م.
- تعريف الخلف برجال السلف: أبو القاسم محمد الحفناوي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الديسي، حياته وآثاره وأدبه: عمر بن قينة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دت.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.
- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين: عادل نويهض، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة: محمد علي دبوز، المطبعة العربية، الجزائر، ط1، ١٩٦٩م.
- هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف الجليلية في مطبعتها البهية، استانبول، ١٩٥٥م.

## ب) المخطوطة:

- أشعار: محمد بن عبد الرحمن الديسي، مخطوط، المكتبة الوطنية، الجزائر، رقم: ٣٢٣٣.
- المشرب الراوي في شرح منظومة الشبراوي: محمد بن عبد الرحمن الديسي، مخطوط، مكتبة زاوية الهامل، ونسخة في مكتبة عامر محفوظي، الجلفة.

# صورة المرأة في الشعر الجاهلي "وهم الأسطورة" أو "أسطورة الحقيقة"

الدكتور/ محمد أحمد العامري

أستاذ الأدب القديم والنقد المشارك  
كلية التربية- جامعة صنعاء



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## صورة المرأة في الشعر الجاهلي "وهم الأسطورة" أو "أسطورة الحقيقة"

### الخلاصة:

هذا البحث محاولة مضافة إلى محاولات سبقت لنقاد عديدين لبيان طبيعة صورة المرأة في الشعر الجاهلي، وطبيعة وظيفتها، وأذكر ابتداءً أن هذا البحث ارتداد ومحاوره للمنهج القائل بأن صورة المرأة المشبب بها في الشعر الجاهلي، أو تلك المذكورة في حديث الأطلال ووصف الرحلة ليست صورة امرأة حقيقية، ولا تؤدي الدور المتوقع للأنتى المعهودة، وإنما هي رمز أسطوري لآلهة كانت معبودة، أو أنها هي ذاتها كانت معبودة. اقتضى ذلك منا بيان أمرين هما :

(١) واقعية صورة المرأة بعمومها في الشعر الجاهلي.

(٢) وظيفة هذه الصورة عند الشاعر الجاهلي.

وسيدور نقاشنا في محاور ثلاثة هي :

- المحور الأول : مناقشة الرأي القائل ب: "أسطورة صورة المرأة"، وبيان رأينا في عدم دقة اعتماد المنهج الأسطوري في دراستها، مبينين عدم نهوضه بتلك الدعوى، ولولا أن أصحابه أحسنوا إخراجها، وواتتهم ظروف وملابسات ساعدتهم وحسنت سعيهم لما لقيت آراؤهم قبولاً.
- المحور الثاني : نتوسل فيه بآراء لبعض نقادنا الأقدمين في إيضاح طبيعة صورة المرأة في الشعر الجاهلي، ووظيفتها.
- المحور الثالث : ننتقل فيه من التاريخ والمجتمع الجاهلي، لبيان أن دعوى قداسة المرأة أو ألوهيتها أو صلاحيتها لرمزية من هذا القبيل في العصر الجاهلي أو ما قبله غير ممكنة. وهذا الأخير في رأينا كافٍ وافٍ لوضع الأمر في نصابه، وهو ما غفل عنه أو تجاهله أصحاب ذلك التفسير، ولم يعملوا حسابه.
- وسنورد هنا وهناك مقتطفات من صورها التي جاءت في نصوص الشعر الجاهلي، الشاهدة ببعدها ما نسب إليها من أسطورية التقديس ورمزيته.

## مقدمة :

نال أدبنا الجاهلي من الدراسات الحديثة قدراً من الاهتمام، وأعيدت قراءة كثير من نصوصه وصوره وعناصره، وتعددت المنهجيات المتبعة في ذلك. ومن كل أفدنا، ولأصحابها علينا حق الشكر، والعرفان، من خالفناهم أو وافقناهم.

ومن هذه الدراسات وتلك ما تميز بعمق نظرة ودقة منهج، وأتيح لأصحابها إلى ذلك سعة اطلاع وشمول رؤية، ومنها ما كان لأصحابها - فضلاً عن ذلك - أصالة تحميه من الذوبان، ومرونة تحمي آراءه من التطرف، ومنها ما أثار زوبعة ورمالاً، وجاء بما ظنه الناس شراً أو محالاً، وأنكرت ما هو ثابت أو هكذا يُظن، وأثبتت ما هو منكر أو هكذا يُرى. وهذه الأخيرة على ما يُرى فيها من عيب، ويُنسب إلى أصحابها من ذنب، كان لها على الأدب الجاهلي كبير فضل، وكان له منها كثير نفع بطريقة غير مباشرة : بما تحركه من راكد المياه، وما تشيره من ردود أفعال، وما تلفت إليه من مهجور المحاسن ومغمور المزايا، وقديماً قال أبو تمام:<sup>(١)</sup>

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حـسـود  
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

ومن تلك الجزئيات التي حظيت بدراسات واهتمام "صورة المرأة في الشعر الجاهلي" وهو شيء طبيعي ؛ فإنها تأتي في مقام متقدم كثرة وتكراراً بين الموضوعات والعناصر الشعرية القديمة، وهذه الكثرة وهذا التكرار كانا أبرز عامل بعث الاختلاف في تفسير طبيعتها وتحديد وظيفتها، وما يحمله ذكرها. وقد ذهب طائفة من النقاد المحدثين إلى القول: إن صورة المرأة المشبب بها في الشعر الجاهلي (في النسب، وحديث الأطلال، ووصف الرحلة..) ليست امرأة حقيقة أو أنثى عادية إنما هي آلهة معبودة للعرب قديماً ألوهها من أجل الخصب، أو أنها رمز مقدس لآلهة كانت معبودة. وقد حظي هذا التوجه بجهود لا تنكر، وتناولته أقلام موهوبة: حاول أصحابها استقصاء الشواهد التي يمكن أن تسعفهم في ذلك، ولي أعناقها أحياناً لتستقيم مع توجههم، لكنها على رغم

(١) ديوان أبي تمام. شرحه وضبطه وقدم له إيمان البقاعي . مؤسسة الأعلمي للطباعة . بيروت . ط ١ . ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م . ١

ذلك لم تفلح - من وجهة نظرنا - بل ظلت أسطورية واهمة. وسيان في رأينا من تناولها من بوابة النقد الأسطوري، أو تدرج بها من المثال إلى الأسطورة، أو من جعل منها أسطورة أو معبودة ابتداءً؛ لأن ذلك كله - فيما نرى - كمن يزعم أن الطير ولدت حوتاً على حد تعبير ابن السراج<sup>(٢)</sup>.

ولكل كاتب وناقد أن يسلك المنهج الذي يراه، وأن يسطر ما يقتنع به، ويدون ما يعتقد صواباً، وأن يخدم تراث أمته بالطريقة الأنسب من وجهة نظره من غير تشهير ولا تشكيك ولا تحجير، لاسيما إذا سلم المقصد، وصح المنهج، وروعت الثوابت والخصوصيات اللغوية والبيئية والثقافية. وهذا الحق الذي نسلم به للآخرين نعطيه لأنفسنا، مؤكداً - على رغم قناعتنا بصحة ما نذهب إليه وخطأ ما نرده - أن مجمل الآراء مهما بلغت من الدقة والموضوعية ستظل مجرد رؤى واجتهادات أقرب إلى محض اقتراح، لأننا نرى أن الحقيقة في مثل هذه الآراء يمكن أن تكون نسبية ومتفاوتة بين ناقد وآخر، بل بين الناقد ذاته من وقت لآخر؛ لأن مقاييس الحقيقة - لاسيما في مجال الأدب والنقد - متنوعة ومختلفة أمام الحقائق الكثيرة والمتعددة في أوجه الحياة المختلفة: شكلاً ومضموناً، فكرة وعاطفة، تأملاً وغضباً، قبولاً ورفضاً. ولعل هذا الواقع الذي يعيشه الأدب والنقد بنسبية الاقتراب من جوهر الحقيقة يؤكد: ثراء هذا الحقل الإنساني المبدع في الحياة البشرية، ومشروعية الخوض فيه مرة بعد أخرى، وأنه الهاجس الجميل الذي يعبر بصدق عن مظاهر الإنسانية فيما تبقى لها من صفاء وفطرة بعد هذا الردح الزمني الطويل من وجودها<sup>(٣)</sup>.

### توطئة:

لعل مما يحسن بنا قبل الإيغال فيم نتوخاه أن نوجز معالم صورة المرأة المشيب بها أو تلك التي تأتي في مقدمة القصيدة الجاهلية؛ فإن: وضوح معالمها الأنثوية، ودقة تفاصيلها الحسية، وطريقة العرض، وطبيعة الارتباط أو الانفعال الشعوري اتجاهها عند الشعراء، ونوع الاستجابة التي تتكون عند المتلقي كل ذلك وغيره حجة واضحة

(٢) الاشتقاق. أبو بكر بن السراج. تحقيق محمد صالح الكريبي. بغداد. ١٩٧٣. ص ٤١.

(٣) ينظر: الوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية. د. رعد أحمد الزبيدي. مجلة الباحث الجامعي. العدد الرابع. ٢٠٠٢ م. ص ١٢٦.

ومحجة منارة لمن توخى الحق ورام القصد في هذه القضية. وسنورد طائفة من معالم صورة المرأة الجاهلية استلزاماً من أشعارهم، لا من خيالاتنا أو أوهام الآخرين، ومعرفة ذلك أمر متاح ميسور، فكل مطلع على أشعارهم يدرك أنهم كانوا "يقضون عند المرأة فيصفون جسدها، ولا يكادون يتركون شيئاً فيها دون وصف له : يتعرضون لجبينها وخطها وعنقها وعينيها وفمها ومعصمها وساقها وثديها وشعرها، كما يتعرضون لثيابها وزينتها وجليها وطيبها وحياتها وعفتها، وقد يتعرضون لبعض مغامراتهم معها"<sup>(٤)</sup>، وكان وصفهم حسيّاً - إلا ما ندر- استقصائياً عبّر عما يحبونه فيها (هم أو من يتوجهون إليه بأشعارهم) أو ما يحلمون به أو يحنون إليه. وأكثر ما وقضوا عنده أجزاء وجهها - لأن الوجه مجمع الحسن- فهي في شعرهم كثيرة متنوعة، وقضوا معها طويلاً، خلاف ما يزعم بعض أصحاب التفسير الأسطوري، كما سيأتي : فبشرتها بيضاء مصقولة كأنها غمامة ذات برق منير، أو خالط بياضها صفرة لكثرة طيبها. وشبهوا بياضها ببياض الظبية، بخلاف شعرها الذي أحبوه أسود فاحماً غريباً. ورسمت مخيلتهم عينها الساحرة المفضلة فإذا هي: واسعة صافية، ساكنة الطرف، حوراء كعين الظبي، أو كحلاء كعين الغزال، ولم ينسوا أن يرسموا بأحرفهم صورة هلع العينين المعبرتين عن الفرع والخوف عند مهاجمة عدو، أو الإشفاق والوجل عند مداهمة الحبيب على حين غرة ومن غير موعد. وتغنوا بالجبين الوضيء الواضح المتسع، وتشاءموا منه ضيقاً، ونقشت خيالاتهم حاجبها دقيقين زانهما طر وتزجيج، وتغنوا بما بينهما من البلج. وصوروا خدها أسيلاً زانه متبسم يكاد يسبي تبسمها من هو بعيد لا يكلمها فكيف بمن يكلمها؟ وصوروا أجزاء فمها : فأسنانها بيضاء متألثة كالبرد، وصوروا استياكها كما تهلل تحت المزنة الباردة. أما شفاها فأعجبوا بها: مفلجة، لمياء كالأقحوان، وفضلوا اللثة السمراء. وربيقها المفضل عندهم هو البارد الغزير كلوح مزنة، أشهى من العسل الأبيض الممزوج بماء المطر. ومذاق ريقها بعد منتصف الليل- وقت تغير رائحة الفم- أطيب من خمرة مزجت بالعود والكافور

(٤) العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. دار المعارف. القاهرة. ط ٨. ١٩٧٧م. ص ٢١٢.

والمسك<sup>(٥)</sup> فكيف به في غير هذا الوقت؟ وقامتها عندهم طويلة مثل دعص الخمائل ... الخ. فهل هذه صور إلهة مقدسة؟ أم أنها صور أنثوية يعيون ذكورية لا تخلو من نهم وحسية صريحة؟

وهناك أخرى معنوية - لكنها أقل - رسمت الصور المعبرة عن عواطفهم، وآلامهم المستبدة بهم، وآمالهم البعيدة المنال، وحرزهم، وبكاها عند الضراق، وشوقهم إليها، وتبرمهم بالرقباء، وشكواهم من الوشاة. ولسنا نرى في ذلك من غرابة أو مبالغة؛ فقد "كان الرجل العربي يقضي حياته على سفر: لا يقيم إلا على نية الرحيل، ولا يزال العمر بين تخييم وتحميل، بين نؤي يهيج ذكراه، ومعاهد صبوة تذكي هواه، هجيره كلما غدا أو راح حبيبة يحن إلى لقائها أو صاحبة يترنم بموقف وداعها. فإذا راح ينظم الشعر في الأغراض التي من أجلها يتابع النوى ويتحمل المشقة، ثم تقدم بين يدي ذلك بالنسيب والتشبيب فقد جرى لسانه بعضو السليقة لا خلط فيه ولا بهتان"<sup>(٦)</sup>

وممن نحى المنحى الرمزي الأسطوري في تفسير صورة المرأة المشبب بها أو تلك التي تأتي في مقدمة القصيدة وحديث الظعن، وهم أكثر (ولعل منهم من قد تبنت له وجهة نظر مغايرة):

- ❖ د. عبد الله الطيب المجذوب، وخلاصة رأيه أن المرأة المذكورة "رمز مؤله؛ لأنها كانت إله العرب المقدم في باب العبادة الوثنية بادئ بدء، ألوهها من أجل الخصوبة"<sup>(٧)</sup>.
- ❖ أحمد كمال زكي، ويرى أن المرأة التي تتحدث عنها الرحلة في القصيدة الجاهلية هي الشمس نفسها، ورحلتها في القصيدة الجاهلية هي رحلة الشمس نفسها معبودة الجاهليين مانحة الخصب<sup>(٨)</sup>.
- ❖ إبراهيم عبد الرحمن، ويرى أن المرأة في المقدمات الطللية رمز عن الشمس (الإلهة) المعبودة<sup>(٩)</sup>.

(٥) ينظر: البناء الفني في شعر الهذليين . أباد عبد المجيد إبراهيم. دار الشؤون الثقافية العامة. بзда. ط١. ٢٠٠٠م. ص١٠٤ وما بعدها .

(٦) الديوان في الأدب والنقد. عباس العقاد، وإبراهيم المزني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠٠م. ص ٧٠ .

(٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها . د. عبد الله الطيب المجذوب. دار الفكر. بيروت. ط٢. ١٩٧٠م. ٨٧٣/٣.

(٨) ينظر: الأساطير - دراسة حضارية مقارنة - أحمد كمال زكي. مكتبة الشباب . القاهرة. ط١. ١٩٧٥. ص٨٤

❖ وينفي د. داود سلوم ما في بداية الشعر الجاهلي من غزل، ويراه صلاة لإلهات الشعر وآلهته، وهذه الصلاة تدهورت وانقطعت أسبابها، ونتج عنها الغزل الذي يوضع في أوائل قصائد لا علاقة بينها وبين الغزل مطلقاً<sup>(١٠)</sup>.

❖ وهناك من يرى أن صورة المحبوبة في المقدمة الطللية امتداد لإحدى الغواني العائلات في المعابد والهيكل وبيوت الآلهة، عندما كان الشاعر كاهناً يعمل في تلك الأماكن، ويحاول التقرب إلى الآلهة والتماس الرضا منها عن طريق التغزل بتلك الغواني<sup>(١١)</sup>.

❖ الدكتور نصرت عبد الرحمن في كتابه "الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث". وتتلخص نظريته إلى المرأة المذكورة في الشعر الجاهلي: أنها ليست امرأة حقيقية كما يُتوهم، وإنما هي رمز مقدس لآلهة كان يعبدها العرب قديماً<sup>(١٢)</sup>، وأن الشعراء الجاهليين قد أعطوا المرأة قداسة<sup>(١٣)</sup>. وهذا الرأي تكرر عنده في كتابه "الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي".

❖ الدكتور علي البطل في كتابه "الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري". وخلاصة نظريته أن المرأة المذكورة في الشعر الجاهلي ليست امرأة حقيقية أيضاً، وإنما هي آلهة معبودة للعرب قديماً أو رمز لآلهة كانت معبودة<sup>(١٤)</sup>، تسربت بقايا من صور تقديسها ورمزيتها إلى الشعر الجاهلي الذي وصلنا من آثار احتواء نماذج فنية سابقة<sup>(١٥)</sup>.

(٩) ينظر: الشعر الجاهلي - قضاياها الفنية والموضوعية - د. إبراهيم عبد الرحمن محمد. دار النهضة العربية. بيروت. ط ٢. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ص ٢٦١.

(١٠) ينظر: الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة. د. داود سلوم. عالم الكتب. بيروت. ط ٢. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. ص ٣٠.

(١١) ينظر تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام. نوري القيس، وعادل البياتي، ومصطفى عبد اللطيف جياووك. دار الحرية للطباعة. بغداد. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ص ٥٧

(١٢) ينظر على سبيل المثال الصفحات (١٠٧-١٠٩-١١٥-١١٦-١١٧-١١٨) من كتابه المذكور طبعة مكتبة الأقصى. عمان. ١٩٧٦م.

(١٣) ينظر: المصدر السابق ص ١٢٣

(١٤) ينظر على سبيل المثال الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري. علي البطل. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان. ط ١. ١٩٨٠م. ص ٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٦٨-٦٩-٨١-٨٢-٩١-٩٤.

(١٥) ينظر: المصدر السابق. ص ٥٧

وهذان الكتابان الأخيران تميزا بالتوسع في تناول هذه القضية، وحشداً كثيراً من الأدلة والبراهين على دعواتهما تلك، ثم إنهما اشتملا تقريباً على أكثر الجزئيات المتعلقة بهذه القضية، وأحسننا عرضها؛ لذلك سنكتفي بمناقشة ما ورد فيهما للاختصار والإيجاز، ولأن في ذلك الكفاية والغناء، ولن نتجاوزهما إلا فيما نفتقده فيهما من الدعاوي والحجج؛ حتى لا نتهم بتعمد إغفال ذلك.

ولأن ذكر هذين الكتابين سيتكرر كثيراً فسنرمز للأول منهما بالرمز (أ)، ولالثاني بالرمز (ب)؛ اختصاراً للوقت والجهد والحيز.

• الأول منهما: (الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث) أفرد للحديث عن صورة المرأة في الشعر الجاهلي الصفحات من (١٠٥ - ١٥٥)، ولم يغفل الحديث عنها قبل تلك الصفحات ولا بعدها.

• الثاني: (الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري) وخصص للحديث عن صورة المرأة الصفحات من (٥٣ - ١٢٠) وهو أيضاً لم يغفل الحديث عنها قبل تلك ولا بعدها. وهو دون الأول في حشد الأدلة واستثمارها وجودة تحليلها، وأكثر تجاوزاً في تضخيم الصورة المقدسة للمرأة، وإن لم ينزل في تحديد رموز بعينها دلت عليها صور المرأة الجاهلية كما صنع الأول.

واتفق أصحاب هذا الرأي بمن فيهم الكاتبان الأخيران على أن الإسلام جاء وقد تراجعت تلك النظرة التقديسية نحو المرأة، وجعلوا وجودها في الشعر الجاهلي قبيل الإسلام على ذلك النحو من التقديس نتيجة تسرب من الماضي، وارث عن السابقين أصبح بعد عرفاً فنياً متبعاً.

ويمكن إيجاز أهم الأمور التي اتكأت عليها هذه النظرة أو النظرية والحجج التي اعتمدت عليها، من خلال ما ورد في هذين الكتابين، وفي غيرهما أيضاً في الآتي:

أولاً: غزارة تشبيه المرأة بكثير من الأشياء التي منها ما هو إله معبود، ومنها ما هو رمز للإله المعبود مثل: الشمس، وبعض الحيوانات (التي حرص الشعراء على عدم ذبحها أو

قتلها في شعرهم<sup>(١٦)</sup> كالغزال، والمهابة، والظبية...، فلا بد إذاً أن تكون المرأة مقدسة، أو يكون لها شيء من التقديس<sup>(١٧)</sup>.

ثانياً: تركيز الشاعر على ذكر أعضاء الأنوثة في المرأة، وإبرازها بصورة ضخمة، بينما يغفل عن ذكر الوجه، وإذا ذكره يذكره غير محدد المعالم، كما أنه إذا ذكرها كلاً أبرزها بدينة ممتلئة فيجمع لها الصور المختلفة للخصوبة والإنتاج والأم المعبودة.

ثالثاً: كثرة ورودها مصدرة بأم: (أم أوفى، أم جندب، أم الوليد، أم الحويرث، أم عمرو، أم أبان، أم خلود، أم أميمة). كذلك كثير في تشبيهاتهم لها صورة المهابة الأم، والظبية الأم، وجاءت صورتها حاملاً ومرضعاً في التشبيب؛ مما يعني أن المرأة عبدت بوصفها أم<sup>(١٨)</sup>.

رابعاً: مجيء صورة المرأة في الشعر الجاهلي مثالية دائماً<sup>(١٩)</sup>.

خامساً: تأنيث اسم الشمس<sup>(٢٠)</sup> التي شبهت بها المرأة.

سادساً: صورة المرأة في الشعر الجاهلي أقرب إلى أن تكون نسخاً مكررة: نرى الشعراء فيها يدورون حول معانٍ تكاد تكون واحدة، وكأنما اصطلحوا على معانٍ بعينها، لا ينحرفون عنها يمناً ولا يسرة، ووجه الاحتجاج في هذا أن ذلك التكرار أو التشابه ناتج عن كونه عبارة عن طقوس كانت ممارسة إزاء المرأة الإله يتساوى الجميع في أدائها، وهي وإن اندثرت لكنها تسربت على شكل أعراف فنية عند اللاحقين.

سابعاً: وجود ما يمكن أن يشير إلى علاقة جسدية، ووصف صريح وجريء إذا لم نتنبه إلى الفرق بين المثال والواقع في صورة المرأة، ولم نثقف الأصول الدينية لها في شعر ما قبل الإسلام، كما يُزعم<sup>(٢١)</sup>.

(١٦) ينظر في ذلك: الأساطير دراسة حضارية مقارنة. ص ٨٣، و الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي. د. نصرت عبد الرحمن. دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ١٩٨٥ م. ص ٦٣.

(١٧) ينظر أ/ ص ١٠٦-١٠٧-١١٣-١١٥-١٢١، ب/ ص ٥٧-٥٩-٦٤-٦٥-٦٨-٦٩٧-٧٧-٧٨-٧٩، والأساطير - دراسة حضارية مقارنة- ص ٨٤.

(١٨) ينظر ب/ ص ٥٥-٥٦-٥٧-٥٩-٦٢-٦٣.

(١٩) ينظر أ/ ١٤٦/ وما بعدها، ب/ ص ٩٥.

(٢٠) ينظر أ/ ص ١٢٣.

(٢١) ينظر ب/ ص ٩٣.

ثامناً: ما في بداية الشعر الجاهلي من صور الغزل بالمرأة إنما هو صلاة لإلهات الشعر وآلهته، وهذه الصلاة تدهورت وانقطعت أسبابها<sup>(٢٢)</sup>.

هذه أهم الأمور التي اعتمدت عليها هذه النظرية، وارتكز عليها الكاتبان المذكوران وغيرهما في بناء نظرتهم تلك إلى صورة المرأة في الشعر العربي الجاهلي وتفسيرها.

ونحن نعرب عن إعجابنا بجدية المحاولة، وعن احترامنا للجهد الكبير الذي بذل، وإيماننا بما أسلفنا من أن لكل ناقد الحق في اتخاذ وجهة النظر التي يراها صواباً، لكننا نعتقد أن الناظر في هذا المنهج يدرك منذ الوهلة الأولى أنه غريب اللون والطعم والرائحة عن أدبنا وثقافتنا والمنطقة العربية بعامة، أغرب من المتنبي وحصانه في شعب بوان. فكثيراً قد تحدث أدباؤنا ونقادنا القدامى عن المرأة عند الشاعر الجاهلي، ولا نستبعد أنهم أحسوا نحوها بنحو ما أحس هو، فما ورد عن أحد منهم قول مثل هذا، كما سيأتي. ولا أظنه يكون متجاوزاً من يزعم أن مثل هذه التوجهات انعكاس غير محمود أو محاكاة غير إيجابية لثقافة الغرب وآدابهم ورؤاهم النقدية ونظراتهم التراثية لماضيهم، وبخاصة الآداب اليونانية الملحمية والأسطورية القديمة، إن لم يكن عند بعض عنوان هزيمة نفسية، وتقليد غير موفق؛ لما فيه من غفلة عن الخصوصيات الأدبية واللغوية والتاريخية والثقافية والبيئية لمنطقتنا العربية. والأخذ غير الحذر، والمحاكاة غير الواعية، والانبهار ونسيان الخصوصيات، وإغفال الفروق: كل ذلك حتماً ينحرف بالاجتهادات، ويشوه الآراء، شئنا أم أبينا، مهما حسنت النوايا، وعظمت الجهود.

وان كنت في شك من هذا فبم تفسر رأي من يجعل من ليلى في الشعر الجاهلي ربة للصيد مثل ديانا عند اليونان<sup>(٢٣)</sup>، والزهرة تقابل فينوس آلهة الحب عندهم<sup>(٢٤)</sup>، وسلمى تقابل كيوبيد<sup>(٢٥)</sup>، وسعاد سيدة الربيع<sup>(٢٦)</sup>، وأسماء رمز للمرعى أو حياة المرعى<sup>(٢٧)</sup>،

(٢٢) ينظر: الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة. ص ٣٠.

(٢٣) ينظر أ/ص ١٤٩.

(٢٤) ينظر أ/ص ١٤٥.

(٢٥) ينظر أ/ص ١٥٠.

(٢٦) ينظر أ/ص ١٥١.

والزهرة ربة الخمر<sup>(٢٨)</sup> ٩. ويم تفسر رأي د. نصرت عبد الرحمن في فكرة التثليث عند عرب الجاهلية، حيث نص أنهم عبدوا ثالوثاً أشبه بعائلة مقدسة<sup>(٢٩)</sup>؟ وكذلك فكرة المرأة العذراء أم الإله عند علي البطل<sup>(٣٠)</sup> ٩. وكان لابد للبشر كلهم أن تطابق حياتهم بكل تفاصيلها وأنماطها (قديمها وحديثها) الأوروبيين وأن يكونوا نسخاً مكررة (مشوهة غير متطورة بالطبع) من الأوروبيين.

تلك خلاصة آراء أولئك عن طبيعة صورة المرأة المشبب بها في الشعر الجاهلي، ومجمل أدلتهم.

وقبل أن نبدأ مناقشتها، نوجز رأينا في طبيعة صورة المرأة المشبب بها في الشعر الجاهلي، وحدود وظيفتها. فهي في تصورنا: أنثى، تؤدي في الصورة دور المرأة/ الأنثى الحقيقية إزاء الشاعر/ الذكر: إما في واقع الحياة، أو في الحلم والخيال، فـ "عنيزة" في معلقة امرئ القيس هي تلك المرأة/ الأنثى التي يعرفها امرؤ القيس، ودخل خدرها حقيقة، أو هي تلك التي يرسمها خياله، ويتمنى أن يدخل خدرها. وليس بالضرورة أن تكون دائماً - ولا كثيراً - فلانة ابنة فلان بعينها وشخصها، وسيأتي إيضاح لذلك. ووظيفتها في أعلى صورها، وأرفع مكانة لها لا تعدو كونها أساساً من أساسات الشاعر إنساناً اعتيادياً أولاً، ثم إنساناً متفوقاً ثانياً، ثم إنساناً مفترقاً ثالثاً، وهي تلي ذلك على نحو من:

١- الحاجة. ٢- الإيحاء. ٣- التجسيد. ٤- المعاناة. ٥- الرمزية. على نحو مما ذكر د. ريكان إبراهيم الذي توسط النهج، وأحسن فيما نرى<sup>(٣١)</sup>.

وأعني بالرمزية هنا: الرمزية التي تتواءم مع ما هو ممكن ومقبول في حياة الإنسان العربي القديم، وتاريخه، ومعطيات تراثه، وخصوصيته البيئية والمستوى الثقافى، غير

(٢٧) ينظر أ/ص ١٥٢.

(٢٨) ينظر كتابه: دراسات في الشعر الجاهلي. أنور أبو سويلم. دار الجيل بيروت، دار عمار بيروت. ط ١. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. ص ١٣٤.

(٢٩) ينظر أ/ص ١٠٩.

(٣٠) ينظر ب / ص ٥٦.

(٣١) ينظر: نقد الشعر في المنظور النفسى. د. ريكان إبراهيم. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد ط ١. ١٩٨٩م. ص ٧٣.

متنافرة مع الواقعية التي اتسم بها شعره، واصطبغت بها كل أجزاء حياته، بل تتكامل معها لتتضي بنا إلى ما يمكن أن ندعوه نوعاً من الواقعية غير المباشرة. وذلك كأن تكون سلمى مثلاً رمزاً لامرأة أخرى يقصدها الشاعر ولا يريد أن يبوح باسمها، فيرمز لها باسم آخر، نحو قول وضاح اليمين:<sup>(٣٢)</sup>

أدعوك روضة رحب واسمك غيره شفقاً وأخشى أن يشي بك واشي

أو كما رمز أعرابي بليلى لقوسه في قصته مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه<sup>(٣٣)</sup>،

ونحو قول أحدهم:<sup>(٣٤)</sup>

أيا سرحة البستان طال تشوقي فهل لي إلى ظلٍ إليك سبيل

رامزاً بالسرحة للمحبة. مثل هذه الرمزية هي التي تتفق وحياة البداوة، وتتماشى مع حاجات العربي الجاهلي وواقعيته، وبساطتها، أما تلك الرمزية أو الأسطورية التي حُمّلتها صورة المرأة فذلك فوق طاقتها وخارج نطاقها، وهي وافدة أو مستوردة، أو هجين مشوه في بعض الأذهان.

(٣٢) ديوانه. محمد خير البقاعي. دار صادر. بيروت. ط ١. ١٩٩٦. ص ٥٠.

(٣٣) ينظر: دراسات نقدية في الشعر العربي، بمحنت عبد الغفار الحديثي. دار الشؤون الثقافية الحديفة. بغداد. دون ط. ١٩٩٢ م. ص ٤٣.

(٣٤) العمدة ٢٥٧/١، وكقول آخر: ألا يا نخلة من ذات عرق عليك ورحمة الله السلام. رامزاً بالنخلة لامرأة بعينها.

## المحور الأول

مع تسليمنا بأن الشمس كانت مقدسة، لكن ذلك لم يكن عند العرب الذين وصلنا شعرهم، بل عند بعض عرب الجنوب، وعنهم قال تعالى: "وجئتك من سبأ نبياً يقين ... وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله"<sup>(٣٥)</sup> وحتى الآن توجد أطلال معبد الشمس<sup>(٣٦)</sup>. لذلك نجد استعمالاتها في الشعر جاءت حقيقية أو بدافع التشبيه الجمالي، وما جاء فيه دلالة تقديسية على قلته ليس صريحاً في ذلك غالباً.

وعلى فرض التسليم بصحة انتشار عبادتها عند جميع العرب، فقد شاعت عبادة بعض الكواكب، بل كان حظ القمر من العبادة والتقديس أكثر؛ إذ كانوا يعدونه ذكراً هو الزوج والشمس أنثاه والشعري ابنتهما، فلماذا شاع تشبيه المرأة المحبوبة بالشمس أكثر من غيرها إذا كان الأمر إنما هو التقديس؟ أليس استدارة قرص الشمس، وضوؤها، وجمالها وبهاؤها هو المقصود في ذهن الشاعر العربي؟ ولكونها أبهى الأجرام السماوية رأيناها في كل حركة من حركاتها تمد الشاعر ذا الإحساس المرهف بلوحات فنية لا يقدر على تصويرها غيره؛ لذا كان التشبيه بها أكثر من غيرها. وإن كنت في ريب من ذلك فانظر العلاقة بين المرأة والشمس في النماذج الآتية:

يقول عنتره<sup>(٣٧)</sup>:

رَفَعُوا الْقِيَابَ عَلَى وُجُوهِ أَشْرَقَتْ      فِيهَا فَعَيَّبَتِ السُّهَاءُ فِي الْفَرْقَدِ  
وَالشَّمْسُ<sup>(٣٨)</sup> بَيْنَ مُضْرَجٍ وَمَبْلَجٍ      وَالْغُصْنُ بَيْنَ مُوشِحٍ وَمَقْلَدِ  
يَطْلَعْنَ بَيْنَ سَوَالِفٍ وَمَعَاطِفٍ      وَقَلَائِدٍ مِنْ ثَوْلُؤٍ وَزَبْرَجَدِ

فأين قداسة المرأة أو الشمس التي شبهت بها هنا؟ وما الذي يريده الشاعر من إطلاق الشمس على الوجوه المشرقة؟ هل هي القداسة أم هو الجمال؟ فما نوع القداسة التي ستطلع من السوالف والمعاطف والقلائد، وهي مضرجة مبلجة؟ ولم كانت الشمس

(٣٥) سورة النمل الآيات ٢٢-٢٤.

(٣٦) جنوب مدينة مأرب الحالية بمسافة ٣٠ كم تقريباً.

(٣٧) ديوان عنتره. قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ص ٦٣.

(٣٨) أراد بالشمس هنا الوجوه المشرقة.

وحدها هي المقدس دون سائر الأشياء المذكورة: (السها، الفرقد، السوالف، المعاطف، القلائد،...) ومنها كواكب، وجلها مؤنث؟

وانظر قوله أيضاً: (٣٩)

وَلَوْلَا فَتَاةٌ فِي الْخِيَامِ مُقِيمَةٌ      لَمَا اخْتَرْتُ قُرْبَ الدَّارِ يَوْمًا عَلَى الْبُعْدِ  
أَشَارَتْ إِلَيْهَا الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا      تَقُولُ إِذَا اسْوَدَّ الدُّجَى فَاطْلَعِي بَعْدِي  
وَقَالَ لَهَا الْبَدْرُ الْمُنِيرُ أَلَا اسْفِرِي      فَإِنَّكَ مِثْلِي فِي الْكَمَالِ وَفِي السَّعْدِ  
فَوَلَّتْ حَيَاءً ثُمَّ أَرَحَتْ لِثَامَهَا      وَقَدْ نَثَرَتْ مِنْ حَدِّهَا رَطْبَ الْوَرْدِ  
وَسَلَّتْ حُسَامًا مِنْ سَوَاجِي جُفُونِهَا      كَسَيْفِ أَبِيهَا الْقَاطِعِ الْمُرْهَفِ الْحَدِّ

فالعقل واللغة يحكمان أن الفتاة في هذه الأبيات أنثى حقيقية (مقيمة في الخيام- ولت- تستحي كشأن النساء- ملثمة- عيناها فانتتان) ولأنها فائقة الجمال أشبهت الشمس والقمر معاً، وحملت الشاعر على لزوم الدار لعله يحظى منها بمراده، بل هي شمس مستمرة حتى بعد غياب الشمس الحقيقية التي من سمتها الغروب. فهل بعد كل هذا التفصيل ننفي كون هذه المرأة/ الأنثى حقيقة في حياة الشاعر، أو أنها تلك الأنثى من النساء التي تتمناها نفسه، وتنسجها أحلامه فتداعب خياله بجمالها الباهر كالشمس، إن لم تكن موجودة فعلاً؟

ولو استقصينا استعمالات كلمة الشمس نفسها عند الشعراء في غير صورة المرأة لوجدناها تحمل صورة ذلك الجرم السماوي المعتاد غير المقدس، قلما تتجاوز ذلك، وأنها تؤدي الوظيفة الرئيسية لها القائمة على: الدلالة الزمانية، والمكانية، والضوء، والحر أو الدفاء، كما في نص عنتره الأخير، حين حكم عليها بالغروب. وكذلك في قوله (٤٠):

هَاجَ الْعَرَامُ فُدْرَ بِكَاسِ مُدَامٍ      حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ تَحْتَ ظَلَامٍ

فليس ثمة أي دلالة إضافية للشمس هنا، سوى الدلالة الزمانية.

(٣٩) ديوان عنتره. ص ٦١

(٤٠) ديوان عنتره ص ١٨٩.

وكذلك في قول الأفوه الأودي<sup>(٤١)</sup> :

حَتَّى إِذَا غَابَ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ كَرَبَتْ      وَظَنَّ أَنْ سَوْفَ يُولِي بَيْضَهُ الغَلْسُ

فالشمس في هذه الصور حقيقية تحمل الدلالة الزمنية، وإن تكن ثمة دلالة إضافية فهي السلبية المنبثقة من لحظة الغروب المفضي إلى ظلمة الليل ووحشته، مع ما يحمل ذلك من سمات غير محبوبة للنفوس، وذلك أبعد ما يكون عن التقديس المرتبط بالتفاؤل والضياء.

وفي قول حاتم الطائي<sup>(٤٢)</sup> :

ومرقبة دون السماء طمرة      سبقت طلوع الشمس منها بمرصد

تحمل دلالة لحظة طلوعها صريحة، ويخل الشاعر عليها بكلمة (الشروق) ذات الدلالة الإيجابية والإيحاء المحبب إلى النفوس، وكأنه قد استقر بوعيه أن ليس للشمس بذلك من علاقة، ضارباً بها وبمن يقدها وراءه ظهرياً.

وهي في قول زهير<sup>(٤٣)</sup> :

لَوْ كَانَ يَقَعْدُ فَوْقَ الشَّمْسِ مِنْ كَرَمٍ      قَوْمٌ لَأَوْلِيهِمْ يَوْمًا إِذَا قَعَدُوا

صورة حسية حقيقية لكنها هنا لا تحمل دلالة الزمان التي حملتها الصور السالفة، بل تحمل دلالة المكان، فالبشر اعتادوا أن يروا الشمس فوقهم عالية في السماء ؛ فهي بالنسبة للشمس لا تحمل دلالة جديدة غير حسية، وهي للبشر تفيد علو المكانة.

بل أحياناً نجد للشمس تلك الصورة القاسية المحرقة البعيدة عن

أي قداسة أو رأفة أو تبجيل كما في قول النابغة<sup>(٤٤)</sup> :

تَرَى كُلُّ دِيَالٍ يُعَارِضُ رُبْرَبًا      عَلَى كُلِّ رَجَافٍ مِنَ الرَّمْلِ هَائِلٍ  
يُثْرِنَ الحَصَى حَتَّى يُبَاشِرْنَ بَرْدَهُ      إِذَا الشَّمْسُ مَجَّتْ رِيْقَهَا بِالكَلَاكِلِ

(٤١) ديوانه. تحقيق عبد العزيز الميني (ضمن طرائف أدبية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٢٧. ص ٢١.

(٤٢) ديوانه . شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع . دار القلم بيروت . لبنان . ص ٣٦ .

(٤٣) ديوانه . شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع . دار القلم بيروت . لبنان . ص ٢٩ .

(٤٤) ديوانه . شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع . دار القلم بيروت . لبنان . ص ٩٩ .

انظر إلى هذه الصورة القاسية المحرقة للشمس التي تجعل من تحتها يثير الحفا  
 عله يجد شيئاً من برد الرمال المدفونة يخفف من ويلها عليه. هذه الصورة اللافحة  
 المحرقة هي الصورة الأكثر تغلغلاً للشمس في نفس عرب الصحراء عرب الشعر الباقي،  
 فكيف من أجلها قدست المرأة ؟

ثم إننا نجد الشاعر العربي قد شبه الرجل بالشمس كما في قول النابغة<sup>(٤٥)</sup> :

فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فلماذا لم يكتسب الرجل التقديس من الشمس؟ أم أن الذكورة كانت عائقاً له من  
 اكتساب ذلك التقديس؟!

وشبه بالشمس أيضاً بعض الجمادات، نحو تشبيه المزرد بن ضرار الجوب (الترس) بها  
 في قوله<sup>(٤٦)</sup> :

وجوب يرى كالشمس في طخية الدجى وأبيض ماضٍ في الضريبة قاصل

فلماذا لم يكتسب هو أيضاً التقديس من الشمس؟ لعله يحظى بذلك على أيدي  
 بعض النقاد لاحقاً!.

• وكذلك هو الأمر في تشبيه الشاعر الجاهلي للمرأة بالغزالة والمهاة والظبية  
 والدرّة، مراعى في ذلك كله نواحي الجمال لا القداسة؛ لذلك نراهم يشبهون  
 بعيني الغزال والمهاة وجيد الرثم. وبالدرّة صوتاً وبياضاً، وبغير ذلك من مواطن  
 الجمال التي يحبونها ليخلعوها على المرأة التي يعيشونها إشباعاً لحاجاتهم أو  
 حاجات المتلقين. كقول عروة بن الورد<sup>(٤٧)</sup> :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته  
 ولم يلهني عنه غزال مقنّع  
 أحدثه إن الحديث من القرى  
 وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

(٤٥) ديوانه. ص ٢٦.

(٤٦) المفضليات. ص ٥٧.

(٤٧) ديوانه. شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. لبنان. ص ٦١-٦٢.

فما المقصود بالغزال هنا؟ هل هو إلهه الذي سيؤخر عبادته لأجل الضيف؟ وكيف تطيب نفس ضيفه أن تشغله عن العبادة؟ ثم هل تلبس الآلهة أقنعة وبراقع؟ وهل دافع تقنعها حياء وخضر؟ أم هو استعلاء وبطر؟

فمنطلق العلاقة من ارتباط صورة المرأة بالغزالة وغيرها من الحيوانات إذاً إنما هو إبراز جمال المرأة المكنون، وتقريبه للمتلقي بأمثلة يشاهدها في بيئته، ليس أكثر، يؤكد هذا مرتبط العلاقة بينهما المتمثل بـ: العين، والبياض، والأنف. ونماذج ذلك أكثر من أن تحصر، منها قول المزرد بن ضرار(٤٨):

ليالي إذ تصبي الحليم بدلها ومشي خزيل الرجع فيه تقاتل

وعيني مهاة في صوارٍ مرادها رياض سرت فيها الغيوث الهواطل

وقول المرار العدوي(٤٩):

ولها عينا خذول مخرف تعلق الضال وأفنان السمـ

المشبه به هنا غزالة : خلقت صغارها، دخلت وقت الخريف، تعلق شجر الضال وأغصان السمر تأكل منها، إنها صور واقعية ساذجة، تخلو من أي أثر للرمزية أو القداسة.

وقوله أيضاً في القصيدة نفسها:

مثل أنف الرثم يثنى درعها في لبانٍ بادنٍ غير قفر

وأن ينطلق الشاعر من بيئته ويستلهم محيطه في صياغة صورته وتسطير معانيه، وإبراز مكنون نفسه، والتعبير عن مراده أو أحلامه لهي الواقعية في أدق صورها وأصدق معانيها.

على أن تقديس الغزالة واتخاذها إلهة أمر لم يثبت (والمهاة والظبية من باب أولى) كما ثبت للشمس، إذ لو كان الأمر كذلك لأنبأتنا المظان المعنية بمعبودات العرب وأصنامها بخبر عنها، وهي التي لم تترك صنماً، أو رمزاً معبوداً إلا وأشارت إليه وإلى من

(٤٨) المفضليات . ص ٥٥

(٤٩) المفضليات. المفضل الطي. تحقيق د. قصي الحسين. دار ومكتبة الهلال، ودار البحار. بيروت. ٢٠٠٤. ص ٥٢.

كان يعبده من قبائل العرب<sup>(٥٠)</sup>. ولا ينهض بادعاء تقديسها إطلاق اسم غزالة على الشمس، والشمس كانت مؤلهة باتفاق، مما يعني إسقاط قداسة الشمس عليها، وبالتالي على المرأة التي شبهت بكليهما. فقد تنبه علماء اللغة لذلك وعللوه تعليلاً منطقياً يسقط هذا الادعاء، فقالوا إنما سميت الشمس غزالة لأنها تطلع غزالة النهار أي أوله<sup>(٥١)</sup>، أو لأنها تمتد من الشعاع ما هو كالغزال<sup>(٥٢)</sup>. ولو كان ثمة للتقديس أو العبودية شيء من العلاقة بذلك لوصلهم ولعرفوه ولوفر عليهم جهد التعليل والتأويل.

ثم إن اسم (غزال، أو غزالة) قد أطلق على أشياء أخرى منها: أنها ضرب من الجنادب، وعشبة من السطّاح، ونبات شبيه بالبقل يؤكل<sup>(٥٣)</sup> فلم لم تكتسب هذه الأشياء التقديس؟ أو لماذا لم تنل من قداسة الشمس التي اشتركت معها في مسمى الغزالة؟

ولا ينهض بتقديس الغزالة العثور على غزالين ذهبيين في بئر زمزم، فلماذا لم يبقهما عبد المطلب؟ ولماذا لم ينصبهما حول الكعبة إلى جانب العدد الكبير من الأصنام المعبودة؟ ولم يشهر أن جرهم التي ينسب إلى بعض ملوكها عمل هذين الغزالين كانت تعبد الغزال، ولا الشمس.

كذلك لا ينهض بتقديس الغزالة ما ورد مما يحتمل ذلك كقول امرئ القيس<sup>(٥٤)</sup>:

وماذا عليه أن ذكرت وأنساً كغزلان رمل في محاريب أقبال

ف(محاريب) هنا لا تحمل الدلالة الدينية التي تخطر على الأذهان أي (محاريب الصلاة)؛ ففي هذا غفلة وقصر نظر، وهو ما وقع فيه من استشهد بهذا البيت؛ لأن هذا

(٥٠) ينظر: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام. أحمد إسماعيل النعيمي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ط ١. ٢٠٠٠.

ص ٢٤٨

(٥١) ينظر: الأزمنة والأنواء. أبو إسحاق ابن الأجدابي. تحقيق عزة حسن. دار سيمر أميس. دمشق. ١٩٦٤. ص ٧٩.

(٥٢) ينظر: شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. شهاب الدين الخفاجي. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. المطبعة المنيرية بالأزهر. ط ١. ١٣٧١هـ - ١٩٥٢. ص ١٩٦.

(٥٣) لسان العرب. ابن منظور. دار صادر. بيروت. ط ٣. ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. مادة: غزل.

(٥٤) ديوانه. تحقيق عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. لبنان. ص ١٢٥.

المفهوم للمحارب عامي إسلامي، كما قال الأزهري<sup>(٥٥)</sup>، وامرؤ القيس جاهلي. إنما معنى المحارب هنا هو: صدر البيت، وأكرم موضع فيه، أو المكان المرتفع. وقيل في تفسير قول الله تعالى: "يعملون له ما يشاء من محاريب"<sup>(٥٦)</sup> أنها القصور الشامخة<sup>(٥٧)</sup>. وقال الشوكاني المحاريب في اللغة: "كل موضع مرتفع، وهي الأبنية الرفيعة والقصور العالية، وقال أبو عبيدة المحارب أشرف بيوت الدار، واستشهد ببيت امرئ القيس السابق، وقال المبرد لا يكون المحارب إلا أن يرتقى إليه بدرج"<sup>(٥٨)</sup>. وشاهد هذا الأخير قول وضاح اليماني<sup>(٥٩)</sup>:

ربة محراب إذا جئتها      لم ألقها أو أرتقي سلما

هذا فضلاً عن أن الذي في المحراب ليس غزلان الرمل كما فهمه من استشهد بهذا البيت على قداسة الغزال، وكما قد يتبادر إلى الذهن نتيجة التقديم والتأخير في البيت، إنما هو الأوانس، ومنثور البيت هو: (ذكرت في المحاريب- قصور الملوك العالية- أوانس كأنهن غزلان رمل)، وليس قصده (ذكرت أوانس كأنهن غزلان في محاريب) أراد بذلك وصفهن أنهن من بنات الملوك المنعمات اللواتي يسكن الأماكن المرتفعة (المحاريب)، يشهد لهذا المعنى في بيت امرئ القيس ما بعده، وهو قوله:

وبيت عذارى يوم دجن ولجته      يظن بجباء المرافق مكسال  
سباط البنان والعرانين والقنا      لطف الخصور في تمام وإكمال  
نواعم يتبعن الهوى سبل الردى      يقلن لأهل الحلم ضل بتضلال

فهذه أوصاف فتيات يعشن منعمات في محاريب القصور، ومكوناتها.

(٥٥) ينظر: اللسان . مادة حرب.

(٥٦) سورة سبأ . ١٣

(٥٧) صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم. بيروت. ط ١ . ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م. ٨/١٣.

(٥٨) فتح القدير . شيخ الإسلام الشوكاني. دار ابن كثير. دمشق - بيروت. ط ٢ . ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. ٣٦٣/٤.

(٥٩) ديوانه. ص ٨٤.

ومما يؤكد وهمية الرأي القائل بقداسة صور هذه الحيوانات في الشعر الجاهلي شواهد شعرية كثيرة تتنافى مع التقديس المدعى، نقتصر على بعضها، من ذلك قول سلامة بن جندل<sup>(٦٠)</sup>:

وعندنا قينة بيضاء ناعمة      مثل المهامة من الحور الخرايعب

فضلاً عن مجيء وجه الشبه الواضح القائم بين المرأة والمهامة - البياض والنعومة- على نحو ينفي قصدية تلك القداسة الموهومة، ويفصح عن الإعجاب الحسي الذكوري من شاعر في بيئة يُفتن رجائها بالبياض النواعم، فالمرأة هنا ليست أمّاً مبدجة، ولا خفرة أو ممنعة من بنات الصيد البهاليل اللواتي يحظن بغير قليل من الاحترام في تصوير الشاعر، إنها هنا قينة، ووظيفتها إمتاع ليس شباب الحي وحدهم، بل كذلك ضيوفهم الذين ينزلون بهم ليلاً - كما جاء في القصيدة - وإن حاول الشاعر أن يصورها بعد ذلك بالعبث، فالامتهان والتعابث حاصلان قائمان من شباب الحي ومن ضيوفهم، على نحو يمتنع معه أي احتمال للقداسة أو الوقار. وقريب من هذه الصورة في قول زيد الخير الطائي<sup>(٦١)</sup>:

تمشى به حول الظباء كأنها      إماء بدت عن ظهر غيب حوامل

فما القداسة أو الكرامة للإماء الحوامل، لاسيما عند الشاعر الجاهلي؟

خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ونجدها خائفة مذعورة، يصيبها البلاء، كما في قول عنتره<sup>(٦٢)</sup>:

خَطَرْتُ فَقُلْتُ قَضِيبُ بَانَ حَرَكَتَ      أَعْطَفَهُ بَعْدَ الْجَنُوبِ صَبَاءُ  
وَرَبَّتْ فَقُلْتُ غَزَالَةٌ مَذْعُورَةٌ      قَدْ رَاعَهَا وَسَطَ الْفَلَاقَةِ بَلَاءُ

ومن أظهر الشواهد التي تتنافى مع التقديس المدعى لهذه الحيوانات، أو كونها رموزاً مقدسة للشمس المعبودة- كما يزعم- تكرار ذبحها أو قتلها عند الشاعر

(٦٠) المفضليات. ص ٦٩.

(٦١) شعر زيد الخيل. صنعة د. أحمد مختار البزرة. دار المأمون للتراث. بيروت. ط ١. ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. ص ١٦١.

(٦٢) ديوانه. ص ٢١.

الجاهلي، خلاف ما يدعي أصحاب هذا الرأي، فقد أسلفنا أن من أقوى أدلتهم زعمهم أن الشاعر الجاهلي يتحامى ذبحها أو صيدها في شعره<sup>(٦٣)</sup>، وكان في ذلك حجة لو صح، لكن الاستقراء ينفي خلافه، فمن ذلك قول الحارث بن حلزة<sup>(٦٤)</sup>:

عننا باطلاً وظلماً كما يع      ترُ عن حجرة الرِّبِيضِ الظِّباءِ

فإذا كان العربي يبحث عن الطيبة يذبحها بدلاً عن شاة من شياهاه افتداء لها. فأبي تقديس هذا الذي يجعل الإله أو الرمز المقدس أهون من شاة؟ وعلى صحة افتراض الزعم القائل إن ذلك كان ثم اندثر، فلم بقيت القداسة متوارثة في مجال الفن، واندثرت وانتفت آثارها في غيرها، بل انعكست وصارت عادة ممارسة يوحى به لفظ(كما) في البيت السابق؟ مما يوحى أن دعوى القداسة أو الرمزية المقدسة في هذه الأشياء لا تتجاوز أذهان القائلين بها.

بل لم يتورع أبو دؤاد الإيادي من تصويرها صيداً مأكولاً في قوله<sup>(٦٥)</sup>:

فَصَادَ لَنَا أَكْحَلَ الْمُقْلَتِ      بَيْنَ فَحْلٍ وَأُخْرَى مَهَاةَ نَوَارَا

وكذلك امرؤ القيس (وهو من أقدمهم) في قوله<sup>(٦٦)</sup>:

وَزَلَّ غَلَامِي يَضْجَعُ الرُّمَحَ حَوْلَهُ      لِكُلِّ مَهَاةٍ أَوْ لِأَحْقَبَ سَهْوَقِ

أيضاً قد نجد الشاعر يعلن تفضيله للمرأة على هذه الأشياء، كما في قول زهير<sup>(٦٧)</sup>:

تَنَارَظَهَا الْمَهَا شَبَّهَا وَدُرُّ الدِّ      سُنْحُورٍ وَشَاكَهَتْ فِيهَا الظِّبَاءُ

حتى لو عد هذا مما يسمى بالتشبيه المقلوب (على أنه عند القدامى نادر) يظل وجه الاستشهاد قائماً؛ إذ لو صحت قداسة هذه الأشياء ما جاز للشاعر تفضيل المرأة/المقدسة على ما قدست بسببه.

(٦٣) ينظر في ذلك: الأساطير دراسة حضارية مقارنة . ص ٨٣، و الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي . ص ٦٣.

(٦٤) ديوانه. عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت . لبنان ص ٤٧.

(٦٥) الأصمعيات ص ٩٦

(٦٦) ديوانه . ص ٨٨.

(٦٧) ديوانه . ص ١٢.

ثمة أمر أخير، وهو أن هذه الأشياء (الغزالة والطبية والمهاة...) نجد لها عند الشاعر استعمالات حقيقية، وتشبيهات لا تمت لهذا المجال بصلة كما في قول امرئ القيس<sup>(٦٨)</sup>:

يخرجن من خلل الغبار عشية بالدارعين كأنهن ظباء

فتشبيهه سرعة دوابهم بسرعة الظباء المقصود هنا لا يترك أي مجال لادعاء قداسة الظباء أو رمزيته، بل يعطيها صورتها الحقيقية تماماً.

أما أن الشاعر يركز على أعضاء الأنوثة في وصفه المرأة المتغزل بها، فهذا حجة عليهم لا لهم؛ لأن هذا الأمر يبتعد بالمرأة المذكورة عن ميدان التقديس، بل يمنعها منه أكثر مما يقربها إليه لما فيه من مجافاة القداسة، وإن كنت في شك من ذلك نظرة بسيطة لطبيعة صورة الأنثى المذكورة في الشعر الجاهلي تنبئك بصدق رأينا هذا، ذلك أنا نلاحظ أنه كلما اقتربت وقويت علاقة التقدير والاحترام بين الأنثى والشاعر تجافت عن شعره وقل أو غاب ذكره لها بإجمال، فكيف بذلك التفصيل والحسية؟ وإلا فكم هي صور الأم والبنت والأخت والزوجة والعمة والخالة وسائر القربيات في الشعر الجاهلي؟ وهل ورد في شعر شاعر جاهلي أي وصف أو ذكر لعضو من أعضاء قربيته الأنثوية؟ ثم لم لم يذكر الشاعر الجاهلي ثدي أمه الذي سقاه، وبطنها الذي حواه، وكانا سبباً مباشراً قريباً في وجوده ونمائه وغذاه؟ يجعلنا ذلك نزعج أن الأنثى التي يشير الشاعر الجاهلي إلى أجزائها ناهيك عن التركيز على أعضائها الأنثوية أنها ليست الأنثى التي يجلها ويوقرها فضلاً عن تلك التي يقدها، وإنما هي الأنثى التي يرغب فيها أو يريد لها، سواء أكانت أنثى بعينها أم كانت خيالية يتمناها بالأوصاف تلك.

وتركيز الشاعر على أعضاء الأنوثة دليل قوي على بساطة الشاعر الجاهلي، وواقعيته في التصوير والتعبير، وحقيقة إنسانية صورة المرأة/الأنثى في الشعر الجاهلي، فأعضاء الأنوثة ومواضع الفتنة في المرأة أهم ما يعني الشاعر/الذكر من المرأة/الأنثى، ويجذب اهتمامه، ومن ثم ينطق لسانه، فتركيز الشاعر عليها يختصر المسافات ليصل بنفسه وبنا في هذه القضية إلى المراد من أقرب الطرق.

ويرأى أن شواهد هذا في شعرهم أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تنكر، من ذلك قول عمرو ابن كلثوم<sup>(٦٩)</sup>:

ثُرَيْكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى خَلَاءٍ      وَقَدْ أَمِنْتَ عِيُونَ الكَاشِحِينَ  
ذِرَاعِي عَيْطَلٍ أَدْمَاءَ بَكْرٍ      هِجَانَ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنِينَا  
وَتُدِيًّا مِثْلَ حُقِّ العَاجِ رِخْصًا      حَصَانًا مِنْ أَكْفِ اللَامِسِينَا  
وَمَتْنِي لِدِنَّةٍ سَمَقَتْ وَطَالَتْ      رَوَادِفُهَا تَنْوُءُ بِمَا وَلِيْنَا  
وَمَأْكَمَةً يَضِيْقُ البَابُ عَنْهَا      وَكَشْحًا قَدْ جُنِبْتُ بِهِ جُنُونَا  
وَسَارِيَّتِي بَلَنْطٍ أَوْ رِخَامٍ      يَرِنُ خَشَاشُ حَلِيهَمَا رَيْنِنَا

لو افترضنا قداسة الأنثى المذكورة في هذه الصورة، ستكون عجيبة فريدة هي القداسة التي تتحين فيها الإلهة المقدسة الخلوات وأوقات الغفلات لتكشف لمن يقدها عن مفاتها: (ذراعيها وتدييها ومتنها وكشحا). ثم إذا كانت هذه أعضاء إلهة مقدسة فلم تخشى هذه الإلهة عيون الكاشحين؟ أم كيف يستقيم لمن يقدها أن يتجاوز القداسة إلى الشهوانية فيعشقها ويهيم بها إلى حد الجنون المؤكد المحقق بـ (المصدر المؤكد، وقد التحقيقية)؟

والثدي من أبرز أعضاء الأنوثة التي يُزعم أنها رمز للخصب وهبة الحياة، ونحن نستبعد هذا الاستعمال عن الشاعر الجاهلي، مع تسليمنا أنه قد استعمله استعمالاً يحمل دلالة غير حسية، نحو قول الأعشى يمدح المعلق الكلابي<sup>(٧٠)</sup>:

تُشَبُّ لَمَقْرُورِينَ يَصْطَلِيَانِهَا      وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ  
رضيعي لبانٍ ثدي أم تحالفا      بأسحَمِ داجٍ عَوْضُ لَا تَنْفَرُقُ

لكن هذا الاستعمال وما شابهه قليل، والكثير هو الصورة الحسية التي حظي بها ثدي المرأة في شعر الغزل، وهي نابعة من ذكر نحو أنثى يشتهيها، وهذا الحكم ينطبق

(٦٩) ديوانه ص ٦٠-٦٤.

(٧٠) ديوانه، عمر فاروق الطباع، دار القلم بيروت. لبنان ص ١٤٨.

على الصورة التي وجدناها في شعر عمرو بن كلثوم السابقة، فلا نظن أن هناك ما يوحي بشيء من تلك الرمزية والطهر والقداسة، انظر الأوصاف الحسية والمعنوية معاً التي خلعتها على ثديها:

الحسية: (مِثْلَ حُقِّ الْعَاجِ، رَخِصاً) أليست هذه غاية الرغبة الذكورية بالأنثى؟ إذا كانت القضية قضية إشادة وتعظيم، وعرفانا برمزيته وقداسته فما المفيد في أن يخلع عليه هذين الوصفين المكتنزين بنهم واشتهاء، بل واستلاب لب للملقي والمتلقي؟ والمعنوية: (حَصَانًا مِنْ أَوْكُفِّ اللَّامِيسِيْنَا) أليست هذه نهاية حب تملك الذكر واستفراجه بالأنثى؟ وكراهته واشمئزازه من أي شراكة، إننا نجد فيها صورة قابيل وأنانيته، فأين هي القداسة إذا؟ ومتى رأى الناس هذه الأنانية وحب التملك والتفرد في الرموز والمقدسات؟

وعلى نحو ذي صلة يقال الأمر نفسه عن طبيعة صورة الحامل والمرضع، وأنها لا تعدو أن تكون صوراً رامزة للآلهة واهبة الإخصاب والحياة، لكن انظر هل تجد شيئاً من ذلك في صورها عند امرئ القيس في قوله (٧١):

فمِثْلِكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعٍ      فألهيئتها عن ذي تمائم محول  
إذا ما بكى من خلفها انصرفت له      بشيق وتحتي شقُّها لم يحوّل

كذلك لن تجد شيئاً سوى الحسية في أعضاء جسمها في قوله أيضاً: (٧٢)

سباط البنان والعرانين والقنا      لطاف الخصور في تمام وإكمال  
نواعم يتبعن الهوى سبل الردى      يقلن لأهل الحلم ضل بتضلال

فالبنان السباط والعرانين والقامة المستقيمة المشوقة كالقناة، والخصور اللطيفة لم يقصد منها امرؤ القيس قداسة، ولم يفهم منها سوى أنها مواطن لذة، وعوامل متعة وإغراء شديدين يتنافيان مع أي إثارة لدعوى القداسة، عبر عن ذلك بقوله:

(... يتبعن الهوى سبل الردى      يقلن لأهل الحلم ضل بتضلال)

(٧١) ديوانه. ص ١٢٥

(٧٢) ديوانه. ص ٩٦-٩٧.

فأين وكيف بقداسة يحملها الشاعر لمن يعلم أنه يقوده إلى الضلال، ويودي به إلى الردى والهلاك؟

واستقصاء الشواهد في هذه القضية يطول، وسنترك لك أخي القارئ - دون تعليق منا- التدقيق في الشواهد الآتية، وهي من النصوص التي تكررت في ثنايا بحثنا هذا استغناء بها عن غيرها؛ لتدرك أن أعضاء الأنوثة الواردة في غيرها كما هي فيها لا تحتمل دعوى القداسة، ولا تتجاوز الحس الذكوري عند الشاعر/الذكر إزاء المرأة/الأنثى التي يتحدث عنها، وشعرنا الجاهلي زاخر بالكثير منها:

يقول عنتره<sup>(٧٣)</sup>:

رَفَعُوا الْقِبَابَ عَلَى وُجُوهِ أَشْرَقَتْ      فِيهَا فَعَيَّبَتِ السُّهَاءُ فِي الْفَرْقَدِ  
وَالشَّمْسِ<sup>(٧٤)</sup> بَيْنَ مُضْرَجٍ وَمَبْلَجٍ      وَالْغُصْنُ بَيْنَ مَوْشَحٍ وَمَقْلَدِ  
يَطْلَعْنَ بَيْنَ سَوَالِفٍ وَمَعَاطِفٍ      وَقَلَائِدٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجَدِ

ويقول طرفة<sup>(٧٥)</sup>:

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن      مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد  
وتبسم عن ألى كأن منــــورا      تخلل حر الرمل دعص له ندي

ويقول عبيد بن الأبرص<sup>(٧٦)</sup>:

صعدة ما على الحقيبية منها      وكثيب ما كان تحت الحقاب  
ويقول المرار العدوي<sup>(٧٧)</sup>:

وهي هيفاء هضيم كشحها      فخمة حيث يشد المؤتزر

(٧٣) ديوانه . ص ٦٣ .

(٧٤) أراد بالشمس هنا الوجوه المشرقة، كما سلف.

(٧٥) ديوانه. المكتبة الثقافية . بيروت . لبنان . ص ٢٠ - ٢١ .

(٧٦) ديوانه تحقيق عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت. ص ٢٤ .

(٧٧) المفضليات. ص ٥٢ .

ويقول الحادرة<sup>(٧٨)</sup>:

وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع

إذا دعوى رمزية أعضاء الأنوثة، بدعوى أنها تهب الحياة والخصب إن صحت في بعض الثقافات القديمة فلا تصح في الثقافة العربية، ولا في الشعر الجاهلي المتسم بالواقعية والبساطة.

أما أن شعراء الجاهلية أغفلوا ذكر الوجه؛ مما يوحي أن المرأة المذكورة ليست واضحة المعالم؛ لأنها ليست امرأة حقيقية، فهو أمر غير مسلم به أبداً، وحجة بائن عوارها، بل هو محض مغالطة، ولا يخلو من تضارب مع ما يسلمون به هم من تشبيه المرأة بالشمس وعينيها بعيني الرئم والغزال والمهامة. وينقض ذلك شواهد شعرية كثيرة. وسبق أن سردنا كثيراً من أجزاء الوجه التفصيلية التي وردت في الشعر الجاهلي، وأسلفنا أن أجزاء الوجه أكثر ما وقف عندها الشاعر الجاهلي، مما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أنها صورة لأنثى حقيقية موجودة في واقع الشاعر أو في نفسه أو خياله أو أحلامه وعقله الباطن. ومن شواهد ذلك قول طرفة<sup>(٧٩)</sup>:

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن      مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد  
وتبسم عن ألمى كأن منــــوراً      تخلل حر الرمل دعص له ندي  
ووجه كأن الشمس حلت رداءها      عليه نقي اللون لم يتخدد  
وقول امرئ القيس<sup>(٨٠)</sup>:

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي      بناظرة من وحش وجرة مطفل

(٧٨) المفضليات، ص ٢٦.

(٧٩) ديوانه. المكتبة الثقافية. بيروت. لبنان. ص ٢٠ - ٢١.

(٨٠) ديوانه. ص ١٠٤.

ومثله قول قيس بن الخطيم:<sup>(٨١)</sup>

غريـر بملـتف من السـدر مـضـرد

تـراءت لـنا يـوم الرـحـيل بـمـقـلـة

وقول المرار العدوي:<sup>(٨٢)</sup>

صـورة أحـسن من لـات الخـمر

وهـوى القـلب الـذي أعـجبه

يؤنـق العـين وضاـفٍ مـسـبـكـر

راقه مـنـها بـياض ناصـع

تـعلق المـضال وأفـان السـمر

ولـها عـينا خـذول مـخـرف

وغـير ذلـك كـثير.

أما إبرازها ضخمة ممتلئة فهو انعكاس ارتدادي، أو ارتداد انعكاسي لشظف العيش وللحياة القاسية التي كان يعيشها العربي في الجاهلية، حتى هزلت جراها أجسادهم رجالاً ونساءً. فإن توجد المرأة ذات الجسم الممتلئ أمر نادر أو قليل، وما ندر كانت النفوس إليه أرغب ونحوه أسرع، على أننا لو تصفحنا ما جاء من ذلك في شعرنا القديم لن نجد تلك الضخامة المفرطة المتنافية مع المستوى الجمالي المطلوب إلا في أذهان بعض أبناء عصرنا الذين انعكست عليها صور من ضخامة نساء عصرنا وترهل أجسامهن، ثم إن الشاعر الجاهلي كان يقصر وصف الضخامة والامتلاء على ما يستحسن، نحو: الأرداف والسيقان غالباً، كما في قول عبيد بن الأبرص<sup>(٨٣)</sup>:

وكثـيب ما كان تـحت الحـقـاب

صـعدة ما على الحـقـيبـة مـنـها

وقول المرار العدوي<sup>(٨٤)</sup>:

فخـمة حـيث يشـد المؤتـزر

وهـي هـيفاء هـضيم كـشـحـها

وامتلاء هذه الأعضاء من الأمور الجمالية المستحسنة في المرأة قديماً وحديثاً، مما يعني أن الشاعر إنما يصور المرأة/ الأنثى التي يعشقها أو يحلم بها لا الإلهة التي يقدها

(٨١) طبقات الشعراء. ابن سلام الجمحي. تحقيق عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت. ط. ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م ص ١٢٠.

(٨٢) المفضليات. المفضل الطيبي. تحقيق د. قصي الحسين. دار ومكتبة الهلال، ودار البحار. بيروت. ٢٠٠٤. ص ٥٢.

(٨٣) ديوانه تحقيق عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت. ص ٢٤.

(٨٤) المفضليات. ص ٥٢.

أو كانت مقدسة. ويزيد الأمر وضوحاً أنا نجد ذلك كثيراً ما يقترن بتصوير دقة خصرها، واستقامة قدها نحو ما هو في البيتين السابقين، مما يؤكد التأكيد كله أن الأمر لا يعدو سيطرة النظرة الحسية الواعية أو غير الواعية من الشاعر/الرجل نحو المرأة/الأنثى.

أما كثرة ورودها مصدرة بأم، فلا يعني ذلك رمز تقديس فإنها قد وردت غير مصدرة بأم أكثر من ورودها مصدرة بها، من ذلك: (ليلي، وهند، وسلمى، ودعد، ولبنى، وعفراء، وأروى، وريا، وفاطمة، ومية، وعلوة، وعائشة، والرياب، وجمل، وزينب، ونعم، وعنيزة، ومي، وليس، وخولة. ونجد أيضاً: بوزع، وعبله، وهريرة، وجنوب)، وقد جاءت أيضاً قينة، وجارية، وزوجة، وأختاً. بل إن معظم الصور السلبية للمرأة (مهجوة - مبعوضة - مهددة - خائنة ناكثة، وغيرها) جاءت مصدرة بأم: (فأم ملدم هي الحمأ، وأم عامر للظبع رمز الغدر<sup>(٨٥)</sup>.. وهكذا)، مما ينقض أي كرامة لهذا التصدير، كما في قول عمرو بن معد يكرب هاجياً مهدداً<sup>(٨٦)</sup>:

فزينك في شريطك (أم عمرو) وسابغة وذو النون زيني  
فلولا إختي وبني منها ملأت لها بذي شطب يميني  
وقول الحطيئة<sup>(٨٧)</sup>:

وَضَلَّ يُنَاجِي (أُمُّ شَدْرَةَ) قَاعِدًا كَأَنَّ عَلَى شُرُوفِهَا كُرْرًا حَنْظَلًا  
وقول عمرو بن كلثوم<sup>(٨٨)</sup>:

صَبَنْتِ الْكَأْسَ عَنَّا (أُمُّ عَمْرٍو) وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا  
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ (أُمُّ عَمْرٍو) بِصَاحِبِكِ الذِّي لَا تَصْبَحِينَا

(٨٥) وفيها يقول الشاعر: ومن يصنع المعروف مع غير أهله يجازي جزاء مجير أم عامر

المستقصى في أمثال العرب. الزمخشري. دار الكتب العلمية. بيروت. ط ٢. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م. ٢/٢٣٣.

(٨٦) ديوانه. جمع وتحقيق د. هاشم الطعان. وزارة الثقافة والإعلام. بغداد. ١٩٧٠م. ص ٧٢.

(٨٧) ديوانه. عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. لبنان. ص ١٥٦، والشُّرُوفُ: رأس الضلع مما يلي البطن.

(٨٨) ديوانه. عمر فاروق الطباع بيروت. لبنان ص ٥٦.

بل لو ادعى مدع العكس وهو أن تصدير اسم المرأة في الشعر الجاهلي بـ(أم) علامة ذم وهجاء لكان إلى الصواب أقرب.

أما الاستشهاد بمجئها حاملاً ومرضعاً في التشبيب فهو:

(١) أمر نادراً لا ينهض لإثبات ظاهرة ما.

(٢) على ندرته يأتي مع الماجنين من الشعراء مما يوحي بشيء من الانحراف عن الأصل.

(٣) ما الذي يمنع الشاعر/الذكر من أن يعشق أو يعجب بالحامل أو المرضع إذا كانت جميلة قريبة المتناول؟ لاسيما إذا كان كامرئ القيس طالب لذة مؤقتة يراها في أمثال هؤلاء أقرب منها في العذارى المخدرات. على أن مثل هذه إن وجدت عند شاعر ما تكون واحدة من كثيرات غيرها في حياته، وليست الوحيدة.

(٤) وإن يكن من دلالة إضافية في ذكر الشاعر هذه الصور، فهي استغراقه جميع حالات اللهو الممكنة مع المرأة، حتى من كانت حاملاً أو مرضعاً.

أما عن مثالية صورة المرأة، فإننا نسلم بتلك المثالية في الشعر الجاهلي، وكثرتها حتى كأنها وثن يعبد على حد تعبير د. إياد عبد المجيد<sup>(٨٩)</sup>، ونقرأ أنه "نادراً ما يصف الشاعر الجاهلي امرأة وصفاً حقيقياً يعكس واقعها تماماً - كما تراه عيون غير الشاعر- بل يوجد مثال دائماً للجمال متفق عليه"<sup>(٩٠)</sup> لكننا لا نرى أن دافع ذلك قداسة أو طقوسية، أو ترسبات من ذلك، بل مرده إلى كون تلك ليست صورة المرأة التي يملكها الشاعر أو يعايشها: (زوجة أو أمأ أو أختاً أو بنتاً أو جارية، أو...) تمثّل صورتها أمامه كاملة الأبعاد: يرى قبيحها وحسنها، ويعايش خيرها وشرها، إنما هي صورة المرأة العشيقة المحبوبة التي زينها الحرمان وجملها البعد، أو المتمناة المشتهاة التي رسمتها ريشة الخيال البارعة خالعة عليها أعلى ما وصل إليه ذهن الشاعر رقيقاً ومثالية. وأمر طبيعي أن الشاعر/الذكر لن يعشق أو يتمنى أو يتغزل إلا بامرأة يراها هو على الأقل مثالية متميزة عن غيرها من النساء، ولذلك أثرها دون سواها، واختارها على من عداها من النساء. وإلا فما الضرق بين الشاعر وغيره إذا منعناه من أعمال

(٨٩) ينظر: البناء الفني في شعر المهذلين. أياد عبد المجيد إبراهيم. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد. ط. ١. ٢٠٠٠م. ص. ٩٩.

(٩٠) الأدب العربي في العصر الجاهلي. محمد مصطفى هدارة. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية. ١٩٨٥م. ص. ٣٧.

خياله في ذلك وغيره؟ وما قيمة الشعر الذي يصور الواقع كما هو عليه لا كما يحس به الشاعر؟ على أنا لا نعدم صوراً سلبية للمرأة في الشعر الجاهلي حبيبة أو غيرها، وقد مر علينا أمثلة من ذلك.

ومع هذا وذاك لو أمعنا النظر سنجد تلك المثالية إنما تنصب في الخصال الحسية غالباً، ويندر وجودها في الخلال المعنوية. ولو كان ثمة قداسة أو بقايا منها على أية صورة وصلتنا لكانت بعكس ذلك لاسيما في الثنائي الذكر/ الأنثى. فالعربي إذا أثنى على امرأة له بها صلة أو قرابة تستلزم التوقير لن يتعرض لوصف محاسن جسدها، بل لأخلاقها، وهذا أمر استمر عند العرب اعتباره لاسيما فنياً، فقد عاب ابن وكيع في القرن الرابع الهجري قول المتنبي<sup>(٩١)</sup>:

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

وعده غير مستحسن لوصفه أم الملك بجمال الوجه ؛ على رغم كونه في مقام رثاء، لامرأة عجوز ماتت.

وفي الوقت نفسه وفي القصيدة ذاتها بلغ المتنبي الشأو في قوله عن المرأة نفسها<sup>(٩٢)</sup>:

ولو كان النساء كمن فقدنا      فضل النساء على الرجال  
وما التأنيث لاسم الشمس عيب      ولا التذكير فخر للهِلال

وعد هذا من رائع المتنبي.

بعكس الصورة السلبية إذ ينصب غالبها في الأمور المعنوية ؛ مما يدل على أن الشاعر إذا وصف مثالية المرأة وحسنها إنما ينبع ذلك من نفسية ذكر نحو أنثى، فهو يصف منها ما يشبع حواسه أو نهمه الحسي الذكوري.

أما تكرار صورها عند الشعراء حتى كأنها طقوس تمارس:

أولاً: لكون حياة الجاهليين لوحات متقاربة، ومواقفهم من المرأة متقاربة كذلك، جاءت صورتها في أشعارهم متقاربة أيضاً. ولو استقرأنا أدب أي أمة لوجدنا الأمر نفسه

(٩١) ديوانه . شرح عبد الرحمن البرقوقي . دار الفكر . بيروت . ط ١ . ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م . ٧٣٠/٢

(٩٢) السابق ٧٣٥/٢

غالباً، وهذا أمر متوقع في طبيعة النظرات الشعرية إذا اتحدت: زماناً، ومكاناً، وباعثاً، ففي عصرنا - مثلاً - اعتاد الناس أن يتحدثوا عن صورة المرأة عند الكلاسيكيين وكأنها صورة واحدة؛ لما تتسم به من سمات متقاربة، والأمر نفسه عند الرومانسيين والرمزيين، وغيرهم، في مختلف أمم الأرض على ما بينهم من تباين، فلم لا تتقارب عند شعراء الجاهلية المتقاربين زماناً ومكاناً وأذواقاً وأعرافاً ودوافع وظروف حياة؟

ثانياً: ذلك التكرار ليس بإطلاق ولا يعني التطابق، طالع في نصوص الشعر القديم، فحين تجد المعاني نفسها، ستجد براعة نادرة في إعادتها وصوغها صوغاً جديداً، فكل شاعر يحاول أن يبتكر فيها شيئاً، أو أن يعطيها شيئاً من شخصيته. نأخذ مثلاً لصورة تكررت، هي صورة تشبيه المرأة بالطيبة، سنجد شاعراً يشبهها تشبيهاً عادياً، وآخر يشبهه جيدها بطيبة في استوائه وطوله وجماله، يقول الحادرة<sup>(٩٣)</sup>:

وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنصب الغزال الأتلع

والمنخل الإشكري يجمع بينها والطيبة في التنفس في قوله<sup>(٩٤)</sup>:

ولثمتها فتنفت كتنفس الطبي البهير

وثالث يجعل وجه الشبه حور العين، ورابع يشبهها وهي تمد أعناقها إلى شجر السلم الناضر، مريداً بذلك أن يستتم المنظر البديع للمرأة والطيبة<sup>(٩٥)</sup>، كما في قول علباء بن أرقم<sup>(٩٦)</sup>:

فيوماً توافينا بوجهٍ مقسّم كأن طيبة تعطو إلى ناضر السلم

وجمع المرار العدوي بين الصورتين الأخيرين في قوله<sup>(٩٧)</sup>:

ولها عينا خذول مخرف تعلق الضال وأفنان السمر

(٩٣) المفضليات، ص ٢٦. تصدفت: انحرفت. منتصب الغزال: عنقه. الأتلع: العنق الطويل.

(٩٤) الأصمعيات. عبد الملك الأصبغي. تحقيق د. قصي الحسين. دار ومكتبة الهلال، ودار البحار. بيروت. ٢٠٠٤. ص ٣٤.

(٩٥) ينظر: العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف ٢٢١-٢٢٣.

(٩٤) الأصمعيات .. ص ٧٨.

(٩٧) المفضليات. ص ٥٢.

ثمة شيء ثالث في هذا الأمر أو هذه الشبهة ينقضها من أساسها، ويقوض أركانها، وهو أن التشابه أو التكرار عند الشاعر الجاهلي ليس خاصاً بصورة المرأة، بل هو عام ينتظم موضوعات الشعر وعناصره كافة حديثاً: (الأطلال، والناقاة، والرحلة، والمعارك، وحيوانات الصيد، والفخر، والمديح، والهجاء، والخمريات). ولا أظن أن هذا أمر يخفى على الذين اتخذوا من تشابه صورة المرأة عند الشعراء الجاهليين ذريعة لادعاء تقديسها؛ بحجة أن ذلك التكرار أو التشابه ناتج عن كونه عبارة عن طقوس كانت ممارسة بشكل جماعي متكرر إزاء المرأة/الإله تسربت على شكل أعراف فنية عند اللاحقين.

أما الربط بين تأنيث اسم الشمس والمرأة، وجعله دليلاً على قداسة المرأة<sup>(٩٨)</sup> فلا يستقيم إلا إذا تأكد لنا أن الموضوع منهما أولاً كان مقدساً، وأن تأنيث الآخر مراعى فيه ومقصود منه الجانب التقديسي في تشبيهه بالأول أثناء إطلاق التشبيه، وإلا فإنه ليس كل ما شبه بمقدس نال التقديس، ولا كل مقدس يُكسب ما شبه به التقديس دائماً، فقد مر بنا تشبيه الرجل، والدرع بالشمس عند النابغة، والمزد بن ضرار، ولم يدع أحد قداستهما لذلك.

ثم إننا واجدون أجزاء من المرأة نفسها مذكرة الأسماء مثل : (الوجه، والجيد، والعنق، والقد، والشعر، والنهد، والثدي، والصدر، والشعر، والقرن، والردف، والخصر، والساق، والضخذ،...) بل هذه الأشياء أجمل ما في المرأة، وعليها مدار كثير شعر الغزل، فهل استثنيت هذه الأشياء من التقديس كونها مذكرة التسمية على رغم ذلك كله؟ كذلك أكثر أدوات زينتها وطيبها مذكرة التسمية مثل : (الخرص، والسوار، والعقد، والخلخال، والوشاح، والنصيف، والمسك، والعنبر...) الخ.

فلا يعدو إذن تشبيه الشاعر الجاهلي المرأة بالشمس، والغزالة، والمهاة، والظبية.. وغيرها من المذكرات أو المؤنثات، أو إظهارها بيضاء ممتلئة عظيمة الأرداف أن يكون كما قال د. محمد النويهي قضية ذوق سائد في ذلك العصر<sup>(٩٩)</sup>، وانطلاقاً من البيئة

(٩٨) ينظر : أ/ص ١٢٣

٩٩ - ينظر: الشعر الجاهلي منهج في دارسته وتقويمه . الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة. ١/٣٢٢.

وتوظيف أجزائها في التعبير عن ذات الشاعر ورغائبه، ثم تحول شيء من ذلك إلى أعراف فنية متبعة، وسنورد شواهد من ذلك لاحقاً.

وعلى افتراض التسليم بقداسة صورة المرأة في الشعر الجاهلي، أو كون ذلك متوارثاً عمن كان يقدسها من القدامى المجهولين الذين لم يجد علينا مصدر واحد قطعي أو ظني بخبر من ذلك فلماذا تنال حظاً من الذكر والإعجاب أو فرأضعاف المرات من جميع الآلهة التي يعبدها الشعراء أنفسهم؟ وإذا كانت رموزاً لآلهة قديمة فلماذا لم يكن للآلهة الأصل المرموز بصورة المرأة إليها أو عنها نسبة من الذكر معها؟ ولماذا تتوارى الشمس التي كانت معبود عند طائفة بلا شك وراء صورة المرأة؟ ولماذا لا نجد في شعرهم دلالات واضحة على ذلك التقديس المزعوم، أو قريباً من ذلك، حتى على نحو ما نجد عند بعض الشعراء الإسلاميين الذين لم يذهب بهم ذاهب إلى شيء من تلك الدعاوى، سوى قصد المبالغة كما في قول كثير عزة<sup>(١٠٠)</sup>:

رُهبانُ مَدِينِ وَالَّذِينَ عَهْدُهُمْ      يَبْكَونَ مِنْ حَذَرِ الْعَذَابِ قَعُوداً  
لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سَمِعَتْ كَلَامُهَا      خَرُّوا لِعِزَّةِ رُكْعًا وَسُجُوداً  
وَالْمَيْتُ يُنْشِرُ أَنْ تَمَسَّ عِظَامَهُ      مَسًّا وَيَخْلُدُ أَنْ يَرَاكَ خُلُوداً

أم أن الشاعر العربي القديم قد وصل في الرمزية إلى تجاوز الأصول المرموز عنها كلية والاكتفاء برموزها؟

أما الرأي القائل أن الغزل بالمرأة إنما هو صلاة، فليس ثمة رابط بين مفهومي الصلاة والغزل بالمرأة لا لغة ولا اصطلاحاً ولا عرفاً، ولا نقل لنا شيء من ذلك من تراثنا العربي، بل شتان ما بينهما من بون أوجزه قول مونتسيكو: "إن صحبة النساء تربي الذوق وتفسد الطقوس"<sup>(١٠١)</sup>.

كما أن شياطين الشعراء التي استعار لها بعضهم مصطلحاً مستورداً هو: (آلهة الشعر عند العرب) وجعلوا من الشعر صلاة لها لم تقترن بالغزل والرتاء والمدح حيث

١٠٠ - ديوان كثير عزة. قدم له وشرحه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م. ص ٧٦.

١٠١ - نقد الشعر في المنظور النفسي. ص ٩٠.

الإعجاب والتقدير، بل أكثر اقترانها بالهجاء، وهو أبعد مسافة من التبتل والصلاة وتمتعات العابدين.

أما كون صورة المرأة المتغزل بها في الشعر الجاهلي إنما هي امتداد للتغزل بالغواني الموجودات في المعابد تقرباً إلى الآلهة والتماس الرضا منها عن طريق التغزل بتلك الغواني<sup>(١٠٢)</sup> فلم لم يتقرب الشاعر من معبوده مباشرة كما كان يصنع في شؤون حياته اليومية؟ وما الذي يدفعه إلى التوسل بهذه الغواني أو اتخاذها رمزاً؟ بل ما داعي وجود تلك الغواني في المعابد<sup>(١٠٣)</sup>؟ ولم لم يكونوا ذكوراً؟ أليس لأن الشاعر ذكر لا يعنيه ذكر مثله، وإنما تعنيه الأنثى؟ إذاً تلك هي رغبة الشاعر وحاجته هو، لا حاجة الآلهة ورغبتها؛ كيف والآلهة نفسها إناث؟ لم يبق إذاً إلا أن تكون تلك المرأة المتغزل بها أنثى حقيقية تلبي حاجة الشاعر/الذكر، أو تتسامى مع طموحه هو، ليس ثمة أمر آخر يكمن وراء ذلك.

١٠٢- ينظر تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام.. ص٥٧.

١٠٣- ينظر: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام. ص٣٣٨.

## المحور الثاني

قرأ الناقد العربي القديم الشعر الجاهلي، فرآه زاخراً بتصوير المرأة ومفاتها<sup>(١٠٤)</sup> على نحو ما ذكرنا، فأدرك مغزى الشعراء من وراء ذلك. ولم تخف عليه الفروق القائمة بين الشعراء في تصويرهم للمرأة ولعواطفهم نحوها : فوجد أن هناك من اختار لغزله ألفاظاً شفافاً تعبر عن حالته النفسية، وتوحي بصدق المعاناة أو هكذا استطاع تصويرها. وهناك من اتسم غزله بسمة بدوية مليئة بالاعتداد بالنفس، وهناك من يتأله في شعره ولا يستبهر بالفواحش فيأتي غزله شفيفاً عفيفاً، ومنهم شعراء كانوا يتعهورون في شعرهم على حد تعبير ابن سلام<sup>(١٠٥)</sup> ويصورون في تعلقهم بالمرأة ضرباً من المتاع الحسي، نحو ما هو عند امرئ القيس والأعشى والمنخل اليشكري. ويلاحظ في هذا النوع من الغزل (الصريح) أنه في حضوره الأوسع يمثل الماضي، فهو مبني على استرجاع الذكريات<sup>(١٠٦)</sup>؛ مما يخفف من وطأة الخجل عند الشاعر ووطأة الصدمة والمؤاخذة عند المتلقي.

فكيف فسر الناقد العربي القديم صورة المرأة تلك؟ وبم علل وجودها؟ وما حدود دلالتها ووظيفتها في تصوره؟

كان الناقد العربي القديم واقعياً تماماً مثل واقعية الشاعر القديم وشعره ؛ لذا لم نجد واحداً منهم عزا ذلك إلى رمز أو أسطورة، أو رده إلى دافع من عبادة أو تقديس حظيت به المرأة.

ولموقف النقاد العرب القدامى من ذلك وتعليقهم له مزية واعتبار لأنهم أقرب إلى الشعراء الجاهليين منا: زماناً وأدواً وطباعاً وأعرافاً فنية واجتماعية. وينحصر سلوكهم إزاء ذلك- فيما نرى- في موقفين:

**الأول:** منهم من وقف متجاهلاً لتعليق ذلك الأمر غير متعرض له ولا مصرح فيه بخبر، حتى حين يعرض للحديث عن المرأة وعن التغزل بها، كما هو حال ابن سلام

١٠٤ - ينظر : الغزل في العصر الجاهلي .د.أحمد محمد الخوي .دار فحضة مصر.القاهرة. ط٣ . ١٩٧٢ ص٢٥.

١٠٥ - ينظر : طبقات الشعراء .ص٥٥.

١٠٦ - ينظر : الوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية. ١٤٢.

الجمحي. وكأنهم يرون أن ورود ذلك في الشعر الجاهلي، وبتلك الكثافة أمر طبيعي بديهي لا يحتاج إلى تحليل ولا تكلف فلسفة لتفسيره. فالمرأة لاسيما في المجتمع البدوي شغل الرجل الأكبر (الشاعر والمتلقي)، وموقد من موقدات سلوكياته، فهل غريب عليه والأمر كذلك أن يؤثرها من شعره بما يوازي دورها في حياته- وإن هضمها أو تعالي عليها في أمور آخر- ؟ وإن لم يكن ذلك من أجلها هي فمن أجله هو، أو من أجل المتلقي الذي يسره الغزل ويضطرب له. وفي هذا الموقف إزاء هذه الظاهرة الأبرز والصورة الأكثر في الشعر الجاهلي تتعالي بلاغة الصمت التي استمرت إلى أيام ابن قتيبة على بلاغة الخطاب التي بدأت من عنده فيما نعلم.

الموقف الثاني: خلاصة مجموعة آراء يذهب أصحابها إلى: أن صورة المرأة في شعر الغزل الجاهلي تؤدي إحدى وظائف ثلاث (أو أكثر من واحدة) تشكل دافع الشاعر لذكرها واستلهاها، وكثيراً ما تتداخل اثنتان منهن، أو جميعهن أحياناً، تلك الوظائف/الدوافع تتعلق بثلاثة أطراف هي: (المتلقي، والمرأة، والشاعر) فأياً كان حضوره الأبرز، كان هو المعتمد في الحساب أن الصورة سيقى له. وسنقف قليلاً مع ثلاثة من نقادنا القدامى، ننقل لأحدهم في ذلك رأياً نظرياً، وللآخر نموذجاً تطبيقياً، وللثالث الأمرين معاً هم: ابن قتيبة، وقدامة ابن جعفر، وابن رشيق القيرواني.

يقول ابن قتيبة منظرًا لذلك ومعللاً: "... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصباية؛ ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه؛ لأن النسيب قريب من النفوس لا يبط بالقلوب لما قد جعل الله في قلوب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له...<sup>(١٠٧)</sup>" فابن قتيبة هنا يغلب جانب المتلقي، ويجعله هو غاية الشاعر ودافعه في التعرض لصورة المرأة والتغزل بها، ويعلل ذلك بواقع معروف لا ينكر، ولا يردده إلا مكابر.

فحوى نص ابن قتيبة أن مجيء صورة المرأة والتغزل بها يؤدي للشاعر وظيفتين، أو جاء بدافعين:

**الأول:** الترويج لشعره وتزيينه عند المتلقي ذكراً أو أنثى؛ لأنه يدرك تماماً أن شعر الغزل فخ لأوسع عدد من المتلقين، وسبب لاحتوائهم وضمان انحيازهم للقضية المركزية التي يسعى الشاعر إلى توكيدها<sup>(١٠٨)</sup>. وهذا دافع محصلته تعني الشاعر وقضيته بشكل أساس.

**الثاني:** يشترك فيه الشاعر مع غيره، فهو مثلهم ممن جعل الله في قلوبهم محبة الغزل وإلف النساء<sup>(١٠٩)</sup>. ثم هو إن كان صادقاً في نسيبه، وصاحب تجربة شعورية وجدانية حقيقية فإنه يجد في ذلك فرصة لإبراز ما استكن في ضميره مخفياً لوعته، معلناً شكايته وهواه؛ "فلا خير في اللذات من دونها الستر" على حد تعبير أبي نواس<sup>(١١٠)</sup>.  
أما قدامة ابن جعفر فوقف عند قول كثير عزة<sup>(١١١)</sup>:

يود بأن يمسي سقيماً لعلها      إذا سمعت عنه بشكوى ترأسله  
ويرتاح للمعروف في طلب العلى      لتحمد يوماً عند ليلى شمائله

وقال: "هو من أحسن الغزل؛ وذلك أن الشاعر قد أبان في البيت الأول عن أعظم وجد وجدته محب؛ حيث جعل السقم أيسر مما يجده من الشوق، فإنه اختاره ليكون سبيلاً إلى أن يشفى بالمراسلة من الوجد، فهو أيسر ما يتعلق به الوامق وأدنى فوائد العاشق. وأبان في البيت الثاني عن إعظام منه شديد لهذه المرأة، فلم يرض نفسه لها عن سجيته

١٠٨ - الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب . د. عبد الإله الصانع . دار الفكر المعاصر . صنعاء . ط ١ . ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م . ص ٤٠٢ .

١٠٩ - ينظر: الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب . ص ٤٠٣ .

١١٠ - من بيت هو : فيح باسم من تهمى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها الستر ديوان أبي نواس . عمر فاروق الطباع . دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت لبنان . ط ١ . ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م . ص ٢٢٢ .

١١١ - ديوانه . ص ١٧٣ . ومطلع البيت الثاني عنده هو (ويهتر) بدلاً من ويرتاح، واعتمدنا رواية الديوان، وإن كانت الأخرى أبلغ وأروع.

الأولى، بل احتاج إلى أن يتكلف سجايا مكتسبة يتزين بها عندها، وهذه غاية المحبة<sup>(١١٢)</sup>."

دافع/وظيفة الصورة في النسيب هنا (من خلال النص، ومن كلام قدامة) موزعة بين الشاعر والمرأة، فالشاعر يود ما يود ويقوم بما يقوم به من أجل ليلي عليها ترضى عنه، فدافع الصورة ينبع من الشاعر (ابتداء) : يتمنى ويسعى، ثم لها ومنها ثانياً : يشبع غرورها، ويقوم بما تحب، ثم هي ثالثاً تعلن قبولاً بمسعاها وحمداً لشمائله، ليعود الأمر للشاعر أخيراً محققاً برضاها مناه.

### علاقة التقاليد الفنية بتفسير صورة المرأة

نعود إلى ابن قتيبة فنجد في الصفحة نفسها بعد قوله السابق بسطور، ويعد أن استوفى الحديث عن أجزاء القصيدة القديمة ومنها النسيب الذي ذكرناه له يقول: "ولا يجوز لتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام" ومنها التزام النسيب وعلى الطريقة نفسها التي ذكرناها عنه.

ويقول قدامة بن جعفر بعد نصه السابق الذي أوردناه مباشرة : "ووصف الشاعر لذلك هو الذي يستجاد، لا اعتقاده، إذ كان الشعر إنما هو قول، فإذا أجاد فيه القائل لم يطالب بالاعتقاد؛ لأنه يجوز أن يكون المحبون معتقدين لأضعاف ما هو في نفس هذا الشاعر من الوجد".

ويقول ابن رشيقي القيرواني : "وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم، فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو : ليلي، وهند، وسلمى، ودعد، ولبنى، وعفراء، وأروى، وريا، وفاطمة، ومية، وعلوة، وعائشة، والرباب، وجمل، وزينب، ونعم، وأشباههن، ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي<sup>(١١٣)</sup> :

وما كان طبي حبيها غير أنه يقام بسلمى للقوا في صدورنا

١١٢ - نقد الشعر. قدامة بن جعفر. تحقيق كمال مصطفى. حلوان. ط ٢. ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م. ص ١٤٦.

١١٣ - منتهى الطلب من أشعار العرب. محمد المبارك بن ميمون. تحقيق وشرح د. محمد نبيل طريفي. دار صادر بيروت. ط ١. ١٩٩٩م. ٣٩٤/٨. وهي فيها "سلمى" بدل ب"سلمى" وما ذكرناه هو في الاختيارين. وآثرناه كونه أنسب.

ويواصل ابن رشيقي، فيقول : وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة ؛ إقامة للوزن، وتحلية للنسيب كما في قول جرير<sup>١١٤</sup> :

أجد رواح القوم ؟ بل لات روحوا      نعم كل من يعنى ( بجمل) مبرح  
ثم قال بعد بيت واحد<sup>١١٥</sup> :

صحا القلب عن أسما وقد برحت به      وما كان يلقي من (تماضر) أبرح  
إذا سايرت (أسماء) يوماً طعائنا      فأسماء من تلك الطعائن أملح

ظللنا حوالي خدر أسماء فانتحى      بأسماء موار الملاطين — (روح (١١٦)

فذكر في أبيات متتابعة من قصيدة واحدة نسوة ثلاثاً: (جمل، وأسماء، وتماضر) فهل الشاعر هنا عاشق دنف برح به العشق حقيقة كما يقول؟ وإن كان فلايهن؟ أم أن هذه الأسماء على رغم تعددها تطلق على مسمى واحد معني بذلك؟ أم أنهم معنيات جميعاً؟

وإن يكن قليلاً، لكنه ليس بعيداً عن الرجل أن يعشق ثلاثاً في وقت واحد، سوى أنه ظاهر أن الشاعر هنا لا يمكن أن يكون عاشقاً حتى لواحدة - لا من خلال سيرته التي قيل فيها إنه كان متنسكاً عفيفاً لم يعشق امرأة لا تحل له، ليس في هذه الثلاث واحدة منهن- بل من خلال هذا السرد المتجاوز للمعشوقات اللواتي يزعم أنهم برحن به. فإذا كان الأمر كذلك فلم حشر الشاعر إذاً هذه الأسماء في أبياته هذه؟ لعل جواب ذلك هو ما ذكره ابن رشيقي في قوله السابق.

فهذه الأقوال الثلاثة الأخيرة (لابن قتيبة، وقدامة، وابن رشيقي) - وهناك غيرها-

تثبت لصورة المرأة المشيب بها وظيفة فنية ذات أثرين متضادين:

١١٤ . ديوان جرير، دار صادر، بيروت، ص ٨٣.

١١٥ . ديوان جرير، ص ٨٤.

١١٦ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ابن رشيقي القيرواني. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الطلائع. القاهرة. ط ١

٢٠٠٦. م ٢ / ١٠٥-١٠٦.

- الأول منهما يساعد الشاعر في إثراء معجمه، وإكسابه مرونة الاختيار والتوسع كما هو الحال عند جرير في أبياته المذكورة.
- وفي ثانيهما تقييد للشاعر والزامه اتباع السابقين، والسير على إثرهم وترسم خطاهم، متجاوزاً ذاته وخصوصيتها، تحت مسمى التزام العرف الفني، على نحو ما نص ابن قتيبة.

وادعاء الفنية في صياغة صورة المرأة المشبب بها أو حديث الأطلال والرحلة، وأنه تقليد محض يأخذه اللاحق عن السابق أمر فيه الكلام قد كثر، ويبلغ فيه أناس وجاوزوا القصد؛ لأن هذا يعني فيما يعني أن ليس ثمة علاقة لذلك بنفسية الشاعر، ووجدانه وعاطفته، ولا بمشاعر المرأة وأحاسيسها، أو غرورها ورغبتها. وفي هذا إفراغ لهذه الصورة من أي وظيفة أو دافع شخصي ذاتي واضح عند الشاعر، أو منه إزاء المرأة التي يذكر اسمها، لأنه (بهذا الاعتبار) اسم مقحم إقحاماً لا مسمى له، وبخاصة عندما يكون الأمر كما هو عند مالك بن زغبة الباهلي في قوله الآنف الذكر:

وما كان طبي حبها غير أنه يقام بسلمى للقوا في صدورنا

وعند المتنبى بعد ذلك بقرون<sup>(١١٧)</sup>:

إذا كان مدحٌ فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم

ولا ندري أيهما أغرب: أتلك المثالية عند أصحاب التفسير الأسطوري؟ أم هذا التجريد التام لشاعر الغزل الجاهلي - وللمتلقي أيضاً - من عواطفه (الذكورية) وميوله (نحو الأنثى) التي شغل الناس بها في شعره تصويراً وهياماً؟ أم نقيض ذينك المتمثل في نظرية دارون التي جعلت من الجنس القوة الأساسية المحركة لجميع تصرفات الإنسان لا لشعر الغزل فحسب<sup>(١١٨)</sup>؟ أم أن ذاك التطرف متولد عن هذا التطرف ومضاد له تأكيداً للقاعدة القائلة: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضادٌ له في الاتجاه؟.

١١٧ - ديوانه ٩٩٧/٢.

١١٨ - ينظر: التفسير النفسي للأدب . ص ٤٣.

كما أن حصر ذلك التداول لصورة المرأة على التقليد الفني المحض لا يحقق للمتلقين أي وظيفة أو هدف إلا بمقدار ما يعينهم التزام التقاليد الفنية.

ونحن لا ننكر أثر التقليد والتزام الأعراف الفنية في التزام الشعراء أنماطاً معينة مع صورة المرأة في مقام التشبيب وما يتعلق به، لاسيما في مقدمات القصائد، لكننا لا نتقبل المبالغة في مقدار ذلك الأثر، ولا نستسيغ صنيع من قصر ورود المرأة في مقدمات القصيدة (طللية - نسيب - حديث الظعن ووصف الرحلة) على التقليد المحض، والتزام الأعراف الفنية المتبعة، ملغياً أي دور أو أثر لنفسية الشاعر، ومقصديته الخاصة، أو علاقته بتلك الصورة.

بل الحق أن التزام الشاعر الجاهلي العرف الفني إزاء صورة المرأة، لاسيما في مقدمات القصائد التي تكاد تكون محصورة في شخصية المحبوبة وما يتعلق بها، في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وفي ظعنها وإقامتها، لم تكن في حقيقة أمرها قيوداً، كما أنها لم تكن رموزاً أسطورية، وإنما كانت "فرصة أتاحتها التقاليد الفنية الموروثة؛ ليتخفف فيها الشعراء من الالتزامات القبليّة التي يفرضها عليهم العقد الفني بينهم وبين قبائلهم، ويتفرغوا (من خلالها) للتعبير عن ذواتهم وشخصياتهم، في محاولة جاهدة لتحقيق وجودهم الضائع في زحمة هذه الالتزامات، فهي في وضعها الطبيعي القسم الذاتي في القصيدة الجاهلية<sup>(١١٩)</sup>. والمقارنة بين: طبيعة المقدمة، وصورة المرأة عند كل من: الشاعر الجاهلي، والشعراء الصعاليك تؤكد هذا الأمر وتقويه، كما أن خلو قصائد الرثاء من تلك المقدمات يعد قرينة في هذا السياق.

إذا فالتزام الشاعر بحديثه عن المرأة بتلك الصور ليس محضاً لذات الفن ولا لكونه طقوساً تُورثن، وإنما لكون هذا الالتزام يحقق له ذاته كما أسلفنا، ويحقق له نفعاً ثانياً بقبول شعره وعدم كساد بضاعته، لأنه يحقق للمتلقى رغبته، ويشبع نهمته التي فرضها على الشاعر حتى أصبحت عرفاً من الأعراف المراعاة التي حرص عليها الشعراء، والخروج عنها انحراف من الشاعر، لا عن نفسيته هو فحسب، بل عن تلبية رغبة المتلقى المغروسة فيه طبعاً، قبل أن تكون مشروعة له فنياً، وقطع للخيط الواصل

١١٩ - دراسات في الشعر الجاهلي. د. يوسف خليف. دار غريب. القاهرة. ص ١٢٣.

بين الشاعر والجمهور. وفي هذا يحسن ذكر ما رواه ابن رشيق عن أبي السائب المخزومي، وهو من أعيان أهل المدينة المنورة في القرن الأول الهجري، وأشرفهم، ومتدينيهم، أنه سئل: "أترى أحداً لا يشتبه النسب؟ فقال: أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا"<sup>(١٢٠)</sup>. ففي هذا النص أبلغ دلالة وأوضحها على متين علاقة نفسية المتلقي بصورة المرأة المتغزل بها التي تجعل الشاعر يحرص على استحضارها، بل إتقانها والابتداء بها ليكسب رضا المتلقين. ولا ينقض هذه الرواية ولا ينقصها أن قائلها إسلامي لا جاهلي، بل يزيد دلالتها قوة وتأكيدها؛ فإذا كان هذا صنيع أهل الدين والشرف في الإسلام فإن الأمر عند الجاهليين أشد وأبلغ. ومثل ذلك أو على نحو قريب سئل امرؤ القيس: ما السرور؟ فقال: "بيضاء رعبوبة، بالطيب مشبوبة، باللحم مكروبة"<sup>(١٢١)</sup>. وهذا الجواب من امرئ القيس لا يقتضي أي اعتبارات فنية أو أخلاقية أو غيرها تنحرف به عن جادة الصدق، لذا لا نظن أن فيه شيئاً غير الصراحة التي تمتلئ بها نفسه. وذلك يؤكد واقعيته في شعره، وفي تصويره للمرأة، وأنها في شعره أنثى: حقيقية في واقعه، أو حاضرة في أحلامه، ملحمة على مخيلته، ولا تمت إلى القداسة بحال.

ولعل في الالتزام الصارم بهذه الصور في مقدمة شعر المديح أكثر منه في غيره، في حين يخلو شعر الرثاء منها تقريباً إحياءً بصدق ما نقول.

فضلاً عما ذكرناه من دوافع/وظائف صورة المرأة المشبب بها في الشعر الجاهلي، لاحظ الناقد العربي أن هناك أموراً ثانوية تأتي وراء صورة المرأة تلك منها مثلاً: ما يعود إلى ضرب من الفتوة شاعت عندهم، إذ كانوا يتمدحون بأنهم يناولون من المرأة ما يريدون، وهم وثنون ليس لهم دين يردعهم، كما قد يكون ذلك نوع من الكيد السياسي وتشويه سمعة الخصم والنيل من كرامته<sup>(١٢٢)</sup> الذي شاع بعد في العصر الأموي.

١٢٠ - العمدة: ٢/ ١٠٠.

١٢١ - العقد الفريد. ابن عبد ربه. تحقيق محمد عبد القادر شاهين. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. ط ١٩٩٠ هـ - ٢١٣٧ م.

١٢٢ - ينظر: العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. ص ٢١٤، والأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب. ص ٤٠٣.

### المحور الثالث

مشهور إلى درجة البديهة أن المرأة العربية قبل مجيء الإسلام لم تنل أبسط حقوقها باعتبارها إنسانة لها كرامتها وإنسانيتها التي تستحقها - ناهيك عن أن تكون مقدسة أو معبودة- فقد كانت ممتهنة محتقرة، تورث كما يورث المتاع، وتوآد خشية العار والفقر، ليس لها من الأمر شيء "يحكمها الرجل كجارية: عليها أن تعمل بمقتضى الأوامر والنواهي الصادرة من الأب أو الزوج أو الأخ، وقبلت المرأة كل هذا عن: اختيار اضطراري أو اضطرار اختياري، أو عن اعتياد وراثي"<sup>(١٢٣)</sup> تولد عن أحد هذين.

فإرجاع صورة المرأة المشبب بها في القصيدة العربية الجاهلية إلى القداسة أو حتى شيء منها قد يدل فيما يدل عليه - فضلاً عن احتمال التأثر بالآخر الذي أشرنا إليه سابقاً- على مثالية وصفاء في نفوس القائلين به عجزت عن تقبل واقعية ذلك الحشد الهائل الحسي من صورة المرأة. وجميل أن يأتي في عصرنا من ينتصر للمرأة ولصورتها التاريخية التي صورت فيها رمزاً للخطيئة وسبباً لشقاء البشرية. لكن هذا الزعم لا يستقيم مع واقع المرأة، ليس في المجتمع العربي الجاهلي وحسب، بل مع واقعها في معظم المجتمعات، على مر التاريخ، حتى في عصرنا الحاضر.

فإذا كان الشاعر العربي الجاهلي قد وظف جمال المرأة وأنوثتها على نحو أو آخر إشباعاً لرغبته، أو رغبة المتلقي/الرجل، ليشد اهتمامه ويستميله نحو شعره على نحو ما ذكر ابن قتيبة، ففي عصرنا كثيراً ما يقوم الرجل/ الشاعر، أو الكاتب، أو التاجر، أو السياسي، أو ... الخ بعملية استغلال لأنوثة المرأة على نحو أكثر من الشاعر الجاهلي لإشباع حاجته وحاجة أخيه الرجل، واتخاذها وسيلة (كثيراً ما تكون رخيصة) لإرضاء أخيه الرجل وإغرائه، محققاً ما يصبو إليه : إنفاق شعره إذا كان شاعراً، أو بضاعته إذا كان تاجراً ... ليأخذ منه على ذلك مقابلاً يختلف باختلاف وصف المستغل (بفتح الغين)، والشعراء في عصرنا يكادون يكونون الأقل في ذلك.

نظن أن هذه هي الحقيقة الأبرز والوظيفة الأكبر لتلك الصورة للمرأة الجميلة التي أشاد ويشيد بها الرجل وبجمالها، ويكثر من ذكرها، ويزينها بصورة مثالية في

شعره أو في وسائل الدعاية والإعلانات، أو في المسارح، أو في القنوات، أو في عروض الأزياء، أو فيما قد يستجد، اتحدت الوسيلة (المرأة الجميلة) واختلقت الغاية، من أيام ابني آدم (هابيل وقابيل) بصور تتباين : بداوة ومدنية، وضوحاً وخفاءً، مزينة (غالباً) وقبيحة أحياناً. باسم الفن أو المتعة أو التجارة، أو حتى باسم المبادئ والأديان والإنسانية أحياناً.

ولا ندري لعله قد يأتي من الأجيال اللاحقة لنا من يدعي أنا أبناء هذا العصر والقريبين منا كنا نعبد عارضات الأزياء أو القائمات بأمور المتعة أو الدعاية التجارية، والممثلات لأفلام الجنس، ونبني لهن المعابد وننحت التماثيل والنصب، ونقدم لهن القربان، ونقف بين أيديهن مصلين خاشعين، لأنهم عثروا على صور لبعضهن ملصقات على بقايا جدران مطمورة كان يسكنها بعض شبابنا المراهقين المفتونين بأنوثتهن.

وثمة قصص وشواهد وأمثال كثيرة تؤكد النظرة الدونية للمرأة قديماً، على نحو يصبح معه إدعاء قداستها باعثاً للهزاء، ومدعاة للسخرية، وسنستغني عن ذلك - خوفاً الإطالة - ببعض النصوص الدينية من الآيات القرآنية التي أفادتنا نبأً من ذلك في أكثر من موطن، ومن العهد القديم.

والقرآن الكريم أصدق لوحة، وأوثق مصدر نقرأ فيه الصورة الحقيقية للمرأة العربية في مجتمع ما قبل الإسلام، من ذلك:

قال تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (١٢٤).

وقال تقدست أسماؤه: (أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين.. وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) (١٢٥).

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَكَبُ شَهَادَتِهِمْ

وَيَسْأَلُونَ﴾ (١٢٦)

١٢٤ - سورة النحل الآية (٥٨-٥٩)

١٢٥ - سورة الزخرف الآية ١٦-١٧

١٢٦ - سورة الزخرف الآية ١٩

وقال تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ . . . وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ السُّنُتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّعْرَطُونَ ﴾ (١٢٧).

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (١٢٨).

أرأيت صورة العربي الجاهلي إذا رزق بأنثى كيف يسود وجهه من سوء النبأ؟ بل يظل كذلك إلى أمد كظيماً، كاسفاً باله، يتوارى من القوم حتى لا ترميه أبصارهم بالازدراء والشفقة، وكأنه حلت عليه كارثة، أو كأنه أتى بجرم لا يُغفر، ووقع في عار لا يُتغاضى عنه. والصور الدقيقة في العبارات (ظل وجهه مسوداً وهو كظيم - يتوارى من القوم - أيمسكه على هون - أم يدسه في التراب) ثم الحكم الرباني عليهم (ألا ساء ما يحكمون) الذي يوحي أن ذلك منهم حكم متبع، وأمر معتاد يتكرر لذلك استخدم الفعل المضارع (يحكمون)، كل ذلك ينبئنا بالمقام الذي كانت تحتله المرأة في المجتمع العربي بأدق وصف وأعذب لفظ وأوجز عبارة، فضلاً عن كونها من أوثق مصدر. والآيات التي بعد ذلك تعيب على العرب تصورهم أن الملائكة إناث، ونسبتها مع تأنيثها إلى الله، وهو ما لا يرتضونه لأنفسهم، فكيف أجاز لهم أدبهم مع الله أن ينسبوا إليه ما يترفعون عنه؟

تلك هي خلاصة حالة المرأة ومنزلتها عند عرب الجاهلية<sup>(١٢٩)</sup> إلى مجيء الإسلام، وهي نظرة كانت متوارثة لم تأت بين عشية وضحاها، بل كلما أوغلنا في القدم زاد حال المرأة سوءاً ومكانتها ضعفاً.

كما يمكن الاستئناس ببعض من نصوص العهد القديم، والتشريعات اليهودية القديمة في بيان صورة المرأة قديماً. وتعود أهمية استشهدنا بذلك إلى أمور منها :

١٢٧- سورة النحل الآيات (٥٧-٦٢)

١٢٨- سورة التكويد الآية (٨-٩)

١٢٩- ولا ينقض ذلك وجود كاهنات ونساء ذكرهن التاريخ منزلة جليلة فإن تلك حالات نادرة، لا ترقى إلى نسبة المقارنة مع ما كان للرجل ناهيك أن يصل بما الأمر إلى العبادة والتقدس.

(١) أنها تعود إلى عصر قد يكون أقدم من البدايات الأولى للشعر الجاهلي بزمن طويل.

(٢) ثم إن اليهود عاشوا في المنطقة العربية وحولها، وكان منهم شعراء بالعربية.

(٣) اليهود أهل كتاب نتوقع أن تكون المرأة لديهم أحسن حالاً منها في المجتمعات الوثنية.

• يقول العهد القديم: "درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلا، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون فوجدت أمر من الموت المرأة .. التي هي شباك، وقلبها أشراك، ويدها قيود، الصالح قدام الله ينجو منها أما الخاطئ فيؤخذ بها" (١٣٠).

• والزواج في اليهودية صفقة شراء تعد به المرأة مملوكة تشتري من أبيها فيكون زوجها سيدها المطلق (١٣١).

• والمرأة المتزوجة في اليهودية كالقاصر والصبي والمجنون، لا يجوز لها البيع والشراء (١٣٢).

• لا تراث المرأة زوجها - عدا مؤجل الصداق - بما في ذلك ثروتها فإنها آلت إلى زوجها ومنه إلى ورثته (١٣٣).

إذا كان هذا شأن المرأة عند اليهود وهم ورثة كتاب مقدس ورسالة سماوية يتساوى عند مرسلها البشر ذكورهم وإناثهم، فكيف سيكون حالها عند غيرهم؟ لاسيما من الوثنيين الذين تقوم مجتمعاتهم على مبدأ الحروب والغارات والثارات والسلب والنهب، التي يمثل الرجل دون المرأة قطب رحاها ووقودها، وكان ضعف دور المرأة فيها، وعدم حملها للسلاح، وكونها تشكل عبئاً على المحاربين في حراستها والخوف عليها من السبي من أسباب الكره لها والتبرم منها. فما الذي سياتسبب في اللاشعور أو يتسرب عبر الوعي أو اللاوعي عن مكانة المرأة؟ وكيف يسوغ لنا إذاً بعد ذلك أن نعتقد أنها كانت

١٣٠- العهد القديم سفر الجامعة الإصحاح السابع: الفقرتان ٢٥- ٢٦ جمعية الكتاب المقدس بيروت ١٩٦٢م ص ٩٧٩-٩٨٠

١٣١- اليهود في الحضارات الأولى غوستاف لوبون ص ٥٢ نقلا عن مقارنة الأديان، أحمد شلي ٢٧٨/١

١٣٢- مقارنة الأديان اليهودية . أحمد شلي مكتبة النهضة المصرية - القاهرة : دون ط. ١٩٦٦م. ص ٢٧٩.

١٣٣- The Jewish World in the time of Jewish . Guignebert . p 83. نقلاً عن السابق ص ٢٨٠.

معبودة مقدسة؟ وكيف يخطر على بالنا أن نتوقع من الرجل (الشاعر أو من قبله) أو نصدق حتى لو ادعى صراحة- والحالة تلك- أن يقدها أو يجعل منها رمزا لألهته التي يقدها؟

ومما يؤكد صحة كون صورة المرأة المذكورة في الشعر الجاهلي أنثى حقيقة: اقتران الحديث عنها كثيراً بأسماء أماكن محددة تحديداً دقيقاً، وأن كثيراً ممن استأثر بها من شعراء الجاهلية شعراء مجنون وتهتك وطالبو متع ولذات، مما يدل على أن المرأة التي يعنيها الشاعر هي الأنثى التي يهواها ويشتهيها ويخلع عليها رغائبه، والتي تصلح لأن يستمتع بها، لا تلك التي يقدها؛ لذا نجده يركز على مفاتها وأعضاء الأنوثة فيها، وما قد نلمسه من رفع لمكانتها عنده، وثناء عليها وتذلل بين يديها ما ذلك إلا لشاعره المتمثلة فيها وحاجته الكامنة لديها التي يعجز عن نيلها، فإذا ولتا عنه فعنها ولي.

**ختاماً:**

قبل أن نضع عصا التسيار نوجز أهم النقاط التي حوaha هذا البحث، وعمدنا إليها فيه، وهي:

(١) صورة المرأة في الشعر الجاهلي أنثوية واقعية، حملها الشاعر كامل أوصاف الأنثى الحقيقية ووظيفتها البشرية، وإن اختلفت المقصدية التوظيفية لهذا العمل من شاعر لآخر ومن حالة لأخرى، لكنها على أية حال ليست أسطورية ولا ذات دلالة رمزية أسطورية.

(٢) الوصف الحسي الاستقصائي الدقيق لأجزاء صورة المرأة، وربط ذلك بتحديد مكاني دقيق عند كثير من الشعراء يؤكد تلك الواقعية.

(٣) واقع المرأة الاجتماعي يتنافى مع أي دعوى قداسة لها في الشعر أو غيره.

(٤) على رغم وجود قواسم مشتركة بين الآداب الإنسانية، يظل لكل أدب استقلاله وخصوصيته النابعة من خصوصية البيئة والإنسان والثقافة، والغفلة عن ذلك أو عن شيء منه يولد خلطاً وخطأً في طبيعة الأحكام المطلقة.

(٥) أدرك الناقد العربي القديم الحجم الكبير الذي تحتله صورة المرأة، وحاول تحليل ذلك بأمور شتى، لم يصل إلينا عنه أي تفسير يخرج بها إلى حيز الأسطورة أو الرمز الأسطوري.

(٦) في الأخير من البديهي أن ما ذهبنا إليه مقتنعين به، وما طرحناه منزوين عنه لا يعدو أن يكون ذلك منا وجهة نظر ترجحت قد تثبت دراسات لاحقة خطأ أو صواب أي منهما، على أن الصواب وكذلك الخطأ في مثل هذه الأمور لا يعدو أن يكون نسبياً لا يرقى إلى درجة اليقين المطلق.

## قائمة المصادر والراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الأدب الجاهلي وبلاغة الخطاب . د. عبد الإله الصائغ . دار الفكر المعاصر . صنعاء . ط١ . ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- (٣) الأدب العربي في العصر الجاهلي . محمد مصطفى هدارة . دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية . ١٩٨٥م .
- (٤) الأزمنة والأنواء . أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل ابن الأجدابي . تحقيق عزة حسن . دار سمير أميس . دمشق . ١٩٦٤ .
- (٥) الأساطير - دراسة حضارية مقارنة - أحمد كمال زكي . مكتبة الشباب . القاهرة . ط١ . ١٩٧٥ .
- (٦) الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام . أحمد إسماعيل النعيمي . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد . ط١ . ٢٠٠٠ .
- (٧) الاشتقاق . أبو بكر بن السراج . تحقيق محمد صالح التكريتي . بغداد . ١٩٧٣ .
- (٨) البناء الفني في شعر الهذليين . أياد عبد المجيد إبراهيم . دار الشؤون الثقافية العامة . بن داد . ط١ . ٢٠٠٠م .
- (٩) تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام . نوري القيس ، وعادل البياتي ، ومصطفى عبد اللطيف جياووك . دار الحرية للطباعة . بغداد . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- (١٠) دراسات في الشعر الجاهلي . أنور أبو سويلم دار الجيل بيروت ، دار عمار بيروت . ط١ . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- (١١) دراسات في الشعر الجاهلي . د. يوسف خليف . دار غريب . القاهرة .
- (١٢) دراسات نقدية في الشعر العربي ، بهجت عبد الغفار الحديثي . دار الشؤون الثقافية الحديثة . بغداد . دون ط . ١٩٩٢م .
- (١٣) ديوان أبي تمام . شرحه مضبطه وقدم له إيمان البقاعي . مؤسسة الأعلمي للطباعة . بيروت . ط١ . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- (١٤) ديوان أبي نواس . عمر فاروق الطباع . دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت لبنان . ط١ . ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

- ١٥) ديوان الأعشى، عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت . لبنان
- ١٦) ديوان الأفوه الأودي. تحقيق عبد العزيز الميمني (ضمن طرائف أدبية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. ١٩٢٧.
- ١٧) ديوان الحارث بن حلزة اليشكري. عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت . لبنان
- ١٨) ديوان الحطيئة. عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. لبنان .
- ١٩) ديوان المتنبي. شرح عبد الرحمن البرقوقي . دار الفكر. بيروت . ط١ . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- ٢٠) ديوان النابغة الذبياني . شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت . لبنان
- ٢١) ديوان امرئ القيس. تحقيق عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم. بيروت. لبنان.
- ٢٢) ديوان جرير، دار صادر، بيروت.
- ٢٣) ديوان حاتم الطائي . شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت . لبنان
- ٢٤) ديوان زهير بن أبي سلمى .. شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع . دار القلم بيروت . لبنان .
- ٢٥) ديوان طرفة بن العبد البكري. المكتبة الثقافية . بيروت . لبنان
- ٢٦) ديوان عبيد بن الأبرص . تحقيق د. حسين نصار. ط١ . ١٩٥٩.
- ٢٧) ديوان عروة بن الورد . شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم . بيروت . لبنان
- ٢٨) ديوان عمرو بن كلثوم. عمر فاروق الطباع. دار القلم بيروت . لبنان
- ٢٩) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي . جمع وتحقيق د. هاشم الطعان. وزارة الثقافة والإعلام . بغداد. ١٩٧٠م.
- ٣٠) ديوان عنتره . قدم له ووضع هوامشه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

- (٣١) الديوان في الأدب والنقد. عباس العقاد، وإبراهيم المزني. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠٠م.
- (٣٢) ديوان كثير عزة. قدم له وشرحه مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- (٣٣) ديوان وضاح اليمن. محمد خير البقاعي. دار صادر. بيروت. ط١. ١٩٩٦.
- (٣٤) الشاعر الإسلامي تحت سلطة الخلافة/داود سلوم. عالم الكتب. بيروت. ط٢. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- (٣٥) الشعر الجاهلي منهج في دارسته وتقويمه. د. محمد النويهي. الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة.
- (٣٦) الشعر الجاهلي- قضاياها الفنية والموضوعية- د. إبراهيم عبد الرحمن محمد. دار النهضة العربية. بيروت. ط٢. ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- (٣٧) شعر زيد الخيل الطائي. صنعة د. أحمد مختار البزرة. دار المأمون للتراث. بيروت. ط١. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٣٨) الشعر والشعراء. ابن قتيبة. عالم الكتب. ط٣. ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٣٩) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل. شهاب الدين الخفاجي. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. المطبعة المنيرية بالأزهر. ط١. ١٣٧١هـ - ١٩٥٢.
- (٤٠) صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم. بيروت. ط١. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. ٨/١٣.
- (٤١) صفوة التفاسير. محمد علي الصابوني. دار القرآن الكريم. بيروت. ط١. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- (٤٢) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث. د. نصرت عبد الرحمن. مكتبة الأقصى. عمان. ١٩٧٦م
- (٤٣) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري. علي البطل. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع. لبنان. ط١. ١٩٨٠م
- (٤٤) طبقات الشعراء. ابن سلام الجمحي. تحقيق عمر فاروق الطباع. دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت. ط١. ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

- (٤٥) العصر الجاهلي . د. شوقي ضيف . دار المعارف . القاهرة . ط٨ . ١٩٧٧م
- (٤٦) العقد الفريد . ابن عبد ربه . تحقيق محمد عبد القادر شاهين . المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية . ط١ . ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- (٤٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده . ابن رشيق القيرواني . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . دار الطلائع . القاهرة . ط١ . ٢٠٠٦ .
- (٤٨) العهد القديم سفر الجامعة الإصحاح السابع: الفقرتان ٢٥ - ٢٦ جمعية الكتاب المقدس بيروت ١٩٦٢م .
- (٤٩) الغزل في العصر الجاهلي . د. أحمد محمد الحويفي . دار نهضة مصر . القاهرة . ط٣ . ١٩٧٢ .
- (٥٠) فتح القدير . شيخ الإسلام الشوكاني . دار ابن كثير . دمشق - بيروت . ط٢ . ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- (٥١) فنون الأدب الشعبي في اليمن . عبد اله البردوني . دار البارودي . بيروت . ط٥ . ١٩٩٨
- (٥٢) لسان العرب . ابن منظور . دار صادر . بيروت . ط٣ . ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- (٥٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها . د. عبد الله الطيب المجذوي . دار الفكر . بيروت . ط٢ . ١٩٧٠م
- (٥٤) المستقصى في أمثال العرب . أبو القاسم الزمخشري . دار الكتب العلمية . بيروت . ط٢ . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- (٥٥) الفضليات . الفضل الطيبي . تحقيق د. قصي الحسين . دار ومكتبة الهلال . بؤدار البحار . بيروت . ٢٠٠٤ .
- (٥٦) مقارنة الأديان - اليهودية - . أحمد شلبي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٦٦م .
- (٥٧) منتهى الطلب من أشعار العرب . محمد بن المبارك (ت ٥٩٧هـ) . تحقيق وشرح د. محمد نبيل طريفي . دار صادر بيروت . ط١ . ١٩٩٩م
- (٥٨) نقد الشعر في المنظور النفسي . د. ريكان إبراهيم . دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد ط١ . ١٩٨٩م . ص٧٣ .

(٥٩) نقد الشعر. قدامة بن جعفر. تحقيق كمال مصطفى . حلوان. ط٢. ١٣٨٢هـ -

١٩٦٢م

(٦٠) الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي . د. نصرت عبد الرحمن . دار الفكر

للنشر والتوزيع. عمان. الأردن. ١٩٨٥ .

(٦١) الوحدة العضوية في القصيدة الجاهلية . د. رعد أحمد الزبيدي. مجلة الباحث

الجامعي. العدد الرابع. ٢٠٠٢م

# فاعلية برنامج إرشادي نمائي في نمو طفل ما قبل المدرسة

دراسة تجريبية على أطفال الروضة في مدينة (المكلا)

د. عبدالرحمن سعيد بلخير

د. أفريدا بحر الدين خليل العامري



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## فاعلية برنامج إرشادي نمائي في نمو طفل ما قبل المدرسة

### دراسة تجريبية على أطفال الروضة في مدينة (المكلا)

مقدمة :

اتفق معظم علماء النفس والتربية أن التعليم في مرحلة رياض الأطفال يمثل نقطة الانطلاق التي ينطلق منها الطفل من كائن غير ناضج ليصبح كائناً ناضجاً مستقلاً بذاته. وقد أطلق على هذه المرحلة العمرية " بالمرحلة الذهبية " لتأثر الطفل بكل مثير من المثيرات التربوية والتعليمية. وعليه أكد "فروبل" Froebel أن هذه المرحلة أفضل فرصة لوضع الأساس لبناء شخصية الفرد وتطويرها (Roopnaire, J.L & Johnson, J.E, 1993 : 57)

وقد أكدت نتائج الدراسات التربوية والنفسية العديدة، على خطورة وأهمية مرحلة الروضة في بناء الإنسان، إذ في هذه المرحلة تتفتح مواهب الطفل، وتحدد اتجاهاته وتكون شخصيته، (شلتز، 1983 : 48). ولعل هذا مما يستلزم إعداد طفل هذه المرحلة، إعداداً تربوياً وتعليمياً لدعم جوانب مختلفة لنمو الطفل، ومساعدته في التغلب على الصعوبات والمشكلات التي قد تعوق سير نموه (سنا حجازي، 2005 : 38).

لقد قدمت لنا الدراسات العديدة التي أجريت في البيئة اليمنية، ومعظمها دراسات وصفية تحليلية، تناولت القضايا الخاصة بواقع رياض الأطفال باليمن، مؤشرات واضحة بعدم توفر مربيات مؤهلات تأهيلاً تربوياً خاصاً لهذه المرحلة. فقد وجد "علوي وآخرون" أن 22% من إجمالي المربيات في رياض الأطفال من عينة البحث البالغ عددهن (291) مربية، من حملة مؤهل دبلوم بعد الثانوية أو بكالوريوس، بينما 78% منهن من حملة مؤهل الثانوية العامة أو أقل (علوي وآخرون، 2001 : 4). هذا ما أكدت عليه أيضاً إحصائية (5) رياض الأطفال الحكومية في مدينة المكلا أن المربيات البالغ عددهن (83) مربية، 37% من حملة بكالوريوس و60% منهن من تخصصات غير تربوية، أما 63% من مربيات رياض الأطفال من حملة مؤهل ثانوية عامة أو أقل. وفي ظروف هذا الواقع، هل تستطيع المربيات تطوير كافة جوانب نمو الطفل بناء على التعليم الإرشادي الإنمائي الذي يقتضي استخدامها لتحقيق أهداف التعليم في هذه

المرحلة؟ ولعله مما يعطي أهمية لهذه الدراسة أن الباحثين لم يجدا - حسب علمهما- دراسة في المجتمع اليمني تتناول دراسة تتناول أسلوب التعليم في الروضة وتأثيره على نمو الطفل .

### مشكلة البحث :

قام الباحثان بالدراسة المسحية لرياض الأطفال الحكومية في مدينة المكلا، فقد اتضح من خلالها أن الأنشطة التي تقدمها الروضة لا تتناسب مع الأهداف من التعليم في هذه المرحلة. وأن هناك بعض السلبيات التي تعرقل نمو الطفل، كعدم قدرة بعض معلمات الروضة، على إتاحة الفرصة للطفل أن يقوم بدور إيجابي في بناء قدراته، وتكوين بنائه المعرفي. بحيث يتجه التعليم فيها نحو تقديم المقررات والمعلومات، كما تتصف معظم الأنشطة بالمركزية أي أنها لا تراعي الفروق الفردية بين الأطفال، كما أنها تهتم بالجانب الأكاديمي، كتعليم القراءة والكتابة والحساب وحفظ الآيات القرآنية والأناشيد أكثر من تهيئة الطفل للتعامل مع المثيرات المتنوعة، ليصبح عضواً إيجابياً يبني معرفته وينمي إمكانياته بنفسه بطريقة إيجابية.

ولم يجد الباحثان - حسب اطلاعهما - دراسة يمنية تتناول فاعلية برامج الإرشاد الإنمائي في تعليم أطفال مرحلة الروضة. وبناء عليه يرى الباحثان، أهمية تدريس نموذج الإرشاد الإنمائي الذي ينسجم مع عملية التعليم ابتداء من هذه المرحلة التعليمية لضمان أساس سلامة نمو كافة جوانب شخصية الطفل للمراحل التالية، وهو البرنامج المبني على أنشطة اللعب المتنوعة فردية منها أو جماعية، والقائمة على فهم خصائص الطفل وطبيعة نموه في هذه المرحلة العمرية مع توفير البيئة التعليمية الملائمة .

و من هنا تتحدد مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الآتي :

١. ما مدى فاعلية برنامج إرشادي إنمائي على وفق نموذج ( التخطيط، البرمجة، الميزانية) في تطوير جوانب النمو لدى طفل الروضة ؟.
٢. هل هناك فروق في فاعلية برنامج إرشادي إنمائي على وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) حسب متغير الجنس ؟

٣. هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في فاعلية برنامج إرشادي إنمائي على وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) في نمو طفل الروضة حسب متغير الفئة العمرية (صغرى-وسطى-كبرى).

### أهمية البحث :

تتلخص أهمية البحث في أن الإرشاد الإنمائي لتعليم طفل الروضة، يسعى إلى دعم نمو الطفل ورعايته وتنمية قدراته ومهاراته، بما تتناسب مع خصائص هذه المرحلة من خلال توفير البيئة التعليمية الملائمة وأنواع مختلفة من الفرص للطفل ليعبر عن ذاته، وتمارين قوة تخيلاته، وتنمية العديد من اهتماماته ومهاراته، ذلك بربط التعليم بالأنشطة المختلفة. لأن الأنشطة تلعب دوراً في تعليم الطفل على ضبط انفعالاته وكبح ذاته وتنمية روح التعاون، بل أنها تساهم إسهاماً إيجابياً في تنمية قدراته الإبداعية، وذلك عن طريق الحركة الطبيعية وانشغاله في بعض الأنشطة منفرداً أو مع الآخرين. فالطفل في هذه المرحلة كما يرى كل من "بياجيـه" Piaget و"فيكوتسكي" Vygotsky يبني معرفته بطريقته الخاصة من خلال الخبرات التي تعكسها المثيرات الموجودة في البيئة، بل أنه كما يرى "برونر" Bruner يستقبل مثيرات عديدة بنشاط وحيوية ويرتبها ثم يتخذها نظرية له دون خوف أو تردد. ولديه دافع قوى لحب الاستطلاع وأن يقوم بمحاولة وخطأ لمعرفة ما يدور حوله (Salehuddin, 2000: 69) ويرى "سانتروك وياسين" أن فترة الطفولة المبكرة مليئة بالأحداث المهمة والتميزة ( a highly and unique period of life ) والتي تشكل أهم الأسس للمراحل التالية. لذلك فإن بناء الأساس القوي والمتين يعتمد على قدرة الطفل على بناء نفسه وتطوير كل إمكانياته بناء سليماً. ولعله مما لا شك فيه أن فشله في هذه المرحلة سوف يكون مؤشراً واضحاً على فشله في التعلم في المراحل التالية ( Santrock&Yassen, 1992:132) وتبدو أهمية مثل هذا البرنامج الإنمائي من خلال ربط التعليم بالمثيرات البيئية، لأن الطفل كما يرى "مونتسوري" Montessori لا ينمو نمواً سليماً إذا لم يحصل على مثيرات كافية تثير لديه دافع الاكتشاف وحل الصعوبات التي تصادفه، وبالتالي تساعد على تكوين خبراته الخاصة به، لأن مثل هذه الخبرات تترك أثراً واضحاً في نموه وسلوكه في المراحل التالية .

فالمرية لابد أن تتعرف وتفهم وتخطط باستمرار الأنشطة التي تتناسب مع خصائص الطفل ومتطلبات نموه . أي أن التعليم في هذه المرحلة لا يقوم على نشاط تعليمي فحسب، بل لابد أن يثير الدافعية لدى الطفل لبناء ذاته **self construction** وتنمية جوانب مختلفة لشخصيته من خلال التعليم القائم على الإرشاد الإنمائي وإزالة عديد من الصعوبات التي قد تحول دون نمو إمكانياته واستعداداته نمواً سليماً ( **Standing** ، 1962 :110).

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى :

- ١) بناء البرنامج الإرشادي الإنمائي على وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) لتعليم طفل الروضة في مدينة المكلا.
- ٢) معرفة فاعلية النموذج الإرشادي الإنمائي على وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) على جوانب النمو لدى طفل الروضة في مدينة المكلا..
- ٣) بناء مقياس لمعرفة جوانب النمو لدى طفل الروضة في مدينة المكلا.

### فرضيات البحث :

- ١) لا توجد فاعلية للبرنامج الإرشادي الإنمائي على وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) في نمو طفل الروضة في مدينة المكلا.
- ٢) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لفاعلية النموذج الإرشاد الإنمائي في نمو طفل الروضة حسب متغير الجنس(ذكور – إناث).
- ٣) لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لفاعلية النموذج الإرشاد الإنمائي وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) في نمو طفل الروضة حسب متغير الفئات العمرية(صغرى-وسطى- كبرى)

### تعريف المصطلحات :

**الإرشاد الإنمائي:** عرّف "زهران" الإرشاد الإنمائي بأنه عبارة عن الاستراتيجية الإنشائية التي تقدّم أساساً إلى العاديين مع التركيز على أهمية رعاية وتوجيه النمو السليم والارتقاء بالسلوك ليصل إلى مستوى ممكن من النضج والصحة النفسية

والسعادة والكفاية والتوافق النفسي، من خلال رعاية مظاهر نمو الشخصية جسميا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا ( زهران، 1980 : 37 – 38 ).

**نموذج الإرشاد الإنمائي** : يعرفه الباحثان بأنه عبارة عن البرنامج التعليمي القائم على أنشطة اللعب المتنوعة فردية منها أو جماعية لدعم نمو الطفل بكافة جوانبه.

**النمو** : هو النمو الجسمي الحركي والنمو المعرفي والنمو اللغوي والنمو الاجتماعي الانفعالي للطفل. ويعرف بأنه سلسلة متتابعة من التغيرات التي تهدف إلى اكتمال نضج الكائن الحي، وهو لا يحدث فجأة ولكنه يتطور بانتظام على خطوات(الطيب وآخرون، 1994، 207)

**أطفال الروضة** : هم الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 4-6 سنوات والذين يلتحقون برياض الأطفال الحكومية، وقد تم تقسيمهم في الدراسة الحالية إلى ثلاث فئات، صغرى(3- 4) سنوات، وسطى(4- 5) سنوات، كبرى(5- 6)سنوات..

### الإطار النظري والدراسات السابقة:

#### أولا : مفهوم الإرشاد الإنمائي :

إن هناك أربعة مناهج للإرشاد النفسي هي: (1) إرشاد حل الأزمة (2) الإرشاد الإصلاحى (3) الإرشاد الوقائى (4) الإرشاد الإنمائى، لكن الإرشاد الإنمائى يعد من أحدثها، لأنه يشمل تلك المناهج الإرشادية الثلاثة، كما أنه يمكن أن يستخدم لتنمية قدرات وإمكانيات طفل الروضة، خاصة أنه يساهم بشكل فعال في مساعدة الطفل على النمو السليم جسميا -حركيا، عقليا، انفعاليا، اجتماعيا ولغويا، أي أنه يركز على تنمية جوانب مختلفة لشخصية الطفل وتوفير البيئة الغنية بالمشيرات ( Muro&Kottman، 4 : 1995 . وفي هذا يرى " مايريك " Myrick إن الإرشاد الإنمائى يعد من أنسب برامج الإرشاد، التي يمكن استخدامها في تعليم طفل الروضة، لأنه قائم على استيعاب خصائص الطفل وإمكانياته واحتياجاته وطموحاته، إضافة إلى أنه يزود الطفل بالمهارات المختلفة التي تدعم نموه في المراحل اللاحقة (Muro&Kottman، 5: 1995 . ويرى "رينولد " Reynolds أن الإرشاد الإنمائى

فقط لا يتيح فرصة للمربية بأن تتدخل في الأزمات التي تواجه الطفل وعلاجها، بل يمكنها وضع برنامج الوقاية باستخدام الخطة الدراسية الإرشادية للروضة، التي تهتم بتطوير شخصية الطفل بجوانبها المختلفة الجسمية الحركية، واللغوية، والعقلية والاجتماعية الانفعالية (Blocher)، (61: 1987 وأن التغيرات البيئية غير المنطقية قد تعرقل نموه وبالتالي تؤدي إلى ظهور السلوك المنحرف (Blocher (5: 1974)،

### ثانياً : بناء برنامج الإرشاد الإنمائي:

يرى " مورو وكتمان " Muro & Kottman أن الإرشاد الإنمائي الشامل يحتوي على أربعة عناصر أساسية :

(١) الخطة الدراسية الموجهة : لا بد أن تهدف الخطة الدراسية الموضوعية إلى مساعدة الطفل على نمو شخصيته بجوانبها المختلفة خلال تطوير المهارات الحياتية، وقدراته تتناسب ومراحله العمرية . كما يجب أن يتم تخطيط الخطة الدراسية مستفيداً من إمكانيات البيئة بعد تنسيقها مع احتياجات الطفل لكل مرحلة من مراحل نموه .

(٢) مساعدة الفترة الحرجة : هي مساعدة الطفل في التغلب على بعض الصعوبات التي تظهر بين فترة وأخرى التي تتطلب تدخل المربية المرشدة بصورة سريعة حتى يستطيع الطفل التغلب عليها .

(٣) الخطة الفردية : هي مساعدة الطفل على ما يريد وكيف يخطط سعياً لتحقيق ما يريد . وفي هذه الخطوة بإمكان الإرشاد الإنمائي الاستفادة من المعلومات المتوافرة عن الطفل والأنشطة التي يمكن تنفيذها خلال عملية التعليم .

(٤) منح الدعم : هو عبارة عن تقديم الإرشاد والأنشطة الخاصة بإدارة عملية التعلم كتطوير المنهج الدراسي، وتطوير قدرات المعلم، تنشيط المنظمات الداعمة لرفع مستوى التعليم والإرشاد في المؤسسات التعليمية ورفع مستوى التفاعل والتعاون مع الآباء... الخ .

**ثالثاً : تقييم برنامج الإرشاد الإنمائي :**

يجب أن يتم التقييم المرحلي، واستخدام نتائجه للتغذية الرجعية لتطوير الخطوات التالية لبرنامج الإرشاد الإنمائي .

وتتم هذا التقييم ابتداء من تحديد الأسئلة التي تتعلق بالجوانب المطلوبة لتقييمها إلى تخطيط الخطوة التالية للإرشاد الإنمائي ومرورا بتوصيات نتائج التقييم وتنفيذها، ودراسة مدى نجاح تنفيذ البرنامج القادم ثم اتخاذ القرار من شأنه بعد الأخذ في الاعتبار الأشياء التي قد تعوق تنفيذ البرنامج وتلخيص المقترحات وبالتالي تنفيذها (Muro&

Kottman, 1995 : 61) .

**رابعاً : البيئة الإنمائية المحيطة بالطفل :**

إن البيئة الإنمائية تشكل عنصرا هاما في التأثير الفعال في نمو الطفل . إن الطفل يحمل معه محدداته الوراثية التي تمثل الإمكانيات الكامنة والتي يتوقف نموها وتطورها بالمثيرات الموجودة في البيئة. ويرى "سان تروك وياسين" إن البيئة المدرسية بخطتها التعليمية تشكل مجتمعا له قيمه ونظمه ومطالبه الخاصة به والتي تحدد سلوك الطفل وبالتالي تؤثر في تنمية شخصيته (Santrock&Yussen)، 1992: (68). في حين يرى "شابلن" أن البيئة تمثل جميع العوامل الفيزيائية والاجتماعية التي تؤثر في الفرد (Chaplin)، (175: 1975). وأوضح "Urie & Ann Crouter" أن العوامل الفيزيائية هي كل ما يحيط بالفرد من عوامل مادية قبل الولادة وبعدها، بينما تشمل العوامل الاجتماعية كل ما يحيط بالفرد ويؤثر في نموه ويتأثر به ( Sigelman& Shaffer)، (86: 1995). وأكد "بلوشر" على أن البيئة التعليمية في الواقع هي البيئة الإنمائية تشكل السياق الفيزيقي والاجتماعي والنفسي الذي يؤثر في نمو الطفل من خلال إحداث التغييرات في سلوكه . إذ إن البيئة الإنمائية تشمل جميع الأحداث والظروف الفيزيائية والاجتماعية التي تؤثر في نمو الطفل وتتأثر به ( Blocher)، (18 : 1974) .

وهنا أضافت " لوري " أن تقدم الطفل في التعلم يتأثر بالعلاقات بين الأشخاص داخل الصف، سواء كانت هذه العلاقة تتصف بالدفع أو البرودة، الشدة أو اللبونة، العدوانية أو الودية . وإن العلاقة المثيرة هي التي تتصف :

(١) بقبول أفكار الطفل ومشاعره وتصنيفها وتنميتها.

(٢) الاهتمام بتعزيز وتقدير أدائه المرغوب وتشجيعه.

(٣) طرح الأسئلة التي تثير الطفل للمشاركة في اتخاذ القرار.

(٤) طرح الأسئلة لتوجيه الطفل لأداء عمل ما أو الحديث عن موضوع ما.

وأكد " فيجو تسكي" **Vygotsky** أهمية البيئة الاجتماعية في تعلم الطفل . فإن الخبرات الاجتماعية التي تكونت نتيجة تفاعل الطفل مع الآخرين لها دور هام في تنمية قدرته على التفكير. كما أوضح أن عملياته العقلية العليا تتأثر بالبيئة التي يتفاعل فيها مع زملائه والأشخاص الآخرين . وبناء عليه يرى " فيغوتسكي" أنه لفهم نمو الطفل لابد من فهم العلاقات الاجتماعية المحيطة به، فسلوك المربية الذي يتصف بالأمانة وتقبل الطفل وتقدير ذاته ينمي لديه الثقة بالنفس **(Vygotsky)**، : **1978** ( **24** ). بناء عليه تتمثل مهمة مربية الروضة في توفير البيئة المناسبة والإرشاد المناسب للنمو السليم للطفل، واستكشاف قدراته ومواهبه والسماح لهذه القدرات والمواهب بالنمو والظهور، وتزويده بمهارات معينة منبثقة عن حاجاته في جو طليق يخلو من الكبت والإرهاق، حتى يظهر الطفل على حقيقته ويعطي صورة صحيحة عن نفسه تسمح لنا بمعرفته، لذا كان الواجب الأول لمربية الروضة هو إشاعة جو من الشعور بالأمن والاطمئنان في نفس الطفل ليشعر بحريته وقدرته على العمل والتعبير عن نفسه دون خوف ويكون دور المربية في هذا كله دور الملاحظ والموجه من خلال الإرشاد الإنمائي.

**إجراءات البحث :****مجتمع البحث :**

يشمل مجتمع البحث جميع أطفال روضة ( 30 نوفمبر ) بالملكلا للعام الدراسي 2012 / 2013م، الذي بلغ عددهم (274) طفلاً وطفلة، موزعين على 3 فئات (الصغرى، الوسطى، الكبرى) والجدول (1) يوضح ذلك.

جدول ( 1 ) حجم مجتمع البحث موزع على روضة 30 نوفمبر حسب الجنس والفئة العمرية

المجموع	الفئات العمرية					
	الكبرى		الوسطى		الصغرى	
	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر
274	36	61	57	54	36	30

**عينة البحث :**

تم اختيار عدد ( 40 ) طفلاً وطفلة، بنسبة 15% تقريبا من كل الفئات العمرية بطريقة عشوائية والجدول ( 2 ) يوضح ذلك.

( جدول 2 )

حجم عينة البحث وتوزيعها حسب الجنس وحسب الفئات العمرية

المجموع	الفئات العمرية					
	الكبرى		الوسطى		الصغرى	
	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر	أنثى	ذكر
40	5	9	8	8	5	5

**منهجية البحث :****بناء برنامج الإرشاد الإنمائي :**

اعتمد الباحثان في بناء برنامج الإرشاد الإنمائي على وفق نظام (التخطيط، البرمجة، الميزانية) Programing, Planning ( Budgeting System ) وقد اعتمدا في بناء البرنامج على ماورد في دراسات ( المهدي، 2001 ) و(الرحو،2001) وغيرها، وقد استوجب بناء البرنامج القيام بعدة إجراءات يمكن إجمالها بالآتي :

(١) الاطلاع على النظريات والدراسات السابقة المشابهة أو القريبة من الدراسة الحالية، لمعرفة كيفية بناء وتنفيذ مثل هذه البرامج، مثل دراسة (المهدي، 2001)(الرحو،2001).

(٢) إجراء الدراسة الميدانية لجمع المعلومات، عن المنهاج الدراسي الذي تسير عليه رياض الأطفال في مدينة المكلا، وعن دور المربيات في وضع استراتيجيات برنامج الإرشاد الإنمائي وعن تطور جوانب النمو لدى الطفل، والذي يمكن ملاحظته في إطار النمو في هذه المرحلة، وعن مهارات المربيات في تقديم التوجيه والإرشاد للأطفال، أثناء تنفيذ الأنشطة التعليمية . وقد أفادت هذه المعلومات الباحثان في بناء البرنامج.

(٣) تحديد العناصر الأساسية اللازمة لبناء البرنامج والمتمثلة في:

#### أ- رؤية ورسالة برنامج الإرشاد الإنمائي:

تنطلق رؤية هذا البرنامج الإرشادي من أن مرحلة الروضة تعد مرحلة أساسية، وهامة جدا لنمو الفرد في المراحل التالية. وبناء على الرؤية السابقة، تحددت رسالة برنامج الإرشاد الإنمائي، في دعم نمو شخصية الطفل بكل جوانبها لينمو نموا سليما قادرا على الاستقلال، وعلى التفاعل الإيجابي، والعمل التعاوني مع رفاقه، ومساعدة الطفل في التغلب على الصعوبات التي تواجهه وتجنب ما يعوق نموه.

#### ب- حاجات الطفل :

- إن الطفل بحاجة إلى الأنشطة التي تساعد نمو أعضائه الكبيرة والدقيقة. وهذا يرتبط بقدراته على التحكم في حركة أعضائه وضبط الحركات الجزئية وتناسقها.
- الطفل بحاجة إلى أن يتعلم الإنصات والتحدث مع الآخرين باستخدام اللغة، وأن تنمو مفرداته للتعبير عن نفسه، وفهم الآخرين ومشاركتهم في الحديث، وأن يتعلم القراءة والكتابة باستخدام الطريقة التي تتناسب مع نموه وقدراته.
- حاجة الطفل إلى أن ينمي قدراته المعرفية، في أن يتعلم أن يحل مشكلة ما، وأن ينجز مهمة معينة، والاستفادة من المعلومات المتوفرة ضمن أنساق بنائه المعرفي. لذلك فإنه يتعلم التفكير من خلال الأنشطة القائمة على جمع المعلومات واستخدامها، والمقارنة بين الأشياء، والتمييز، والتضاد، والاختيار، والتصنيف، والحساب،

والقياس، والتعرف على الأشكال الهندسية البسيطة. كما أن عليه أن يطور تفكيره من التفكير المادي إلى التفكير المجرد.

- حاجة الطفل إلى تكوين مفهومه الخاص عن ذاته: أن يعرف نفسه، وكيف يتعامل مع رفقاءه والراشدين، كما أنه بحاجة إلى أن يتعلم كيف يتحمل مسئولية نفسه، ومسئولية أخطائه تجاه الآخرين، واحترام الآخرين. وهكذا يتعلم الطفل السلوك الاجتماعي والتوافق مع البيئة المحيطة به.

### ج- أهداف الإرشاد الإنمائي :

الهدف العام : بناء على الرؤية والرسالة يتمثل الهدف العام لهذا النوع من الإرشاد في مساعدة الطفل على تحقيق نموه الجسمي الحركي، والمعرفي، واللغوي، والاجتماعي الانفعالي، ووقايته من الاضطرابات.

### الهدف الخاص:

❖ أن يتمكن الطفل من معرفة نفسه، وقدراته، وصفاته، وعاداته وطموحاته وهواياته.

❖ معرفة البيئة المحيطة به، ابتداء من بيئة الروضة وما يحيط بها، ثم البيئة المحيطة به فيزيقياً واجتماعياً وثقافياً.

❖ تنمية إمكانياته ومهاراته .

❖ وقاية نفسه من الأشياء التي تضره .

❖ التغلب على الصعوبات التي تواجهه.

❖ أن يكون مستعداً نفسياً واجتماعياً للالتحاق بالمرحلة التعليمية النظامية اللاحقة .

### د. مجال الإرشاد الإنمائي :

❖ مجال أساسيات الإرشاد الإنمائي : هي الإرشاد الفردي والجماعي، وتشمل على

تعرف وفهم إمكانيات الطفل، مهاراته، خصائصه، حاجاته وطموحاته، وكذلك فهم البيئة المحيطة به، سواء كانت بيئة الروضة أو البيئة خارج الروضة. لأن فهم الطفل عن نفسه وعن البيئة المحيطة به، يعد أساساً هاماً لنموه..

إذن فإن تخطيط الخدمات الإرشادية، يتم في إطار المنهاج والخطة الدراسية المقررة مع التركيز على تنمية الجوانب الخاصة بالحياة الشخصية، والحياة الاجتماعية بناء على مطالب النمو في إطار البيئة الغنية بالمشيرات التي تثير نمو الطفل. كما يتم تنفيذه ضمن الأنشطة التعليمية لتنمية القدرة الجسمية الحركية، المعرفية، اللغوية، الانفعالية والاجتماعية. وتتحدد مهام المربيات في هذا المجال في ابتكار البيئة الاجتماعية والنفسية التي تثير الطفل، وتدفعه إلى أن يكون قادرا على أداء سلوك ما بنفسه .

❖ مجال حل المشكلة : يتمثل هذا المجال في مساعدة الطفل، في التغلب على الصعوبات التي تعترى نموه النفسي أو الاجتماعي أو الثقافي. ويبدأ الإرشاد الإنمائي في هذا المجال عادة بفهم قدرات الطفل وإمكانياته والتعرف على الصعوبات التي تواجهه كصعوبات جسمية حركية، أو لغوية، أو معرفية أو اجتماعية انفعالية. وبناء عليه يتم تحديد نوع الخدمات الإرشاد التي يمكن تقديمها للطفل، إن كانت خدمة إصلاحية أو خدمة وقائية.

❖ مجال انطلاق النمو : يحتوي هذا المجال على مساعدة الطفل على تنمية قدرته على اتخاذ قراره بنفسه. إذ تسعى المربية إلى جعل الطفل قادرا على اختيار نشاطه، وعلى اتخاذ قراره بنفسه، ومعرفة نتائج قراره ويتعلم أن يتحمل مسؤولية نتاج قراره. وعليه أن يتعلم في هذه المرحلة أن يخطط نشاطه لدى قصير، ويتعرف على محيطه، ويحلله، بل يتعلم كيف يقيّم حياته، ويحدد اختياره وقراره من خلال ممارسته لأنواع مختلفة من الأنشطة.

٤) وضع الصورة الأولية للبرنامج، والتي تشمل ثلاث مجالات ويتضمن كل مجال الاستراتيجيات الإرشادية .

٥) عرضت الصورة الأولية للبرنامج على المربيات البالغ عددهن (12) مربية لتوضيح هدف البرنامج والنتائج المرجوة منه، ومدى الاستفادة المتوقعة منه لتطوير جوانب النمو المختلفة لدى الطفل . وتمت مناقشة البرنامج وتسجيل الملاحظات على محتوياته، وتوضيح كل ما يتعلق برؤية البرنامج ورسائلته، والبيئة الإرشادية، وإرشاد المهارات الحياتية والشخصية والاجتماعية، وكيفية تطبيق البرنامج .

٦) بناء على الملاحظات الواردة تم تعديل البرنامج وضبط استراتيجياته، وإضافة نوع النشاط

٧) لكل استراتيجية (تقليدي، فردي، جماعي).

٨) وللتأكد من صدق البرنامج وصلاحيته، تم عرضه على مجموعة من الخبراء في العلوم التربوية والنفسية والموجهين التربويين بإدارة التربية والتعليم بمديرية المكلا، البالغ عددهم (7) خبراء، واعتمدت موافقة أغلبية هؤلاء الخبراء، على صدق البرنامج بعد تعديل أنواع الأنشطة في بعض الاستراتيجيات بعد ما كان النشاط في كل استراتيجية (تقليدي - فردي - جماعي) ليصبح في بعضها (تقليدي، فردي، جماعي) وبعضها (تقليدي) وبعضها الآخر (جماعي، فردي) و (جماعي، تقليدي) وفقا للخطة الدراسية المقررة والفترة الزمنية لكل درس (30) دقيقة، كما هو موضح في الجدول (4) لأن الجانب الأساسي في صدق المحتوى هو اختيار عينة الفقرات وتحديد ما إذا كانت ممثلة لنطاق ما هو المراد قياسه (Alderson, 1981:136).

٩) اعتمد الباحثان التصميم التجريبي الذي يتكون من مجموعة واحدة، تضبط نفسها بنفسها من خلال الاختبار القبلي- التجربة - الاختبار البعدي One Group Pretest - Posttest Design ( McMillan& 2001:311).Schumacher

مكونات البرنامج:

يوضح جدول(٤) مكونات البرنامج ومجالاته وأنشطته.

## ( جدول 4 ) نموذج الإرشاد الإنمائي لطفل الروضة في صورته النهائية

نوع النشاط	استراتيجيات الإرشاد الإنمائي	مجالات الإنماء الإرشادي
تقليدي	١.١.١ تصنع المعلمة بيئة اجتماعية وسيكولوجية تجعل الطفل يحب نفسه ويحب زملاءه .	١: خدمات أساسية للإرشاد الإنمائي
تقليدي جماعي فردي	١.١.٢ تساعد المعلمة الطفل على معرفة ما لديه من صفات جيدة من صفاته الجسمية والاجتماعية وغيرها من مهارات	١. معرفة إمكانيات الطفل ومهاراته وسلوكه وميوله وخصائصه واحتياجاته
جماعي تقليدي جماعي تقليدي	١.٢.١ تصنع المعلمة نشاطا يعرف الطفل من خلاله، بيئته المدرسية وما يحيط بها . ١.٢.٢ تبتكر المعلمة نشاطا يساعد الطفل على أن يتعرف على زملائه ومعلمات الروضة	١.٢ قدرة الطفل على معرفة البيئة المدرسية المحيطة به وما يوجد فيها
جماعي فردي جماعي	١.٣.١ المعلمة تتناقش مع الطفل حول البيئة المحيطة بمنزله ١.٣.٢ تتحدث المعلمة مع الطفل عن البيئة الاجتماعية المحيطة به ( الأشخاص وأحوالهم ) .	١.٣ قدرة الطفل على معرفة البيئة المحيطة بمنزله والناس المحيطين به
فردي تقليدي جماعي فردي جماعي فردي	١.٤.١ تكون المعلمة لدى الطفل عادات سلوكية تحافظ على صحته ١.٤.٢ تعد المعلمة نشاطا يتم فيه المحادثة والمحاوره مع الطفل عن آداب الأكل، والغسل، ولبس الملابس... الخ ١.٤.٣ تعد المعلمة نشاطا يتم فيه المحادثة والمحاوره مع الطفل عن حماية نفسه من أخطار النار، والماء الساخن والكهرباء وكيف يسير ويعبر الشارع ، ويستخدم المصعد أو بالدرج... الخ	١.٤ المهارات التي تلبى حاجات الطفل والحفاظ على سلامته

<p>تقليدي جماعي فردى تقليدي جماعي تقليدي جماعي</p>	<p>١.٥.١ التحوار والمحادثه مع الطفل عن آداب الحديث مع زملائه في نفس الصف، وزملائه خارج الروضة، ومع الراشدين .</p> <p>١.٥.٢ تبتكر المعلمة لعبة الأدوار ليتحدث الطفل مع زميله الذي في صفه وزميلة خارج الروضة، ومع الراشدين .</p> <p>١.٥.٣ المعلمة تبتكر لعبة الأدوار بعنوان : التسوق، الضيافة وحفلة عيد الميلاد، حفلات في مناسبات عديدة كعيد الأم.</p>	<p>١.٥ مهارات الطفل الاجتماعية : تفاعل، وتعاون وتواصل مع أقرانه والراشدين</p>
<p>جماعي فردى تقليدي جماعي فردى تقليدي جماعي</p>	<p>٢.١.١ تقوم المعلمة بالملاحظة، والمحادثه لمعرفة صعوبات جسمية - حركية، لغوية، معرفية، اجتماعية وانفعالية لدى الطفل .</p> <p>٢.١.٢ إبداع نشاط جسمي - حركي، لغوي، معرفي، اجتماعي وانفعالي للطفل</p> <p>٢.١.٣ المعلمة تتحدث وتناقش مع الطفل، والطفل أيضا</p> <p>يتحدث مع زملائه لماذا يستيقظ متأخرا صباحا، يحس بالكسل في الاستحمام، وتناول الإفطار، وارتداء ملابسه ويتأخر على الروضة، ولا يرغب أن يلعب مع زملائه . الخ</p> <p>٢.١.٤ المعلمة تحكي حكاية بعنوان : الطفل الذي يستيقظ مبكرا، والطفل الذي يلبس ويأكل بمفرده، والطفل الذي يذهب إلى مدرسته في موعده، والطفل الذي يهتم بدراسته وروضته والطفل الذي يحب أن يشارك زملائه في اللعب .</p>	<p>٢.١ قدرة الطفل على حل مشكلة شخصية يواجهها في حياته</p>
<p>تقليدي جماعي فردى</p>	<p>٢.٢.١ المعلمة تشارك الطفل في مناقشة لماذا طفل يحب يزعم زميله، وطفل لا يحب يلعب مع زميله، وطفل يحب أن يأخذ أغراض زملائه، وطفل آخر يحب أن يؤذي زملائه ؟ الخ</p>	<p>2.2 قدرة الطفل على حل المشاكل الاجتماعية التي يواجهها</p>

تقليدي جماعي	٢.٢.٢ المعلمة تبتكر لعبة مسرحية بعنوان : الطفل الطيب، الطفل الذي يحب أن يساعد زميله، الطفل الذي يحب أن يتصدق الخ.	
تقليدي فردى	٢.٣.١ المعلمة تتحدث وتناقش مع الطفل، الطفل الرسم، في صنع اللعبة ، في الغناء، في سرد الحكايات، في الرياضة.. الخ	٢.٣ قدرة الطفل على حل المشكلات الدراسية
تقليدي جماعي	٢.٣.٢ المعلمة حكايات بعنوان : الطفل الشاطر في الرسم، في صنع اللعبة، في الغناء، في أن يحكي حكايات، في الرياضة... الخ	
تقليدي جماعي فردى	٢.٤.١ تقود المعلمة المحادثة مع الطفل، والطفل مع زميله عن مستقبله عندما يصبح كبيراً: المدرسة التي يرغبها، وما يرغب الطفل أن يكون مستقبلاً.. الخ	٢.٤ قدرة الطفل على حل مشكلات في المستقبل
تقليدي جماعي	٢.٤.٢ المعلمة تقود الأطفال إلى لعبة الأدوار بعنوان : الطبيب ، المهندس ، الشرطي، طيار.. الخ	
تقليدي جماعي	٢.٥.١ المحادثة بين المعلمة والطفل وبين الطفل وزميله عن الأحداث تجذب انتباهه، والتي تسبب له الضجر، السعادة.. الخ	٢.٥ اهتمام الطفل بالأحداث التي تدور حوله
تقليدي جماعي	٢.٥.٢ المعلمة تبتكر لعبة الأدوار بعنوان : أنا حزين حين أזור زميلي المريض، أنا سعيدة أرى زميلي يلبس ملابس جديدة، أنا أرغب أن أملك لعبة جديدة والخ	
تقليدي جماعي	٢.٥.٣ المعلمة تحكي قصة بعنوان : الطفل المريض، الطفل الذي لا يستطيع أن يدرس في الروضة لأنه لا يملك الفلوس، الطفل اليتيم الذي يعيش وحيداً، الخ	
تقليدي جماعي فردى	٢.٦.١ المحادثة بين المعلمة والطفل، وبين الطفل وطفل آخر عن أكلاته المفضلة، لعبته المفضلة، لباسه المفضلة، وصديقه المفضل، الخ	٢.٦ قدرة الطفل على الاختيار واتخاذ القرار

تقليدي جماعي	٢.٦.٢ المعلمة تبتكر لعبة الأدوار بعنوان : زيارة الأجداد شراء الألعاب أو الألوان، الذهاب الى الروضة، أو اللعب بالمنزل الخ .	
		٣. قدرة الطفل على الانطلاق في النمو من نفسه
تقليدي جماعي	٣.١.١ تبتكر المعلمة لمناقشة تدور حول الطرق التي لا بد أن يتبعها ليصبح طفلا يتمتع بالصحة، طفلا طيبا، طفلا شاطرا، طفلا صالحا، الخ	٣.١ تخطيط وتنفيذ إنماء الجانب الشخصي للطفل بنفسه
تقليدي جماعي	٣.١.٢ المعلمة تبتكر لعبة الأدوار بعنوان : أحب أن أصير طيبا، أحب أن أصير شريطا، أحب أن أصير قاضيا، أحب أصير بطل كرة القدم والخ	
جماعي فردى	٣.٢.١ المعلمة تتحدث وتناقش مع الطفل، والطفل مع طفل آخر محاولة الطفل ليصبح محبوبا من قبل الوالدين، من قبل الأخوة، من قبل زميله ومن قبل عدد من زملائه، الخ	٣.٢ تخطيط وتنفيذ إنماء الجانب الاجتماعي للطفل بنفسه
تقليدي جماعي فردى	٣.٢.٢ المعلمة تسأل وتناقش مع الطفل، والطفل مع زميله عن محاولته ليصبح طفلا يحب أن يساعد الآخرين، طفلا لطيفا، طفلا قادرا على أن يحكي قصصا، طفلا يعرف كيف يجعل زميله سعيدا، الخ	
تقليدي جماعي فردى	٣.٣.١ المعلمة تتحدث وتناقش مع الطفل، والطفل مع زميله عن تعلم الرسم، صنع ألعاب، الغناء، سرد القصص، الرياضة.	٣.٣ تخطيط وتنفيذ إنماء قدرة الطفل على الدراسة بنفسه
تقليدي جماعي فردى	٣.٣.٢ المعلمة تحكي قصص طفلا شاطرا في دراسته، طفل شاطر في الغناء، وفي سرد القصص، الخ	

تقليدي	٣.٤.١ المعلمة تسأل وتتناقش مع الطفل، والطفل مع	٣.٤ تخطيط وتنفيذ خططاً يومية أو أسبوعياً بنفسه
جماعي	طفل آخر عما سيقوم به غدا ويوم الجمعة مساعدة	
فردى	الوالدين في المزرعة، الذهاب إلى السوق ليشتري .. الخ	
جماعي	٣.٤.٢ المعلمة تبتكر لعبة الأدوار بعنوان : خطتي يوم	
فردى	الجمعة لمساعدة الوالدين، ويوم الاثنين ذهاب إلى السوق ، الخ	

### بناء مقياس نمو الطفل :

لما كان البحث يهدف إلى معرفة أثر البرنامج على جوانب نمو الطفل، كان من الضروري أن يتوافر لدى الباحثين مقياس لقياس ما هو مراد قياسه. ولم يجد الباحثان في ما يتوافر من مقاييس النمو - بقدر علمهما - مقياساً لنمو الطفل يتناسب مع طبيعة البحث الحالي، لذلك ارتأيا إعداد مثل هذا المقياس على أطفال الروضة بمدينة المكلا معتمدين في بنائه المنهج المنطقي أو العقلي المستمد من المفاهيم النظرية، ومنهج الخبرة الذي يعتمد على الحقائق والآراء المستمدة من خبرة مصمم المقياس (الكبيسي، 1987 : 47 - 48) .

### تحديد مفهوم النمو :

يشير مفهوم النمو لغة إلى الزيادة: نما ينمي نمياً ونُمياً ونماءً أي زاد وكثر، وأنميت الشيء ونميته بمعنى جعلته نامياً (ابن منظور، ١٥/٣٤١) . والنمو اصطلاحاً يشير إلى سلسلة من التغيرات المتابعة التي تهدف إلى اكتمال نضج الكائن الحي. ويشير كذلك إلى التغيير التدريجي في السلوك الناتج عن الرعاية والنضج والتدريب (الفقي، ١٩٨٣) .

بناء على جوانب النمو المراد تطويرها من خلال البرنامج ( جسمي - حركي، معرفي، لغوي، اجتماعي انفعالي ) حددت مجموعة من السلوكيات لكل جانب من الجوانب الأربعة، صيغت في (87) فقرة، توزعت عليها المكونات السلوكية في صورتها الأولية بواقع (17، 18، 16، 36) فقرة على التوالي :

### صدق الأداة :

اعتمد الباحثان على صدق المحتوى، باعتبار أن الجانب الأساسي فيه، هو اختيار عينة الفقرات وتحديد ما إذا كانت مناسبة وممثلة لنطاق السلوك المراد قياسه، الذي يفترض فيها أنها تمثله، (Alderson، 1981 : 136) ويعتمد على تحديد دقيق لمحتوى الظاهرة أو السمة المراد قياسها إلى أصغر أجزاءها، ومن ثم إعداد فقرات لقياس هذا المحتوى.

ثم قام الباحثان بعرض المقياس على الاختصاصيين في العلوم التربوية والنفسية، بلغ عددهم ( 11 ) خبيراً، وفي ضوء ملاحظتهم تم استبعاد عدد ( 3 ) فقرات لتكرارها. وقد اعتمد الباحثان موافقة 9 خبراء فأكثر معياراً لصلاحية الفقرة لقياس ما وضعت لقياسه، لأن الفرق بينهم وبين غير الموافقين من الخبراء يكون بدلالة إحصائية عند مستوى (0.05) باستخدام اختبار (ك2) إذ تكون قيمة ك2 المحسوبة (4.45) أكبر من القيمة الجدولية (3.841) بدرجة حرية (1) .

هكذا أصبح عدد الفقرات في كل جانب من جوانب النمو بواقع ( 16، 16، 16، 36) فقرة على التوالي كما هو موضح في ملحق (1) ولكل فقرة ثلاث بدائل (جيد، مقبول، غير مقبول)، وتعطى عند التصحيح الدرجات (3، 2، 1) على التوالي .

### ثبات الأداة :

للتأكد من ثبات فقرات المقياس طبق الباحثان الاختبار على عينة من الأطفال بلغ عددهم (40) طفلاً وطفلة من الفئة العمرية الوسطى من روضة (٣٠ نوفمبر) بالكل، تم اختيارهم بطريقة عشوائية وتم حساب درجة الثبات لفقرات المقياس بطريقة التجزئة النصفية، ثم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات الفقرات الفردية والفقرات الزوجية (حبیب، 1996: 322) البالغ (0.792) عند مستوى (0.01) وهذا مؤشر على أن الأداة تتمتع بدرجة مقبولة من الثبات من خلال الاتساق الداخلي لفقراتها.

تطبيق البرنامج :

تم تطبيق البرنامج في روضة (٣٠ نوفمبر) بالملكلا، حيث قامت المربيات بتنفيذ البرنامج تحت اشراف الباحثين، حيث سبق أن تم تدريبهن وتوعيتهن بأهداف واستراتيجيات البرنامج. استغرق تطبيق البرنامج فترة ٤ أسابيع بمعدل ساعتين أسبوعيا، لمدة ٤ أيام في الأسبوع ونصف ساعة للجلسة الواحدة.

نتائج البحث وتفسيرها :

لما كان هدف البحث معرفة أثر برنامج الإرشاد الإنمائي على وفق نموذج (التخطيط، البرمجة، الميزانية) على جوانب نمو طفل الروضة في مدينة الملكلا، فقد قام الباحثان بتطبيق البرنامج على عينة أطفال روضة (30 نوفمبر) لمدة (8) أسابيع<sup>١</sup>.  
يوضح الجدول (5) نتائج الاختبار قبل تطبيق البرنامج وبعد تطبيقه، ثم حساب درجة تأثير البرنامج على نمو طفل الروضة، عن طريق معرفة الفرق بين نتائج الاختبارين باستخدام الاختبار التائي .

جدول (5) نتائج الاختبار القبلي والاختبار البعدي والفرق بين الاختبارين والقيمة التائية لدلالة الفروق بين متوسطي الاختبارين لدى عينة الدراسة (ن=٤٠)

الفرق بين الاختبارين	نتائج الاختبار البعدي			نتائج الاختبار القبلي			سلوكيات	النمو الجسدي
	القيمة التائية	خطأ معياري	انحراف معياري	متوسط	خطأ معياري	انحراف معياري		
0.01	10.86	0.19	1.19	9.63	0.16	0.99	7.2	١. حركة العضلات الكبيرة
0.01	8.71	0.15	0.96	8.6	0.15	0.93	6.73	٢. حركة العضلات الدقيقة
0.01	6.99	0.20	1.25	9.35	0.17	1.10	7.75	٣. التناسق الحركي
0.01	12.89	0.16	1.01	9.16	0.16	1.02	6.93	٤. مهارات حركية
0.01	19.87	0.45	2.86	37.1	0.46	2.82	25.95	إجمالي النمو الجسدي الحركي
0.01	13.07	0.19	1.17	9.43	0.21	1.33	6.15	١. التعرف
0.01	13.15	0.13	0.83	7.15	0.16	1.01	5.10	٢. التذكر
0.01	11.86	0.20	1.29	9.85	0.16	0.99	6.73	٣. التمييز
0.01	11.25	0.20	1.29	9.35	0.17	1.08	6.58	٤. حل مشكلة
0.01	18.97	0.54	3.43	36.78	0.46	2.89	24.18	إجمالي النمو المعرفي

<sup>١</sup> تم تطبيق البرنامج في الفترة الواقعة بين 3/11/2012 - 27/12/2012 م.

0.01	10.93	0.21	1.35	9.38	0.19	1.72	6.90	١. مهارة الإنصات	اللغوي
0.01	8.71	0.22	1.38	9.05	0.15	0.96	7.18	٢. الاتصال الشفوي	
0.01	7.55	0.18	1.16	7.70	0.16	1.03	6.03	٣. التعبير عن الرأي	
0.01	6.02	0.22	1.41	8.43	0.14	0.89	7.15	٤. فهم قصة	
0.01	17.96	0.61	3.84	34.28	0.33	2.09	22.23	إجمالي النمو اللغوي	
0.01	11.14	0.26	1.66	10.05	0.14	0.89	6.98	١. معرفة نفسه	الاجتماعي والانفعالي
0.01	8.94	0.25	1.60	8.88	0.14	0.91	6.88	٢. تحمل المسؤولية	
غير دال	2.81	0.23	1.44	7.30	0.19	1.17	6.75	٣. احترام الآخرين	
0.01	11.37	0.25	1.58	9.48	0.15	0.95	7.15	٤. العمل التعاوني	
0.01	8.16	0.24	1.54	9.05	0.18	1.15	6.85	٥. الاهتمام بالزملاء	
0.01	8.69	0.26	1.67	9.38	0.21	1.30	7.18	٦. مشاركة الآخرين	
0.01	5.02	0.21	1.32	9.05	0.14	0.86	7.33	٧. الاستقلالية	
0.01	6.59	0.33	2.06	8.78	0.21	1.35	6.98	٨. التعاطف	
0.01	5.02	0.29	1.85	8.48	0.20	1.28	7.05	٩. التكيف	
0.01	16.12	1.63	10.3	79.80	0.69	4.39	57.78	إجمالي النمو الاجتماعي الانفعالي	

يتضح من الجدول (5) النتائج الآتية:

(١) يوجد تأثير على النمو الجسمي لأفراد العينة، إذ إن القيمة التائية المحسوبة للفروق بين الاختبار القبلي والبعدي (19.87) أكبر من القيمة الجدولية (2.704) بدرجة حرية (39) عند مستوى (0.01)

(٢) يوجد تأثير للبرنامج على النمو المعرفي. إذ إن القيمة التائية المحسوبة للفروق بين نتائج الاختبار القبلي والبعدي (18.97) أكبر من القيمة الجدولية (2.704) بدرجة حرية (39) عند مستوى (0.01) .

(٣) يوجد تأثير للبرنامج على النمو اللغوي عامة. إذ أن القيمة التائية المحسوبة للفروق بين نتائج الاختبار القبلي والبعدي (17.96) أكبر من القيمة الجدولية (2.704) بدرجة حرية (39) عند مستوى (0.01) .

(٤) يوجد تأثير للبرنامج على النمو الاجتماعي الانفعالي للعينة. إذ إن القيمة التائية المحسوبة للفروق بين نتائج الاختبار القبلي والبعدي (16.12) أكبر من القيمة الجدولية (2.704) بدرجة حرية (39) عند مستوى (0.01)، رغم أن نمو القدرة على احترام الآخرين غير دال إحصائياً.

(٥) إذن ترفض الفرضية الصفرية  $H_0 : \mu_1 = \mu_2$  وتقبل الفرضية البديلة  $H_a : \mu_1 \neq \mu_2$

❖ غير دال

جدول (6) القيمة التائية لدلالة الفروق في تأثير البرنامج لجوانب النمو حسب متغير الجنس ( ذكر، أنثى )

مستوى دلالة	القيمة التائية للفروق	الاختبار البعدي		حجم العينة	الجنس	السلوك
		انحراف معياري	متوسط			
0.01	3.186	1.21	9.14	22	ذ <sup>3</sup>	الحركة العضلية
		0.88	10.22	18	أ <sup>4</sup>	
غير دال	1.415	0.96	8.41	22	ذ	الحركة الدقيقة
		0.92	8.83	18	أ	
غير دال	0.176	1.39	9.32	22	ذ	التناسق الحركي
		1.09	9.39	18	أ	
غير دال	0.264	1.04	9.14	22	ذ	المهارات الحركية
		1.00	9.22	18	أ	
غير دال	0.361	1.09	9.36	22	ذ	التعرف
		1.29	9.50	18	أ	
غير دال	1.846	0.85	7.36	22	ذ	التذكر
		0.76	6.89	18	أ	
غير دال	0.808	1.27	10.0	22	ذ	التمييز
		1.33	9.67	18	أ	
غير دال	0.783	1.34	9.23	22	ذ	حل المشكلة
		1.25	9.50	18	أ	
غير دال	0.943	1.39	9.27	22	ذ	مهارات الإنصات
		1.34	9.50	18	أ	
غير دال	0.945	1.55	8.86	22	ذ	الاتصال الشفوي
		1.13	9.28	18	أ	
غير دال	0.653	0.98	7.60	22	ذ	التعبير عن الرأي
		0.78	7.83	18	أ	

<sup>3</sup> ذ = ذكور

<sup>4</sup> أ = إناث

فهم القصة	ذ أ	22 18	8.41 8.44	1.49 1.38	0.074	غير دال
معرفة عن نفسه	ذ أ	22 18	10.14 9.94	1.52 1.86	0.359	غير دال
تحمل المسؤولية	ذ أ	22 18	8.91 8.83	1.63 1.62	0.147	غير دال
احترام الآخرين	ذ أ	22 18	7.45 7.11	1.53 1.32	0.748	غير دال
العمل التعاوني	ذ أ	22 18	9.32 9.67	1.73 1.41	0.687	غير دال
الاهتمام بالزملاء	ذ أ	22 18	8.77 9.39	1.44 1.61	1.273	غير دال
مشاركة الآخرين	ذ أ	22 18	9.36 9.39	1.81 1.54	0.047	غير دال
الاستقلالية	ذ أ	22 18	8.82 9.33	1.26 1.37	1.237	غير دال
التعاطف	ذ أ	22 18	8.55 9.06	2.15 1.95	0.776	غير دال
التكيف	ذ أ	22 18	8.18 8.83	1.10 1.65	1.109	غير دال

يتضح من الجدول (6) النتائج الآتية:

- (1) توجد فروق في تأثير البرنامج على نمو العضلات الكبيرة بين الذكور والإناث بدلالة إحصائية (0.01)، إذ إن القيمة التائية المحسوبة (3.186) أكبر من القيمة التائية الجدولية (2.724) بدرجة حرية (38)
- (2) لا توجد فروق في تأثير البرنامج على جوانب النمو الأخرى بين الجنسين.
- (3) إذن ترفض الفرضية الصفرية في تأثير البرنامج على النمو الجسمي الحركي وفق متغير الجنس (ذكور، إناث) وتقبل الفرضية البديلة  $H_a : \mu_1 \neq \mu_2$  ، بينما

تقبل الفرضية الصفرية في وجود الفروق في تأثير البرنامج على نمو الطفل وفق

متغير الجنس في النمو المعرفي، واللغوي، والاجتماعي الانفعالي  $H_0 : \mu_1 = \mu_2$  .

جدول (7) القيمة التائية لدلالة الفروق في تأثير البرنامج لجوانب النمو

حسب متغير الفئة العمرية (صغرى، وسطى، كبرى)

مستوى الدلالة	القيمة التائية للفروق بين الفئات	انحراف معياري	متوسط	حجم العينة	الفئة العمرية	جانب النمو
غير دال	0.289	2.45	37.67	9	صغرى	الجسمي
		3.17	37.31	16	وسطى	الحركي
غير دال	0.261	4.15	32.67	9	صغرى	المعرفي
		3.03	36.44	16	وسطى	
0.05	2.143	5.21	37.11	9	صغرى	اللغوي
		4.18	41.18	16	وسطى	
0.01	3.835	11.27	68.89	9	صغرى	الاجتماعي
		7.56	83.31	16	وسطى	الانفعالي
غير دال	0.720	3.17	37.31	16	وسطى	الجسمي
		2.83	36.53	15	كبرى	الحركي
غير دال	0.517	3.03	36.44	16	وسطى	المعرفي
		2.22	36.93	15	كبرى	
غير دال	1.565	4.18	41.18	16	وسطى	اللغوي
		3.54	39.00	15	كبرى	
غير دال	0.255	7.56	83.31	16	وسطى	الاجتماعي
		8.02	82.60	15	كبرى	الانفعالي

يظهر من الجدول (7) النتائج الآتية:

(١) لا يوجد فرق في تأثير البرنامج على النمو الجسمي - الحركي والنمو المعرفي بين الفئة الصغرى والوسطى .

- (٢) يوجد فرق في تأثير البرنامج على النمو اللغوي بين الفئة الصغرى والفئة الوسطى بدلالة إحصائية (0.05) لصالح الفئة الوسطى .
- (٣) يوجد فرق في تأثير البرنامج على النمو الاجتماعي الانفعالي بين الفئة الصغرى والفئة الوسطى بدلالة إحصائية (0.01) لصالح الفئة الوسطى .
- (٤) لا توجد فروق في تأثير البرنامج على جوانب النمو بين الفئة الوسطى والفئة الكبرى .
- (٥) إذن تقبل الفرضية الصفرية في وجود الفروق في تأثير البرنامج على نمو الطفل بين الفئة الصغرى والوسطى في النمو الجسمي - الحركي، والمعرفي، وبين الفئة الوسطى والكبرى في جوانب النمو الجسمي - الحركي، والمعرفي واللغوي ، والاجتماعي الانفعالي  $H_0 : \mu_1 = \mu_2$  .
- (٦) ترفض الفرضية الصفرية في وجود الفروق في تأثير البرنامج على نمو الطفل اللغوي، والنمو الاجتماعي الانفعالي، بين الفئة الصغرى والوسطى  $H_a : \mu_1 \neq \mu_2$  .

## الاستنتاجات :

في ضوء نتائج البحث يمكن للباحثين أن يستنتجوا ما يأتي :

- ١) أن للتعليم القائم على الإرشاد الإنمائي تأثير واضح على جوانب نمو الطفل .
- ٢) لم يظهر للبرنامج تأثير على النمو الجسمي الحركي وفق متغير الجنس، وربما يعود ذلك لنقص في بعض المهارات التي يفتقدها البرنامج، أو ربما لنقص في التدريب الكافي على هذه النواحي.
- ٣) أكد البرنامج أن نمو الخصائص الشخصية للطفل يتوقف على المثيرات الموجودة في البيئة .

## التوصيات والمقترحات :

- ١) تطبيق التعليم القائم على الإرشاد الإنمائي في تنفيذ برامج رياض الأطفال .
- ٢) تطوير قدرات ومهارات مربيات الروضة في استخدام الإرشاد الإنمائي لتعليم طفل الروضة.
- ٣) إقامة الدورات التدريبية لمربيات الرياض، حول دمج الخطة التعليمية بالإرشاد الإنمائي القائم على الأنشطة المتنوعة مع الاستفادة من المثيرات البيئية المتوفرة.
- ٤) إجراء دراسة علمية عن وجهة نظر الأسرة اليمينية حول دورها بالاشتراك مع الروضة في تنمية شخصية الطفل.

## المراجع :

١. الرحو، حنان سعيد أحمد ( 2001 ) أثر برنامج علاجي نفسي لتخفيف الرهاب الاجتماعي عند طلبة الجامعة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية .
٢. الطيب، محمد عبد الظاهر(١٩٩٤) مبادئ علم النفس العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
٣. حبيب، مجدي عبد الكريم (1996) التقويم والقياس في التربية وعلم النفس، ط 1، طنطا، مكتبة النهضة المصرية.
٤. حجازي، سناء محمد ناصر (2005) رسوم الأطفال ودلالاتها في التعبير عن الذات لدى أطفال ما قبل المدرسة 4- 6 سنوات، المؤتمر الإقليمي الثاني - للطفل العربي والفاعلية في مجتمع متغير، كلية البنات، جامعة عين شمس، الفترة من 6 5 - فبراير 2005 م.
٥. زهران، حامد عبد السلام ( 1980 ) التوجيه والإرشاد النفسي، ط 2، القاهرة، عالم الكتب .
٦. شلتز(1983) نظريات الشخصية، ترجمة حمدلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي، بغداد، المكتبة الوطنية.
٧. علوي، أحمد صالح ( 2001 ) واقع رياض الأطفال في الجمهورية اليمنية وآفاق تطويرها. منشورات مركز الدراسات والبحوث عدن .
٨. الفقي، حامد(١٩٨٣) دراسات في سيكولوجية النمو. الكويت، دار القلم.
٩. الكبيسي، كامل ثامر( 1987 ) بناء وتقنين مقياس لسمات الشخصية ذات الأولوية للقبول في الكليات العسكرية لدى طلاب الصف السادس الإعدادي في العراق، رسالة دكتوراه غير منشورة، العراق، جامعة بغداد، كلية التربية.
١٠. المهدي، أسماء عبد الحسين (2001) أثر برنامج إرشادي في خفض قلق المستقبل لدى طالبات الصف السادس الإعدادي، رسالة ماجستير غير منشورة، العراق، جامعة المستنصرية، كلية التربية.

**References:**

11. Alderson, J.C (1981): Issue in Language Testing: ELT" Documents The British Council.
12. Blocher.D.H.(1987 ) : The Professional Counselor . New York : Macmillan Publishing
13. \_\_\_\_\_ .(1974) : Development Counseling .New York, John Wiley & Sons.
14. Bulland, Lynn. et al .( 1993 ) : Elementary Guidance & Counseling . Alief Independent School District.
15. Herr, E.L. ( 1979 ) : Guidance & Counseling in The schools : The Past Present & Future . Houston : Shell Companies Foundation .
16. Mc.Millan.J.H&Schumacher.S (2001):Research in Education .New York Addison Wesley Longman.
17. Roopnaire, J.L & Johnson J.E(1993) : Approaches to Early Childhood Education, New York : Charles E. Merrill Publishing Co.
18. Samples.Bob.(1999) :RevolusiBelajaruntukAnak, translated by RahmaniAstuti, Bandung, Kaifa.
19. Shertez, B.& Stone, S.C. (1971) : Fundamentals of Guidance .New York:Houghton Mifflin Company.
20. Sigelman, C.K.&Shaffer.D.R.(1995):Life Span Human Development.California Brooks /Cole Publishing Company.
21. Salehuddin,M.&Hatimah,I.(2007):PendidikanAnakUsiaDini. Bandung, Pedagogiana Press.
22. Santrock, J.W.&Yussen, S.R.(1992) : Child Development, 5 thedDubuque, IA, Wm, C. Brown.

23. Standing, E.M.(1962) .Maria Montessori. Her Life and Work. New York . Mentor Omega Book .

24. Unesco (2000) : Dakar Frameworks for Action : Educational for All .UN Documents. [www.un-documents.net/dakarfa](http://www.un-documents.net/dakarfa)

ملحق ( 1 )

صورة نهائية لقياس نمو طفل الروضة

اسم الطفل : \_\_\_\_\_ الجنس :  ذكر  انثى  
الفئة العمرية: \_\_\_\_\_ الشعبة: \_\_\_\_\_ الروضة : \_\_\_\_\_

جانب النمو	م	السلوك	جيد	مقبول	غيرمقبول
النمو الجسمي الحركي	١	يمشي مستقيماً إلى الأمام			
	٢	يرجع مستقيماً إلى الخلف			
	٣	يمشي على خشبة			
	٤	يقف على رجل واحدة			
	٥	يقص رسماً على الورقة			
	٦	يصنع شيئاً من الصلصال			
	٧	يخيط ورقة بالخيط			
	٨	يلصق فصوصاً على الرسم			
	٩	يرمي كرة إلى الأمام			
	١٠	يلتقط كرة بيديه			
النمو	١١	يحبو			
	١٢	يزحف			
	١٣	نشاطه في النشاط الحر			
	١٤	نشاطه داخل الصف			
	١٥	نشاطه أثناء تواجده مع الجماعة			
	١٦	نشاطه عندما يلعب مع زميله			
	١٧	يعرف أعضاء جسمه			

			يعرف الألوان الأساسية	١٨	المعرفي	
			يعرف أسماء الحيوان	١٩		
			يعرف وسائل النقل	٢٠		
			يعيد سرد قصة التي سمعها	٢١		
			يذكر شهور السنة	٢٢		
			يذكر أيام الأسبوع	٢٣		
			يعيد أنشودة الأغاني	٢٤		
			يميز أشكال هندسية (مثلث، مربع، دائرة)	٢٥		
			يميز أحجام مختلفة (كبير، وسط، صغير)	٢٦		
			يميز بين ألوان شكل معين	٢٧		
			يميز صورة الذكر عن الأنثى	٢٨		
			يبحث عن شيء ما	٢٩		
			ينفذ لعبة الذكاء	٣٠		
			ينفذ لعبة المكعبات	٣١		
			ينفذ جمع الأشياء حسب الألوان	٣٢		
			يركز انتباهه للمعلمة	٣٣		النمو اللغوي
			يستوعب حديث المعلمة	٣٤		
			يستوعب ما تقول له المعلمة	٣٥		
			يستوعب حديث زملائه	٣٦		
			يتحدث إلى المعلمة	٣٧		
			يتحدث إلى أحد زملائه	٣٨		
			يتحدث مع زملائه في الصف	٣٩		
			يتحدث مع مجموعة من زملائه	٤٠		
			يعبر عن رأيه للمعلمة	٤١		
			يعبر عن خبراته الخاصة	٤٢		
			يعبر عن رأيه لزميله	٤٣		
			يؤشر على أخطائه في حل موضوع ما	٤٤		

٤٥	يكرر ما تقوله المعلمة			
٤٦	يذكر ما تعنيه المعلمة بعد أن تتحدث			
٤٧	يكرر ما يقول له زميله			
٤٨	يذكر ما الذي يعنيه زميله في حديثه			
٤٩	يذكر اسمه بالكامل			
٥٠	يذكر جنسه (ذكر أو أنثى)			
٥١	يذكر موقع سكنه			
٥٢	يذكر تاريخ ميلاده			
٥٣	يرتب ألعابه بعد أن يلعب			
٥٤	يرتب أدواته بعد استعمالها			
٥٥	يساعد زميله			
٥٦	يعترف بأفعاله الخاطئة			
٥٧	يستمع لرأي زميله			
٥٨	يراعي مشاعر زميله			
٥٩	يحافظ على ممتلكات زميله			
٦٠	يميل إلى الحديث مع زميله			
٦١	يلعب مع أقرانه			
٦٢	يتبادل الأدوار مع زملائه			
٦٣	يتقبل مساعدة زميله			
٦٤	يساعد زميله			
٦٥	يساعد زميله الذي يعاني من صعوبة ما			
٦٦	بعير ممتلكاته لزميله			
٦٧	يعطي فرصة لزميله ليلعب			
٦٨	يسعد زميله الحزين			
٦٩	ينتظر زميله			
٧٠	يساعد أقرانه			
٧١	يلبي حاجة زميله			
٧٢	يلبي دعوة زميله			

النمو  
الاجتماعي  
الانفعالي

			يتقاسم طعامه مع زميله	٧٣
			يعير ألعابه لزميله	٧٤
			يعير أغراضه المدرسية لزميله	٧٥
			يلبس حدائه بنفسه	٧٦
			يذهب إلى دورة المياه بمفرده	٧٧
			يختار الألوان حسب رغبته	٧٨
			يحل مسألة ما بمفرده	٧٩
			ينصت لزميله	٨٠
			يلعب مع أقرانه	٨١
			يتحاور مع زملائه	٨٢
			يتعلم من زملائه	٨٣
			يحكي قصة لزميله	٨٤

**نسخ القرآن بالسنة**  
**نظرية الوقوع ومنع الجواز**  
**رؤية أصولية في ضوء وجهة الإمام الشافعي**

**الدكتور/ محمد سنان الجلال**

---

أستاذ أصول الفقه المشارك  
بكلية الشريعة والقانون  
جامعة صنعاء



جامعة الأندلس  
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

**(AUST)**

## نسخ القرآن بالسنة

### نظرية الوقوع ومنع الجواز (رؤية أصولية في ضوء وجهة الإمام الشافعي)

#### ملخص البحث :

أدرك علماءنا الأجلاء أن للنسخ أثرا كبيرا وخطورة بالغة فلذلك اعتنوا به ووضعوا قواعده، واعتبروا علم النسخ والمنسوخ ومعرفته شرطا أساسا للتصدر للفتيا والوعظ، وحظي باب النسخ في علم أصول الفقه وعلوم القرآن بمكانة كبيرة فقد تناوله العلماء بالتفصيل والتبيين وتوضيح شروطه وأنواعه.

ومن بين القضايا التي تناولها علماءنا الأجلاء: نسخ القرآن بالسنة، المتواترة والأحاد وكان تناولهم لها بمنهج علمي سليم بعيد عن التعصب والانتصار للرأي الشخصي.

وقد اشتهر في هذه القضية رأي الإمام الشافعي الذي يتلخص في أن السنة لا تنسخ القرآن، ومال إلى هذا الرأي إمام أهل السنة أحمد بن حنبل وبعض أهل العلم، وربما كان لهذا الرأي مخالفون لا يسلكون هذا المسلك

وقد أردت من خلال هذا البحث أن أساهم بقدر الجهد في الوصول إلى ما رأيت أنه الحق والصواب، فتناولت أولا معنى النسخ وشروطه وأنواعه وتحدثت بعد ذلك عن نسخ القرآن بالسنة المتواترة ونسخه بالسنة الأحادية، ثم ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها، ورأيت أن رأي الإمام الشافعي هو الأصوب في هذه القضية، كما أنني أخذت بوجهة شيخ الإسلام ابن تيمية التي تنص على أنه لم يثبت أن شيئا من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن .

كما أنني توصلت إلى أن محل الخلاف إنما هو في نسخ السنة لحكم الآية، أما إطلاق القول بأن السنة يمكن أن تنسخ رسم القرآن فهو قول بعيد عن الصواب

والله الهادي إلى الحق والميسر للهدى

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، له الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين وإمام المتقين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن النسخ له أثر عظيم وخطورة بالغة، ومن ثم اهتم به علماء المسلمين من لدن الصحابة الأجلاء، فقد كان علم النسخ والمنسوخ ومعرفته شرطاً أساسياً للتصدر للفتيا والمواظف فضلاً عن التأهيل لمرتبة الاجتهاد، وحظي باب النسخ في علم أصول الفقه بمكانة كبيرة؛ إذ تناولوه الأصوليون بالتفصيل والتبيين وتوضيح شروطه وأنواعه.

ومن بين القضايا التي اهتم بها الأصوليون منذ نشأة أصول الفقه : نسخ القرآن بالسنة : المتواترة والآحاد، وقد تناول الأصوليون هذا الموضوع بتجرد تام ومنهجية علمية بعيدة عن التعصب والانتصار للنفس، محتكمين لما صح من الدليل، وما يليق بمكانة القرآن ومقام سيد الخلق صلى الله عليه وسلم.

وقد اشتهر في هذه القضية رأي الإمام الشافعي مؤسس علم الأصول، وكان له رأي ينبئ عن سعة علمه وسمو مكانته، وربما خالفه فيه الكثيرون، لكن ذلك دليل صحة وعلامة صدق لمسيرة علمائنا الأجلاء الذين لا يتقيدون بالمذهب ولا يتعصبون للرأي، إنما هو الحق وجهتهم، ورضا الله غايتهم .

ولما كان لهذا الموضوع أهميته البالغة فقد رأيت أن أدلي فيه بدلوي وأن أساهم فيه بقدر استطاعتي، وحسبي أني أردت الوصول إلى الحق، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من الوقوع في الزلل، ومن كل خطأ وخلل .

وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث :

أما التمهيد فقد بينت فيه بإيجاز معنى النسخ وشروطه وأنواعه .

وأما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن نسخ القرآن بالسنة المتواترة .

والمبحث الثاني تحدثت فيه عن نسخ القرآن بالسنة الآحادية .

والمبحث الثالث تحدثت فيه عن تحقيق مذهب الإمام الشافعي في نسخ القرآن بالسنة  
ومحل الخلاف .

ثم ختمت البحث بالرأي المختار وأهم النتائج التي توصلت إليها .  
وأسأل الله عز وجل أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم  
النصير .

**تمهيد: في معنى النسخ وشروطه وأنواعه****أولاً: النسخ لغة:**

يطلق النسخ في اللغة على عدة معان :

يطلق ويراد به الإبطال والإزالة، إما إلى غير بدل كما يقال: نسخت الريح آثار الديار بمعنى غيرتها، ومن هذا قول الله جل وعلا {فينسخ الله ما يلقي الشيطان} (الحج ٥٢)، وإما إزالة إلى بدل، فيزال شيء ويقام آخر مقامه، ومن هذا قول العرب: نسخت الشمس الظل، والمعنى: أذهبت الظل وحلت محله، وفي القرآن الكريم {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} (البقرة ١٠٦) فهذا إلى بدل<sup>(١)</sup>.

ويطلق النسخ في اللغة أيضا على تبديل الشيء من الشيء وهو غيره، كما يطلق على نقل الشيء من مكان إلى مكان وهو هو<sup>(٢)</sup> يقال نسخت الكتاب أي نقلته، وجاء في القرآن: {إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون} (الجاثية ٢٩).

فالمعنى اللغوي للنسخ يدور بين الإبطال والإزالة والنقل والتحويل<sup>(٣)</sup>.

والأصوليون وقضوا على هذين المعنيين اللغويين للنسخ "الإزالة والنقل" فاختلقت أنظارهم في أيهما يعتبر المعنى الأصلي لـ"النسخ":

فرأى الأكثرون أن النسخ حقيقة في الإزالة والإعدام، مجاز في النقل، بينما ذهب آخرون إلى أنه حقيقة في النقل والتحويل، وهناك من اختار أنه مشترك بين المعنيين اشتراكا لفظيا<sup>(٤)</sup>

وقد ارتأى ابن برهان<sup>(٥)</sup> أن النسخ في اللغة حقيقة في الإزالة، بينما حقيقته في الشرع: النقل والتحويل<sup>(٦)</sup>

١ - لسان العرب ٦١/٣ والقاموس المحيط ٢٨١ / ١

٢ - لسان العرب ٦١/٣

٣ - المصباح المنير ٦٠٢/٢ - ٦٠٣ والمعجم الوسيط ٩١٧/٢

٤ - المستصفى ١٠٧/١ واخصول ١ - ٤١٩/٣ ونهاية الوصول ٢٢١٣ - ٢٢١٤ والبحر المحيط ٦٣/٤ وشرح

الكوكب ٥٢٥/٣

٥ - أحمد بن علي بن محمد فقيه أصولي برع في المذهب الشافعي، من تصانيفه الوصول إلى الأصول توفي سنة ٥٢٠ هـ

وقد ذهب بعض الأصوليين إلى أن الخلاف هنا لفظي<sup>(٧)</sup> وذهب بعضهم إلى أنه معنوي ينبني عليه جواز النسخ بلا بدل، فمن قال: حقيقة في الإزالة مجاز في النقل جوزه، ومن قال: حقيقة فيهما منعه<sup>(٨)</sup>.

### ثانياً: النسخ اصطلاحاً :

اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف النسخ اصطلاحاً، ولا يكاد يسلم تعريف من تعريفاتهم من إشكالات ترد عليه .

وأشهر تعريف للنسخ اختاره جمهور الأصوليين<sup>(٩)</sup> هو تعريف القاضي الباقلاني<sup>(١٠)</sup> حيث عرفه بأنه :

"الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتاً مع تراخيه عنه"<sup>(١١)</sup>

وقد ارتضى هذا التعريف الإمام الغزالي<sup>(١٢)</sup> في المستصفى<sup>(١٣)</sup> والآمدي<sup>(١٤)</sup> في الإحكام<sup>(١٥)</sup> ومع أن الآمدي ارتضاه ودافع عنه وأجاب عن الإيرادات التي وجهت له، لكنه

ترجمته في وفيات الأعيان ٩٩/١ طبقات ابن السبكي ٣٠/٦ شذرات الذهب ٦١/٤

٦ - الوصول إلى الأصول ٥/٢

٧ - الإحكام للآمدي ٢٣٧/٢

٨ - البحر المحيط ٦٤-٦٣/٤

٩ - شرح الكوكب المنير ٥٢٦/٣

١٠ - أبوبكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني البصري المتكلم المشهور اتصف بجودة الاستنباط وكان ورعاً زاهداً من تصانيفه التقريب

والإرشاد في أصول الفقه وإعجاز القرآن . توفي سنة (٤٠٣ هـ) ترجمته في وفيات الأعيان ٢٦٩/٤ والعبر ٨٦/٣

والبداية والنهاية ٣٥٠/١

١١ - نسبه إلى الباقلاني جمع من الأصوليين منهم ابن برهان والبيضاوي والآمدي والقرافي والزرکشي وغيرهم يراجع الوصول إلى الأصول ٧/٢

والمهاج مع نهاية السؤل ٥٤٨/٢ والإحكام للآمدي ٢٣٨/٢ وشرح تنقيح الفصول ص/٢٠٢ والبحر المحيط

للزرکشي ٦٥/٤ ورسوخ الأخبار في

منسوخ الأخبار للجعبري ص/١٣٠

١٢ - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الفقيه الشافعي، تعلم على الجويني وصف العديد من المصنفات منها المستصفى، والمنحول،

في الأصول والوسيط

قال: "ومع ذلك فالمختار في تحديده أن يقال: النسخ عبارة عن خطاب الشارع المانع من استمرار ما ثبت من حكم خطاب شرعي سابق"<sup>(١٦)</sup>

كما أن الشيرازي<sup>(١٧)</sup> مال إلى تعريف الباقلاني وكذا ابن الحاجب<sup>(١٨)</sup> ونص تعريفه: "رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر"<sup>(١٩)</sup>.

وهناك اعتراضات على هذا التعريف الذي اختاره الباقلاني ومن تبعه من جمهور الأصوليين كما أن هناك ردوداً على تلك الاعتراضات ليست مجال بحثنا<sup>(٢٠)</sup>.

ومع تعدد واختلاف عبارات الأصوليين في تعريف النسخ إلا أن غالب تلك التعريفات تؤول إلى وجهتين:

الأولى: يرى أصحابها أن النسخ "رفع" وهذه هي وجهة الباقلاني وجمع كثير من الأصوليين<sup>(٢١)</sup>.

والبسيط وغيرها. توفي سنة (٥٥٠٥هـ) ترجمته في وفيات الأعيان ٢١٦/٤ وطبقات الشافعية للسبكي ١٩١/٦ وشذرات الذهب ١٠/٤

١٣ - المستصفى ١٠٧/١

١٤ - علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الفقيه الأصولي من مصنفاته: الإحكام في أصول الأحكام وأبكار الأفكار وغيرها توفي سنة (٦٣١هـ) ترجمته في

طبقات الأنسوي ١٣٧/١ وحسن المحاضرة ٥٤١/١ البداية والنهاية ١٤٠/١٣

١٥ - الإحكام ٢٣٨/٢

١٦ - المرجع السابق ٢٤٠/٢

١٧ - إبراهيم بن علي بن يوسف الفقيه الشافعي أحد الأئمة الأعلام صنف العديد من المصنفات منها المهذب والتبصير في الفقه والبصرة واللمع في أصول

الفقه. توفي سنة (٤٧٦هـ) ينظر وفيات الأعيان ٢٩/١ والبداية والنهاية ١٢٤/١٢ وطبقات السبكي ٢١٥/٤

١٨ - عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الفقيه المالكي برع في الفقه والعربية والقرآن من مصنفاته الكافية في النحو والمنتهى ومختصره في الأصول

توفي سنة (٦٤٦هـ) ينظر وفيات الأعيان ٣/٢٤١ وبيغية الوعاة ٢/١٣٤ والنجوم الزاهرة ٦/٣٦٠

١٩ - مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد ١٨٥/٢

٢٠ - ينظر الحصول ١-٣/٤٢٥ والإحكام للأمدى ٢/٢٣٨ ورسوخ الأخبار ١٣١

٢١ - المستصفى ١٠٧/١ واللمع ص/٥٥ وروضة الناظر مع نزهة الخاطر ١/١٨٩-١٩٠ ونهاية الوصول للصفى الهندي ٢٢٢٨/٦ والبحر المحيظ ٤/٦٤

الثانية : يرى أصحابها أن النسخ "بيان" وهذه وجهة إمام الحرمين الجويني<sup>(٢٢)</sup> وفخر الدين الرازي<sup>(٢٣)</sup> والبيضاوي<sup>(٢٤)</sup> والأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني<sup>(٢٥)</sup> وغيرهم<sup>(٢٦)</sup> .

وقد قال الأسنوي<sup>(٢٧)</sup> عن كون النسخ بيانا : "اختاره المصنف -البيضاوي- وهو مقتضى اختياره -الرازي- في المحصول لكنه اختار في المعالم أن النسخ عبارة عن الانتهاء وحذف لفظة البيان"<sup>(٢٨)</sup>

وقد قال ابن السبكي<sup>(٢٩)</sup> عقب تعريفه النسخ : "فإن التشاجر بين التعريفين إنما هو في لفظ الرفع والبيان"<sup>(٣٠)</sup>.

٢٢ - عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني الشافعي المتفق على إمانته جاور بمكة وبالمدينة يدرس ويفتي وصنف العديد من المصنفات منها الشامل في

أصول الدين والرهان في أصول الفقه وغيرها توفي سنة(٤٧٨هـ) ينظر وفيات الأعيان ١٦٧/٣ والعبر ٢٩١/٣ وطبقات الأسنوي ٤٠٩/١

٢٣ - محمد بن عمر بن الحسين الرازي الفقيه الشافعي صنف العديد من المصنفات منها : تفسير القرآن والمعالم والحصول في أصول الفقه وغيرها توفي

سنة (٦٠٦هـ) ترجمته في وفيات الأعيان ٢٤٨/٤ وطبقات السبكي ٨١/٨ والبداية والنهاية ٥٥/١٣

٢٤ - عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي ناصرالدين الفقيه الشافعي، صنف العديد من المصنفات منها: منهاج الوصول وأنوار التنزيل وال غاية القصوى

وغیرها . توفي سنة(٦٨٥هـ) ينظر طبقات السبكي ١٥٧/٨ وبغية الوعاة ٥٠/٢ وشذرات الذهب ٣٩٢/٥

٢٥ - إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الاسفرائيني الشافعي . من مصنفاته جامع الخلي في أصول الدين والتعليق في أصول الفقه توفي سنة(٤١٨هـ) .

ترجمته في وفيات الأعيان ٢٨/١ والبداية والنهاية ٢٤/١٢

٢٦ - وعن مال إليه ابن حزم والقرافي . ينظر الإحكام لابن حزم ٥٩/٤ وشرح تنقيح الفصول ص/٣٠٣

٢٧ - عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي الفقيه الشافعي من تصانيفه : نهاية السؤل شرح المنهاج والمهمات وغيرها توفي سنة(٧٧٢هـ)

ينظر الدرر الكامنة ٤٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١١٤/١١ وبغية الوعاة ٩٢/٢

٢٨ - نهاية السؤل ٥٤٨/٢ - ٥٥٠

٢٩ - تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي كان فقيها قوي الحجته . من مصنفاته : جمع الجوامع والإبهاج وطبقات الشافعية

توفي سنة(٧٧١هـ) ينظر الدرر الكامنة ٣٩/٣ وحسن المحاضرة ٣٢٨/١ والبدر الطالع ٤١٠/١

٣٠ - الإبهاج ٢٤٧/٢

ومعنى الرفع عند الأصوليين : أن خطاب الله تعالى تعلق بالفعل بحيث لولا طريان النسخ لكان باقيا إلا أنه زال لطريان النسخ<sup>(٣١)</sup> ومثلوا لذلك برفع حكم الإجارة بالفسخ، فإن ذلك يفارق زوال حكمها بانقضاء مدتها، فإذا كانت شهرا يستحيل فسخها إذا انقضى الشهر، ولكن يمكن فسخها في أثناء الشهر لأن شأنها أن تدوم<sup>(٣٢)</sup> .

ولم يرتض القرأفي<sup>(٣٣)</sup> رحمه الله هذا التمثيل فقد قال: "الجماعة ينعون هذا التشبيه ويقولون إن الله تعالى يعلم الأشياء على ما هي عليه فلو كان الحكم دائما في نفس الأمر لعلم دوامه، ولو علم دوامه لتعذر نسخه، فإن خلاف المعلوم محال في حقنا فكيف في العلم القديم، وكذلك كل ما علمه الله تعالى فهو مخبر عنه بالكلام النفساني، وخبر الله تعالى صدق يستحيل الخلف فيه، فلو أخبر عن دوامه تعذر نسخه، وكذا لو شرعه دائما لكان تعالى قد أراد دوامه لأنه من جملة الكائنات، ولو أراد دوامه لوجب الدوام، وحينئذ يتعذر النسخ، ولو وقع النسخ لزم مخالفة ثلاث صفات لله تعالى وذلك محال"<sup>(٣٤)</sup> .

ومعنى البيان عند الأصوليين : أن الخطاب الأول له غاية في علم الله تعالى، فانتهى عندها لذاته في ذلك الوقت ثم حصل بعده حكم آخر، والحصول والانتهاج راجعان إلى التعلق<sup>(٣٥)</sup> .

وللإمام السرخسي<sup>(٣٦)</sup> رحمه الله جمع وجيه بين التفسيرين، حيث اعتبر أن النسخ بيان لمدة الحكم المنسوخ في حق الشارع، وتبديلا لذلك الحكم بحكم آخر في حقنا على

٣١ - المصنوع ٣-١ / ٤٣٠ ونهاية الوصول ٢٢٢٨/٦ ونهاية السؤل ٥٤٨/٢

٣٢ - روضة الناظر مع نزهة الخاطر ١٨٩/١ - ١٩٠ وشرح تنقيح الفصول ص/٣٠٢

٣٣ - شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي المالكي كان بارعا في الفقه والأصول . من مصنفاته: نفائس الأصول في شرح الحصول وتنقيح الفصول

وشرحه توفي سنة (٥٦٨هـ) ترجمته في الديباج المذهب ٢٣٦/١ والمنهل الصافي ٢١٥/١

٣٤ - شرح تنقيح الفصول ص/٢٠٣

٣٥ - المصنوع ٣-١ / ٤٣١ ونهاية السؤل ٥٤٩/٢ ونهاية الوصول ٢٢٢٨/٦

٣٦ - محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الفقيه الحنفي من تصانيفه : المسبوط في الفقه وكتاب في الأصول عرف بـ"أصول السرخسي" ت(٤٣٨هـ)

ترجمته في الفوائد البهية في تراجم الحنفية / ١٥٨ والفتح المبين في طبقات الأصوليين ٢٦٤/١ - ٢٦٥

ما كان معلوماً عندنا لو لم ينزل الناسخ، ومثل السرخسي لذلك بالقتل، فإنه انتهاء الأجل في حق من هو عالم بعواقب الأمور، لأن المقتول ميت بأجله بلا شك، ولكن في حق القاتل جعل فعله جناية على معنى أنه يعتبر في حقه حتى يستوجب به القصاص، مع أن ذلك موت بالأجل المنصوص عليه في قوله تعالى: {فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} (الأعراف ٣٤) ثم قال: ومن فهم التبديل بهذه الصفة عرف أنه ليس فيه من إيهاام البدء شيء<sup>(٣٧)</sup>.

ويقرب من هذا التوجيه توجيه القرافي إذ رأى أن الحكم كان دائماً في اعتقادنا، لا في نفس الأمر، فالناسخ مزيل للدوام في اعتبارنا، لا في نفس الأمر<sup>(٣٨)</sup>.

وقد أكثر الأصوليون من الاعتراضات والمناقشات لكل وجهة من الوجهتين المتقدمتين وأطالوا في ذلك بما يخلو في أكثره عن الفائدة<sup>(٣٩)</sup>.

### ثالثاً : شروط النسخ

اشترط العلماء شروطاً لصحة النسخ، وهناك شروط متفق عليها بين الجمهور بينما توجد شروط اختلفت فيها أنظارهم .

وهناك تعلق وثيق لشروط النسخ بهذا الموضوع الذي نبهته وهو نسخ القرآن بالسنة، من حيث عرض وجهة العلماء في اشتراط كون الناسخ مثل المنسوخ أو أقوى منه، فإذا اعتبر هذا الشرط فإن نسخ القرآن بالسنة يمتنع من حيث إن السنة أقل درجة من القرآن، بل حتى متواتر السنة النبوية ليست في درجة القرآن من حيث انقطاع التواتر في آخر السند .

ثم إن من اشترط هذا الشرط ينبغي أن لا يجيز نسخ المتواتر بالأحاد، فهل كان لهذا الشرط أثر في وجهة القائلين بالجواز وعدمه؟ هذا ما سنتبينه أثناء عرض الموضوع.

وسأبدأ في هذا المبحث بذكر شروط النسخ، وأهمها ما يلي:

<sup>٣٧</sup> - أصول السرخسي ٥٤/٢

<sup>٣٨</sup> - شرح تنقيح الفصول ٣٠٣/٣

<sup>٣٩</sup> - ينظر نهاية الوصول للهندي ٢٢٢٨/٦ والبحر المحيط ٦٤/٤

**أولاً:** أن يكون المنسوخ حكماً شرعياً لا عقلياً .

**ثانياً:** أن يكون الناسخ منفصلاً عن المنسوخ متأخراً عنه، فإن المقترن كالشرط والصفة والاستثناء لا يسمى نسخاً وإنما هو تخصيص .

**ثالثاً:** أن يكون النسخ بخطاب شرعي، أما ارتفاع الحكم بموت المكلف أو جنونه فإنه لا يسمى نسخاً .

**رابعاً:** أن لا يكون المنسوخ مقيداً بوقت، فلو كان كذلك فإن انقضاء وقته الذي قيد به لا يكون نسخاً له .

**خامساً:** أن يكون مما يجوز نسخه، فلا يدخل النسخ أصل التوحيد بحال؛ لأن الله تعالى بأسمائه وصفاته لم يزل ولا يزال<sup>(٤٠)</sup> وكذا ما علم بالنص أنه يتأبد ولا يتأقت، فلا يدخله نسخ كشريعتنا هذه، ومن هنا يعلم أنه لا نسخ في الأخبار إذ لا يتصور وقوعها على خلاف ما أخبر به الصادق<sup>(٤١)</sup>.

**سادساً:** أن يكون الناسخ أقوى من المنسوخ أو مثله فإن كان أضعف منه لم ينسخه؛ لأن الضعيف لا يزيل القوي .

وهذا الشرط اشترطه جمع من الأصوليين<sup>(٤٢)</sup> فقد نقل الزركشي<sup>(٤٣)</sup> عن إلكيا<sup>(٤٤)</sup> قوله عن هذا الشرط: "وهذا مما قضى به العقل بل دل الإجماع عليه؛ فإن الصحابة لم ينسخوا نص القرآن بخبر الواحد"<sup>(٤٥)</sup> .

<sup>٤٠</sup> - ينظر المستصفى ١/١٢١ والإحكام للآمدي ٢/٢٤٥ والبحر المحيط ٤/٧٨ وإرشاد الفحول/١٨٦

<sup>٤١</sup> - البحر المحيط ٤/٧٨ وإرشاد الفحول/١٨٦

<sup>٤٢</sup> - الكوكب المنير ٣/٥٢٩ ورسوخ الأخبار/١٣٥

<sup>٤٣</sup> - محمد بن مجاهد بن عبد الله الزركشي عاش في مصر ودرس على علمائها وصف العديد من المصنفات منها : البحر المحيط في الأصول والبرهان

في علوم القرآن وتشفير المسامع شرح جمع الجوامع وغيرها . توفي سنة (٧٩٤هـ) ترجمته في في الدرر الكامنة ٤/١٧-١٨ وشذرات الذهب/٦/٣٣٥

<sup>٤٤</sup> - علي بن محمد بن علي الطبري الشافعي المعروف بإلكيا الهراسي، أحد فحول العلماء فقها وأصولاً وحفظاً للحديث . توفي سنة (٥٠٤هـ)

ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٤٤٨ وطبقات السبكي ٧/٢٣١ وشذرات الذهب ٤/٨

كما أن الإمام الغزالي مال إلى اعتبار هذا الشرط فقال: " لا يشترط أن يكونا نصين قاطعين؛ إذ يجوز نسخ خبر الواحد بخبر الواحد وبالمتواتر، وإن كان لا يجوز نسخ المتواتر بخبر الواحد"<sup>(٤٦)</sup>.

ونص أبو يعلى الفراء<sup>(٤٧)</sup> على اشتراطه<sup>(٤٨)</sup> ونقله أبو الخطاب<sup>(٤٩)</sup> عن أكثر الحنابلة وقال: "ونص أصحابنا أن يكون الناسخ مثل المنسوخ أو أقوى منه ولا يكون أضعف منه كخبر الأحاد في نسخ القرآن"<sup>(٥٠)</sup>.

وقد عرض القرابي موضوع النسخ بالفعل ثم أورد استشكلًا فقال: " قال العلماء: من شرط الناسخ أن يكون مساويا للمنسوخ أو أقوى، والفعل أضعف"<sup>(٥١)</sup>.

والذي يهمنا من نص القرابي أنه نسب إلى العلماء اشتراط مساواة المنسوخ للناسخ.

أما الأمدي فقد ذكر شروط النسخ المتفق عليها ولم يذكر منها هذا الشرط، وعند ما عرض الشروط المختلف فيها لم ينص صراحة على عدم اشتراطه فقد ذكر أن مما اختلف فيه: أن يكون نسخ القرآن بالقرآن والسنة بالسنة وأن يكون الناسخ والمنسوخ نصين قاطعين، ثم قال: " فإن ذلك كله مختلف فيه والحق أن هذه الأمور غير معتبرة"<sup>(٥٢)</sup>.

<sup>٤٥</sup> - البحر الخيط ٧٩/٤

<sup>٤٦</sup> - المستصفى ١٢٢/١

<sup>٤٧</sup> - محمد بن الحسين بن محمد بن خلف القاضي أبو يعلى الفراء فقيه أصولي وصف بالزهدي والورع من مصنفاته: العدة في أصول الفقه وإبطال الحيل

وغيرها. توفي سنة (٤٥٨هـ) ينظر تاريخ بغداد ٢/٢٥٦ وطبقات الحنابلة ٢/١٩٣ والبداية والنهاية ١٢/٩٤

<sup>٤٨</sup> - العدة ٣/٧٦٨

<sup>٤٩</sup> - محفوظ بن أحمد بن الحسن أبو الخطاب الكلوزاني تلمذ على أبي يعلى الفراء من تصانيفه: التمهيد في الأصول توفي سنة (٥١٠هـ) ترجمته في

طبقات الحنابلة ٢/٢٥٨ والبداية والنهاية ١٢/١٨٠ وشذرات الذهب ٥/٨٨

<sup>٥٠</sup> - التمهيد لأبي الخطاب ٢/٣٤١

<sup>٥١</sup> - شرح تنقيح الفصول ٢٩٤

<sup>٥٢</sup> - الإحكام ٢/٢٤٥

ويلاحظ أن الأمدي لم ينص صراحة هنا على هذا الشرط ولم يدرجه في الشروط المتفق عليها كما لم يدرجه في المختلف فيها، وعلى الرغم أنه جعل شرط القطعية في النسخ والنسخ مما اختلف فيه إلا أن ذلك لا يعني دخول هذا الشرط هنا فهو يشير إلى جواز نسخ الأحاد للأحاد وهما نصابان غير قاطعين، وهذا ما صرح به الغزالي في عبارته السالفة الذكر حيث نص على أنه لا يشترط أن يكونا نصين قاطعين؛ إذ يجوز نسخ خبر الواحد بخبر الواحد والمتوتر، وإن كان لا يجوز نسخ المتواتر بخبر الواحد<sup>(٥٣)</sup>.

#### رابعاً: أنواع النسخ:

يذكر الأصوليون أن للنسخ أنواعاً، وسأذكر هذه الأنواع إجمالاً حتى أصل إلى النوع الذي هو موضوع دراستنا، ولن أتوسع في تفصيل الخلاف في هذه الأنواع، نظراً لأن القسم المعني بالبحث سوف يتضمن الخلاف والأدلة لكل فريق، وأما بقية الأنواع فالخلاف فيها محدود.

وقد قسم الأصوليون النسخ إلى أربعة أنواع:

**النوع الأول:** نسخ القرآن بالقرآن، وهذا القسم متفق على جوازه ووقوعه من القائلين بالنسخ، فأية الاعتداد بالحوال هي قوله تعالى: {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج... الآية} (البقرة ٢٤٠) نسخت آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشر وهي قوله تعالى {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً... الآية} (البقرة ٢٣٤).

**الثاني:** نسخ السنة بالقرآن، ويمثلون له بالتوجه إلى بيت المقدس فقد كان ثابتاً بالسنة<sup>(٥٤)</sup> وليس في القرآن ما يدل عليه ثم نسخ بالقرآن في قوله تعالى: {فول وجهك شطر المسجد الحرام} (البقرة ١٤٤) وهذا القسم يجيزه الجمهور<sup>(٥٥)</sup>.

<sup>٥٣</sup> - المستصفى ١ / ١٢٢

<sup>٥٤</sup> - روى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في

البقرة (وحينما كنتم فولوا وجوهكم شطره) وفي الرواية الأخرى: (ثم صرفنا نحو الكعبة) ينظر صحيح مسلم ١/٣٧٤

والمنقول عن الشافعي<sup>(٥٦)</sup> رحمه الله في أحد قولييه :أنه لا يجوز نسخ السنة بالقرآن، هكذا نقل عنه أصحابه<sup>(٥٧)</sup> .

لكن الشافعي نص في رسالته على أن السنة لا ينسخها إلا سنة مثلها، وقد قال : "وهكذا سنة رسول الله لا ينسخها إلا سنة لرسول الله، ولو أحدث الله لرسوله في أمر سن فيه غير ما سن رسول الله لسن فيما أحدث الله إليه، حتى يبين للناس أن له سنة ناسخة لتي قبلها مما يخالفها، وهذا مذكور في سنته صلى الله عليه وسلم<sup>(٥٨)</sup> .

وقال في موضع آخر: "إن قال قائل: هل تنسخ السنة بالقرآن ؟ قيل :لو نسخت السنة بالقرآن كانت للنبي فيه سنة تبين أن سنته الأولى منسوخة بسنته الأخيرة حتى تقوم الحجة على الناس بأن الشيء ينسخ بمثله<sup>(٥٩)</sup> .

**الثالث :** نسخ السنة بالسنة ومن ذلك نسخ جواز المتعة الذي كان جائزا أولا ثم نسخ فيما بعد فقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص عام أوطاس في المتعة ثلاثا ثم نهى عنها<sup>(٦٠)</sup> ، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : "كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها"<sup>(٦١)</sup> .

**الرابع :** نسخ القرآن بالسنة، وهذا هو موضوع بحثنا وسنفرده ببحث مستقل .

<sup>٥٥</sup> - المستصفي ١/١٢٤ والإحكام للآمدي ٢/٢٦٩ وغاية الوصول ٦/٢٣٥٧ والبحر المحيط ٤/١١٨ والعدة لأبي يعلى ٣/٨٠٢

<sup>٥٦</sup> - الإمام محمد بن إدريس بن العباس الشافعي الفقيه اللغوي المجتهد صنف التصانيف ودون العلم وهو أول من صنف في أصول الفقه وله فيه الرسالة

أخذ عن الإمام مالك وغيره توفي سنة (٢٠٤هـ) ترجمته في وفيات الأعيان ٤/١٦٣ وسير أعلام النبلاء ١٠/٩٩-٥٠ والبداية والنهاية ١٠/٢٥١

<sup>٥٧</sup> - ينظر الإحكام للآمدي ٢/٢٦٩ وغاية الوصول ٦/٢٣٥٧ والبحر المحيط ٤/١١٨

<sup>٥٨</sup> - الرسالة / ١٠٨

<sup>٥٩</sup> - الرسالة / ١١٠

<sup>٦٠</sup> - صحيح مسلم ٢/١٠٢٣

<sup>٦١</sup> - صحيح مسلم ٢/٦٧٢

## المبحث الأول: نسخ القرآن بالسنة المتواترة

سوف أتناول نسخ القرآن بالسنة من شقين :

الأول : نسخ القرآن بالسنة المتواترة، والثاني : نسخ القرآن بالسنة الأحادية، ثم أتبع ذلك بتحقيق مذهب الإمام الشافعي رحمه الله من الأمرين، وسأعرض هذه الأمور في مسائل :

### الأولى: آراء العلماء في نسخ القرآن بالسنة المتواترة

اختلف العلماء في جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وحصل الخلاف أيضا في وقوعه لو تم التسليم بعدم المانع منه، ويمكن أن نلخص الأقوال في مذهبين رئيسين :

**المذهب الأول:** جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة<sup>(٦٢)</sup> وهذا القول ينسب إلى جمهور الأصوليين وعامة المتكلمين، فهو رأي الأحناف والمالكية وكثير من الشافعية وقال به أهل الظاهر وبعض الحنابلة<sup>(٦٣)</sup>، وقد نسب لأبي الحسن الأشعري<sup>(٦٤)</sup> القول بالجواز<sup>(٦٥)</sup> مع أن ابن تيمية<sup>(٦٦)</sup> رحمه الله قال : "أظن الأشعري قد حكى في مقالاته أن مذهب أهل السنة والحديث أنه لا ينسخ بالسنة وقال إليه أذهب"<sup>(٦٧)</sup>.

<sup>٦٢</sup> - المتواتر: ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أول السند إلى آخره

ينظر تدريب الراوي ١٧٦/٢ ونهاية السؤل ٦١/٣

<sup>٦٣</sup> - أصول السرخسي ٦٧/٢ وإحكام الفصول للباقي ٤١٧/ وإحكام للآمدي ٢٧٢/٢ ونهاية الوصول ٢٣٣٩/٦ والبحر المحيط ١٠٩/٤/٤ والتمهيد

لأبي الخطاب ٣٧٩/٢ وشرح تنقيح الفصول ٣١٣/ وكشف الأسرار ١٧٧/٣ ومختصر ابن الحاجب مع العضد ١٩٧/٢ والإحكام لابن حزم ١٠٧/٤

وشرح الكوكب المنير ٥٦٣/٣

<sup>٦٤</sup> - علي بن إسماعيل بن أبي بشر ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، له تصانيف منها إيضاح البرهان والتبيين عن أصول الدين تتلمذ

عليه القاضي الباقلاني وغيره وإليه تنسب الطائفة الأشعرية . توفي سنة (٣٢٤هـ) ترجمته في وفيات الأعيان ٣٨٤/٣ وطبقات السبكي ٣٤٧/٣

<sup>٦٥</sup> - البحر المحيط ١٠٩/٤ وإرشاد الفحول ١٩١/

<sup>٦٦</sup> - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، له باع طويل في الفقه والأصول وله معرفة بأقوال الخوارج والروافض صنف التصانيف

واختار الجواز إمام الحرمين الجويني فقد قال : " الذي اختاره المتكلمون وهو الحق المبين أن نسخ الكتاب بالسنة غير ممتنع <sup>(٦٨)</sup> كما رأى الإمام الرازي أن نسخ الكتاب بالسنة المتواترة جائز وواقع <sup>(٦٩)</sup> .

أما أبو الخطاب فقد مال إلى الجواز شرعا وعقلا فبعد أن حكى قول أكثر الفقهاء والحنفية والمالكية وعامة المتكلمين بجواز ذلك قال : وهو الأقوى عندي <sup>(٧٠)</sup> .

ومع أن أبا الخطاب يسلم بجواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة إلا أنه يرى عدم وقوعه، وأن النسخ بالسنة المتواترة لم يوجد، فقد قال : " اختلف من قال بجواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة هل يوجد ذلك، فقال بعضهم قد وجد وقال بعضهم لم يوجد، وهو الأقوى عندي؛ لأن الأصل عدم ذلك فمن ادعى وجوده فعليه الدليل <sup>(٧١)</sup> .

والقول بالجواز رواية عن الإمام أحمد <sup>(٧٢)</sup> غير مشهورة <sup>(٧٣)</sup> كما نسب إلى الإمام مالك <sup>(٧٤)</sup> الجواز <sup>(٧٥)</sup> ولم يشتهر ذلك عنه .

الكثيرة، منها درة تعارض العقل والنقل، ورفع الملام، وجمعت فتاواه بمجلدات، توفي سنة (٧٢٨هـ)، ترجمته في جلاء العينين

ص ٥، والأعلام العلية

ص ١٩ وشذرات الذهب ٨١/٦

٦٧ - المسودة / ٢٠٤

٦٨ - البرهان ٢ / ١٣٠٧

٦٩ - المحصول ١ - ٥١٩/٣

٧٠ - التمهيد لأبي الخطاب ٢ / ٣٦٩

٧١ - التمهيد لأبي الخطاب ٢ / ٣٧٩

٧٢ - أحمد بن محمد بن حنبل الإمام المجتهد المحدث الفقيه المعروف ناصر السنة له المسند في الحديث وغيره وهو أشهر من أن يعرف توفي

سنة ٢٤١هـ ترجمته في حلية الأولياء ٩ / ١٦١ وسير أعلام النبلاء ١١ / ١٧٧ وشذرات الذهب ٢ / ٩٦

٧٣ - التمهيد لأبي الخطاب ٢ / ٣٦٩ وشرح الكوكب المنير ٣ / ٥٦٣ وفتاوي ابن تيمية ٢٠ / ٣٩٧

٧٤ - مالك بن أنس الأصمحي إمام دار الهجرة الإمام الفقيه المحدث المجتهد قيل عنه لا يفتى ومالك في المدينة وهو أعرف من أن يعرف له في الحديث

كتاب الموطأ توفي سنة (١٧٩هـ) ينظر وفيات الأعيان ٤ / ١٣٥ وسير أعلام النبلاء ٤ / ٤٣١ وشذرات الذهب ١ / ٢٨٩

٧٥ - إحكام الفصول للباقي ١٧ / ٤١٧ والبحر المحيظ ٤ / ١١٠

ويرى ابن سريج<sup>(٧٦)</sup> أنه يجوز النسخ بالسنة المتواترة عقلا ولكنه لم يوجد في الشرع<sup>(٧٧)</sup>.

**المذهب الثاني:** لا يجوز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وممن اشتهر بالقول به الإمام الشافعي وسأفرد رأيه بحديث مستقل .

والقول بالمنع هي الرواية المشهورة عن الإمام أحمد بن حنبل<sup>(٧٨)</sup> فقد نقل عنه أصحابه قوله: " لا ينسخ القرآن إلا قرآن يأتي بعده"<sup>(٧٩)</sup>، وقد رأى بعض الحنابلة أن الإمام أحمد يمنع ذلك عقلا وشرعا، بينما يرى الكثيرون منهم أنه يمنعه شرعا لا عقلا<sup>(٨٠)</sup>.

وقد قال بمنع نسخ القرآن بالسنة المتواترة كثير من الحنابلة منهم القاضي أبو يعلى الفراء وابن قدامة<sup>(٨١)</sup> وابن النجار<sup>(٨٢)</sup> وغيرهم<sup>(٨٣)</sup> كما قال به كثير من الشافعية منهم الشيرازي والقلانسي<sup>(٨٤)</sup> والمحاسبي<sup>(٨٥)</sup> والقطان<sup>(٨٦)</sup> وأبو منصور البغدادي<sup>(٨٧)</sup> والاسفرائيني وغيرهم<sup>(٨٨)</sup> كما قال بالمنع بعض المالكية<sup>(٨٩)</sup> وجزم الصيرفي<sup>(٩٠)</sup> به<sup>(٩١)</sup>.

<sup>٧٦</sup> - أحمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي صاحب المزني وبه انتشر مذهب الشافعي ببغداد كان يلقب بالباز الأشهب توفي سنة (٣٠٦هـ)

ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ٢١/٣ وسير أعلام النبلاء ٢٠١/١٤ وشذرات الذهب ٢٤٧/١

<sup>٧٧</sup> - البصرة / ٢٦٤ والإحكام للآمدي ٢٧٦/٢ ونهاية الوصول ٢٣٤١/٣

<sup>٧٨</sup> - العدة ٧٨٨/٣ وشرح مختصر الروضة للطوفي ٣٢٠/٢ وفتاوى ابن تيمية ٣٩٧/٢٠ وشرح الكوكب المنير ٥٦٢/٣

<sup>٧٩</sup> - العدة ٧٨٨/٣ والتمهيد لأبي الخطاب ٣٦٩/٢ وروضة الناظر مع نزهة الخاطر ٢٤٤/١

<sup>٨٠</sup> - التمهيد لأبي الخطاب ٣١٩/٢ وشرح مختصر الروضة ٣٢٠/٢ وشرح الكوكب ٥٦٢ /٣

<sup>٨١</sup> - عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي فقيه أصولي متبحر في العلوم من تصانيفه المعنى والكافي وله في الأصول روضة الناظر

توفي سنة (٦٢٠هـ) ينظر البداية والنهاية ٩٩/١٣ والعبر ٧٩/٥ وشذرات الذهب ٨٨/٥

<sup>٨٢</sup> - محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحى ابن النجار فقيه أصولي من تصانيفه شرح الكوكب المنير ومنتهى الإبرادات توفي سنة (٩٧٢هـ)

ينظر الأعلام ٢٣٣/٦ ومقدمة تحقيق شرح الكوكب المنير ٥/١

<sup>٨٣</sup> - العدة ٧٨٨/٣ والروضة مع نزهة الخاطر ٢٢٤/١ وشرح الكوكب المنير ٥٦٢ /٣

<sup>٨٤</sup> - أحمد بن عبد الرحمن القلانسي من أعيان القرن الثالث، له مصنفات كثيرة في علم الكلام . ينظر طبقات الشافعية الكبرى ٣٠٠/٢

ويرى بعض الحنفية أنه لم يوجد في كتاب الله ما ينسخ بالسنة إلا من طريق الزيادة<sup>(٩٢)</sup>.

ثم إن من بين المانع المتقدمين من منع نسخ القرآن بالسنة المتواترة عقلا وشرعا، لكن أكثرهم يرى جوازه عقلا ومنعه شرعا<sup>(٩٣)</sup>.

وممن رأى عدم الوقوع ابن تيمية رحمه الله فقد قال: "لم يثبت أن شيئا من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن"<sup>(٩٤)</sup>.

وجزم الأمدي بالجواز العقلي<sup>(٩٥)</sup> وأما الوقوع فيضهم من صنيعه في رده على من أجاز أنه متردد فيه، لكنه بعد أن ذكر الأدلة ومناقشتها قال: "على هذا فلا يمتنع رفع حكم الآية بدليل السنة"<sup>(٩٦)</sup> ولعله قصد الامتناع العقلي.

<sup>٨٥</sup> - الحارث بن أسد الخاسمي من أصحاب الإمام الشافعي له مصنفات كثيرة في الزهد والأصول والرد على المخالفين، توفي سنة (٥٢٤٣هـ)

ترجمته في وفيات الأعيان ٥٧/٣ وتاريخ بغداد ٢١١/٨

<sup>٨٦</sup> - عبد الله بن سعيد القطان فقيه أصولي متكلم من مصنفاته خلق الأفعال وكتاب الصفات وغيرها توفي (٤٢٩هـ) ترجمته في الفهرست لابن النديم

ص/١٨٠ والأعلام ٩٠/٤

<sup>٨٧</sup> - عبد القاهر بن محمد البغدادي الشافعي فقيه أصولي أديب من مصنفاته التحصيل في أصول الفقه وتأويل متشابه القرآن توفي سنة (٤٢٩هـ)

ترجمته في وفيات الأعيان ٢٠٣/٣ طبقات السبكي ١٣٦/٥

<sup>٨٨</sup> - النبصرة/٢٦٤ والإحكام للآمدي ٢٧٢/٢ ونهاية الوصول ٢٣٤٠-٢٣٤١ والبحر المحيط ١١١/٤

<sup>٨٩</sup> إحكام الفصول للباي ٤١٧/

<sup>٩٠</sup> - أبو بكر محمد بن عبد الله الصيرفي، الفقيه الشافعي، تفقه على ابن سريج، من مصنفاته: شرح رسالة الشافعي، وكتاب في الإجماع، توفي سنة (٣٣٠هـ).

ينظر وفيات الأعيان ١٩٩/٤ وطبقات السبكي ١٨٦/٣

<sup>٩١</sup> - البحر المحيط ١١٠/٤ وإرشاد الفحول ١٩١/

<sup>٩٢</sup> - نسب هذا إلى أبي زيد القاضي من الأحناف، ينظر فوائح الرحمت ٨٠/٢

<sup>٩٣</sup> - العدة ٨٠١/٣ واللمع ٥٩-٦٠ والمعتمد ٣٩٢/١ والمعتمد ٣٩٣ والبحر المحيط ١١٠-١١١ وشرح الكوكب ٥٦٢/٣ وإرشاد الفحول ص/١٩١

<sup>٩٤</sup> - الفتاوى ٣٩٨/٢٠

<sup>٩٥</sup> - الإحكام ٢٧٢/٢

<sup>٩٦</sup> - الإحكام ٣٩٨/٢

**الثانية : أدلة القائلين بحواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة**

استدل القائلون بجواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة بأدلة بعضها نقلية وبعضها عقلية ومن أهم الأدلة النقلية التي استدلو بها ما يلي :

(١) أن نسخ القرآن بالمتواتر من السنة قد وقع، فهناك آيات كثيرة في القرآن قد نسخت السنة المتواترة حكمها، ومن تلك الآيات ما يلي :

١- آية الوصية وهي قوله تعالى : { كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين } (البقرة ١٨٠) فقد نسخت هذه الآية بقوله صلى الله عليه وسلم : " لا وصية لوارث" <sup>(٩٧)</sup> فالحديث نسخ حكم الآية <sup>(٩٨)</sup>.

ولكن هذا الاستدلال قد اعترض عليه باعتراضات متعددة حتى من القائلين بجواز نسخ القرآن بمتواتر السنة.

ومن تلك الاعتراضات ما يلي:

أن آية الوصية نسخت بأية المواريث وهي قوله تعالى : { يوصيكم الله في أولادكم النساء (١١) ، ولم تنسخ بالحديث <sup>(٩٩)</sup> وقد استندوا إلى ما ثبت عن ابن عباس <sup>(١٠٠)</sup> رضي الله عنه قال : " كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع <sup>(١٠١)</sup> .

<sup>٩٧</sup> - ينظر مسند أحمد/٥/٢٦٧ وسنن أبي داود ٣/٢٩٠-٢٩١ رقم (٢٨٧٠) وسنن الترمذي ٤/٤٣٣ وسنن النسائي ٦/٢٤٧ وسنن ابن ماجه ٢/٩٠٥

<sup>٩٨</sup> - الحصول ١-٣/٥٢١ والإحكام للآمدي ٢/٢٧٢ ونهاية الوصول ٦/٢٣٤٢ وإحكام الفصول للباجي ١٩/٤١٩ والوصول إلى الأصول ٢/٤٣

<sup>٩٩</sup> - التمهيد لأبي الخطاب ٢/٣٨١ وشرح مختصر الروضة للطوفي ٢/٣٢٤ ونهاية الوصول ٦/٢٣٤٢

<sup>١٠٠</sup> - عبد الله بن عباس بن عبد المطلب حبر الأمة وإمام التفسير، دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل (ت ٦٨هـ)

ترجمته في الاستيعاب ٣/٩٣٣ وأسد الغابة ٣/٢٩ والإصابة ٢/٣٣٠

<sup>١٠١</sup> - البخاري كتاب الوصايا باب : لا وصية لوارث ٣/١٠٠٨

وثبت عنه في قوله تعالى { إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين } البقرة (١٨٠) قال : " كانت الوصية كذلك حتى نسختها آية الميراث" (١٠٢) والصحابي يرجع إلى قوله في الإخبار عن النسخ (١٠٣) .

ثم إن الأصوليين اعترضوا أيضا على أن الآية منسوخة بالحديث بأن هناك ما يمنع النسخ وهو أن الحديث آحاد لا متواتر، فالنسخ به يقتضي نسخ المتواتر بالآحاد وهو ممتنع (١٠٤) .

وهناك من الأصوليين من أخرج الحديث عن دائرة النسخ فجعله مخصصا لا ناسخا، فالقرايف بعد أن ذكر الاستدلال بحديث " لا وصية لوارث" على وقوع نسخ القرآن بالمتواتر من السنة قال: " ويرد عليه أن الوصية جائزة لغير الوارث إذا كان قريبا فدخله التخصيص، والمدعى النسخ (١٠٥) .

ومنهم من جعل الحديث بيانا للنسخ بأية المواريث فهو مؤكد للنسخ بها ولهذا كان أول الحديث: " إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث، فكان هذا بيانا وإخبارا عن زوال وجوب الوصية للوارث لا نسخا (١٠٦) .

ووجه ابن تيمية كون الحديث بيانا لا نسخا وأن النسخ بأية المواريث بأنه لما قال بعد ذكر الفرائض: { تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين } النساء (١٤/١٣) فلما ذكر الفرائض المقدره حدوده ونهى عن تعديلها كان في ذلك بيان أنه لا يجوز أن يزداد أحد على ما فرض الله وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم : إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية

١٠٢ - ينظر سنن أبي داود ٣ / ٢٩٠

١٠٣ - التمهيد ٣٨١/٢ وفواتح الرحموت ٨٠/٢

١٠٤ - الأحكام للآمدي ٢/٢٧٢ ونهاية الوصول ٦/٢٣٤٢ وفواتح الرحموت ٨٠/٢

١٠٥ - شرح تنقيح الفصول ٣١٣-٣١٤

١٠٦ - شرح مختصر الروضة ٢/٣٢٤

لوارث" وإلا فهذا الحديث ليس في الصحيحين بل رواه أهل السنن ولا يجوز أن يجعل مجرد خبر غير معلوم الصحة ناسخا للقرآن<sup>(١٠٧)</sup> .

وبعد هذه المناقشات نخلص إلى أن آية الوصية إنما نسختها آية المواريث، وأما الحديث فهو أولاً من أحاديث الأحاد وحتى على افتراض شهرته فلا يرقى إلى منزلة المتواتر، وحيث إن هناك آية تصلح أن تكون هي الناسخة فلماذا نذهب إلى الحديث الأحاد الذي ليس دليلاً على وقوع المدعى، ثم إن ألفاظه تؤكد جريان النسخ بآية المواريث، فالحديث إخبار على أن الله أعطى الحقوق لأصحابها، وهذه الحقوق المعطاة إنما هي في آية المواريث التي نسخت حكم الوصية للوالدين .

٢- نسخ آية حبس الزواني في البيوت والإيذاء وهي قوله تعالى {واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً} واللذان يأتيانها منكم فأذوهما... الآية} النساء (١٦/١٥) نسخت هذه الآية بقوله صلى الله عليه وسلم: "خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"<sup>(١٠٨)</sup>

وقد اعترض على هذا الاستدلال بما يلي :

أولاً : لا يسلم أن الحديث من باب المتواتر بل هو من باب الأحاد<sup>(١٠٩)</sup> .

وثانياً : لا يسلم أن الحديث ناسخ لآية الحبس؛ لأن حقيقة النسخ لم توجد، وذلك أن الله مد الحكم في الآية إلى غاية بقوله : {أو يجعل الله لهن سبيلاً} النساء (١٥) والنبى صلى الله عليه وسلم بين تلك الغاية فقال : "قد جعل الله لهن سبيلاً" فهو تبيان للغاية التي علق الحكم عليها في الآية؛ حيث أضاف السبيل إلى الله تعالى لا إلى نفسه، والآية لم ترد بالحبس مطلقاً بل وردت إلى غاية وجاء الحديث يبين وقت مجيء تلك الغاية،

١٠٧ - الفتاوى ٩٨ ٩٧/٢٠

١٠٨ - ينظر صحيح مسلم ١٣١٦/٣

١٠٩ - نفائس الأصول ٢٤٩٥ /٦ وشرح مختصر الروضة ٣٢٤/٢ وغاية السؤل ٥٨١/٢ وكشف الأسرار ٨٠/٣

وذلك لا يسمى نسخاً؛ لأن النسخ يرد على ما كان ظاهره الإطلاق<sup>(١١١)</sup> ثم إن العبادة المقدرة بمدة باللفظ لا يسمى انقضاء مدتها نسخاً، فقوله تعالى {ثم أتموا الصيام إلى الليل} (البقرة/١٨٧) لا يجعل دخول الليل نسخاً<sup>(١١٢)</sup>.

**ثالثاً:** لو سلمنا أن آية الحبس منسوخة فإن الناسخ لها قرآن جاء بعدها وهو قوله تعالى: {الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة} (النور/٢) وهذا بالنسبة للبكر، وأما الثيب فقد نسخ حكمه بالآية التي كانت تتلى ثم نسخ لفظها وبقي حكمها، ويبدل على ذلك قول عمر<sup>(١١٣)</sup> رضي الله عنه: "لولا أن يقال: زاد عمر في كتاب الله لكتبت في حاشية المصحف: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم"<sup>(١١٤)</sup>، وإذن فلو قدر أن آية الحبس منسوخة فالناسخ قرآن جاء بعدها<sup>(١١٤)</sup>.

ويتضح أن آية الحبس لم يطرأ عليها النسخ فقد علق الحكم فيها بغاية وكانت آية النور هي تبيان لتلك الغاية، وأما الحديث فهو توضيح للمسبب المذكور في آية الحبس بأن الله بينه في آية النور.

أما الرجم فهو تشريع ثبت بالسنة النبوية المشهورة ولم يثبت بقرآن؛ إذ القرآن لا يثبت بخبر الأحاد كما قال الصفي الهندي<sup>(١١٥)</sup> وتكون أحاديث الرجم مخصصة لآية النور حيث إن عمومها يقتضي أن كل من زنى يجلد سواء كان بكراً أم ثيباً فخصص

١١١ - العدة ٨٠٠/٣، والتمهيد لأبي الخطاب ٣٩٧/٢ والمستصفي ١٢٤/١ ونفائس الأصول ٢٤٩٧/٦ وفتاوى ابن تيمية ٣٩٩/٢٠

١١٢ - التمهيد ٣٨٠/٢

١١٣ - عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين، الفاروق، دامت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر، استشهد سنة (٢٣هـ)، ترجمته في الاستيعاب ١١٤٤/٣ والإصابة ٢٧٩/٤

١١٤ - حديث عمر هذا رواه الترمذي في سننه ٣٨/٤ وأما الحديث عن آية الرجم بدون لفظ الآية فقد ذكره البخاري في صحيحه عن عمر في كتاب

الخيرين باب رجم الحلي ٢٥٠٣/٦ ومسلم في صحيحه ١٣١٧/٣

١١٥ - التمهيد لأبي الخطاب ٣٨٠/٢ ومختصر الروضة للظوفي ٣٢٤/٢ وفتاوى ابن تيمية ٣٩٨/٢-٣٩٩ ونهاية السؤل ٥٨١/٢

١١٦ - نهاية الوصول ٢٣٤٥/٦

"الثيب بالرجم، فاتضح أنه لم يقع نسخ الآية الحبس في البيوت والأذى باللسان بحديث "خذوا عني" المستشهد به.

٣- قوله تعالى {ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه} (البقرة ١٩١) نسخت بأمره صلى الله عليه وسلم بقتل عبد الله بن خطل<sup>(١١٦)</sup> حين قيل له إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: "اقتلوه"<sup>(١١٧)</sup>.  
فقد نسخت الآية بهذا الحديث<sup>(١١٨)</sup>.

وقد اعترض على هذا بأن الآية منسوخة بقوله تعالى {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} التوبة (٥) ولم تنسخ بالحديث<sup>(١١٩)</sup>.

٤- ومما استدل به القائلون بجواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة قوله تعالى: {وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون} النحل (٤٤)  
ووجه الاستدلال: أن النسخ نوع من البيان؛ لأنه يبين قطع المدة، فنسخ حكم الآية بيان لها.<sup>(١٢٠)</sup>

وقد اعترض على هذا الاستدلال: بأن البيان يراد به الإظهار والتبليغ، ولذا علق على جميع القرآن، فتكون السنة بيانا للقرآن من حيث إظهاره وتبليغه وتخصيص عامه وتقييد مطلقه، وهذا هو البيان، ثم إن النسخ ليس بيانا للمنسوخ وإنما هو إزالته وإسقاط حكمه.<sup>(١٢١)</sup>

<sup>١١٦</sup> - ابن خطل كان قد أسلم ثم بعنه النبي مصدقا ومعه غلام مسلم فأمره ابن خطل أن يصنع له طعاما ونام فلما استيقظ لم يجد الطعام فقتل الغلام وارثا

عن الإسلام وأخذ جاريتين تمجيان النبي صلى الله عليه وسلم فقتل عام الفتح سنة ثمان من الهجرة. تاريخ الطبري ٣٣٥/٢ وسيرة ابن هشام ٣٩/٤

<sup>١١٧</sup> - رواه البخاري في كتاب المغازي باب أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح ١٩٥٩/٤ ورواه مسلم في كتاب الحج ٩٩٠-٩٨٩/٢

<sup>١١٨</sup> - التمهيد لأبي الخطاب ٣٨١/٢ ونهاية الوصول ٢٣٤٤/٦

<sup>١١٩</sup> - العدة ٨٠٠/٣

<sup>١٢٠</sup> - التمهيد لأبي الخطاب ٣٦٩/٢ والإحكام للأمدي ٢٧٤/٢

<sup>١٢١</sup> - البصرة ٢٦٧ والعدة ٧٩٥/٣

ولم يرتض أبو الخطاب أن المراد بالبيان التبليغ والإظهار إذ إن التبليغ استفيد بقوله تعالى { يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك } المائدة ٦٧) فيجب أن يكون البيان هاهنا غيره، ثم إن البيان إخراج الشيء من حيز الإشكال إلى حيز التجلي، وإنما يكون ذلك بعد أن يبلغنا ويشكل علينا حتى يتجلى. (١٢٢)

وقد وصف أبو الخطاب القول بأن النسخ ليس ببيان بأنه غلط؛ لأنه بيان انقضاء مدة العبادة ورفع مثل حكمها في المستقبل. (١٢٣)

والواقع أن كثيرا من الأصوليين الذين يقولون بجواز نسخ القرآن بمتواتر السنة يرون أن النسخ للحكم لا للفظ، ويعلمون ذلك بأن لفظ القرآن معجز والسنة لا تقوم مقامه في الإعجاز بخلاف حكمه فإن المراد منه تكليف الخلق به والسنة تقوم مقامه في ذلك. (١٢٤)

لكن البعض يرى أن هناك آيات ارتفع رسمها بالسنة، فقد ذكر ابن حزم أن هناك آيات عدة رفع رسمها بالسنة ولم ترفع بالقرآن؛ لأنها لو رفعت بقرآن لكان ذلك القرآن موجودا، ولا يوجد في المتلو ذكر رفع الآية كذا مما رفع، فوجب أن يقال: إن ما ارتفع رسمه من القرآن فإنما رفعته سنته عليه السلام وإخباره أن ذلك قد وقع. (١٢٥)

كما يقرر ابن تيمية أنه إذا قال الرسول: هذه الآية قد رفعها الله فهو تبليغ منه لارتفاعها كإخباره بنزولها، فلا ينبغي أن يمنع من هذا وإن منع من نسخ الحكم. (١٢٦)

ويظهر لي أن رفع القرآن رسما وحكما بالسنة في غاية البعد ولم يقع شيء من ذلك، فحتى نثبت أن قرآنا ارتفع رسمه بقول النبي صلى الله عليه وسلم نحتاج أولا إلى أن نثبت بالتواتر أن المرفوع كان قرآنا يتلى؛ لأننا لا نسمي قرآنا إلا ما ثبت تواترا، ثم

١٢٢ - التمهيد لأبي الخطاب ٣٧٠/٢

١٢٣ - المرجع السابق نفس الصفحة

١٢٤ - الروضة مع نزهة الخاطر ٢٢٧/١ وشرح الطوفي ٣٢٣/٢

١٢٥ - الإحكام لابن حزم ١١٣/٤

١٢٦ - المسودة/ ٢٠٥

إن نسخ رسم آية من القرآن بالسنة - لو سلم- فإننا نحتاج فيه إلى خبر قاطع ثابت بالتواتر، ولم يوجد ذلك .

والآيات التي استشهد بها القائلون بجواز نسخ القرآن بالسنة هي أولاً لم تنسخ الرسم وثانياً هي غير متواترة .

أما ما ذكره البعض من نسخ رسم بعض الآيات فإنها أحاديث آحاد لا تقوى على تثبيت أصل من الأصول الكبرى، فالقرآن أصل الأصول وما يرفعه لابد أن يكون قاطعاً، مع كوننا نفتقر إلى إثبات أن ما نسخ كان قرآناً ثابتاً بالتواتر.

ومن القضايا المسلم بها أن من أنكر أن ذلك المنسوخ رسمه ليس من القرآن لا يعتبر أنه أنكر شيئاً من القرآن، ولانطبق عليه حكم من أنكر القرآن، بخلاف من أنكر آية تتلى وهي منسوخة كآية العدة مثلاً، فإن من أنكرها فقد أنكر القرآن.

### الثالثة: أدلة المانعين جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة

استدل القائلون بمنع نسخ القرآن بالسنة المتواترة بأدلة نقلية وعقلية

أما الأدلة النقلية فأهمها ما يلي :

١- قوله تعالى : { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير } البقرة ( ١٠٦ )

ووجه الاستدلال بالآية من وجوه:

الأول: أن الله تعالى أخبر أن ما ينسخه من الآيات يأت بخير منه أو مثله، وذلك يفيد أن يكون من جنسها؛ لأن الإنسان إذا قال لآخر: ما أخذ منك ثوباً إلا آتيك بخير منه أو مثله يتبادر إلى الفهم أنه يأتيه بثوب من جنس ما أخذه يكون خيراً منه، والتبادر دليل الحقيقة، وحينئذ يجب أن يكون قرآناً؛ لأن جنس القرآن قرآن.<sup>(١٢٧)</sup>

ثاني وجوه الآية : أن الله تعالى قال : (نأت بخير منها ) وذلك يفيد أنه المتفرد بذلك الخير، وذلك هو القرآن الذي هو كلام الله تعالى دون السنة التي يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم. (١٢٨)

ويوضح ذلك أنه جعله جزاء للشرط، والجزاء يترتب حيث يترتب الشرط، فلو جاز إتيان غيره بذلك الخير عند النسخ لم يكن إتيانه بالخير جزاء له، ولأنه ذكره في سياق المدح، والمدح الكامل إنما يحصل لو كان هو منفردا بذلك، وإذا كان منفردا وجب أن يكون قرآنا. (١٢٩)

ثالث وجوه الاستدلال بالآية : أن قوله تعالى : "نأت بخير منها أو مثلها" يفيد أن المأتي به خير من الآية، فحصر الله تعالى النسخ في كونه خيرا من المنسوخ أو مثله، والسنة لا تساوي القرآن فضلا عن أن تكون ناسخة له، فلنا في القرآن أجر التلاوة وثواب العمل بحكمه و ثواب الاستدلال به على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس لنا في السنة إلا ثواب العمل بحكمها فقط، فلا يجوز نسخ القرآن بالسنة. (١٣٠)

رابعها : أن الله تعالى قال في آخر الآية : " ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" وذلك يدل على أن الذي يأتي بذلك الخير أو المثل هو المختص بالقدرة عليه من حيث إنه ذكر عقب ذلك النفي الامتناع والاستبعاد: " ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" فإنه لا يحسن ذكر مثل هذا الكلام عقيب فعل يقدر عليه غير الفاعل، فمن المعلوم أن الرجل إذا فعل فعلا يقدر عليه كل واحد لا يحسن منه أن يقول : أنا أفعل هذا وخيرا منه، ألم تعلموا أنني على ما أشاء قدير، وحينئذ يجب أن يكون ذلك هو القرآن دون السنة التي تتعلق بها قدرة غيره (١٣١) .

١٢٨ - النبصرة/٢٦٥ والعدة ٧٩٠/٣ واخصول ١-٣/٥٢٧-٥٢٨

١٢٩ - نهاية الوصول ٦/٢٣٤٦

١٣٠ - النبصرة/٢٦٥ والعدة ٧٩٠/٣ والروضة مع نزهة الخاطر ١/٢٢٥-٢٢٦ وشرح المختصر للطوفي ٢/٣٢١-٣٢٢

١٣١ - العدة/٧٨٩-٧٩٠ والنبصرة /٢٦٥ واخصول ١-٣/٥٢٤ ونهاية الوصول ٦/٢٣٤٧

الحجة الثالثة للمانعين : قول الله عز وجل : { وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفسر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق } النحل (١٠١ - ١٠٢) .

والاستدلال بالآية من أوجه :

**الأول:** أن الله أخبر أنه هو الذي يبدل الآية، وذلك يدل على أنه لا يبدل الآية غيره؛ لأن التبديل حينئذ لا يكون مضافاً إليه .

**والثاني:** أنه سبحانه قال : "آية مكان آية" فالمبدل آية وكذلك الناسخ المبدل آية .

**والثالث:** أن المشركين كانوا يقولون عند تبديل الآية : "إنما أنت مفسر"، والله أزال هذا الإيهام بقوله : "قل نزله روح القدس من ربك" وذلك يدل على أن ما لا يكون من روح القدس لا يكون مزيلاً للإيهام، وفي نسخ الكتاب بالسنة تأكيد الاتهام فيكون باطلاً. (١٣٢)

وقد اعترض على هذا الاستدلال بما يلي :

**أولاً :** أن الآية ظاهرة في تبديل رسم آية بأية، والنزاع إنما هو في تبديل حكم الآية، وليس فيه ما يدل على تبديل حكمها بأية أخرى. (١٣٣)

وهذا اعتراض مؤداه أن ظاهر الآية يدل على تناول نص الآية لا حكمها، وهذا ما صرح به أبو الحسن البصري (١٣٤) وأبو الخطاب أيضاً. (١٣٥)

وأرى أنه اعتراض في غير محله، فحكم الآية مرتبط بلفظها، وحينما ينسخ حكم تضمنته آية يقال : هذه الآية منسوخة، ثم إن الحكم إذا نسخ من آية لم يبق في اللفظ

١٣٢ - المحصل ١-٣/٥٢٤-٥٢٥ والإحكام للآمدي ٢/٢٧٣ ونهاية الوصول ٦/٢٣٥٢-٢٣٥٣

١٣٣ - الإحكام للآمدي ٢/٢٧٤

١٣٤ - هو محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري المعتزلي فقيه أصولي متكلم صنف العديد من المصنفات منها المعتمد وشرح الأصول الخمسة

وغيرها توفي سنة (٤٣٦ هـ) ترجمته في وفيات الأعيان ٤/٢٧١ والبداية والنهاية ١٢/٥٣ وشذرات الذهب ٣/٢٥٩

١٣٥ - المعتمد ١/٣٩٤ والتمهيد ٢/٣٧٤-٣٧٥

إلا مجرد أجزء التلاوة، وحينئذ يصدق على الآية أنها منسوخة، على أن التبديل في الأساس إنما يكون للآية كلها لفظاً وحكماً .

وعلى ما ذكر من أن المقصود بتبديل لفظ الآية سيكون المراد أنه إذا بدل لفظ الآية فإن التبديل سيكون بأية أما لو بدل الحكم فسيكون بأية أو خبر، وفي ذلك تكلف ظاهر وتضيق بين اللفظ والحكم .

ثم إن الآيات المنسوخة فيها لفظ وحكم فالآية تشير إلى أن الآية المشتملة على لفظ وحكم لا تبدل إلا بأية، ولو قيل بجواز نسخ الكتاب بالسنة لكانت الآية قد بدلت بغير آية، وهذا خلاف ما دل عليه الظاهر.

ثانياً : اعترض على الاستدلال أيضا بأن الله أخبر أنه إذا بدل آية مكان آية قالوا إنما أنت مفسر، وليس في الآية ما يدل على أن التبديل لا يكون إلا بأية في جميع الأحوال، فهذا أحد أحوال التبديل أن يكون بأية، ولا ينكر أن التبديل يكون بأية بل هذا مسلم، لكن يقال : إنه تعالى يبديل آية مكان آية ويفعل غير ذلك أيضا وهو تبدل آية بوحى غير متلو، كما إذا قال القائل لغيره : إذا أكلت في السوق سقطت عدالتك، فإن ذلك لا يدل على أنه لا يأكل إلا في السوق، وكذلك إذا قال : إذا قصدت فلانا راكبا تكلم فينا الأعداء، لا يدل على أنه أراد لا يقصده إلا راكبا. (١٣٦)

وهذا الاعتراض وجيه لكن يعكزه ما ذكر في آخر الآية أن المشركين يقولون عند تبدل آية مكان أخرى : "إنما أنت مفسر" فيتهمونه بالافتراء، فكيف لو كان التبديل بالسنة؟ ولذلك رد الله عليهم أن التبديل يتنزل به روح القدس، فأى تبدل إنما يكون منزلا مع روح القدس وهذا هو شأن القرآن.

وأما الجواب عن أن المشركين حين اعترضوا على التبدل واتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء فأزال الله هذه التهمة بقوله : "قل نزله روح القدس من ربك" فقد قال المعارضون : إن من يتهم النبي صلى الله عليه وسلم فإنما يتهمه لأنه يشك في نبوته، ومن تكن هذه حاله فالنبي صلى الله عليه وسلم -وحاشاه- مفسر عنده، سواء

١٣٦ - المعتمد ٣٩٤/١ والإحكام لابن حزم ١٠٩/٤ والمهيد لأبي الخطاب ٣٧٤/٢ والإحكام للآمدي ٢٧٤/٢

نسخ الكتاب بالكتاب أو بالسنة، لأن سماع القرآن لا يكون إلا منه، ولا تزول هذه الشبهة إلا بالنظر إلى المعجزات.<sup>(١٣٧)</sup>

وأيضاً فإن مضمون السنة مما ينزله روح القدس، فيكون مزيلاً للإيهام.<sup>(١٣٨)</sup>

وأرى أن القول بأن مضمون السنة أيضاً مما ينزله روح القدس وهو قول الصفي الهندي وكذا قوله : " سلمنا أنه يقتضي أن لا مبدل إلا الله تعالى لكن لا نسلم أن هذا يقتضي أن لا يقع التبديل بالسنة، فإن الناسخ هو الله تعالى، سواء ظهر ذلك بالكتاب أو بالسنة"<sup>(١٣٩)</sup> وأيضاً قول الإمام الرازي وهو يجيب عن نسبة التبديل إلى الله في قوله " وإذا بدلنا آية مكان آية" فقال الرازي : " الناسخ سواء كان قرآناً أو خبراً فالمبدل في الحقيقة هو الله ."<sup>(١٤٠)</sup>

أرى أن هذا التوجيه هفوة ظاهرة حتى على فرض أن مضمون السنة ينزل به جبريل لأن ذلك لا يكون في جميع أحوال السنة، ومع تسليمه فإن الآية دلت على أن التبديل هنا يكون بأية مكان آية وهذا يتناول حالة واحدة من أنواع التبديل وهو حالة وضع آية مكان آية وأن الذي ينزل بهذا النوع هو روح القدس، ولا تشمل الآية عموم التبديل حتى يقال : إن المبدل هو الله تعالى سواء بالقرآن أو بالسنة، لأن هذه حال مخصوصة وهي تبديل آية بأية .

وقد استدرك الصفي الهندي الجانب الأول وهو أن مضمون السنة أيضاً مما ينزله روح القدس حيث قال " وهذا لا يقوى لأنه يكون بالإيهام"<sup>(١٤١)</sup>

أما ابن حزم -رحمه الله- فقد جانبه الصواب هنا حيث رد على من استدل بقوله تعالى : { قل نزله روح القدس من ربك } النحل (١٠٢) على أن التبديل لا يكون إلا بقرآن فقال ابن حزم : " هذا كذب وافتراء، وكل وحي أتى إلى النبي صلى الله عليه

١٣٧ - الموصول ١-٣/٥٢٩ ونهاية الوصول ٦/٢٣٥٣-٢٣٥٤

١٣٨ - نهاية الوصول ٦/٢٣٥٣

١٣٩ - المرجع السابق، نفس الصفحة

١٤٠ - الموصول ١-٣/٥٢٥

١٤١ - نهاية الوصول ٦/٢٣٥٣

وسلم بشريعة من الشرائع فإنما نزل به الروح القدس من ربه " ثم استشهد بأن جبريل علم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وليس هذا في القرآن. <sup>(١٤٢)</sup>

والحقيقة أن ابن حزم مع حصافته قد جانب الصواب هنا لأمرين :

**أما أولاً:** فلما سبق بيانه قريباً من أن التبديل المذكور في هذه الآية هو تبديل مخصوص، ودل على هذه الخصوصية نص الآية (بدلنا آية مكان آية) فقال الله : (قل نزله روح القدس) فلا ريب أن المقصود هنا هو تبديل آية مكان آية، وهو يتم عن طريق روح القدس، ولو سلمنا أن أي وحي بتشريع يأتي به روح القدس فهذا لا مجال له هنا، لأن الآية تتحدث عن نوع من التبديل وهو تبديل آية مكان آية، وهذا ما سلمه ابن حزم نفسه حيث قال : " نحن لم ننكر ذلك بل قد أثبتناه وقلنا إنه يبدل آية مكان آية، ويفعل أيضاً غير ذلك وهو تبديل وحي غير متلو مكان آية ببراهين أخر" <sup>(١٤٣)</sup> .

**وأما ثانياً:** فإنه لا يسلم لابن حزم أن أي وحي أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشريعة من الشرائع لابد أن ينزل به جبريل، فهذا أحد أنواع الوحي، والقرآن نزل بهذا النوع وكذا بعض قضايا التشريع، لكن ليس بالضرورة أن يكون الوحي بواسطة جبريل عليه السلام، فقد يكون بطريق الإلهام، بل إن فرض الصلوات الخمس نفسها وتخفيفها من خمسين إلى خمس تمت بغير طريق جبريل.

ولعل ابن حزم خلط بين أن التشريع لابد أن يكون بوحي وبين أن الوحي لابد أن يكون بواسطة جبريل، فنسلم الأول وهو أن التشريع لابد أن يكون بوحي (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) النجم (٤،٣) لكن لا نسلم أن للوحي صورة واحدة، بل له صور متعددة، فوحي القرآن ينزل به جبريل وأما وحي السنة فينزل به أحيانا وأحيانا يكون بغير طريقه .

الحجة الرابعة للمانعين : قول الله عز وجل : { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي ... الآية) يونس (١٥) .

<sup>١٤٢</sup> - الإحكام لابن حزم ٤/١١٠

<sup>١٤٣</sup> - المرجع السابق ٤/١٠٩

قالوا : هذا دليل على أن القرآن لا ينسخ بغير القرآن؛ لأن الآية دلت على أنه لا يبدل القرآن من تلقاء نفسه، وكون السنة ناسخة للقرآن ينافي ذلك؛ لأن السنة من تلقاء نفسه. (١٤٤)

وأرى أن الاستدلال بالآية على منع نسخ القرآن بالسنة فيه بعد؛ لأن الآية تتحدث عن طلب المشركين أن يبدل ألفاظ القرآن بقرآن آخر، فأمر الله نبيه أن يخبرهم بأنه لا يقدر على التبديل من تلقاء نفسه، وكون نسخ القرآن بالسنة فيه نوع من التبديل صحيح لكنه ليس مقصودا هنا في هذا السياق إذ الحديث عن القرآن وتبديله بقرآن غيره، ولهذا جاءت الآية التي بعدها { قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به } يونس (١٦) تؤكد أن المقصود الإنكار عليهم لطلبهم تغيير ألفاظ القرآن .

### الأدلة العقلية :

استدل القائلون بمنع نسخ القرآن بالسنة المتواترة بأدلة عقلية أهمها ما يلي:

**أولاً:** أن السنة إنما وجب إتباعها بالقرآن في قوله تعالى : { وما آتاكم الرسول فخذوه } الحشر (٧) وذلك يدل على أن السنة فرع القرآن؛ فلولا القرآن ما ثبتت السنة، فلو جوزنا نسخ القرآن بها لرفعنا الأصل بفرعه، وهذا لا يجوز؛ إذ الفرع لا يرجع إلى أصله بالإبطال والإسقاط كما لا ينسخ القرآن والسنة بالفرع المستنبط منهما وهو القياس. (١٤٥)

**ثانياً:** من الأدلة العقلية للمانع من نسخ القرآن بالسنة : أن السنة لا تساوي القرآن، فالقرآن أقوى من السنة من وجوه :

أحدها : أن القرآن معجز، والسنة لا إعجاز فيها .

الثاني : أنه أقوى من جهة حكمه، حيث اعتبرت الطهارة في تلاوته عند الجنابة والحيض وكذا مس المصحف .

والثالث : أن الكتاب في قراءته ثواب، وليس في قراءة السنة ثواب .

<sup>١٤٤</sup> - المستصفى ١٢٥/١ والإحكام للآمدي ٢٧٣/٢ وبيان المختصر ٥٥١/٢

<sup>١٤٥</sup> - التبصرة/٢٦٧ والإحكام ٢٧٣/٢-٢٧٤ ونهاية الوصول ٢٣٥٦/٦

ولهذه الأوجه كلها فإن السنة أضعف من الكتاب، ولا يجوز نسخ القوي بالضعيف.<sup>(١٤٦)</sup>

وقد أجاب الأمدي عن هذا الاستدلال : بأن القرآن وإن كان معجزا في نظمه وبلاغته ومتلوا ومحترما فليس فيه ما يدل على أن دلالة كل آية أقوى من دلالة غيره من الأدلة؛ ولهذا فإنه لو تعارض عام من الكتاب وخاص من السنة المتواترة كانت السنة مقدمة عليه، وكذلك أيضا لو تعارضت آية مع دليل عقلي فإن الدليل العقلي يكون حاكما عليها، وكذلك الإجماع، وكثير من الأدلة.<sup>(١٤٧)</sup>

وأرى أن جواب الأمدي هذا في غاية الضعف، فأما نفيه أن دلالة كل آية من القرآن أقوى من دلالة غيره من الأدلة، فهذا لا يسلم للأمدي، بل دلالة كل آية منه أقوى من دلالة غيره في نفس الموضوع .

وأما قوله : لو تعارض عام من الكتاب وخاص من السنة المتواترة كانت السنة مقدمة عليه، فلا يسلم أيضا ؛ فإن الخاص لا يعارض العام حقيقة، بل يكون ما أخرج من العام غير مراد أصلا، والجمهور لا يحكمون بالتعارض بينهما، وإلا فإن خبر الواحد يخصص عام الكتاب ومع ذلك فالأمدي وغيره لا يجيزون النسخ به، على أن معارضة الخاص للعام تختلف عن النسخ كما تقدم من وجود الفرق الكبير بينهما .

أما قول الأمدي : إن الدليل العقلي يحكم على الآية وكذلك الإجماع فهذا في غاية السقوط، فلم يحدث أن آية عارضها دليل العقل، كما لم يوجد إجماع قدم على الكتاب العزيز، بل هي أوام في أفكار بعض الأصوليين يسطرونها ولم يأتوا بمثال واحد عليها .

<sup>١٤٦</sup> - الإحكام للأمدي ٢/٢٧٤ وينظر العدة ٣/٧٩٤

<sup>١٤٧</sup> - الإحكام للأمدي ٢/٢٧٦

## المبحث الثاني: نسخ القرآن بالسنة الأحادية

الحديث عن نسخ القرآن بالسنة المتواترة قد أخذ جزءا كبيرا من الكلام عن نسخ القرآن بالسنة الأحادية، وتمثل ذلك في أمرين :

**الأول:** أن كل من منع نسخ القرآن بالسنة المتواترة مع أنها مقطوع بها، فإنه بالأحرى يمنع النسخ بالأحاد بطريق أولى، بل إن الكثيرين ممن أجازوا النسخ بالمتواترة منعه بالأحاد .

**الثاني:** أن كثيرا من الأدلة التي استدل بها المجيزون والمانعون في نسخ القرآن بالسنة المتواترة والاعتراضات عليها ومناقشتها تأتي بعينها في النسخ بالأحاد، فلا نحتاج لإعادتها إلا عند الحاجة إليها .

ويبقى الحديث هنا في الآراء حول جواز النسخ بالأحاد، وكذلك الأدلة التي تخص السنة الأحادية .

وسأعرض هذين الأمرين في المسائل الآتية :

### المسألة الأولى: آراء العلماء في نسخ القرآن بالسنة الأحادية

اختلف العلماء في جواز نسخ القرآن بالسنة الأحادية إلى أقوال :

**الأول:** ذهب الجمهور إلى منع نسخ القرآن بالأحاد، وقد نقل بعض الأصوليين الاتفاق على ذلك<sup>(١٤٨)</sup>، ونسبه البعض إلى الجمهور<sup>(١٤٩)</sup> .

وهؤلاء المانعون منهم من منعه عقلا وشرعا ونسب لبعض أصحاب الشافعي<sup>(١٥٠)</sup> وقال عنه الزركشي : إنه ظاهر ما نقله القاضي الباقلاني عن الجمهور<sup>(١٥١)</sup>.

<sup>١٤٨</sup> - البحر المحيط ١٠٩/٤

<sup>١٤٩</sup> - التمهيد لأبي الخطاب ٣٨٢/٢ وغاية الوصول ٢٣٢٨/٦ وشرح المضد على مختصر ابن الحاجب ١٩٥/٢ وإرشاد الفحول / ١٩٠

<sup>١٥٠</sup> - الوصول إلى الأصول ٤٨/٢ والعدة ٨٠١/٣ والبحر المحيط ١٠٨/٤

<sup>١٥١</sup> - البحر المحيط ١٠٨/٤

ومنهم - وهم الأكثرون - يرون أنه جائز عقلا لكنه ممنوع شرعا، ونسب هذا إلى الباقلاني وابن سريج، وبه قال الفراء وأبو الخطاب وابن برهان وابن قدامة والقراي وغيرهم، فهؤلاء يقولون بجوازه عقلا لكنهم يمنعونه شرعا، وقالوا بعدم وقوعه. <sup>(١٥٢)</sup>

وهناك من الأصوليين من أطلق المنع كالشيرازي والبيضاوي وغيرهم <sup>(١٥٣)</sup>

ويعميل الأمدي إلى المنع فقد قال : " لا نسلم صحة نسخ القرآن بخبر الواحد " <sup>(١٥٤)</sup>

وعند اعتراضه على بعض أدلة النسخ بالمتواترة قال: " وهو ضعيف؛ لما فيه من نسخ حكم القرآن المتواتر بخبر الأحاد وهو ممتنع. <sup>(١٥٥)</sup>

### المذهب الثاني: يجوز نسخ الكتاب بالسنة الأحادية

وقال بهذا الظاهرية وعلى رأسهم ابن حزم، فقد قال : " والقرآن ينسخ بالقرآن وبالسنة، والسنة تنسخ بالقرآن وبالسنة، وبهذا نقول، وهو الصحيح، وسواء عندنا السنة المنقولة بالتواتر والسنة المنقولة بأخبار الأحاد، كل ذلك ينسخ بعضه بعضا. " <sup>(١٥٦)</sup>

ومال إلى هذا القول الطوفي وقال عنه : " وأجازه بعض أهل الظاهر مطلقا في زمن النبوة وبعده " ثم قال: " ولعله أولى " <sup>(١٥٧)</sup> .

وممن اختار هذا القول الشيخ الشنقيطي <sup>(١٥٨)</sup> وقال عنه : " الصحيح الذي لاشك فيه جواز وقوع نسخ المتواتر بالأحاد الصحيحة الثابت تأخرها عنه. " <sup>(١٥٩)</sup>

<sup>١٥٢</sup> - المعتمد ٣٩٨/١ والعدة ٧٨٨/٣ والتمهيد ٣٢٨/٢ والوصول إلى الأصول ٤٧/٢ والروضة مع نزهة الخاطر ٢٢٧/١

وشرح تقيح الفصول ٣١١/

والمسودة / ٢٠٧ ونهاية الوصول ٢٣٢٨/٦ والمختصر مع شرح العصد ١٩٥/٢ والبحر الخيط ١٠٩/٤

<sup>١٥٣</sup> - التبصرة / ٢٦٤ / واللمع / ٥٩ / والمنهاج مع نهاية السؤل ٥٨٦/٢ ومنهاج الوصول للمرتضى ٢٥٤

<sup>١٥٤</sup> - الإحكام ٢٦٩/٢

<sup>١٥٥</sup> - الإحكام ٢٧٢/٢

<sup>١٥٦</sup> - الإحكام لابن حزم ١٠٧/٤

<sup>١٥٧</sup> - شرح مختصر الروضة ٣٢٥/٢

<sup>١٥٨</sup> - محمد الأمين بن المختار الشنقيطي عاش بالمدينة المنورة وألف التصانيف الكثيرة ومنها أضواء البيان في التفسير وله

تعليقات على الروضة لابن

قدامة توفي سنة (١٣٩٣هـ) ينظر ترجمته في آخر كتاب أضواء البيان لتلميذه الشيخ عطية محمد سالم رحمه الله

**المذهب الثالث :** يجوز نسخ القرآن بالأحاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز بعده .

وهؤلاء يرون أن الوقوع قد حدث فعلا في زمن النبوة .

وذهب إلى هذا الإمام الغزالي والسرخسي والباجي والخبازي<sup>(١٦٠)</sup> وغيرهم<sup>(١٦١)</sup>.

وقد نسب الأصوليون إلى الغزالي أنه يقول بوقوع نسخ الكتاب بالأحاد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١٦٢)</sup> .

والحقيقة أن الغزالي تحدث عن نسخ السنة المتواترة بالأحاد وقال : " المختار جواز ذلك عقلا لو تعبد به ووقوعه سمعا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قصة قباء، وبدليل أنه كان يبعث أحاد الولاة إلى الأطراف وكانوا يبلغون الناسخ والمنسوخ جميعا، ولكن ذلك ممنوع بعد وفاته بدليل الإجماع من الصحابة على أن القرآن والمتواتر المعلوم لا يرفع بخبر الواحد، فلا ذاهب لتجويزه من السلف والخلف، والعمل بخبر الواحد تلقي من الصحابة وذلك فيما لا يرفع قاطعا<sup>(١٦٣)</sup> .

وأما السرخسي فقد صرح بعدم نسخ الكتاب بخبر الواحد بعد زمن النبوة فقال : " فأما بخبر الواحد لا يجوز النسخ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن التعارض لا يثبت بينه وبين الكتاب فإنه لا يعلم بأنه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمكن الشبهة في طريق النقل، ولهذا لا يوجب العلم، فأما في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يجوز أن يثبت نسخ الكتاب بخبر الواحد، ألا ترى أن أهل قباء تحولوا في خلال الصلاة بخبر الواحد ولم ينكر عليهم ذلك رسول الله<sup>(١٦٤)</sup> .

١٥٩ - مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر ٩٨/

١٦٠ - عمر بن محمد بن عمر البخاري الحنفي فقيه أصولي تلمذ على علاء الدين البخاري وغيره وصف العديد من المصنفات منها المغني في الأصول

وشرح الهداية توفي سنة ٦٩١ هـ ترجمته في البداية والنهاية ٣٣١/١٣ والجواهر المضيفة ٣٩٨/١

١٦١ - المستصفى ١٢٦/١ وأصول السرخسي ٧٧/٢ وإحكام الفصول ٤٢٦/٤ والمغني للخبازي ٢٥٧/

١٦٢ - البحر ١٠٩/٤ وإرشاد الفحول / ١٩٠

١٦٣ - المستصفى ١٢٦/١

١٦٤ - أصول السرخسي ٧٧/٢-٧٨

وهذا المذهب الثالث المفصل بين زمن النبي صلى الله عليه وسلم والزمن الذي بعده، والذي نسب إلى الباقلاني وصرح به الغزالي والسرخسي، لا بد أن نفسره بأن هناك قضايا بأعيانها وقعت زمن النبوة واستندت أحكامها لأحاديث آحاد رفعت ما كان متوترا من الكتاب أو السنة، وعمل الناس في زمن النبوة بمقتضى خبر الآحاد على أنه رافع لما كان متواترا، لكن بعد زمن النبوة لا يمكن أن نعمل بمقتضى خبر آحاد يرفع حكم الكتاب إذا لم يسبق أن عرف الناس النسخ وزاولوه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذا التفسير لا بد منه؛ لأن النسخ أصلا في كل أحواله لا يقع إلا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إذ النسخ والمنسوخ وجدا في زمنه، ومن البدهي أن النسخ لا يكون بعده؛ ولهذا فإن العلماء قد اتفقوا على عدم النسخ بالإجماع.

وبناء على هذا الرأي فإننا لا نعمل بمقتضى خبر آحاد يرفع حكما ثبت بالتواتر إذا لم يكن هذا الرفع قد حصل زمن النبوة، فلو أن حادثة وقعت في زمننا وعليها دليل من السنة الأحادية لكن العمل بهذا الدليل سيرفع حكما ثبت في القرآن أو السنة المتواترة، فإننا لا نعمل بهذا الدليل.

وأرى أن هذا المذهب المفصل يلتقي مع المانعين، فإن الجميع يتفقون على أن النسخ عبارة عن دليلين متناقضين أحدهما متقدم على الآخر وكلاهما في زمن النبوة، ولا يحكم العلماء بالتعارض الذي يرفع بالنسخ إذا كان أحدهما قطعيا والآخر ظنيا؛ فالقطعي مقدم على الظني.

وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام صرح أن آية كذا منسوخة، مع أن أصحاب هذا المذهب قد صرحوا –وبخاصة الغزالي- أن الإجماع دل على أن القرآن والمتواتر المعلوم لا يرفع بخبر الواحد<sup>(١٦٥)</sup> كما قال إمام الحرمين: "أجمع العلماء على أن الثابت قطعا لا ينسخه مضمون"<sup>(١٦٦)</sup>.

١٦٥ - المستصفى ١/١٢٦

١٦٦ - البرهان ٢/٣١١

المسألة الثانية : الأدلة

سأعرض الأدلة التي استدلت بها الأصوليون في ثلاثة فروع :

الفرع الأول : أدلة القائلين بجواز نسخ القرآن بالسنة الأحادية :

استدل القائلون بجواز نسخ القرآن بالأحاد بما يلي :

أولا : الوقوع، فقد وقع النسخ في مواضع، منها ما يلي :

١- نسخ آية وجوب الوصية للوالدين والأقربين وهي قوله تعالى : { كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين ... الآية ) البقرة (١٨٠) فقد نسخت بقوله صلى الله عليه وسلم: "لا وصية لوارث"<sup>(١٦٧)</sup> وهذا دليل على الجواز والوقوع.<sup>(١٦٨)</sup>

وقد سبق ذكر الاعتراضات على الاستدلال بالآية عند الحديث عن النسخ بالسنة المتواترة، وبيننا أن الناسخ في الحقيقة هي آية الموارث.

٢- ومن أدلة الوقوع أيضا : نسخ قول الله تعالى { قل لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به . . الآية } الأنعام (١٤٥) فقد نسخت بنهيه صلى الله عليه وسلم عن أكل كل ذي ناب من السباع<sup>(١٦٩)</sup> فقد نسخت الآية بخبر آحاد<sup>(١٧٠)</sup> .

وقد اعترض على هذا الاستدلال باعتراضات :

أولها : لا نسخ في الآية أصلا ؛ لأن الآية دلت على أن المحرم إلى تلك الغاية وقت نزول الآية هي تلك الأشياء، أي لا أجد الآن، ولهذا قال "أوحى" ولا يتناول ما بعد ذلك، فلم يقل : ما سيوحى إلي في المستقبل، فلم تحصل المنافاة وحينئذ لا نسخ، ويبقى ما عدا تلك الأشياء على الإباحة الأصلية، ورفعها بعد ذلك ليس نسخا.

١٦٧ - سبق تخريج الحديث

١٦٨ - البصرة / ٢٧٠/ والبحر اخط ١١٥/٤

١٦٩ - صحيح البخاري ٢١٠٣/٥ وصحيح مسلم ١٥٣٤/٣

١٧٠ - التمهيد لأبي الخطاب ٣٨٣/٢ والمنهاج مع نهاية السؤل ٥٨٨/٢ والبحر اخط ١١٦/٤ ومذكرة الشنقيطي ٩٨

**ثانيها :** لو سلمنا أن الآية تتناول ما بعد نزولها فالحديث مخصص لا ناسخ؛ لأن الآية دلت على إباحة ما عدا المذكور بطريق العموم، فورد الحديث بالتخصيص (١٧١).

قال الزركشي: "الآية اجتمع فيها لفظان متعارضان فيتعين صرف أحدهما للآخر، فلفظ "أوحي" ماض، لا يتناول إلا حين ورود الآية، ولفظ "لا" لنفي المستقبل، كما في قوله تعالى { لا يموت فيها ولا يحيى } طه (٧٤) والمراد الاستقبال ضرورة، وحينئذ لا بد من صرف "لا" لـ "أوحي" أو صرف "أوحي" للفظ "لا" فإن صرفنا "لا" للفظ "أوحي" فلا نسخ لعدم التناقض بين الآية والخبر، وإن عكسنا كان تخصيصاً لا نسخاً فلا حجة فيه. (١٧٢)

٣- ومن أدلة الوقوع: أن قول الله عز وجل: { وأحل لكم ما وراء ذلكم... الآية ) النساء (٢٤) نسخت بنهيه صلى الله عليه وسلم عن الجمع بين المرأة وعمتها (١٧٣) فهذا نسخ للآية بالخبر وهو آحاد. (١٧٤)

وقد اعترض على هذا الاستدلال باعتراضين :

**الأول:** أن هذا تخصيص لعموم وليس نسخاً؛ لأن النص يقتضي أن يكون كل ما عدا المذكورات حلالاً، فأخرج عنه الخبر بعضه فيكون تخصيصاً، وليس هناك ما يدل على أنه ورد بعد العمل بمقتضى الآية حتى يكون نسخاً، فتعين التخصيص. (١٧٥)

**الثاني:** لو سلم أنه نسخ فالحديث مما تلقى بالقبول؛ فهو لذلك معلوم يجري مجرى التواتر في جواز النسخ به (١٧٦)

وهذا إنما يتوجه على رأي من يجيز النسخ بالسنة المتواترة، وأما من يمنعه فلا يعترض به .

١٧١ - ينظر هذه الاعتراضات في التمهيد لأبي الخطاب ٣٨٣/٢-٣٤٨ وشرح تنقيح الفصول ٣١٢ ونهاية الوصول

٢٣٣٨/٦-٢٣٣٩ ونهاية السؤل ٥٨٨/٢

١٧٢ - البحر المحيط ١١٦/٤

١٧٣ - البخاري ١٩٦٥/٥ رقم (٤٨١٩) ومسلم ١٠٢٨/٢ رقم (١٤٠٨)

١٧٤ - النبصرة ٢٧١/١ والتمهيد ٣٨٣/٢

١٧٥ - النبصرة ٢٧١/١ وشرح تنقيح الفصول ٣١١-٣١٢ ونهاية الوصول ٢٣٣٩/٦

١٧٦ - المعتمد والتمهيد ٣٨٤/٢

**ثانياً:** استدلل القائلون بجواز نسخ القرآن بالسنة الأحادية بأدلة عقلية أهمها ما يلي :

١- قياس النسخ على التخصيص، فكما يجوز تخصيص القرآن بأخبار الأحاد فكذلك يجوز النسخ بها<sup>(١٧٧)</sup>

وقد اعترض على هذا الاستدلال بأنه قياس مع الفارق، فهناك فرق بين النسخ والتخصيص، فالنسخ يزيل حكم اللفظ كله، والتخصيص يبقي بعضه ولا يسقط جملته فافتراقاً<sup>(١٧٨)</sup>.

ثم إن التخصيص بيان المراد باللفظ العام، والنسخ رفع حكم ما اقتضى اللفظ دوامه وبقائه؛ ولهذا لا يجوز النسخ بالقياس، ويجوز التخصيص بالقياس<sup>(١٧٩)</sup>.

٢- ومن أدلتهم العقلية أن خبر الأحاد وإن كان مفضياً إلى الظن، لكن العمل به مستند إلى دليل قاطع، وذلك القاطع أوجب علينا العمل بالظن فيجوز النسخ به كما جاز نسخ آية بآية<sup>(١٨٠)</sup>.

وقد اعترض على هذا بأن الدليل القاطع الدال على قبول الأخبار لم يتناول أخبار الأحاد إذا كانت ناسخة لدليل الكتاب، فلا يمكن أن يقال: إن الحكم بها والحال هذه معلوم<sup>(١٨١)</sup>.

ثم إن الإجماع قد ثبت بمنع كون الحكم بها معلوماً إذا كانت رافعة لحكم الكتاب وقد سبق نقل الإجماع من الجويني والغزالي<sup>(١٨٢)</sup>.

١٧٧ - الإحكام لابن حزم ١١٣/٤-١١٤ والتمهيد لأبي الخطاب ٣٨٢/٢ وشرح تنقيح الفصول ٣١٢

١٧٨ - العدد ٣/٧٩٧

١٧٩ - التمهيد ٣٨٣/٢ وشرح تنقيح الفصول ٣١٢

١٨٠ - المعتمد ١/٣٩٨ والبحر الخيط ٤/١٠٨

١٨١ - المعتمد ١/٣٩٨

١٨٢ - يراجع البرهان ٢/١٣١١ والمستصفي ١/١٢٦

الفرع الثاني : أدلة القائلين بمنع نسخ القرآن بالسنة الأحادية

سبق التنويه إلى أن كثيرا من الأدلة التي سبق ذكرها هي مشتركة بين نسخ القرآن بالسنة المتواترة والسنة الأحادية، وكذلك الاعتراضات والردود عليها، وذلك بعضنا من إعادة كل تلك الأدلة إلا في معرض الإشارة إلى الاستدلال إجمالا، وكذلك ما يخص السنة الأحادية من حيث كونها أضعف من المتواترة من حيث ثبوتها الظني .

وسوف أعرض الأدلة التي استدلت بها هذا الفريق إجمالا :

مما استدلت به المانعون ما يلي :

- ١- قول الله عز وجل : { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ... } البقرة (١٠٦)
- ٢- وقول الله سبحانه { وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم من ربهم } النحل (٤٤)
- ٣- وقول الله جل في علاه : ( وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفسر . . الآية ) النحل (١٠١)
- ٤- وقول الله سبحانه : { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي . . الآية ) يونس (١٥)

فالآيات الكريمات بمجملها تدل على أن النسخ لا يكون إلا بقرآن .

وقد تقدم ذكر وجوه الاستدلال لكل آية، وكذلك الاعتراضات والمناقشة .

وينبغي التنبيه إلى أن كثيرا من وجوه الاستدلال والاعتراضات التي تقدمت تناولها كثير من الأصوليين في معرض النسخ بالمتواترة، وباعتبار أن السنة المتواترة مقطوع بها ويعتبر ثبوتها مثل القرآن في إفادة القطع، فتحقق شرط كون الناسخ في قوة المنسوخ، باستثناء بعض الخصوصيات في القرآن من حيث كونه معجزا وثواب تلاوته، وقد كان أكثرهم يعترض على الاستدلال بهذا الاعتبار.

أما هنا فإن الكثير منهم لا يجيز النسخ بالسنة الأحادية نظرا لرتبتها في الثبوت وضعفها عن مساواة القرآن في القطعية، ومن ثم فإن الاعتراضات على الاستدلالات تقل هنا وتسلم الأدلة عن مجمل الاعتراضات

وهناك أدلة خاصة بمنع نسخ القرآن بالسنة الأحادية وأهمها ما يلي :

١- إجماع الصحابة على أن القرآن لا يرفع بخبر الواحد، وكانوا يتركون خبر الواحد إذا رفع حكم الكتاب والسنة المعلومة، ومن ذلك أن عمر رضي الله عنه رد خبر فاطمة بنت قيس<sup>(١٨٣)</sup> وقال: لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت<sup>(١٨٤)</sup>.

وقال علي<sup>(١٨٥)</sup> رضي الله عنه في خبر معقل بن سنان<sup>(١٨٦)</sup>: لا نقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله<sup>(١٨٧)</sup>

وكان ذلك مشهورا بين الصحابة ولم يحصل إنكار فكان إجماعا<sup>(١٨٨)</sup>.

٢- من الأدلة العقلية التي استدلو بها على المنع: أن المتواتر قطعي الثبوت وهو معلوم بدليل مقطوع به، فلا يرفع بخبر الواحد الذي هو دونه رتبة فهو مظنون والأقوى لا يرفع بما دونه<sup>(١٨٩)</sup>.

١٨٣ - فاطمة بنت قيس بن خالد من المهاجرات الأول، وقد تزوجت أسامة بن زيد بمشورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد أن طلقها زوجها،

ترجمتها في الاستيعاب ١٩٠١/٤ والإصابة ١٦٤/٨

١٨٤ - صحيح مسلم ١١١٨/٢ رقم (١٤٨٠)

١٨٥ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين، أشهر من أن يعرف، استشهد عام (٤٠هـ)

ترجمته في أسد الغابة ٩١/٤ والاستيعاب ١٠٨٩/٣ والبداية والنهاية ٣٢٤/٧

١٨٦ - معقل بن سنان بن مظهر، روى عنه مسروق وجماعة من التابعين وكان معه راية قومه يوم فتح مكة استشهد في وقعة الحرة سنة (٦٣هـ)

ترجمته في الاستيعاب ٤١٠/٣ وأسد الغابة ٣٩٧/٤

١٨٧ - هكذا في البيهقي ٢٤٧/٧ وقد روي بلفظ "لا نقبل قول أعرابي بوال علي عقبه"، ولكن هذه الرواية لم تثبت عنه من وجه صحيح،

ينظر عون المعبود ١٠٦/٦ وتحفة الأحمدي ٢٥٢/٤ ونيل الأوطار ٣١٨/٦

١٨٨ - المعتمد ٣٩٨/١ والروضة مع نزهة الخاطر ٢٢٨/١ ونهاية الوصول ٢٣٢٨/٦-٢٣٣٠

وقد اعترض على هذا الدليل بما يلي :

١- إن المقطوع به إنما هو أصل الحكم لا دوامه، والنسخ يرد على الثاني، لا على الأول. (١٩٠)

وهذا الاعتراض ضعيف؛ لأن نسخ دوام الحكم نسخ لأصل الحكم ورفع له، فإذا نسخ الدوام رفع أصل الحكم الذي هو مقطوع به .

ثم إنه من غير المسلم به أن النسخ يرد على الدوام فقط، بل يرد على الحكم بجميع أوصافه.

٢- إن محل النسخ : الحكم، ودلالة القرآن عليه ظنية. (١٩١)

وهذا الاستدلال أيضا فيه ضعف؛ فدلالة القرآن على الحكم ليست ظنية، فالحكم هو مدلول النص وهو مقطوع بثبوته.

٣- أن الكتاب والسنة المتواترة وإن كانا مقطوعي المتن لكنهما قد يكونان مضمونيين الدلالة، وخبر الواحد وإن كان مضمون المتن لكنه قد يكون مقطوع الدلالة فاستويا. (١٩٢)

وقد أجيب عن هذا : بأنه ليس من شرط المنسوخ من الكتاب أو السنة المتواترة أن يكون عاما وناسخه من خبر الواحد خاصا حتى يتأتى ما ذكره، بل قد يكونان عامين أو خاصين، وقد يكون المنسوخ خاصا والناسخ عاما فلم يجز النسخ في هذه الصور، وإذا لم يجز فيها لم يخرج في الصور الأخرى لعدم القائل بالفصل. (١٩٣)

ثم إن هذا يتوجه على وجهه من يرى أن نسخ السنة إنما هو للحكم دون النص، لكن هناك من يقول : إن السنة يمكن أن تنسخ الآية مع حكمها، وحينئذ فإن النسخ بالخبر الثابت ظنا يتسلط على نص ثبت قطعا، فكيف يرفع المقطوع بالمضمون ؟

١٨٩ - التمهيد ٣٨٢/٢ وبيان المختصر ٥٣٦/٢ ونهاية الوصول ٢٣٣٠/٦ وجمع الجوامع مع شرح الخلي ٧٨/٢

١٩٠ - نهاية السؤل ٥٨٧/٢

١٩١ - شرح الخلي على جمع الجوامع ٧٨/٢

١٩٢ - نهاية الوصول ٢٣٣١/٦ وبيان المختصر ٥٣٦/٢

١٩٣ - نهاية الوصول ٢٣٣٢/٦

على أن كثيرا من الأصوليين يرون أن دلالة العام قطعية فتكون الآية مقطوعا بها ثبوتها ودلالة، وليس كذلك الخبر حتى وإن كان مقطوعا بدلالته؛ لأن ثبوته يبقى ظنيا في كل الأحوال .

### الفرع الثالث : أدلة المفرقين بين زمن النبوة وما بعده

سبق النقل عن بعض الأصوليين أنهم أجازوا نسخ القرآن بالسنة الأحادية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومنعوه بعده، وقد تقدم تفسير وجهتهم في هذا التفصيل .  
والذي دعانا إلى تفسير وجهتهم هو أن النسخ لا بد أن يكون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من حيث إن الناسخ سواء كان قرآنا أو سنة لا بد أن يوجد في زمن النبي، فيكون المقصود أن أحكاما معينة ثبت مزاولتها للناس لها في العهد النبوي وكان بعضها قد ثبت إما بقرآن وإما بسنة متواترة، ثم رفعت هذه الأحكام بأخبار آحاد وعرفها الناس وطبقوها في عهد النبي .

وممن ذهب إلى هذا التفصيل : الإمام الغزالي والسرخسي والخبازي، كما تقدم .

أما الغزالي فقد استدل على الجواز في حياته بقصة قباء<sup>(١٩٤)</sup> وبأن النبي كان يبعث آحاد الولاة إلى الأطراف وكانوا يبلغون الناس والمنسوخ جميعا، وذلك ممتنع بعد وفاته، بدليل الإجماع من الصحابة على أن القرآن والمتواتر المعلوم لا يرفع بخبر الواحد، فلا ذهاب لتجويزه من السلف والخلف، والعمل بخبر الواحد تلقي من الصحابة وذلك فيما لا يرفع قاطعا .<sup>(١٩٥)</sup>

وأما السرخسي فقد استدل على منع النسخ بعد زمن النبوة : بأن التعارض لا يثبت بينه وبين الكتاب، فإنه لا يعلم بأنه كلام رسول الله لتتمكن الشبهة في طريق النقل، فأما

<sup>١٩٤</sup> - هذه القصة تشير إلى ما ورد في الصحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بالمدينة ستة عشر شهرا متوجها إلى بيت المقدس ثم نزل قوله

( قول وجهك شطر المسجد الحرام ) البقرة ( ١٤٤ ) فتوجه نحو الكعبة فمر رجل على قوم بقاء وهم يصلون فأخبرهم أن القبلة قد حولت إلى الكعبة

فحول القوم إلى الكعبة . يراجع صحيح البخاري ١٥٥/١ - ١٥٦ / صحيح مسلم ٢٧٤/١ وما بعدها

<sup>١٩٥</sup> - المستصفى ١٢٦/١

في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان يجوز أن يثبت نسخ الكتاب بخبر الواحد، بدليل أن أهل قباء تحولوا في حال الصلاة بخبر الواحد، ولم ينكر عليهم ذلك رسول الله .<sup>(١٩٦)</sup>

وأما الخبازي فقد أجاز نسخ الكتاب بخبر الواحد حال حياة الرسول عليه السلام ؛ لأن احتمال النسخ قائم في كل حال، وأما بعده فلا، ويرى أنه لا بد أن يكون ما ثبت به النسخ مستندا إلى حال حياته بطريق لا شبهة فيه وهو التواتر.<sup>(١٩٧)</sup>

وقد سبقت الإشارة إلى أن محصلة هذا المذهب تلتقي مع وجهة المانعين لنسخ القرآن بخبر الواحد باعتبار أن الكتاب مقطوع به وليس كذلك خبر الواحد .

وأما الحوادث التي ذكرها هؤلاء المفصلون فلعلها لاترقى إلى تجويز النسخ لما يأتي:

أما قصة قباء فإنها لاتدخل في موضوعنا للأسباب الآتية :

أولاً : حديثنا عن نسخ الكتاب بخبر الأحاد، وقصة قباء ليست كذلك فالناسخ فيها قرآن، وذلك على العكس من الموضوع الذي نتحدث عنه، فهو في القصة نسخ السنة بقرآن، حيث إن التوجه إلى بيت المقدس لم يكن ثابتا بالقرآن،<sup>(١٩٨)</sup> بل بالسنة العملية ثم نسخ هذا بقوله تعالى : { فول وجهك شطر المسجد الحرام } البقرة (١٤٤) .

ثانيا : كلامنا عن خبر الأحاد الذي هو لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل ينسخ القرآن أم لا؟، فأما في قصة قباء فالخبر هو لفظ صحابي جاء يبلغهم أن القبلة قد غيرت ويشهد أنه صلى مع رسول الله إلى الكعبة، فغاية ما فيه : قبول الصحابة لخبر شخص جاء يبلغهم التغيير ونزول قرآن بالتوجه إلى الكعبة، فهو إخبار عن حادثة لا علاقة لها بنسخ السنة للقرآن، لأن كلام الرجل إخبار عن نسخ، لانسخ .

وربما أن القصة كانت ستكون مثالا لموضوع آخر وهو نسخ السنة المتواترة بالأحاد لو كان الناسخ لفظ رسول الله .

<sup>١٩٦</sup> - أصول السرخسي ٧٧/٢-٧٨

<sup>١٩٧</sup> - المغني للخبازي / ٢٥٧

<sup>١٩٨</sup> - العدة ٣/ ٨٠٥

على أنه من المعلوم أن الخبر المسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد الصحابة يعتبر بالنسبة له خبراً مقطوعاً به، فيخرج من دائرة الظن، ثم إذا نقله الصحابي لغيره يوصف بأنه خبر آحاد مظنون بالنسبة لمن يسمعه من الصحابي .

فقصة قباء فيها دليل على قبول خبر الواحد لاغير، ولو سلمنا جدلاً أن القضية فيها نسخ فالواحد فيها ناقل لنسخ السنة بالقرآن وليس العكس، والناقل للنسخ ليس ناسخاً

أما كون النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل الآحاد إلى الأطراف وكانوا يبلغون الناسخ والمنسوخ، فلا دلالة فيه أيضاً ؛ لأنهم كانوا مبلغين وناقلين، لا ناسخين، فنقلهم الناسخ والمنسوخ لايعتبر نسخاً، وليس في هذا دلالة على جواز النسخ بخبر الواحد، بل هو دليل على وجوب خبر الواحد، ومن ضمن ذلك إخبارهم بأن الآية كذا نسخت بآية كذا، فأين خبر الواحد الناسخ؟

على أنه من المعلوم أن مهمة هؤلاء هي تبليغ الأحكام الشرعية وتعليم الناس فرائض الدين، وربما أخبروا أن الآية كذا نسخت بآية كذا ضمن تعليمهم الأحكام، لكن لم يثبت أنهم بلغوا الناس أن آية نسخت بحديث نبي .

وحيث إنه لم يثبت نسخ للقرآن بالسنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن هذا المذهب يرجع إلى المانعين سيما مع تقرير الغزالي المتقدم بأن الإجماع من الصحابة على أن القرآن والمتواتر المعلوم لايرفع بخبر الواحد .

وأما الخبازي رحمه الله فقد استدل بأن احتمال النسخ قائم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأما بعده فلا، ثم اشترط أن يثبت النسخ في حال حياته بطريق التواتر.

وفي استدلال الخبازي رحمه الله ضعف ؛ فاحتمال النسخ لايعني وقوعه، ويمنع حصوله ما ورد من الأدلة المتقدمة التي تفيد عدم مساواة الآحاد للمتواتر.

على أن الأحناف – ومنهم السرخسي والخبازي – يمنعون تخصيص عام الكتاب بحبر الواحد، ومن ضمن أسباب المنع أن التخصيص نسخ ولم يتساو خبر الآحاد مع قطعي الكتاب فلم يقو على نسخه، فكيف يسلمون بوقوع النسخ والكتاب عندهم قطعي في ثبوته ودلالته، بينما خبر الآحاد ظني الثبوت، فلم يتساويا ؟

### المبحث الثالث: تحقيق مذهب الإمام الشافعي ومحل الخلاف

لقد أفردت رأي الإمام الشافعي بعنوان مستقل، وكان بالإمكان أن أضمنه المباحث السابقة عند الكلام عن منع نسخ الكتاب بالسنة، لكن الذي دعاني إلى هذا الإفراد هو أن الإمام الشافعي اشتهر عنه القول بمنع نسخ القرآن بالسنة سواء كانت متواترة أم أحادا، وله وجهة مستقلة، وقد خالفه كثير من أتباعه فيما يخص السنة المتواترة، وتأول آخرون كلامه، ثم إن هناك من العلماء من أنكروا على الشافعي هذا الرأي واستغرب أن يذهب إليه مع عظم مكانته وعلو مرتبته .

والحقيقة أن المنتسبين إلى الشافعي والذين هم عالية عليه في الفقه والأصول لم يمنعهم انتسابهم إليه وأدبهم مع إمامهم أن يخالفوه في أمر رأوا أن الحق في غير وجهته، وهذا يدل على نضاعة الفكر الأصولي وخروجه عن دائرة الجمود والتقليد، ويدل على أن المباحث الأصولية أنتجت العقول المستنيرة المتحررة من التعصب والمتجردة عن المذهبية الضيقة والأفكار الجامدة .

وهذا لا يعني أن من خالف الشافعي هنا كان على صواب، غاية ما في الأمر أن الفقهاء الأصوليين كانت عندهم الجرأة أن يخالفوا إمامهم في هذا الموضوع، مع أن الإمام الشافعي يعتبر رائد المدرسة الأصولية التي عرفت بمدرسة المتكلمين، وتواجد فيه العلماء من مختلف المذاهب ما عدا الأحناف الذين كانت لهم طريقة مغايرة لمنهج الشافعي، ولذا فإن الشافعي لا يقتصر أثره الأصولي على فقهاء مذهبه بل هو مرجع لكل الأصوليين الذين ساروا على طريقة المتكلمين من مختلف المذاهب، وهذا ما جعلنا نثق بمنهجية البحث العلمي لدى فقهاءنا الأصوليين وتجردهم من القيود التي تحجر العقول وتلزم التقليد بكل مثالبه .

لقد اتفقت كلمة الأصوليين على أن الإمام الشافعي لا يجوز نسخ القرآن بالسنة بحال، سواء كانت متواترة أم أحادا<sup>(١٩٩)</sup> .

ولا عبرة بقول من قال: إن الشافعي لم يرد مطلق السنة، بل أراد السنة المنقولة أحادا، لأن الغالب في السنن الأحاد .<sup>(٢٠٠)</sup>

١٩٩ - البرهان ١٣٠٧/٢ و الخصول ١-٣/٥١٩ والعدة ٣/٧٨٩ والإحكام للآمدي ٢/٢٧٢ والبحر المحيط ٤/١١٠

والأصوليون الذين نسبوا إلى الشافعي منع نسخ الكتاب بالسنة اختلفت آراؤهم في هذا المنع، فبينما يرى بعضهم أنه منع من ذلك عقلا وشرعا، فإن الكثيرين منهم ذهبوا إلى أنه يرى أن الشرع منع منه، فلم يرد به. (٢٠١)

وقد نُسب إلى بعض الأصوليين استنكارهم على ما ذهب إليه الشافعي، فقد نُقل عن الكيا الهراسي أنه اعتبر ذلك هفوة وقال: " هفوات الكبار على قدر أقدارهم، ومن عظم خطؤه عظم قدره. " (٢٠٢)

ونسب الهراسي إلى القاضي عبد الجبار (٢٠٣) أنه كان كثيرا ما ينصر مذهب الشافعي في الفروع فلما وصل إلى هذا الموضوع قال: " هذا الرجل كبير ولكن الحق أكبر منه " (٢٠٤)

وفي المقابل فإن هناك من أيد الإمام الشافعي ونصر مذهب، وقد سبق ذكر من يمنع نسخ القرآن بالسنة، وأن هذا المنع رواية مشهورة عن الإمام أحمد بن حنبل وكثير من الحنابلة بالإضافة إلى كثير من الشافعية.

وقد ذكر الزركشي أن أبا إسحاق الاسفرائيني وتلميذه أبا منصور البغدادي وغيرهما قد ألفوا مصنفات في مناصرة مذهب الشافعي. (٢٠٥)

وعلى ذلك فاستنكار الكيا رأي الشافعي وجعله ذلك من الهفوات هي هفوة من الكيا ما كانت تليق به، كما إن رد القاضي عبد الجبار هذا الرأي على الرغم أنه كان يجلس الإمام الشافعي وتعليقه أن الحق يجب أن يصار إليه، يعتبر موقفا نبیلا وأدبا جما ووقفا مع الحق الذي يعتقده الإنسان .

٢٠٠ - نقله الزركشي عن المقترح وهو قول لا أساس له . يراجع البحر ١١٥/٤

٢٠١ - البحر ١١٠/٤ - ١١١

٢٠٢ - المرجع السابق ١١٢/٤

٢٠٣ - عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار يلقب بقاضي القضاة، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه زينتحل مذهب الشافعي في الفروع، من تصانيفه

المعني وشرح الأصول الخمسة توفي (٤١٥هـ) ينظر طبقات السبكي ٩٧/٥ وشذرات الذهب ٢٠٢/٣

٢٠٤ - البحر المحيط ١١٢/٤ وإرشاد الفحول ١١٩

٢٠٥ - البحر ١١٣/٤

ولكن مع ذلك كله فالإمام الشافعي قد كبر وعلا قدره وازداد رفعة ومكانة حين ذهب إلى منع نسخ القرآن بالسنة<sup>٢٠٦</sup> فذلك يدل على سمو أدبه مع كتاب الله وتوقير سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أن ينسخ ويرفع شيئاً أثبتته الله وجعل لرسوله مهمة البيان والتبليغ لما أنزل .

ولا بد أن نقف على رأي الإمام الشافعي في هذا من خلال كتابه الرسالة حتى نستبين وجهته وأدلته،

فما هو موقف الإمام الشافعي ؟ :

لقد كان رأي الإمام الشافعي واضحاً جلياً في هذا الموضوع، حيث قال : " وأبان الله لهم أنه إنما نسخ ما نسخ من الكتاب بالكتاب، وأن السنة لا تكون ناسخة لكتاب وإنما هي تبع للكتاب بمثل ما نزل نصاً ومفسرة معنى ما أنزل الله منه جملاً .<sup>(٢٠٦)</sup>

ثم فصل رحمه الله ذلك البيان فأورد قول الله تعالى : { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا آتت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي { يونس ١٥

قال الشافعي : " فأخبر الله أنه فرض على نبيه اتباع ما يوحى إليه ولم يجعل له تبديله من تلقاء نفسه، وفي قوله { ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي } بيان ما وصفت من أنه لا ينسخ كتاب الله إلا كتابه كما كان المبتدئ لفرضه فهو المزيل المثبت لما شاء منه - جل ثناؤه - ولا يكون ذلك لأحد من خلقه .<sup>(٢٠٧)</sup>

ثم نقل عن بعض أهل العلم أن هذه الآية تدل على أن الله جعل لرسوله أن يقول من تلقاء نفسه بتوقيفه فيما لم ينزل به كتاباً .<sup>(٢٠٨)</sup>

واستدل الشافعي على رأيه بقول الله تعالى : { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . . . الآية ) البقرة ١٠٦ ) وقال : " إن الله أخبر أن نسخ القرآن وتأخير إنزاله لا يكون إلا بقرآن مثله "

٢٠٦ - الرسالة / ١٠٦

٢٠٧ - المرجع السابق / ١٠٧

٢٠٨ - المرجع السابق

كما استشهد أيضا بقوله تعالى : { وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر } النحل (١٠١) (٢٠٩)

والإمام الشافعي يرى أيضا أن السنة إنما تنسخ بسنة مثلها ولا تنسخ بالكتاب، ولو أنزل الله حكما في أمر سن فيه غير ما سن رسوله، فإن النبي سينشئ سنة فيما أحدثه الله حتى يبين أن له سنة ناسخة للتي قبلها. (٢١٠)

ونستنتج مما تقدم من منع الشافعي لنسخ القرآن بالسنة ثم من اختياره أن السنة لا ينسخها الكتاب سعة علم هذا الإمام ودقة فهمه وعظيم أدبه مع كتاب الله ومع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

إن الشافعي رحمه الله لم ينظر إلى موضوع نسخ الكتاب بالسنة من زاوية القطعية والظنية، بدليل أنه منع النسخ بالمتواترة وهي قطعية الثبوت، كما أنه منع نسخ السنة بالكتاب، مع أن الناسخ أقوى وأعلى مرتبة، ولكنه نظر إلى أمر آخر وهو علاقة السنة بالكتاب ومهمة رسول الله في التبليغ.

إن مكانة القرآن وخصوصيته هي التي منعت أن ينسخ إلا بمثله، فالله عز وجل جعل السنة للبيان ومحال أن ينسخ الشيء بما يبينه. (٢١١)

والأدلة التي أوردها الشافعي ومن تبعه في المنع وافية بالغرض وواضحة في بيان أن نسخ آية من القرآن إنما يكون من عند الله .

ولا يريد على الشافعي أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم فإن نطقه وحي من الله فيكون الحكم الذي قاله رسول الله هو من عند الله ، لا يرد هذا على الشافعي لأنه لا ينكر ذلك ولا ينكر أن السنة وحي من الله، ولكنه يقول : إن الأدلة دلت على أن الآية من القرآن لا ينسخها إلا آية مثلها، (٢١٢) ولا تنسخ بوحى آخر غير القرآن، وفي ذلك غاية الأدب .

٢٠٩ - الرسالة / ١٠٨

٢١٠ - المرجع السابق

٢١١ - براجع البحر المحيط ٤ / ١١٦

٢١٢ - حاشية المطيعي على نهاية السؤل ٢ / ٥٨٣

والذين أنكروا على الشافعي ربما لم يقضوا على مغزى مراده فلذلك ردوه وأولوه .

وقد بين الزركشي ذلك بقوله : " والصواب أن مقصود الشافعي أن الكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله ناسخ له، وهذا تعظيم عظيم وأدب مع الكتاب والسنة وفهم بموقع أحدهما من الآخر، وكل من تكلم في هذه المسألة لم يقع على مراد الشافعي، بل فهموا خلاف مراده حتى غلطوا وأولوه ."<sup>(٢١٣)</sup>

كما أن ابن تيمية رحمه الله يقرر أن الأئمة يوجبون العمل بالسنة المتواترة المحكمة وإن تضمنت رفعا لبعض آي القرآن، لكن يقولون : إن الناسخ هو قرآن لا مجرد السنة .

يقول ابن تيمية : " فإن الشافعي وأحمد وسائر الأئمة يوجبون العمل بالسنة المتواترة المحكمة وإن تضمنت نسخا لبعض آي القرآن لكن يقولون : إنما نسخ القرآن بالقرآن لا بمجرد السنة، ويحتجون بقوله تعالى : { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها } البقرة ١٠٦ ) ويرون من تمام حرمة القرآن أن الله لم ينسخه إلا بقرآن ."<sup>(٢١٤)</sup>

### محل الخلاف

عرضت الآراء مع أدلتها في نسخ القرآن بالسنة المتواترة والآحاد، وقبل أن أذكر الرأي المختار ينبغي أن أبدأ بتحقيق محل الخلاف في نسخ السنة للقرآن لما فيه من الأهمية وحصر الخلاف في جزء يسير .

لقد مر أثناء الاستدلالات والمناقشات أن المقصود من نسخ السنة للقرآن إنما هو نسخ الحكم وليس نسخ اللفظ .

ويكاد الأصوليون يتفقون على منع نسخ السنة للفظ القرآن، بل إن بعضهم نقل الاتفاق عليه، والبعض يعرض الموضوع على أنه أمر مسلم به فلا تنسخ السنة لفظ القرآن .

وأعني بالأصوليين هنا : الذين أجازوا نسخ القرآن بالسنة المتواترة، أما من منع فلا شك أنه يمنع هذا من باب أولى .

<sup>٢١٣</sup> - البحر ٤/١١٥

<sup>٢١٤</sup> - الفتاوى ٢٠/٣٩٩

كما أن الكثيرين منهم قد نصوا على أن محل النزاع إنما هو الحكم وليس اللفظ :  
فالجويني - وهو ممن يرى جواز النسخ بالمتواترة - في معرض رده على من منع  
النسخ بالمتواترة بدعوى أن الكتاب معجز والسنة لإعجاز فيها قال : " ليس المنسوخ  
نفس القرآن، وإنما المنسوخ حكمه " (٢١٥)

ويقول الباجي - وهو ممن يرى النسخ بالمتواترة أيضا - :إنما نناظر على نسخ  
نفس الحكم وتبقيّة التلاوة" (٢١٦)

والأمدي حين أجاب عن استدلال المانعين بقوله تعالى : { وإذا بدلنا آية مكان آية }  
النحل ١٠١ ) قال : "إنها ظاهرة في تبديل رسم آية بآية، والنزاع إنما هو في تبديل حكم  
الآية " (٢١٧)

والقاضي الفراء رد على المجيزين للنسخ بالمتواترة معللين أنها تنسخ الحكم فقال في  
معرض الإلزام : " متى نسخ الحكم تعطل اللفظ وخرج عن كونه مفيدا . . . ألا ترى  
أنه لما لم يجز نسخ لفظ الكتاب بأخبار الأحاد لم يجز نسخ حكمه " . (٢١٨)

وقريب من هذا رد الشيرازي على من يرى أن النسخ للحكم وليس للفظ وقرر أن  
نسخ الحكم أيضا يقتضي نسخ الآية . (٢١٩)

وهكذا الطوفي ذكر أن من أدلة المانعين أن السنة لاتنسخ لفظ القرآن فكذلك  
حكمه، ثم سلم أنها لاتنسخ اللفظ ولكن هناك فرق بين نسخ اللفظ وبين نسخ الحكم،  
فأجاز نسخ الحكم دون اللفظ . (٢٢٠)

٢١٥ - البرهان ٢/٧٧٨

٢١٦ - إحكام الفصول / ٤٢٢

٢١٧ - الإحكام للأمدي ٢/٢٧٤

٢١٨ - العدة ٣/٧٩٥

٢١٩ - التبصرة / ٢٦٧

٢٢٠ - شرح مختصر الروضة ٢/٣٢٢-٣٢٣

وكنا سنعتمد ما قرره الأصوليون من هذا المنع وأن الخلاف في نسخ الحكم وليس اللفظ لولا أننا وجدنا إشارات بل تصريحاً من البعض بأن النسخ قد يكون للفظ وللحكم معاً، فكان لا بد من التوقف عند هذا وتبيان الحق فيه .

لقد أشار الفراء أثناء رده على من أجاز نسخ حكم الآية بالسنة المتواترة دون اللفظ إلى أن المخالف لافرق عنده بين نسخ الحكم وبين نسخ التلاوة .<sup>(٢٢١)</sup>

أما ابن حزم رحمه الله فقد صرح بذلك فقال : " ثبت الخبر بأن آيات كثير رفع رسمها البتة، ولا يجوز أن ترفع بقرآن؛ إذ لو رفعت بقرآن لكان ذلك القرآن موجوداً متلو، وليس في شيء من المتلو ذكر رفع لآية كذا مما رفع البتة، فوجب ضرورة أن ما ارتفع رسمه من القرآن وإنما رفعته سنته عليه السلام"<sup>(٢٢٢)</sup>

وإذن فما هو حكم نسخ السنة للفظ القرآن ؟

إننا إذا استخدمنا عبارات ابن حزم رحمه الله حين يرد على مخالفيه بألفاظ قوية فسوف نمضي هنا على منواله ونرد بطريقته فنقول : إنا نبرأ إلى الله من القول بأن أحداً من خلق الله يملك أن يرفع لفظاً قرآنياً أنزله الله، ونشهد شهادة يسألنا الله عنها إذا وقفنا بين يديه أننا لم نجد آية تثبت بالقرآن فرفع رسمها وحكمها بخبر متواتر أو آحاد عن النبي صلى الله عليه وسلم، والقول بذلك يؤدي إلى مزالق خطيرة .

والغريب أن ابن حزم هنا خالف وجهته ووجهة مذهبه وترك شعاره في أن ما ثبت عن الله قطعاً لا يزيله كلام البشر .

ومهما تذر عن ابن حزم ومن نحا نحوه هنا بأن الكل وحي من الله فإن ذلك لا يفيد المدعى ؛ لأن النزاع ليس في أن كلام رسول الله وحي يوحيه الله إليه، فذلك ثابت ولا ينكره مسلم، لكن النزاع في أن الوحي الذي هو كلام الله بلفظه ومعناه لا يرفع إلا كلامه جل وعلا، وذلك ما دلت عليه الآيات .

٢٢١ - العدد ٣/٧٩٧، ٧٩٤

٢٢٢ - الأحكام لابن حزم ٤/١١٣

وهذا مع تجاوز موضوع أن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم ربما اجتهد فيصوب المولى سبحانه اجتهاد نبيه إذا اجتهد بخلاف الأولى.

وأما القول بأن هناك آيات رفع رسمها ولم ترفع بقرآن فلا حجة فيه على المدعى البتة لما يلي:

**أولاً:** لم يثبت ذلك المرفوع بالتواتر الذي ثبت به القرآن، فما هي الآيات التي رفعت ؟ وأين مكانها ؟ وأي النقل المقطوع به أن هناك قرآنا كان يتلى ثم رفع ؟ .

أما إخبار صحابي بأن سورة من السور كانت تعدل سورة البقرة في الطول مثلا، فذلك لا يثبت قرآنيته، بل إن العلماء يجمعون أن القراءة الشاذة ليست قرآنا، ولا تجوز الصلاة بها، رغم أنها ثبتت بطريق صحيح وقرأها صحابي، لكن لما لم تتواتر افتقدت صفة كونها قرآنا .

ثم إن تلك الآيات لو رفعت فأين اللفظ الرافع من السنة النبوية، فمثل هذا لا يمكن أن يخفى ولا يشتهر، وهنا نعكس على ابن حزم قوله ونلزمه بما ألزم به غيره، فقد ذكر أن هناك آيات ارتفع رسمها ولو رفعت بقرآن لوجد ذلك في قرآن يتلى، فكان لا بد من اعتقاد أنها رفعت بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، فنقول لابن حزم : وأين هي السنة التي رفعت تلك الآيات القرآنية ؟ هل يجوز أن نفترض سنة على أنها ناسخة لآيات الله ونحن لم نرها ؟ أليس هذا هو القول على الله بغير علم والذي يشنع عليه ابن حزم ويسل لسانه لأجله على الأئمة المجتهدين، فما باله هنا يتناسى مذهبه ؟.

ثم إنا نسأل ابن حزم ومن قال بقوله : هل لو أنكر مسلم ذلك المرفوع، هل يكون أنكر قرآنا من كلام الله ؟ وهل يكفر بهذا ؟

**ثانيا :** لو سلمنا جدلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هذه الآية قد رفعها الله " فهذا لا يدخل في موضوع النسخ الذي نتحدث عنه أصلا ؛ إذ هو إخبار منه بارتفاعها لانسخ لها، ولهذا لانقول : هذه الآية نسخها رسول الله .

يقول ابن تيمية : " إذا قال الرسول : هذه الآية قد رفعها الله فهو تبليغ منه لارتضاعها، كإخباره بنزولها، فلا ينبغي أن يمنع من هذا وإن منع من نسخ الحكم " (٢٢٣) واذن فما قاله ابن حزم من وجود آيات ارتفع رسمها بالسنة فهو من هذا القبيل الذي هو الإخبار على أن الله رفعها .

ومع ذلك فهذا أمر افتراضي لم يحدث ولم يثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذه الآية قد رفعت فلا تقرأها .

ولو مضينا مع ابن حزم فسلمنا بارتضاع آيات بأن الله أنساها الخلق ومضينا على أن قوله تعالى : "أونسها " من النسيان، لا من الإنساء الذي هو التأخير، مع ذلك كله فأين النسخ بالسنة؟ فإن هذا هو فعل الله جل وعلا .

ولئن كان موقف ابن حزم غريبا فأغرب منه عبارة أبي الخطاب رحمه الله - إن لم نتأولها- مع أنه يقول بعدم وقوع النسخ بالمتواترة لكنه يجيزه، فقد رد استدلال المانعين حين استدلتوا على المنع بأن القرآن معجز، فرد عليهم بأن الإعجاز لا يمنع النسخ ثم قال :

" فإن قيل : المانع رفع كلامه تعالى بغير كلامه، قلنا : ما الذي يمنع من رفع كلامه بغير كلامه؟ " (٢٢٤)

وهذه العبارة توجب علينا أن نحملها على جميع أنواع مجاز الحذف : لأن كلام الباري عز وجل لا يرفع بغير كلامه، ولا يرفعه إلا هو سبحانه .

ثم إن عبارة أبي الخطاب كانت أشد من عبارة ابن حزم الذي لازال في دائرة أن النبي صلى الله عليه وسلم يمكن أن يخبر بأن آية كذا قد رفعت، أما أن يكون كلام النبي رافعا للفظ القرآني فلا يتصور عقلا ولا شرعا .

٢٢٣ - المسودة / ٢٠٥

٢٢٤ - التمهيد / ٣٧٣/٢

وعلى هذا فنحمل كلام أبي الخطاب في التعبير بالكلام هنا : مقتضى الكلام ولا يريد به اللفظ قطعاً، ويكون رفع الكلام المراد به رفع الحكم الذي ثبت بكلامه، وهنا يلتقي أبو الخطاب مع القائلين بأن السنة تنسخ الحكم وليس اللفظ.

### الرأي المختار

وبعد هذه الوقفة السريعة على محل الخلاف أصل إلى بيان الرأي المختار في موضوع نسخ القرآن بالسنة.

بعد دراسة متأنية في الأقوال وأدلتها ووجهة الإمام الشافعي فإني أرى أن القرآن لا ينسخ بالسنة سواء كانت متواترة أم أحاداً، فكلام الباري جل في علاه لا ينسخه إلا كلامه سبحانه .

وقد بنيت اختياري على الأسباب الآتية :

**أولاً :** لا توجد واقعة واحدة نسخت فيها آية من كتاب الله بخبر متواتر أو أحاد، وجميع الوقائع التي ذكرت لاحجة فيها ؛ لما تقدم من أن الناسخ في الحقيقة هو قرآن لاسنة، ومن أن بعضها تخصيص لانسخ، وهناك فروق عدة بين النسخ وبين التخصيص .

وقد نقل الزركشي عن أبي بكر الصيرفي قوله : " وجماع ما أقوله أن القرآن لم ينسخ قط بسنة، فمن شاء فليرنا ذلك فإنه لا يقدر عليه " (٢٢٥)

ويقول ابن تيمية : " وبالجملة فلم يثبت أن شيئاً من القرآن نسخ بسنة بلا قرآن " (٢٢٦)

ولو فرضنا سلامة المدعى ووجدنا آيات في القرآن منسوخة وتردد ناسخها بين أن يكون من القرآن وبين أن يكون من السنة فإن مما لا شك فيه أن إسناد النسخ إلى القرآن أولى بل أوجب .

**ثانياً :** إن السنة النبوية لا ترقى إلى مرتبة القرآن حتى لو كانت قطعية الثبوت ؛ لأن الأمر لا يقتصر على الثبوت فقط، فالإعجاز والتعبد بالتلاوة والأجر في قراءة القرآن،

٢٢٥ - البحر ٤/١١٤

٢٢٦ - الفتاوى ٢٠/٣٩٧

كل هذه الأمور تجعل السنة في مرتبة أقل من القرآن، ومن أنكر شيئاً من القرآن يكفر، ولا يسري هذا الحكم على من أنكر تواتر حديث رواه جم غفير.

ولا يعترض على هذا بأن السنة تنسخ الحكم فقط، فالحكم الذي ثبت بكلام الله لفظاً ومعنى لاشك أنه أرفع من الحكم الذي ثبت بكلام لفظه من رسول الله، وإن كان معناه من الله .

ثم إن الحكم إذا نسخ من القرآن صار اللفظ منسوخاً وإن كان يتلى، فإنه يقال بعد نسخ الحكم: هذه الآية منسوخة. (٢٢٧)

**ثالثاً:** النسخ تعطيل ورفع وإزالة، والناسخ مهيمن على المنسوخ قاض عليه مقدم عليه، فينبغي أن يكون مثله أو خيراً منه كما أخبر القرآن، ولهذا لما كان القرآن مهيمناً على ما بين يديه من الكتب بتصديق ما فيها من حق وإقرار ما أقره ونسخ ما نسخته كان أفضل منها، فلو كانت السنة ناسخة للكتاب لزم أن تكون مثله أو أفضل منه. (٢٢٨)

**رابعاً:** إن الآية القرآنية وهي قوله تعالى: { ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . . } (البقرة ١٠٦) واضحة كل الوضوح على أن النسخ لآية من كتاب الله هو من فعل الله، ولهذا نسب النسخ إليه جل جلاله كما نسب إلى نفسه سبحانه: الإتيان بالبدل أو بالمثل، وذلك يقتضي أن الله سبحانه هو الناسخ حقيقة، ولا يكون ذلك إلا إذا كان النسخ بقرآن، فلو أسند النسخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بناءً على أنه لا ينطق إلا بوحى من الله فذلك إسناد مجازي، وإذا دار الأمر بين إعمال الحقيقة أو إعمال المجاز فإن الحقيقة تقدم .

ومع أن الناسخ في الحالين هو الله ولكن جاء المجاز من لفظ "نأت" ففاعل الإتيان هو الله، أما لو كان على لسان رسوله فالذي أتى بخير منها هو النبي صلى الله عليه وسلم، وهي إشكالية عقدية تناسها ابن حزم ومن ينهج منهج إنكار المجاز .

٢٢٧ - تراجع العدة ٣/٧٩٥

٢٢٨ - العدة ٣/٧٩٥ والفتاوى ١٧/١٩٧

**خامسا :** إن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة للقرآن هي تبليغه وبيانه وتفسيره للناس، وكان عليه الصلاة والسلام في كثير من الأحيان ينتظر نزول الوحي في القضايا المستجدة، ولا شك أنه مخول بإصدار تشريع لم ينزل به القرآن، ومع ذلك كان غالبا ينتظر إما قرآنا يبين الحكم الجديد أو إخبارا بواسطة جبريل، وهذا يرسخ في أذهاننا أن قيامه بنسخ قرآن يتنافى مع هذه المهمة.

ولا نحتاج إلى إعادة أن النسخ بالسنة ليس ليس بيانا للقرآن، حتى لو فسرنا النسخ بأنه : بيان انتهاء مدة الحكم، فالبيان صفة للنسخ، لا للناسخ، ثم يكون بيانا إذا كان الناسخ والمنسوخ من متكلم واحد، فالذي صدر منه الحكم هو الذي يحدد وقته وزمنه، ولا يليق أن يكون اللفظ المنسوخ من متكلم والناسخ من متكلم آخر في كلام البشر الذين درجوا على أن من أصدر قرارا فلا يلغيه إلا هو، ولله المثل الأعلى والحكمة البالغة، وكون النبي ينطق بوحي لا يخرج الموضوع عما تقدم من أن نسخ كلام الله تم بكلام غيره.

ومن هذا المنطلق فالمانعون لنسخ القرآن بالسنة لا يسلمون بأن من مهمته عليه السلام تحديد مدة انتهاء العمل بالآيات، وهذا يختلف عن تقييد المطلق وتخصيص العام، لأن الأصل في كليهما باق، بخلاف النسخ فالمنسوخ ارتفع بالكلية.

**سادسا :** لم نجد آية من كتاب الله تدل على إعطاء رسول الله حق نسخ الآيات وأحكامها، مع أن الله أعطاه حق التشريع وإصدار الأحكام الجديدة وأمر العباد باتباعه في كل ما يأمر به، وكذلك لم نجد حديثا صريحا يخبر بأن قول النبي قد نسخ آية من كتاب الله فرفع حكمها أو لفظها .

ورحم الله الإمام الشافعي فقد استشهد بقول الله تعالى : { قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي } { يونس ١٥ } ثم قال نقلا عن بعض أهل العلم : " إن هذه الآية تدل على أن الله جعل لرسوله أن يقول من تلقاء نفسه بتوقيفه فيما لم ينزل به كتابا " (٢٢٩)

**سابعاً :** الصحابة والتابعون الذين أخذ عنهم علم الناسخ والمنسوخ إنما يذكرون نسخ القرآن بقرآن ولا يذكرون تسخ القرآن بسنة، وكتب الناسخ والمنسوخ المأخوذة عنهم إنما يتضمن هذا، فلو كان ناسخ القرآن غير القرآن لوجب أن يذكر ذلك أيضاً.<sup>(٢٣٠)</sup>

هذه أهم الأسباب التي جعلتني أختار منع نسخ القرآن بالسنة المتواترة .

أما القول بنسخ القرآن بالسنة الأحادية فأعتبره قولاً في غاية الضعف وأقطع بعدم جوازه، والقائلون بذلك - على قلتهم - تجاوزوا قواعد أصولية وأهمها : أن الدليلين إذا تعارضا ولم يمكن الجمع بينهما فحينئذ نزيل التعارض بالنسخ، ومن الأمور المقررة أن التعارض لا يتحقق في مجال النسخ إلا إذا كان الدليلان في قوة واحدة، ومما لا شك فيه أن القرآن متواتر وهو قطعي الثبوت وخبر الأحاد ظني فلا يقوى على نسخ قطعي الثبوت حتى وإن كان الأحاد قطعي الدلالة، وعلى هذا فالنسخ لا يتحقق، وقد سبق أنه لا يوجد نسخ آية بسنة متواترة ومن باب أولى لا يوجد نسخ آية بخبر آحاد، ولو فرضنا وجود آية متعارضة مع حديث فإن العمل بالآية واجب محتم ولا يجوز غيره .

## نتائج البحث :

- في ختام هذا البحث الذي بذلت فيه قصارى جهدي توصلت إلى نتائج أهمها ما يلي:
- ١- اختلفت عبارات الأصوليين في تعريف النسخ وأغلب التعريفات تؤول إلى وجهتين :  
الأولى : يرى أصحابها أن النسخ رفع للحكم السابق  
الثانية : يرى أصحابها أن النسخ بيان مدة الحكم المنسوخ .
  - ٢- هناك شروط للنسخ اتفق عليها جمهور الأصوليين وهناك شروط اختلفوا فيها،  
ومن الشروط التي اشترطها الجمهور : أن يكون النسخ في قوة المنسوخ، وينبغي  
على من يشترط هذا الشرط أن يمنع نسخ القرآن بالسنة .
  - ٣- يرى كثير من العلماء جواز نسخ القرآن بالسنة المتواترة، وبعض هؤلاء يرون أنه  
يجوز لكن لم يقع، بينما هناك جماعة من العلماء يمنعون نسخ القرآن بالسنة  
المتواترة.
  - ٤- جمهور العلماء لا يجيزون نسخ القرآن بالسنة الأحادية، بل إن كثيرا ممن أجاز  
نسخ القرآن بالمتواترة منعه بالأحاد .
  - ٥- يرى الإمام الشافعي أن القرآن لا ينسخه إلا قرآن، ولا تنسخه السنة سواء كانت  
متواترة أم أحادا .
  - ٦- كانت وجهة الإمام الشافعي في المنع : أن مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
هي البيان والتبليغ، والكتاب والسنة لا يوجدان مختلفين إلا ومع أحدهما مثله  
ناسخ له، وهذا تعظيم عظيم وأدب مع الكتاب والسنة وفهم بموقع أحدهما من  
الآخر، ومن تمام حرمة القرآن أن لا ينسخ إلا بقرآن .
  - ٧- محل الخلاف إنما هو في نسخ السنة لحكم الآية، أما إطلاق القول بأن السنة  
يمكن أن تنسخ رسم القرآن فهو قول بعيد عن الصواب وممتناه في الضعف .

## المراجع

- ١) الإبهاج في شرح المنهاج لتقي الدين السبكي مع تمنة ولده، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٨١ م .
- ٢) إحكام الفصول في أحكام الأصول لسليمان الباجي، تحقيق عبد المجيد التركي، مؤسسة جواد، بيروت، ١٩٨٦ م .
- ٣) الإحكام في أصول الأحكام لسيف الدين علي بن أبي علي الأمدي، دار الفكر . ١٩٨١ م .
- ٤) الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد بن حزم، تقديم د. إحسان عباس، منشورات دار الآفاق الجديدة.
- ٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ليوسف بن عبد البر، تحقيق علي البجاوي، مطبعة نهضة مصر .
- ٦) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير الجزري، طبع دار الشعب بالقاهرة .
- ٧) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، المطبعة العامرة الشرفية بمصر ١٣٢٧هـ نشر دار الكتب العلمية بيروت.
- ٨) أصول السرخسي لأبي بكر محمد بن أحمد السرخسي . دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت .
- ٩) الأعلام، خير الدين الزركلي ط الثالثة بيروت ١٩٦٩ م .
- ١٠) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية . للحافظ عمر البزار . المكتب الإسلامي ط الثانية ١٣٩٦هـ
- ١١) البحر المحييط في أصول الفقه، محمد بن بهادر الزركشي، تحرير عبد القادر العاني، ومراجعة عمر الأشقر، طبع دار الصفوة عن طبعة وزارة الأوقاف بالكويت
- ١٢) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار ابن كثير، بيروت
- ١٣) البدر الطالع، لمحمد بن علي الشوكاني، مطبعة السعادة، ١٣٤٨هـ
- ١٤) البرهان في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني، تحقيق عبد العظيم الديب، ط الثانية ١٤٠٠هـ .
- ١٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . لجلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي

- (١٦) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب لمحمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، تحقيق محمد مظهر بقا، دار المدني للطباعة، ١٩٨٦م
- (١٧) تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر الخطيب، نشر دار الكتاب العربي
- (١٨) التبصرة في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، تحقيق محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠
- (١٩) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي لمحمد المباركفوري، دار الاتحاد العربي، ط الثانية .
- (٢٠) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب الحديثة بالقاهرة.
- (٢١) التمهيد في أصول الفقه، أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، تحقيق د. مفيد أبو عمشة ود. محمد علي إبراهيم، دار المدني للطباعة، جدة ١٩٨٥م
- (٢٢) جمع الجوامع لعبد الوهاب السبكي مع شرح المحلي، دار إحياء الكتب العربية .
- (٢٣) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية لمحمد بن محمد بن نصر الله، مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند، ١٣٣٢هـ + مطبعة الحلبي سنة ١٩٧٨م
- (٢٤) حاشية المطيعي على نهاية السؤل، المطبعة السلفية بالقاهرة .
- (٢٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، مطبعة الحلبي
- (٢٦) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة المدني .
- (٢٧) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم ابن فرحون، دار التراث، القاهرة .
- (٢٨) الرسالة للإمام الشافعي، تحقيق أحمد شاکر، مطبعة الحلبي ١٩٤٠م
- (٢٩) رسوخ الأخبار في منسوخ الأخبار لأبي إسحاق إبراهيم الجعبري، تحقيق د. حسن الأهدل، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان .
- (٣٠) روضة الناظر لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة مع نزهة الخاطر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٣١) سنن البيهقي - السنن الكبرى لأبي بكر البيهقي، طبع دار الفكر .

- ٣٢) سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٣٣) سنن أبي داود سليمان بن الأشعث، تعليق عزة عبيد، دار الحديث، سورية، ١٩٦٩م
- ٣٤) سنن ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت .
- ٣٥) سنن النسائي للحافظ أحمد بن شعيب النسائي، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، طبع دار البشائر.
- ٣٦) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة .
- ٣٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد ابن العماد، طبع القدسي بمصر، ١٣٥٠هـ.
- ٣٨) شرح تنقيح الفصول، لأحمد بن إدريس القرافي، شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٩٧٣م .
- ٣٩) شرح الكوكب المنير لمحمد بن أحمد ابن النجار، تحقيق د . محمد الزحيلي ونزيه حماد، دار الفكر .
- ٤٠) شرح مختصر الروضة لنجم الدين سليمان الطويفي، تحقيق د . عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة.
- ٤١) صحيح البخاري، تعليق وترقيم مصطفى البغا، نشر دار القلم، ١٩٨١م .
- ٤٢) صحيح مسلم بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان .
- ٤٣) طبقات الأسنوي لعبد الرحيم بن الحسن الأسنوي، مطبعة الإرشاد ١٩٧٠م
- ٤٤) طبقات الحنابلة لمحمد بن أبي يعلى الفراء، دار المعرفة، بيروت .
- ٤٥) طبقات السبكي لعبد الوهاب السبكي مطبعة الحلبي ١٩٦٤م
- ٤٦) العدة في أصول الفقه لأبي يعلى الفراء بتحقيق المبارك طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٠م
- ٤٧) الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية طبع مكتبة المعارف بالرباط

- (٤٨) الفتح المبين في طبقات الأصوليين لعبد الله مصطفى المراغي، الطبعة الثانية ١٩٧٤م، بيروت .
- (٤٩) الفهرست لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، طبعة طهران .
- (٥٠) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات محمد اللكنوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت
- (٥١) فواتح الرحموت لعبد العلي الدين الأنصاري، مطبوع مع المستصفي، المطبعة الأميرية ببولاق .
- (٥٢) القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت .
- (٥٣) كشف الأسرار لعلاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري، مطبعة سنده العثمانية، ١٣٠٨هـ
- (٥٤) لسان العرب لمحمد بن منظور، دار صادر، بيروت
- (٥٥) اللمع في أصول الفقه لأبي إسحاق الشيرازي، نشر محمد صالح البار .
- (٥٦) المحصول للإمام فخر الدين الرازي، تحقيق الدكتور طه العلواني، مطابع الفرزدق بالرياض .
- (٥٧) مختصر ابن الحاجب مع شرح العضد وحاشية التفتازاني، المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق .
- (٥٨) مذكرة في أصول الفقه على روضة الناظر للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، العصر للطباعة .
- (٥٩) المستصفي من علم الأصول، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المطبعة الأميرية ببولاق
- (٦٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان .
- (٦١) المسودة في أصول الفقه لأل تيمية، دار الكتاب العربي، بيروت
- (٦٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد الفيومي، نشر المكتبة العلمية، بيروت.
- (٦٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني، بتحقيق حبيب الأعظمي، مطابع دار القلم .
- (٦٤) المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية - مطابع قطر الوطنية .

- ٦٥) المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري، تقديم الشيخ خليل الميس، دار الكتب العلمية
- ٦٦) المغني في أصول الفقه / لعمر بن محمد الخبازي مطبوعات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى
- ٦٧) المنهاج، لناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، مطبوع مع نهاية السؤل، المطبعة السلفية
- ٦٨) منهاج الوصول إلى معيار العقول / لأحمد المرتضى تحقيق د. أحمد المأخذي طبع دار الحكمة اليمانية
- ٦٩) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين يوسف بن تغرى بردى، مطابع كوستا توماس
- ٧٠) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والخواطر / لعبد الحي الحسني - مطبعة دائرة المعارف العثمانية
- ٧١) نفايس الأصول شرح المحصول، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٩٩٥م
- ٧٢) نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، لعبد الرحيم الأسنوي مع سلم الوصول، طبع المطبعة السلفية
- ٧٣) نهاية الوصول في دراية الأصول، لصفى الدين الهندي محمد بن عبد الرحيم، تحقيق صالح بن سليمان اليوسف وسعد بن سالم السويح
- ٧٤) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار / لمحمد بن علي الشوكاني - مطبعة الحلبي
- ٧٥) الوصول إلى الوصول، لأحمد بن علي بن برهان، تحقيق عبد الحميد أبو زنيد، مكتبة المعارف الرياض ط الأولى ١٩٨٤م
- ٧٦) وفيات الأعيان، لأحمد بن محمد بن خلكان، طبع دار صادر بيروت ١٩٧٧م